فتحي رشيد

حدث ويحدث في العراق والمنطقة

أمركة أم صهينة ؟

رؤى إشكالية

اهداء ٢٠٠٩

اسرة المرحوم محمد حسن الليثى

[illegible]

دراســـة

حدث ويحدث في العراق والـمنطقة
أمـركــة أم صهينـــة!!

فتحي رشيد

الكتاب: حدث ويحدث في العراق والمنطقة
«أمركة أم صهينة»
الكاتب: فتحي رشيد

الناشر: دار ترقى للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق: ☎ 6321159 ✉ 34191
دير الزور: ☎ 220062 ✉ 28

موافقة وزارة الإعلام رقم (75637)

عدد النسخ 1000 نسخة 2003

الإخراج الفني: منال وليد غنيم.
الغلاف الخارجي: الفنان باسم سلمان.
الفنان حكم النعيمي.

المحتويات

مشكلتنا نحن الغربيون ليست مع صدام
بل مع العراق، هذا البلد القوي.
ربما يأتي أحد بعد صدام
ويقوده باتجاه مضاد لمصالحنا
في الشرق الأوسط وعليه يجب تحطيم العراق

«هنري كيسنجر»



الباب الأول:

العراق بداية ـ ونهاية مرحلة

الفصل الأول

الكارثــة

إن ما تكشفت عنه ليلة التاسع من نيسان لعام 2003 في بغداد كان مروعاً ومذهلاً. على المستويات كافة، العسكرية والسياسية والأخلاقية إنه نسيج وحده لا يمكن مقارنته بأي حدث من أحداث التاريخ لا في الوطن العربي ولا في أي منطقة أخرى في العالم.

ما تكشفت عنه ليلة التاسع من نيسان في بغداد تتعدى آثاره العراق وطناً وشعباً لتطال العرب والمسلمين جميعاً. والتاريخ القادم كله للمنطقة والعالم.

ما حدث في العراق يتجاوز أية هزيمة أو نكبة حدثت في العالم أو في الوطن العربي ويفوق ما حدث للعراق بغد غزوة هولاكو. فما حدث في العراق في ذلك اليوم لم يكن هزيمة عسكرية، كما هو الحال في جميع الهزائم العسكرية التي أصابت أية منطقة أخرى في العالم. ولم يكن استسلاماً لأنه لم تجر عملية استسلام رسمي للنظام كما جرى في جميع الحروب السابقة.

كما لم يكن انهياراً شبيهاً بالانهيار الذي أصاب الاتحاد السوفييتي حيث يميل كثير من المحللين إلى المقارنة بين ما جرى للعراق اليوم وبين ما جرى للاتحاد السوفييتي في عام 1990.

في جميع الحروب التي هزمت فيها الجيوش ووقعت حكوماتها وثيقة استسلام ظلت تلك الجيوش قائمة، أما في العراق فلقد اختفى الجيش واستسلم العراق دون أن يوقع أحد على صك استسلام. مما يعني أن ما حل بالعراق هو أكثر من استسلام تام وشامل. وأكثر من انهيار وأقل من انتهاء، فعندما انهار النظام في الاتحاد السوفييتي بقي الجيش السوفييتي قائماً. وظلت أغلب مؤسسات النظام والدولة قائمة تمارس أعمالها فلم تسقط أو تختف أما في العراق فلقد انهار النظام والجيش والشعب والسلطة والحزب والدولة بجميع مؤسساتها. ونستطيع أن نضيف إلى كل ذلك ما حدث من انهيار للأخلاق والمثل العليا والمبادئ. وهنا مكمن الخطورة. لقد أعادت ليلة التاسع من نيسان أرض العراق وخيراته وشعبه ومستقبله إلى نقطة الصفر أو إلى ما دونه. فبعد أن تحول خراباً شاملا أصبح قابلاً لأن يبنى إما بالطريقة التي يريدها المحتلون والغزاة وإما كما يريد العراقيون.

إن ما تكشفت عنه ليلة التاسع من نيسان في العراق. تفوق من حيث الوقع على النفوس، نفوس العراقيين والعرب والمسلمين وأحرار العالم ومن حيث الأبعاد المستقبلية ما جرى للعرب في نكبة عام 1948 أو ما جرى لهم بعد هزيمة الجيوش العربية في حزيران

لعام 1967 باعتبار أن تلك الهزائم والنكبات كانت هزائم لجيوش وليس لأنظمة أو لشعب أو لشعوب أو لحزب أو أحزاب أو نخب ولم تكن هزيمة لفكر أو لأخلاق أو لمبادئ.

لقد دفعت نكبة عام 1948 وهزيمة عام 1967 القادة والزعماء والأحزاب والنخب والجيوش والشعوب العربية إلى رفض فكرة الهزيمة حيث اعتبرتها مجرد نكسة ودفعتهم إلى رفض الاعتراف أو التسليم بما حدث وإلى رفض التفاوض ودفعت الجميع إلى مزيد من العناد والإصرار والثبات على الحقوق والأهداف والمبادئ وإلى الإصرار على تغيير الواقع الحاصل.

والواقع ان مأساة وخطورة ما حدث في العراق تتمثل في أن الوجود العسكري الأمريكي اليوم على ارض العراق يلقى الترحيب أو القبول أو السكوت من قبل أجزاء واسعة من الشعب العراقي ومن بعض شعوب وحكومات ونخب كثيرة في العراق والبلدان العربية والإسلامية وهنا وجه الخطورة.

إن من يعتقد أن ذاك النظام الاستبدادي الفاشي الأكثر والأشد قمعية في التاريخ ليس إلاّ نسيج نفسه ونسيج ظروف العراق الخاصة. يسهل عليه الاقتناع بأن أمريكا جاءت فعلاً محررة للعراق من هذا الطاغية ومن نظامه المرعب وسوف يرحب بالتالي بالاحتلال الأمريكي أو يتعاون معه خوفاً من أن يعود ذاك الطاغية المختفي إلى حكم العراق ثانية أو خوفاً من أن يعود إلى حكمه طاغية آخر مماثل. عندها ستكون القوات الأمريكية هي الأمل والحامي والمنقذ كما أصبحت للكويت بعد غزوة صدام وهنا وجه آخر للخطورة.

أما إذا انطلقنا من فكرة أن النظام البائد لم يكن إلا صنيعة أمريكية مثله مثل جميع الأنظمة الفاشية والديكتاتورية والقمعية التي صنعتها أمريكا في العالم الثالث وبشكل خاص في أمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا والوطن العربي في فترة الحرب الباردة للقضاء على الحركات الوطنية والثورية. وأن هذا النظام خلال فترة حكمه للعراق لم يعمل إلاّ على تدمير جميع القوى الوطنية والثورية والشريفة والمخلصة والمحبة للعراق والوطن. وأنه دمر وخرب العراق أرضاً وشعباً وأحزاباً ومجتمعاً وأخلاقاً واقتصاداً وثروة. - إننا إذا انطلقنا من هذه الفكرة - فسيكون من السهل علينا الاقتناع بأن أمريكا لم تأت للعراق محررة ولن تعمل في المرحلة المقبلة من أجل مصلحة العراق أو العراقيين والمنطقة ولن تعمل على تحرير الشعب العراقي و تقدمه أو لنشر الديمقراطية بين أبنائه لأنها لم تعمل في الماضي ولا في الحاضر لا في العراق ولا في أي بلد في العالم من أجل ذلك بل إنها لم تعمل إلا على تدمير الشعوب والحكومات والأنظمة الوطنية ونهب خيراتها ولم تعمل إلا على استعبادها وسحقها وإلحاقها بها. إن إدراك هذه الحقيقة يشكل نقطة انطلاق أساسية للموقف الذي يجب أن يبنى إزاء أمريكا واحتلالها وإزاء أية حكومة سوف تصنعها للعراق..

لا يمكن لأميركا أن تكون لا مع العراق ولا مع شعبه ولا مع أي شعب آخر في العالم.

لا يمكن لأميركا أن تكون ولن تقف يوماً إلا مع إسرائيل وإسرائيل فقط حتى لو تعارض هذا مع مصالح أمريكا والشعب الأمريكي. إن الانطلاق من هذا الفهم سوف يزيل الافتراق والتباعد النظري داخل صفوف العراقيين والعرب على مختلف مشاربهم وتوجهاتهم وسيكون أساساً لتوحدهم ووقوفهم صفاً موحداً من الاحتلال المرفوض جملة وتفصيلاً لأن هذا الاحتلال لن يكون أرحم بالعراق والعراقيين والعرب من النظام البائد إلا بما يضمن استمرار الهيمنة الصهيونية بطريقة مغايرة شكلاً وأسوأ مضموناً.

تتجلى خطورة ما حدث في العراق أيضاً في أنه قد حدث في ظروف محلية وإقليمية ودولية تتفرد فيها الأنكلو صهيونية وحدها بمصير العالم مما تجعل منه أشد هولاً مما جرى للأمة العربية في نكبة عام 48 باعتبار أن الوجود العسكري الأمريكي الإنكليزي الصهيوني على أرض العراق لا يأتي مكملاً للوجود العسكري. الأنكلو صهيوني على أرض فلسطين فحسب بل قد يختتم به هذا الوجود في المنطقة بأسرها. وقد يحسمه لمصلحة المشروع الصهيوني على نطاق المنطقة والعالم بأسره.

إن إدراك هذه الحقيقة قد يوحد الجميع ويجعلهم يقفون موقفاً موحداً رافضاً للاحتلال الأمريكي سواء المباشر أو غير المباشر. واعتبار هذا الاحتلال العسكري أسوأ أنواع الاحتلال.

ما بدا لكثير من أحرار العالم والوطن العربي والمسلمين على أنه احتلال أمريكي يبدو لكثير من العراقيين إن لم نقل لغالبيتهم تحريراً للعراق من نظام صدام حسين واختلاف زاوية النظر هذه بين غالبية العراقيين وبين أحرار العرب والمسلين جميعاً. قد تشكل نقطة انفصال تاريخي وجغرافي للعراق وإخراجاً له من المنطقة وقد تشكل تعقيدات التعامل مع حكومة عراق ما بعد الاحتلال، منطلقاً لأن يتحول العراق إلى قاعدة للاستعمار الأنكلو صهيوني، يتم الانطلاق منها للاعتداء على البلدان العربية والإسلامية المجاورة.

قد تبدو هذه الرؤية مستبعدة لكن ما جعل العراق في حربه مع إيران يبدو مقبولاً من قبل كثير من العراقيين وكثير من العرب وجعله يبتعد عن الصراع الأساسي في المنطقة ضد الصهيونية. قد يجعله قابلاً لأن يصبح بعد الوضع الجديد أكثر ابتعاداً عن قضايا المنطقة والأمتين العربية والإسلامية وقضايا التحرر الوطني والسيادة القومية ومن هذه الزاوية فإننا نستطيع أن نضيف خطورة غير مرئية إضافة لخطورة احتلال العراق والسيطرة على مقدراته تتمثل في الانطلاق منه لإزالة المعيقات أمام المشروع الصهيوني وتسهيل الهجمة الأنكلو صهيونية على المنطقة والعالم ككل.

لقد تحول هذا البلد الذي كان من الممكن أويجب أن يكون من أغنى وأقوى بلدان العالم إلى أفقر وأتعس بلد وبدلاً من أن يكون سنداً وظهيراً لسورية والفلسطينيين تحول إلى عامل إضعاف لهم. وهذا لا يمكن أن يكون إلا بفعل قوى شريرة، ماكرة وخبيثة ولا يمكن أن يكون مجرد صدفة أو نتيجة لهفوة أو لخطأ في التحليل الفكري والنظري.

من المؤسف أن نشير إلى حقيقة أنه في الوقت الذي تنظر فيه كثيرٌ من القوى في العالم مثل روسيا وفرنسا وألمانيا والصين إلى ما جرى في العراق باعتباره يشكل تهديداً حقيقياً لمصالحها وتكريساً لنظام دولي جديد تسعى الأنكلو صهيونية إلى فرضه، تنظر كثير من الأنظمة العربية لما جرى في العراق باعتباره أمراً عادياً لا يشكل أية خطورة. وهذا ما يجعل من هذا الموقف العربي مرتكزاً لافتراق تاريخي وسياسي للعرب عن قضايا العالم المعاصر والمجتمع الدولي.

والحقيقة أن ما حل بالعراق والأمتين العربية والإسلامية خلال ربع القرن الماضي لن يعيدهم إلى ما كانوا عليه قبل أربعين سنة بل سيعيدهم إلى ما هو أسوأ أي إلى ما كانوا عليه قبل ثمانين سنة. أي إلى العشرينات حين أطبق الاحتلال الأنكلو صهيوني المباشر على المنطقة العربية كلها.

فإذا كانت غزوة هولاكو للعراق قد أخلَّت بالبنية الفكرية والروحية والسياسية للعرب وجعلتهم يتقبلون العبودية والخضوع للأجانب (مهما كان اسمهم مماليك أو أتراك حتى لو اتخذوا الإسلام شعاراً لهم لاستعباد المنطقة) فإن غزوة الأنكلو صهيونيون اليوم للعراق سوف تعيد العرب إلى عبودية أشد وأدهى، إلى التسليم بحق الصهاينة والإسرائيليين والأنكلوسكسونيون بالوجود والأمن والسلام والهيمنة والسيادة على المنطقة خلال القرن القادم.

لا أعتقد أن أحداً يمكن أن يخاتل أو يموه على الحقيقة المرة والقاسية ليقول لنا أن حركة التحرر القومي العربي هي التي انتصرت اليوم، بل لابد من الاعتراف بأن ما جرى لنا خلال القرن الماضي لم يكن انتصاراً لحركة التحرر الوطني أو القومي أو الديني العربي والإسلامي كذلك لابد من التأكيد على أنه لم يكن انتصاراً كاملاً للمشروع الصهيوني. بل قد يكون بداية النهاية له، لأنه سيعيد الصراع إلى حقيقته الأولى وبطريقة أكثر عمقاً وشمولية. ولعل هذا ما يدفعنا إلى الكتابة والبحث ويدفعنا إلى العودة إلى التاريخ القديم والحديث لعلنا نهتدي إلى مخرج مختلف عن جميع المخارج التي مررنا بها خلال الألف سنة الماضية.

صحيح أن ما تكشفت عنه ليلة التاسع من نيسان يعتبر أمراً مروعاً ومذهلاً وعصياً على الفهم والتفسير. لكن من المؤكد أن ما تكشف عنه الواقع في تلك الليلة لا يمكن أن يكون نتيجة حدث أو فعل أو خطأ أو خيانة أو مؤامرة أو صفقة حدثت في تلك الليلة أو قبلها. بل لابد أن يكون نتيجة تراكم عدة أخطاء وجهود مكثفة في المجالات كافة وخلال سنوات طويلة وليس نتيجة تراكم مجموعة من الأخطاء العسكرية أوالفكرية والسياسية التي ارتكبها النظام أو المعارضة أو الدول المجاورة والتي تراكمت وتفاقمت خلال الحرب الأخيرة أو السنين العشرة الأخيرة.

من الصعب أن نُحمِّل لحظة تاريخية معينة أو أي فرد أو قائد أو زعيم أو مجموعة

أفراد أو مجموعة أخطاء مورست في تلك الفترة التاريخية مسؤولية جميع الأخطاء والنكبات التي حلت بالعراق والعرب والفلسطينيين خلال قرن من الزمن.

إن ما جرى في العراق في التاسع من نيسان هو ما أصاب العراق في 27 من شهر آب سنة 1991 وهو ما أصاب الجيوش العربية في الثاني عشر من حزيران لعام 67 والذي أصابها وأصاب الأمة في السابع عشر من تموز لعام 1948 وما أصاب الأمة في آذار من عام 1918 وهو ما أصابها عندما غزاها الصليبيون والتتر والمغول. الأمر ذاته عندما يتكرر أكثر من مرة يؤكد أن العيب ليس عيباً فردياً أو سطحياً أو عابراً بل عيباً بنيوياً وصميماً عميقاً وشاملاً يحتاج إلى وقفة مطولة.

ورغم أن غالبية المنظرين والكتاب والصحفيين والإعلاميين قد تنبهوا إلى أن إحدى نتائج احتلال العراق تمثلت في تهديد سوريا وإيران والسعودية لدفعهم إلى اتخاذ مواقف معادية للتنظيمات الفلسطينية وحزب الله إلا أنهم لم ينتبهوا إلى أن إحدى النتائج المباشرة لهذه السياسة الإرهابية للولايات المتحدة الأمريكية قد تجسدت عملياً على أرض فلسطين بمحاولة وقف الانتفاضة الباسلة تحت غطاء ما يسمى (الهدنة المؤقتة) الأمر ذاته الذي حدث للانتفاضة السابقة بعد ضرب العراق عام 1991. مما يؤكد أن الاحتلال الأنكلو صهيوني للعراق قد نجح في تحقيق ما عجزت عنه الإدارة الأمريكية بعد غزوها لأفغانستان وحربها على الإرهاب المزعوم وما عجزت عنه الآلة العسكرية الإسرائيلية خلال أكثر من سنتين لإيقاف الانتفاضة.

أشار كثير من المحللين إلى أن أية هدنة مؤقتة بين الفلسطينيين والإسرائيليين في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق ستكون لصالح القوات الاحتلال الأمريكية بما يتيح لها لأن تتفرد وتتفرغ لتدبير أمورها في العراق كي تعود من جديد لدعم شارون لسحق الفلسطينيين بقسوة أشد وأعنف مما سبق.

يرى بعض المحللين والمنظرين أن ما جرى لفلسطين والعراق والعرب منذ بداية القرن الماضي وحتى اليوم من احتلالات وخراب وتدمير وفوضى وانقسامات وانشقاقات وتخلف وتقهقر وخنوع وخضوع للهيمنة الأنكلو صهيونية ليس سوى نتيجة لمؤامرة صهيونية إمبريالية حيكت خيوطها في الدوائر الأنكلو صهيونية بدقة وتأن وبرود أعصاب ونفذت خلال فترة طويلة والحقيقة أن أية مؤامرة خارجية لا بد لها حتى تمرر على أي شعب من الشعوب من أن تستند إلى قوى محلية عديدة سواء أكانت نخباً مثقفة أو قوى طامعة في السلطة أو قيادات أو زعامات سياسية أو فكرية أو عسكرية أو أقليات مضطهدة أو غير مضطهدة. إن خيانة هؤلاء لأمتهم أو لوطنهم أو لشعبهم أو نتيجة انسياقهم مع القوى الخارجية أو الأجنبية أو المعادية لا يمكن أن تكون كافية لتفسير انجرارهم إلى تلك المؤامرة الكبيرة والدنيئة إلا إذا كانت مصالحهم قد أصبحت جزءاً من تلك المصالح أو أنهم أصبحوا جزءاً من المشروع الصهيوني والإمبريالي أو أنهم قد اندمجوا فيه اندماجاً شبه تام. مثل هذا الأمر لا يمكن أن يتحقق إلاّ إذا كانوا يستندون إلى بنى سياسية واقتصادية واجتماعية

وفكرية مهترئة أو مفككة أو تابعة أو ملحقة أو ضعيفة. أتاحت وتتيح لهذه القوى والقيادات والزعامات والنخب أو الأقليات ممارسة وتنفيذ تلك المؤامرة أو ذلك المشروع المرعب مثل غياب الديمقراطية والحرية الفكرية والسياسية ونتيجة لقمع المنظمات والأحزاب والمؤسسات الحكومية أو المدنية بمختلف أصنافها ومسمياتها.

وإذا كان بحث ما جرى لهذه الأمة منذ بداية القرن العشرين لا يمكن فصله عما أصابها وحل بها منذ غزوة هولاكو. فإن دراسة وتحليل ما حل بهذه الأمة وعلى الخصوص منذ بداية القرن الماضي. أمر مطلوب لإلقاء الأضواء على الحاضر والمستقبل.

وإذا كان التركيز في هذا البحث على ما جرى في العراق وفلسطين فلأن ما جرى فيهما قد يكون كاشفاً لما جرى لهذه الأمة كلها منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم. كما يمكن أن يضيء لنا درباً وإن كان ضيقاً إلا أنه قد يكون كفيلاً بإخراجنا من هذه الهوة السحيقة التي نوشك أن نسقط فيها.

الفصل الثاني

المنطقة لا تحتمل أكثر من قوة واحدة

صحيح أن الوطن العربي قد تعرض منذ أكثر من خمسة آلاف عام وما زال يتعرض لغزوات قامت بها شعوب وقوى عديدة. سواء جاءت من الشرق أم من الغرب. فإن هذه الغزوات لم تتوقف يوماً خاصة تلك الغزوات والرياح المسمومة القادمة من الغرب.

وصحيح أن الحروب الصليبية المباشرة قد انتهت منذ أكثر من سبعمائة عام لكنها اتخذت من ذلك التاريخ أشكالاً أخرى مسمومة حيث عملت الإمبراطوريات الأوروبية على فتح مراكز تجارية أو تبشيرية شكلت فيما بعد محميات للدول الاستعمارية ارتكزت عليها لاحقاً للتدخل في شؤون المنطقة ثم اتخذت منها أساساً لاستعمارها المباشر أو غير المباشر.

اتخذت الحملة الغربية الجديدة منذ غزة نابليون عام 1800 شكلاً جديداً. تمثل في عملية التدمير الفكري والنفسي والأخلاقي والروحي والاقتصادي لبنية مجتمعاتنا العربية.

صحيح أن تلك البنية القديمة المنقولة إلينا من عصور الجهل والاستعباد لا يؤسف عليها. لكن ثمة فرق بين تغيير وتفكيك ينبع من الداخل وتغيير يفرض من الخارج.

في جميع الغزوات السابقة لم يعمل الغزاة على نقل ثقافتهم وتقاليدهم إلينا بل يمكن القول إن العكس هو الذي حصل حيث أن جميع الغزاة سواء التتر أو المغول أوالصليبيون قد تأثروا بثقافتنا ولغتنا وأخلاقنا ونقلوها إلى بلادهم.

وإذا كنا قد أخذنا ببعض التقاليد المملوكية أو التركية فلم يكن ذلك إلا بسبب الفترة الطويلة التي أقاموا فيها بيننا بصفتهم مسلمين. وبسبب أن العملية تمت بدون تخطيط وفرض قسري.

في الغزوات السابقة بقيت أغلب خيراتنا ومواردنا حيث هي. ولم ينقل للخارج منها إلا الخفيف والثمين أما بعد هذه الغزوة فإن عملية النهب لمواردنا وثرواتنا وجهودنا وأموالنا أخذت تجري بشكل خفي أو مستتر ومكثف إلى البلدان الاستعمارية وتم السكوت عليها. باعتبارها أمراً طبيعياً تفرضها حقائق الأمور والتفاوت بين البشر والدول.

إن الغزوة الظلامية الحديثة قامت بها قوى متقدمة عسكرياً وصناعياً وعلمياً سعت إلى تدمير وتفكيك وتخريب بنيتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتدمير ثقافتنا وسحقنا روحياً وفكرياً. وجعلنا ملحقين وتابعين لثقافة أدنى وأحط، أقل ما يقال فيها أنها ثقافة الأنانية وعبادة المال.

إن الغزوة الاستعمارية الحديثة ما تزال مستمرة ومتجسدة بقوة تفقأ العيون والعقول والنفوس بكيان غريب وكريه في خاصرة وطننا العربي يزعم البعض بأنه كيان ديمقراطي يتفوق علينا حضارياً وأنه جاء لينقل إلينا المدنية والحضارة والديمقراطية. وأنه يتوجب علينا أن نركع له وأن ننحني أمام بطشه وقذارته وأن نتحول إلى عبيد له على أرضنا..

منذ حوالي مئتي سنة والوطن العربي يتعرض إلى عمليتين كبيرتين مترابطتين ومتتاليتين ومتداخلتين تكمل إحداهما الأخرى تتمثل الأولى في عملية الغربنة والرسملة و العولمة و الأمركة. وتتمثل الثانية في عملية الصهينة ـ وبصورة أكثر دقة وتحديداً ـ إلى تهويد مجتمعاتنا. وقد نتج عن هاتين العمليتين أو عن ترافقهما وتداخلهما عمليات أخرى مثل التجزئة والتفتيت القومي والديني والطائفي والعشائري رافقتهما عمليات نهب اقتصادي وتدمير وإلحاق اقتصادي وسياسي واجتماعي وفكري ونفسي (وروحي وأخلاقي) وعمليات إفقار وتجهيل وفقدان للحرية والأمن والأمان والكرامة الإنسانية.

إن معالجة هاتين القضيتين تثيران عشرات القضايا الإشكالية التي لم يتم حسمها حتى الآن على الأقل على المستوى النظري الخالص. بسبب أن العمليتين تشكلان بحد ذاتهما مسألتين إشكاليتين لم يتم حسم النقاش حولهما.

إن زعم البعض أنه لا يمكن إعطاء رأي قاطع في المسائل الاجتماعية أو الفكرية أو الثقافية أو النفسية الاجتماعية بسبب أن نتائج العلوم البحتة كالفيزياء والكيمياء ليست نهائية أو مطلقة. ما هو إلا رأي مضلل. يقصد من وراءه إخفاء حقيقة التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية والعمالة لأميركا، التي لا تحتاج إلى كثير من الإثباتات.

لو كانت المسألة المطروحة هي مسألة رسملة أو التحاق بقطار العولمة أو تحديث أو تطوير أو نهضة أو دمقرطة فإن من المؤكد أن الغالبية العظمى من أبناء شعبنا العربي ومثقفيه ونخبه السياسة والفكرية وقادته سوف يرحبون بهذه العملية ويفتحون لها بيوتهم وصدورهم وقلوبهم وهم للأسف يفتحون لها هذه الأبواب مرغمين وطائعين دون أن يتخذ أحد منهم قراراً بذلك.

إن الأمريكان وعلى لسان العبد السابق كولن باول أعلنوا نيتهم نشر الديمقراطية والحضارة في منطقتنا وكرسوا لها لجانا وخصصوا لها الأموال اللازمة (*)

إنني أقول للعبد كولن باول لأنني أعرف كما يعرف هو وكونداليزا رايس وذلك العبد المتصهين كوفي أنان أنهم ما يزال ينظر إليهم ويعاملون في أمريكا بلد الديمقراطية والحرية المزعومة التي يقومون بخدمتها كالعبيد القدامى بصفتهم زنوجاً سوداً. وأن من الأولى به وبهم قبل أن يفكروا بتحريرنا من الاستبداد والعبودية والظلام ونشر الديمقراطية عندنا أن يحرروا أبناء جنسهم الزنوج من العبودية والاحتقار والازدراء

(*) 19 مليون دولار لعملية التغيير ما أرخص العاملين لها وفيها! وفتحوا لها المحطات الفضائية لتدخل بيوتنا وعقولنا عنوة (العربية وأوربت وسواها).

والتمييز التي ما زالوا يعاملون بها ويخضعون لها حتى اليوم وأن كلمة اعتذار وإعطاء حقوق شكلية لا تكفي بل ما يلزم هو ممارسة عملية مختلفة تتمثل في الاعتراف بإنسانية الإنسان مهما كان لون بشرته أو دينه أو لغته، عملية كهذه ما تزال غائبة وبعيدة عن القوى المسيطرة في أميركا تحديداً.

ومن المؤسف أن كثيراً من الكتاب والصحفيين والمنظرين الذين كانوا لسنوات خلت مدافعين عن الأنظمة التقليدية أو التابعة للاستعمار باعتبارها أنظمة عروبية تدين بالإسلام وكانوا يحاربون من أجلها ويدافعون عن عروبتها وإسلاميتها بأسنانهم قد تحولوا بين يوم وليلة وبالتوافق مع دعوة هؤلاء العبيد إلى دعاة للحوار بين الحضارات والأديان وإلى أعداء لهذه الدول ويوجهون لها النقد والاتهام ويصفونها بالجهالة والأوتوقراطية أو العشائرية أو الاستبداد أو أنها أنظمة تفقس الجهل والتخلف والإرهاب. ولذلك فإن عملية إصلاح لها أصبحت اليوم وبشكل مفاجئ ضرورية ولازمة.

من المؤكد أن جمع الدول العربية والإسلامية والعالمثالثية وحتى الدول الرأسمالية بما فيها أمريكا تحتاج إلى عمليات إصلاح. ولكن أي إصلاح؟

عندما يُطرح الإصلاح كهدف فإننا نواجه بأكثر من طريقة وطريقة.

منذ انهيار النظام السوفيتي توقف الإصلاح عن طريق التوجه إلى الاشتراكية ليس في بلداننا العربية فحسب، بل في أغلب بلدان العالم وإذا كنا ما نزال نجد بلداناً كثيرة في العالم تتبنى التوجه الاشتراكي سواء في كوبا والصين أو فيتنام (ومهما قيل في صحة هذا التوجه) فإن هذا يؤكد أن الإصلاح عن طريق الاشتراكية مازال طريقاً مفتوحاً ولم يغلق بعد ولا يجوز ولا يحق لأحد أن يغلقة قسراً كما لا يجوز إغلاق دور الدين في عملية الإصلاح بدون تقديم الأدلة النظرية المقنعة والحاسمة بدليل أن هناك دولاً عديدة وقوى كثيرة في العالم ما تزال تتبنى هذا الطريق بأشكال وطرق مختلفة وما تزال بعض البلدان تشهد نشوء حركات ثورية جديدة تتبنى الماركسية اللينينية أو الإسلام أو البوذية أو المسيحية وتسعى إلى تغيير الأنظمة العميلة والتابعة للإمبريالية ولكن المأساة التي أضرت كثيراً بالتوجه الاشتراكي هي أنه بمجرد، ما أن انهار النظام السوفيتي تخلى دعاته كما لو كانت الاشتراكية كالرأسمالية ليست إلا تبعية بتسميات مختلفة أو كما لو كان الاشتراكيون في بلادنا ليسوا أكثر من عملاء لدولة أخرى اختفوا بعد أن غابت هذه الدولة (المركز).

ولحسن الحظ فإنه ما يزال في بلداننا العربية أحزاب ترفع راية الاشتراكية وراية العروبة والإسلام وتتمسك بها أكثر من قبل وإلا لاعتقدنا أن العمالة طبع آخر يطبع النخب والأحزاب العربية.

إن احتلال العراق ـ اليوم تحت دعوى نشر الديمقراطية في المنطقة تطرح عدة مسائل إشكالية وخلافية وبغض النظر عما يمكن أن يقود إليه هذا الاحتلال من نتائج مباشرة أو غير مباشرة على الوطن العربي وسواء كانت نهضة أو دمقرطة أو قضاء على الاستبداد

كما يزعمون. أو سلاما وتقد فإن أقل ما يقال عن الحملة الأميركية الجديدة على العراق أنها منذ أن بدأت أبعدت الأنظار عن الانتفاضة الفلسطينية مما يشير إلى أن أحد أهدافها غير المباشرة هو تحويل الأنظار عن الانتفاضة وعن أعمال قوات الاحتلال الإجرامية، وترك المجال والوقت لشارون ليبطش بالفلسطينيين كخطوة أولى من أجل تركيعهم وليس أدل على ذلك من أنه عندما اجتمع بوش وبلير في جزر أزور لتحديد ساعة الصفر للبدء بالهجوم على العراق رحبا بخارطة الطريق وبتعيين أبو مازن رئيساً لوزراء الدولة الفلسطينية الهوائية المرتقبة.[1] هل ستكون وظيفة هذه الدولة الهوائية كوظيفة الجماعات اليهودية الهوائية؟.

ربما لو لم تكن إسرائيل موجودة في المنطقة فإن مناقشة الأمور ستكون أسهل على الوطنيين والقوميين والمسلمين والثوريين والأحرار العرب؛ ففي بلدان أمريكا الجنوبية وشرق وجنوب أسيا تتلخص القضية هناك بأن تكون مع شعبك وسيادته أو أن تكون مع الرأسمالية والتبعية.

أما في منطقتنا فالأمر أكثر تعقيداً بسبب أن الأمركة والغربنة لا يمكن فصلها عن عملية والصهينة، ولأن هذا التداخل يشكل أساساً لمانعة عملية الغربنة والأمركة. وبما أن عملية الأمركة تجري من أجل فرض سلام تكون فيه إسرائيل آمنة ومرفهة وقوية فإن هذا وحده يشير إلى أن عملية الاحتلال الأمريكي للعراق لا تهدف إلى أمركة المنطقة أو إلى دمقرطتها بقدر ما تهدف إلى صهينتها وتهويدها والحقيقة أن أية دولة في جنوب وشرق آسيا ومهما كانت صغيرة ترفض أن تكون تابعة أو خاضعة لدولة أخرى مجاورة لها حتى لو كانت الصين. وأنا إذ أشير إلى وجود عملية صهينة وتهويد تجري في المنطقة تحت عباءة الغربنة والأمركة فليس ذلك لأنني أريد إبعاد بلادنا عن عملية الأمركة. لأننا نعلم تماماً أن الأمركة قد خطت خطوات كبيرة وأحرزت نجاحات كثيرة في بلادنا ربما أكثر مما هي عليه في بلدان أخرى رغم معرفة البعض بأن العملية لا تخلو من صهينة.

كتب الأدميرال الفريد ماهان الذي كان أحد العسكريين الذين وضعوا الاستراتيجية الإمبريالية في العصر الحديث عام 1904 **«أن منطقة البحر الأبيض المتوسط لن تكون إلاّ لسيد واحد. ولا يمكن أن تقع إلا تحت هيمنة قوة عظمى وحيدة. ستدفع بامتيازاتها في هذه المنطقة في جميع الاتجاهات أو أنها ستكون مسرحاً لصراع دائم».**

لقد عرف الأوروبيون والفرس والتتر بعد غزواتهم المتكررة لهذه المنطقة أنها لن تكون إلاّ مصيدة ومقبرة لهم. وربما يعرف الأمريكيون هذه الحقيقة أكثر من سواهم وربما لا يعرفونها لكن الصهاينة الذين درسوا هذه المنطقة جيداً يعرفون هذه الحقيقة لذلك ركزوا جهودهم على زرع دولة لهم في خاصرة هذه المنطقة بحجة عودتهم إليها بعد أن طردوا

(1) (وبمناسبة الهوائية أجد أن من المفيد التذكير بأحد الأشكال الوظيفية للجماعات اليهودية حسب ما يقول المسيري »الأشخاص الذين لا عمل ولا وظيفة ولا موهبة لديهم والذين هم مستعدون دوماً للقيام بأي عمل مهما كان حقيراً).

منها، دولة مدعومة بجميع القوى الإمبريالية لتكون قاعدة ومنطلقاً لهم للانفراد والهيمنة عليها كمقدمة للسيطرة على العالم.

إن الصراع في المنطقة منذ بداية القرن العشرين ـ كما ذكر نجيب عازوري ـ سيكون بين حركتين هما حركة القومية العربية والحركة الصهيونية وأنه لا مجال إلاّ لسيطرة إحدى هاتين الحركتين على الأخرى.

إن مستقبل المنطقة لن يكون لا للغرب ولا لأمريكا ولا لروسيا ولا للصين. وإن كان هؤلاء يسعون إلى الحصول على بعض المكاسب فإن الصهاينة يسعون إلى الانفراد بها وحدهم بصورة واضحة ومكشوفة.

إن المسألة خطيرة وجدية لأنه يتوقف على حلها اليوم أو التوصل إلى رؤية سليمة وواضحة بشأنها قد تجنبنا كثيراً من الأخطار التي عندما تحل بنا لن نجد الوقت الكافي للتحليل والتفسير والتغيير لأن أوان التغيير والتفكير يكون قد فات وولى كما فات علينا سابقاً.

إن إعطاء رأي حاسم بصدد ما يجري في المنطقة خاصة بعد احتلال العراق عسكرياً يدفعنا إلى إعادة طرح قضايا إشكالية كثيرة تتعلق بالعلاقة بين الإمبريالية والصهيونية. وبالعلاقة بين النهضة العربية وحملة محمد علي باشا وابنه إبراهيم إلى سوريا وبعملية الغرينة والرسملة مروراً بالثورة العربية الكبرى التي قادها الهاشميون والماسونيون انتهاءً بحكم الأحزاب القومية وسقوط العراق فريسة سهلة بيد الجيش الأمريكي.

إن المسالة ليست مسألة تهويل وتخويف من احتمال انتصار الصهينة بعد احتلال العراق فخطر الصهينة هو خطر داهم وحقيقي وملموس ومباشر باعتبار أن كثيراً من العرب والمسلمين وحتى الفلسطينيين باتوا يؤمنون بأن لإسرائيل حقاً في أن تقوم على حساب أرضهم وحساب حقوقهم وكرامتهم وإنسانيتهم، طالما أن أحد أهداف الحملة الأميركية المعلنة والواضحة (والتي عبر عنها بوش وبلير في جزر آزور قبل إعلان الحرب بيوم واحد) هي فرض سلام دائم في المنطقة تكون فيه إسرائيل القوة الوحيدة الآمنة والمزدهرة حتى لو قامت إلى جانبها دولة فلسطينية قابلة للحياة (جنباً إلى جنب) فإن هذه الحملة تصبح تحقيقاً عملياً للصهينة بالقوة.

إذا كانت عملية الصهينة والتهويد قد بدأت في مصر وبلاد الشام منذ بداية القرن التاسع عشر فإن عملية صهينة العراق قد تأخرت أكثر من مئة سنة ويبدو أنهم لم يكتشفوا أهمية العراق إلا بعد اكتشاف النفط فيه في بداية القرن العشرين حيث جرى احتلاله بالقوة ويبدو أن تأخر الصهاينة في تهويد العراق وصهينته مئة سنة، عن مصر وفلسطين أجبرهم على دخوله بالقوة والعمل على صهينته بالقوة أيضاً على غير ما جرى في مصر وفلسطين.

الفصل الثالث

غربنة وأمركة أم صهينة

في أحدث كتاب صدر في فرنسا والغرب عموماً بعد العدوان على العراق في آذار 2003 للكاتب الفرنسي إريك لوران تحت عنوان العالم السري لبوش(*) يعالج الكاتب قضايا إشكالية مثل من يحكم أمريكا اليوم حقيقة؟ هل هم المنظرون الإيديولوجيون أم المؤسسات الأمريكية؟ أم الشركات العملاقة وصانعو السلاح؟ أم العناصر المتشددة في اليمين الأمريكي المتحالف مع اليمين الصهيوني؟.

وقد جاء في أحد فصول الكتاب «**إن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط تتحد اتحاداً وثيقاً مع طموحات الليكود الصهيوني؟ فهل هي مجرد مصادفة أملتها ظروف صعود بوش الذي يمثل اليمين المتشدد وشارون الصهيوني المتشدد؟ أم هي رغبة اليمين الأمريكي في خدمة مصالح اليمين الإسرائيلي انطلاقاً من واشنطن؟**».

ومع أنه يصعب الجزم كما يرى لوران إلا أنه يعتقد أن من المؤكد أن الصقور في الإدارة الأمريكية يعتبرون سياسة الليكود هي السياسة الوحيدة القادرة على فرض الاستقرار المطلوب والسلام لإسرائيل والمنطقة كلها.

ويرى إريك لوران أن ريتشارد بيرل وشركاؤه الصهاينة المتنفذين في دوائر الإدارة الأمريكية يرون صراحة أن من الضروري قلب البنى الموجودة في الشرق الأوسط كله رأساً على عقب لحرث تربة جديدة ملائمة لمصالحهم تتفق مع رؤية أريئيل شارون تماماً.

فإذا كان حكام المنطقة هم أصدقاء لأميركا، وإذا كانت مصالحها الاقتصادية خاصة البترولية والسياسية والأمنية والثقافية مؤمنة على خير وجه في أغلب البلدان العربية فلمصلحة من يريد بوش (بناء على رغبة ريتشارد بيرل) قلبها؟

كذلك ورد في كتاب آخر لكاتب فرنسي اسمه جان فرانسوا تفيل صدر في عام 2002 بعنوان الهوس المعادي لأمريكا وذلك قبل أن تشن حربها على العراق ما يلي:

(إن وفاء أميركا لإسرائيل يمثل لغزاً للاختصاصين في التحليل الاستراتيجي ويشير إلى أن جميع الدراسات التي تعالج هذه القضية لم أو لا تقدم أية إجابة شافية لحل هذا اللغز؟).

(*) وأصبح الكتاب الأكثر رواجاً في فرنسا

من المؤسف أن أغلب منظرينا وكتابنا يعتقدون أن المسألة محسومة، مع ان الكثيرين في الغرب يعتبرونها قضية إشكالية تحتاج إلى إعادة دراسة وبحث. وهم ليسوا مستعدين لمناقشة وحتى لسماع أي رأي آخر مناقض لما اعتادوا على ترديده كالببغاوات من أن إسرائيل ليست إلا قاعدة أو ثكنة متقدمة للإمبريالية العالمية في المنطقة.

المحرض على الإرهاب

هناك تخمينات تشير إلى أن سبب مقتل خبير الأسلحة الكيميائية، والجرثومية اليهودي البريطاني جون كيلي (مستشار وزارة الدفاع لهذه الأسلحة) هو أنه أراد أن يبرأ ساحته كيهودي وأن يبرأ ساحة إسرائيل والموساد والصهيونية من أي دور لهم في إعطاء المملكة المتحدة والولايات المتحدة والمخابرات البريطانية والـــ CIA معلومات خاطئة ومضللة جعلتهما تغزوان العراق.

وقد اعترف المدعو جورج تينيت مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـــCIA. يوم 2003/7/10 بأنه كان قد تلقى معلومات خاطئة عن أسلحة الدمار الشامل العراقية. واعتبر نفسه مسؤولاً عن الأخطاء التي أدلى بها رئيسه وقادته إلى اتخاذ قرار شن الحرب. إذاً ثمة مسؤولون على مستو عال في الحكومتين يؤكدون على أن هناك طرفاً ثالثاً قام بتضليل الرئيسين والحكومتين ودفعهما لغزو العراق.

أوضح الكاتب أريك لوران في كتابه الأخير أن أحد المسؤولين في الموساد نفى أن تكون الموساد أو إسرائيل مسؤولة عن أية عملية تضليل للمملكة المتحدة والولايات المتحدة.. لأنه يعرف أن إثبات عملية تحريض وتشويه مزعومة كهذه إذا ما كشفت للرأي العام الأمريكي أو البريطاني ستكون ذات نتائج خطيرة وسوف تخلق عداءً ضد إسرائيل والموساد. مع العلم أن المدعو كولن باول قال في خطابه في الأمم المتحدة أن المستندات التي عرضها لم تأت من إسرائيل (ليبرأ ساحتها) لكنه أشار إلى ما هو أخطر. حيث أكد أن التعاون بين المخابرات في البلدين قائم حول هذه القضية منذ سبع سنوات. هذه النقطة أكد عليها أيضاً الكاتب والمفكر والزعيم الأمريكي الكبير ليندون لاروش والمرشح للرئاسة الأمريكية من خارج الحزبين الحاكمين في بيان الترشيح الرئاسي الذي أصدره في تشرين أول من عام 2003 والذي جاء فيه ما يلي:

(بعد قراءة الوثيقتين اللتين تقدمت بها الإدارة الأمريكية حول السياسة الخارجية الأمريكية وحول ضرورة ضرب العراق تبين لنا أن الإثباتات التي جاءت في الوثيقتين لم تأتِ بأي شكل من الأشكال كرد فعل على تطورات حاصلة في الجزء المسيطر عليه من قبل الحكومة العراقية من أراضي ذلك البلد المجزأ ولا نتيجة لرد فعل من قبل هذه الإدارة على الهجمات التي وقعت عليها في 11 أيلول. الحقيقة هي أن هذه السياسة الأمريكية الجديدة كانت قد ظهرت منذ ربيع عام 1990 كتوجيهات من وزير الدفاع ديك تشيني ومن عمل لجنة كان يرأسها بول وولفويتز (الصهيوني). ولويس ليبي وايديك إيديلمان. وأن هذه السياسة

الأمريكية ليست جديدة بل هي سياسة قديمة تعكس الهوس الجنوني لتشيني وولفويتز وريتشارد بيرل ونشاطهم الذي لم يتوقف منذ عشر سنوات).

ويؤكد ليندون لاروش في مذكرته «أن زمرة الوثنيين هذه من الغنوصيين اليمينيين المسيحيين بالاسم واليهود بالفعل(*) والموالين للفاشية» هم الذين لديهم الميول لإشعال مثل هذه الحروب كما فعل هتلر لكي يطلقوا العنان للقوى المدمرة التي تدمر الباغي وحلفاءه أنفسهم مثل ما حصل في حرب أمريكا على فيتنام عام 1964 ـ 1975» (*).

تحديد لبعض المصطلحات والمفاهيم:

من الضروري قبل أن ندخل في تعقيدات المشكلة أن نضع تعريفاً واضحاً ومحدداً للمفاهيم والمصطلحات المستخدمة في هذا البحث:

1. العولمة: عملية تاريخية جرت وما تزال تجري بدون إرادة الشعوب غالباً تهدف أو تؤدي إلى تعميم الاكتشافات والاختراعات الإنسانية المادية والروحية أينما وجدت لتصبح في متناول جميع أبناء البشر في العالم. وهي عملية بدأت منذ أن تم تعميم استعمال الحجارة ثم النار ثم تدجين الحيوانات وزراعة المحاصيل وتعميم الأساطير والأديان والفلسفة والفلك ثم العلوم التي كما يؤكد على ذلك كل من الأنثروبيولوجي اليهودي كلود ليفي شتراوس والمؤرخ الأميركي وول ديورانت والمؤرخ الإنكليزي آرنولد توينبي بالانتشار من العراق وسوريا ثم إلى قبرص وتكريت وأوروبا ثم إلى بقية أنحاء العالم حيث هيأت للثورة الصناعية التي أخذت أبعاداً أوسع وأعمق وبعد الثورة المعلوماتية سرعات مذهلة تسعى الدول الأمبريالية خاصة الولايات المتحدة والشركات المتعددة الجنسيات من خلال احتكارها إلى تكييف اقتصاديات بلدان العالم الثالث وأنماط حياة شعوبها وطرق تفكيرهم ومعيشتهم لفرض سيطرتها وتحكمها بهم، بينما تسعى النخب والقيادات الوطنية في بلدان العالم الفقيرة إلى الاستفادة من هذه المنجزات باعتبار أنها منجزات إنسانية ساهم جميع بني البشر في التوصل إليها وليست حكراً لأحد.

الرسملة: ونقصد بها تعميم نمط الإنتاج الرأسمالي القائم على سرقة الإنتاج الروحي والفكري واليدوي للعلماء والعمال والمهندسين والمدرسين والفلاحين وسواهم من القوى المنتجة وما تنتجه وتقدمه الطبيعة من خيرات لمصلحة أصحاب رؤوس الأموال.

مع العلم أن المراكز الرأسمالية الكبيرة وإن كانت تعارض الاشتراكية فإنها تعارض بشدة مماثلة قيام مراكز رأسمالية جديدة منافسة لها بل انها تسعى إلى إلحاق المراكز الناشئة الأضعف بها. لذلك لا يصح الحديث عن عملية رسملة حقيقية أو كاملة في بلدان

(*) مع العلم أن ثلاثة من الذين يرسمون السياسة الحربية لوزارة الدفاع الأمريكية هم من اليهود 1. بول وولف ويتز نائب وزير الدفاع 2. ريتشارد بيرل رئيس مجلس سياسة الدفاع 3. دوغلاس فيث وكيل وزارة الدفاع

صحيفة المحرر. العدد 366. تشرين أول 2003

العالم الثالث بقدر ما يصح الحديث عن رأسمالية محيطية ملحقة وتابعة أوناقصة مكيفة لخدمة المراكز الرأسمالية(*). إن مصطلح العولمة الحالي هو مصطلح مخادع ومضلل لأنه يشكل في الحقيقة استمراراً لمفهوم الكوزموبولوتية (اللاقومية واللاوطنية) فكما أكد نعوم تشومسكي أنه بعد أن انهارت الأممية التي كانت تعاكس الكوزموبولوتية وتعارضها أخلي الطريق للأخيرة لتعمم اللاوطنية واللاقومية (التخلي عن المصالح الوطنية والقومية للشعوب لمصلحة المراكز الإمبريالية) تحت شعار خادع وناعم اسمه العولمة.

الأوربة (أو الحداثة): ويقصد بها النشاط الهادف إلى تعميم نمط الحياة الأوروبية الحديث، خاصة ذلك النمط الذي ظهر بعد صعود الرأسمالية والبرجوازية والمتمثل بفسح المجال للتجارة الحرة والحرية الفردية وقبول الآخر ورأيه والاجتماع المدني والوطني والقومي الطوعي وسيادة الديمقراطية القائمة على حرية انتخاب الحكام والمسؤولين ورسم سياسة البلد العامة في المجالات كافة. مع التنبيه إلى أن هناك فرق كبير بين الأوربة كما يفهمها الكثيرون من نخب وشعوب العالم الثالث وبين الأوربة والحداثة كما طبقت فعلاً في أغلب البلدان الأوروبية وروسيا حيث أصيبت بالكثير من التشوهات والانحرافات خاصة تلك التي تجعل من أوروبا وشعوبها تتمتع بحقوق تمييزية وتفضيلية عن بقية شعوب الأرض.

الفرنسة: ونقصد بها تعميم مبادئ الثورة الفرنسية القائمة على الحرية والإخاء والمساواة واحترام حقوق الإنسان والشعوب. ومن المؤسف أن نشير أن الفرنسة قد استخدمت ليس من أجل نشر مبادئ الثورة الفرنسية التي أعجب بها غالبية البشر بل من أجل تهيئة البلدان الأخرى للالتحاق بعجلة الرأسمالية والأمبريالية المسيطرتين.

الغربنة: ونقصد به تبني نمط الحياة الغربي سواء الأوروبي أو الروسي أو الأميركي وسواء أكان رأسمالياً أم اشتراكياً مع العلم أن الفروق في نمط الحياة والمعيشة العام بين الدول الشرقية والغربية هي قليلة جداً باعتبار أن الاشتراكية هي إحدى منتجات الثورة العلمية والصناعية والحضارة الأوروبية وإن كانت تشكل نقيضاً لنمط الإنتاج الرأسمالي.

الأمركة: ويقصد بها مجموع النشاطات الهادفة إلى تبني نمط الحياة الأميركي تحديداً ذلك النمط الذي بدأ يعم العالم بعد الحرب العالمية الثانية حتى داخل البلدان الأوروبية وهي تقوم على الفلسفة البراجماتية القائمة على فكرة البحث عن المنفعة الخاصة والبحث عن الدولار والركض وراء إشباع الحاجات الغريزية للإنسان بدون أي وازع ديني أو فكري أو أخلاقي على المستوى العملي وليس على المستوى القانوني الذي غالباً ما يكون على شكل نصوص في الكتب لا يتم تطبيقها مما ينجم عن ذلك نشر الفوضى والإباحية الخلقية وعمليات القتل والسرقة والعدمية الفكرية والروحية والاستخفاف بكل ما هو ثقافي وروحي وتاريخي.

(*) سمير أمين، التبادل غير المتكافئ.

الصهيونية: حركة سياسية قامت على فكرة أن لليهود حق تاريخي أو إلهي في أن يكون لهم وطن قومي أو دولة خاصة بهم في فلسطين أو ما بين الفرات والنيل والعمل في جميع الأوساط غير اليهودية بصورة خاصة لتحقيق هذا الهدف.

الماسونية: حركة فكرية اجتماعية سرية قامت وتقوم على تجميع النشطاء من غير اليهود الراكضين وراء السلطة أو المال أو الجنس أو الشهرة أو الجاه في مجتمعاتهم أوتقوم على تنظيمهم وتشغيلهم في مافيات الجريمة والقتل والتجارة بالجنس والمخدرات والرقيق الأبيض وتبييض الأموال لاستلام السلطة التي تمكن المرابين اليهود والصهاينة من تخريب العالم والسيطرة عليه.

اليهودية: وهي ديانة سماوية لا تمت بأي صلة للتوراة التي تمت كتابتها فيما بعد ونحن عندما نستخدم تعبير اليهودي فإنما نقصد به اليهودي المرابي وعندما نستخدم اليهودية فإنما نقصد الجانب العملي في الديانة اليهودية الذي يبيح الحصول على الربا والفائدة من غير اليهود الذين تعتبرهم الديانة اليهودية واليهود حيوانات. وهي الديانة الوحيدة التي تعتبر اليهود الشعب المختار والمصطفى الذي خلقه الله ويحق له ما لا يحق لغيره من الشعوب ونقصد بالتهود أو التهويد العملية التي تجعل المجتمعات والأفراد تعبد المال وتقدسه.

الصهينة: ونقصد بها جميع النشاطات الفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية التي يقوم بها اليهود والصهاينة والمؤيدين لهم من أبناء الديانات والقوميات الأخرى من اجل الاعتراف أو التسليم بأن لليهود حق في أن يكون لهم دولة يهودية نقية أو صافية أو متميزة. وتبدأ عملية الصهينة هذه بخلق القناعات الفكرية أولاً لتنتهي عملياً بما يمكن إسرائيل من أن تبقى قائدة ومهيمنة على المنطقة ومن الآخرين عبيداً لها.

الأسرلة: ويقصد بها حسب عزمي بشارة لهاث بعض الناس الساقطين من أجل الحصول على الجنسية الإسرائيلية للتمتع بالميزات الخاصة والتفضيلية التي يتمتع بها الإسرائيليون زيادة عن غيرهم من بني البشر.

أوربة أم أمركة

من الواضح للمتتبعين للسياسة الأوروبية وبخاصة الفرنسية منذ مطلع القرن العشرين أن هناك تبايناً واضحاً بين السياسة الأوروبية القارية وبين السياسة البريطانية والأميركية إزاء كثير من قضايا المنطقة خاصة إزاء الغزو الأخير للعراق وإزاء الموقف من إسرائيل. ففي حين أن صقور الإدارة الأمريكيين الجمهوريين يؤيدون بالمطلق سياسة الليكود واليمين الإسرائيلي وشارون فإن الأوروبيين يعارضون مثل هذه السياسة ويؤيدون سياسة حزب العمل. باعتبار أن مثل هذه السياسة تفتح نافذة لأوروبا لدخول المنطقة من خلال الشراكة الأوروبية المتوسطية.

وإذا كان يجب أن لا نعوّل كثيراً على السياسة الأوروبية والفرنسية بصدد اتخاذ موقف جذري من إسرائيل باعتبار أن أغلب القوى والأحزاب الحاكمة في أوروبا تدافع عن حق إسرائيل في البقاء والأمن. ولكن هذا يجب أن لا يمنعنا من التمييز بين سياسة تدافع عن حق إسرائيل في الوجود في المنطقة كأي دولة أخرى من دولها وبين سياسة تدافع عن حق إسرائيل وحدها في الأمن والازدهار والانفراد باتخاذ القرارات المتعلقة بجميع قضاياها.

ومع أن العرب والمنطقة يقعون بين فكي كماشة أمريكي جمهوري يميني مؤيد لليكود وفك آخر أوروبي مؤيد لحزب العمل وإن كان أقل صهينة أو أقل ميلاً إلى دعم اليمين الصهيوني بزعامة شارون. إلا أنه لا بد من التأكيد على أن سعي الإدارة الأمريكية والصهاينة والإسرائيليين إلى إجهاض دعوة أوروبا إلى تدخل الأمم المتحدة في الصراع العربي الإسرائيلي أوإزاء العراق وحزب الله وسوريا وعرفات يعكس تبايناً في المواقف بين الطرفين يشير إلى وجود خلافات عميقة في المصالح.

هل الفرق كبير؟

هل ثمة فرق بين كون ما يجري في العراق وفلسطين اليوم أو ما جرى فيهما وفي مصر والسعودية وأغلب بلدان الوطن العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر. فرنسة أو أنكلزة أو أمركة أو غربنة وبين كون ما يجري صهينة طالما أن النتيجة التي ترتبت أو سوف تترتب عنها في جميع الأحوال هي هيمنة قوى خارجية على مقدرات وخيرات بلدان وحكومات وشعوب الوطن العربي؟

ما الفرق بين أن تكون الصهيونية هي المستفيدة الأساسية مما جرى ويجري للعراق وفلسطين وبقية أقطار الوطن العربي والبلدان الإسلامية المجاورة وبين أن تكون الولايات المتحدة هي المستفيدة؟

يمكن طرح السؤال بطريقة أكثر شمولية على الشكل التالي: هل هناك فرق كبير بين أن تكون الفئات والطبقات الحاكمة المستغلة والمستعبدة والمذلة والمدمرة لبلادنا هي قوى عربية أو إسلامية وبين أن تكون قوى غربية طالما أن الاستغلال والاستعباد والنهب والتدمير، سواء أقامت به قوى خارجية أو قوى داخلية لمصلحتها المباشرة أو لمصلحة القوى الخارجية بطريقة غير مباشرة هو المرفوض أساساً؟

هل ثمة فرق بين أن تقوم القوى المحلية بعمليات النهب والاستغلال لشعوبها وموارد بلادها الطبيعة والصناعية والمالية لمصلحتها هي بحيث أن الفائض الناجم عنها يبقى داخل البلد وأن ينعكس بشكل ما على مجموع البلد وعلى جميع الطبقات كما هو حاصل في كثير من الدول الرأسمالية وبين أن تقوم القوى المحلية بعمليات النهب لمصلحة قوى خارجية بحيث يكون الجزء الأكبر من الفائض المحلي مهرباً إلى الخارج لمصلحة القوى الخارجية. وبين أن تقوم القوى الخارجية بعملية نهب جميع الفائض المحلي وخيرات البلد الطبيعية والاستراتيجية والبشرية لمصلحتها هي.

لو لم يكن فرق بين هذا وذاك فمن المفترض أن نفتح بلادنا لأي غاز ليقوم بنهبنا واستعبادنا ويفترض أن تلغى المقاومة أية مقاومة لأي غاز أو محتل أو دخيل. وأن تصبح المقاومة أية مقاومة إرهاباً يجب أن تكبح وتخضع.

هناك قصة تروى عن خالد العظم رئيس وزراء سوريا في عام 1956. بعد الاعتداءات المتكررة التي قامت بها القوات الصهيونية على الأراضي والقوات السورية التي كانت تقاتل لمنع إسرائيل من ضم المناطق المجردة من السلاح والتي فرضتها اتفاقيات الهدنة عام 1949 فعلى الرغم من الاتفاق الثلاثي الموقع بين كلاً من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة عام 1950 ينص على منع تصدير الأسلحة إلى دول المنطقة. أظهرت الحقائق أن عدم تصدير الأسلحة كان مفروضاً على الدول العربية فقط في حين كان تصديرها إلى إسرائيل يجري بدون أية رقابة. وهو ما اضطر سوريا يومها أن تلجأ إلى الاتحاد السوفييتي لشراء الأسلحة السوفييتية دفاعاً عن أرضها وشعبها وجيشها بعد أن رفضت الدول الغربية تقديمها وهكذا لجأت حكومة خالد العظم إلى السوفييت فقامت الدنيا ولم تقعد على سوريا التي اتهمت يومها بأنها تتحول إلى الشيوعية واتهم خالد العظم بأنه أصبح شيوعياً وراحت الصحف الغربية تروج المقالات عن المليونير الأحمر وأجرت إحدى الصحف البريطانية مقابلة معه وسألته: هل يعرف فخامة الرئيس خالد أن استيراد الأسلحة السوفييتية سوف تجر وراءها خبراء سوفييت وقطع غيار سوفييتية واستيراد أفكار سوفييتية وسوف تجعل العمال والفلاحين السوريين في النهاية يثورون عليه ويستولون على أملاكه؟

أجاب خالد العظم بهدوء وبساطة: ولنفترض أن ذلك سيحصل وستذهب جميع أملاكي فإنني أفضل أن يأخذها علي ومحمد وحسين وأحمد والياس من أن يأخذها ساسون وناحوم وعزرا ونتنياهو.

هل يختلف الأمر؟ نعم يختلف كثيراً وكثيراً جداً إنه الفرق يبنى بين البرجوازية الوطنية التي لديها الاستعداد لأن تدافع عن شعبها وأن تتنازل له عن أملاكها إذا لزم الامر وبين البرجوازية الكمبرادورية والطفيلية التي لديها الاستعداد لأن تتحالف مع أعدائها وأعداء شعبها وتقدم لهم أرضها عن طيب خاطر بدلاً من أن تتنازل عنها لأبناء دينها وجلدتها وتحافظ على أرضها وشعبها وكرامتها.

ثمة سؤال يطرح على جميع المنظرين والباحثين والكتاب: لماذا قطعت عملية الغربنة والأمركة والأوربة في بلداننا العربية خاصة المشرقية ومصر أشواطاً أبعد مما في البلدان العربية الأبعد مثل العراق والسعودية والسودان والمغرب. مع أن المغرب هو أقرب إلى أوروبا من مصر ولبنان.

لماذا ظلت الغربنة في تركيا محصورة في بعض المدن وبعض الأحياء مع أن تركيا تبنت العلمنة وحاربت الإسلام ومع أنها تأمركت سياسياً أكثر من أي بلد مجاور لها.

لماذا ظلت الأمركة محصورة في واجهة المدن اليابانية مع أن اليابان تحولت بعد الحرب العالمية الثانية إلى محمية أمريكية! بينما ظلت الثقافة والتقاليد اليابانية سارية خلف تلك الواجهة مع العلم أن اليابان لم تتأمرك سياسياً فحسب بل أصبحت تابعاً وملحقاً بأميركا. ومع أن الصين قد أخذت بالرأسمالية الوطنية مؤخراً إلا أن الغربنة لم تنفذ إلا لقشرة القشرة في حياة الصينيين، الذين ظلوا محافظين على تقاليدهم وثقافتهم الوطنية. ورغم أن الهند وكذلك أغلب دول جنوب شرق آسيا قد ترسملت إلا أنها ما تزال محافظة على تقاليدها وثقافتها الوطنية؟ وحتى أفريقيا وأمريكا اللاتينية المستعبدتين ظلتا محافظتين على تقاليدهما وثقافتهما؟

لماذا جرى ويجري التركيز المحموم على غربنة المنطقة العربية وعلى الأخص المحيطة بإسرائيل أكثر مما جرى في أي منطقة أخرى في العالم؟ ألا يستحق هذا الموضوع مناقشة مختلفة أو مناقشة أكثر تعمقاً مما جرى حتى الآن؟

أسئلة أخرى لا تقل أهمية تحتاج إلى مناقشة معمقة ومختلفة:

1. لماذا حورب النفوذ الألماني في البلدان العربية والإسلامية والأفريقية وما زال يحارب؟
2. لماذا حورب النفوذ الفرنسي في المنطقة ثم النفوذ الروسي لاحقاً من قبل العرب والمسلمين وبقي النفوذ الإنكليزي والأمريكي وحدهما مسيطران في المنطقة يحركان القوى المناهضة لفرنسا وألمانيا وروسيا؟
3. لماذا وظلت البلدان التي خضعت للنفوذ الفرنسي مقاومة للنفوذ الصهيوني أكثر من البلدان التي خضعت للنفوذ الإنكليزي؟.
4. لماذا تعارض هذه الدول (فرنسا ألمانيا روسيا) النفوذ الأنكلوسكسوني في المنطقة؟ هل لان مصالح ألمانيا وفرنسا وروسيا تتناقض مع المصالح الأنكلوسكسونية أم لأنها تتناقض أيضاً مع المصالح الصهيونية فيها؟.
5. ألا يشير هذا إلى ان المصالح الصهيونية تجد طريقها في المنطقة من خلال النفوذ الأنكلوسكسوني والحكومات والدول التابعة له أكثر من الدول الأخرى؟.
6. ألا يشير هذا إلى أن المصالح الصهيونية تجد طريقها إلى المنطقة من خلال عملاء وأدوات إنكلترا وأمريكا أكثر من سواهم؟.
7. هل صحيح أن إسرائيل هي الركيزة الأساسية أو الوحيدة المعتمدة والموثوقة للمصالح الأنكلوسكسونية في المنطقة؟ ألا تشكل بعض البلدان والأنظمة والأحزاب العربية والإسلامية ركائز موثوقة لهذه المصالح معادلةً لما تشكله إسرائيل لها إن لم تكن أكثر؟
8. ألا تشكل إسرائيل عبئاً على المصالح والسياسة الأنكلوسكسونية في المنطقة والعالم؟ مع أنها تشكل عبئاً واضحاً عليها فلماذا تصر حكوماتها على الدفاع عنها؟

إذا كنا لم نقبل بهيمنة دولة عربية مثل مصر ولا نقبل بهيمنة دولة إسلامية سنية مثل تركيا كما فعلنا في بداية القرن الماضي، ولا نقبل بهيمنة دولة إسلامية شيعية مثل إيران ولا نقبل بهيمنة طاغية كصدام. فكيف سنقبل بهيمنة دولة شوفينية وعدوانية جاءت إلينا بشذاذ الآفاق من جميع أصقاع الأرض. دولة مغرقة في العنصرية والرجعية والظلامية والعقل اللاهوتي، يقودها قتلة مجرمون مفعمون بروح الحقد والكراهية لكل ما هو عربي وإسلامي سواء أكان تراثاً أو أفكاراً أو مبادئ أو أخلاقاً أو أنماط سلوك، أو بشراً أو مقدسات.

سيكون الفرق شاسعاً أكثر إذا كانت هذه الدولة العنصرية الباغية تندفع إلى تحقيق ذلك بأحلام توراتية من أجل تحويلنا إلى عبيد على أرضنا بكل ما تحمله كلمة العبودية من معان كما تقول توراتهم.

لا أعتقد بوجود لأمريكي واحد أو أوروبي أو روسي أو صيني أو هندي أو باكستاني لديه ذرة من كرامة وشرف أو احترام لنفسه ولدولته أو لإنسانيته أو قوميته يقبل بأن يكون هو أو دولته مجرد أدوات بيد الصهيونية العالمية لفرض سيطرتها على العالم أو على الفلسطينيين المسالمين. (*)

من نافل القول أن العالم لن يكون مختلفاً فقط بل بإمكانه أن يكون أفضل إذا استطاع أن يضع حداً لمثل هذه الهيمنة الصهيونية على أوروبا وأميركا.

تنبع خطورة المسألة الراهنة من أن ثمة جهات سياسية وإعلامية وأقلام مثقفة ومحطات فضائية، تسعى بكل جهدها لكي تقنعنا بالصهينة إلى الزعم بأن أميركا معادية للصهيونية وأن أمريكا تسعى فعلاً إلى وضع حد للصراع العربي الصهيوني ولنشر السلام والديمقراطية في المنطقة حتى لو تم ذلك من خلال القبول بإسرائيل كعضو طبيعي في المنطقة. لكنهم نسوا أن هذا السلام يجب ان يتم من خلال قبول إسرائيل كعضو طبيعي في المنطقة هو هدف الصهيونية الأساسي.

ثمة كتاب وصحفيون يرون أن جميع الحركات الإرهابية خاصة المتأسلمة بدءاً بالوهابية مروراً بالإخوان المسلمين وانتهاء بحركة طالبان وتنظيم القاعدة وحماس وحكام إيران وحزب الله إنما يخدمون بأفعالهم ومقاومتهم وعملياتهم الاستشهادية الحركة الصهيونية وأن أميركا وروسيا وأوروبا إذ تقاوم الإرهاب فإنما هي تقاوم الصهيونية في المنطقة والعالم وإن كل من يقاوم السلام بأي شكل كان إنما يخدم إسرائيل في النهاية.

إن نفي أو إثبات مثل هذه الرؤية لا يمكن أن يتم إلا من خلال دراسة شمولية للعلاقة بين نشوء الإمبريالية عامة وبين الصهيونية. وسأحاول الكشف في الصفحات القادمة أن تحول أوروبا الرأسمالية نحو الاحتكار ثم الإمبريالية وإن الاحتلال الإنكليزي والفرنسي

(*) إذا كان الأوروبيون قد وقفوا ضد حكوماتهم المؤيدة للعدوان الأمريكي على فيتنام فمن الطبيعي ان يقفوا ضد العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني.

للبلاد العربية إنما كان بتحريض من الصهاينة وأن الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان، إنما كان بتحريض من الصهاينة لخدمة الحركة الصهيونية وإسرائيل بالذات من أجل فرض خارطة جديدة على المنطقة غير تلك الخريطة التي وضعت لها بعد الحرب العالمية الأولى؛ خارطة جديدة تقوم على صهينة المنطقة لتصبح إسرائيل الدولة القائدة والمهيمنة عسكرياً ونووياً واقتصادياً فيها. والوحيدة التي يحق لها أن تعيش بأمن وأمان وازدهار.

وأن ما أطلق عليه اسم النهضة العربية أو عملية التحديث أو التغريب أو الأوروبة في المنطقة التي قامت بها كل من الدولة العثمانية أو فرنسا أو بريطانيا أو أمريكا منذ نهاية القرن الثامن عشر وبالتحديد منذ غزوة نابليون لمصر لم تكن تخلو من عملية تهيئة لتهويد مصر تحديداً ثم الانطلاق منها إلى تهويد فلسطين فالمنطقة كلها..

وعلى عكس ما روِّج له خلال السنوات الخمسين الماضية أن مصر هي مركز الثقل في المنطقة العربية سأوضح أن العراق هو الذي شكل مركز الثقل الحقيقي في المنطقة، عسكرياً واقتصادياً وبشرياً ومن حيث الموقع الاستراتيجي.

إن قراءة سريعة لتاريخ المنطقة الإسلامي تظهر لنا أن مصر لم تحكم المنطقة العربية في أي يوم من الأيام وأن العاصمتين العربيتين اللتين حكمتا المنطقة كانتا إما دمشق وإما بغداد والعاصمة الإسلامية الأخرى كانت إستانبول. وأرى أن التركيز على مصر إنما كان يهدف إلى التغطية على الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والبشرية والثقافية للعراق من أجل عزله عن المنطقة ومحاولة تدميره كركن أساسي للمنطقة مقدمة لصهينته وأورد هنا نصاً لمس غيرترود بل الإنكليزية الصهيونية(*) تقول فيه:

(أشعر شعوراً جازماً بأننا إذا تركنا هذه البلاد(**) وشأنها فإن ذلك سيعني أننا يجب أن نعيد النظر في وضعنا بآسيا بأجمعه وأنه إذا ذهب العراق من أيدينا فإن إيران ستذهب بصورة أكيدة ثم تعقبها الهند(***) ومصر).

(*) ذكره طارق الدليمي في مقاله في صحيفة السفير تاريخ 21 كانون الثاني 2003

(**) تقصد العراق

(***) يبدو أن الحكومة الهندية أدركت أن العراق قد أصبح بعد الاحتلال الأمريكي حكراً خاصاً للصهاينة، لذلك أسرعوا بفتح بلادهم لهم واستقبلوا شارون كفاتح. وأداروا ظهرهم للعرب والمسلمين جميعاً.

الفصل الرابع

قصة البترول العراقي

«بلاد الرافدين (ميسوبوتيميا) تلك الكلمة المباركة»
جورج وايت فيلد

بات معروفاً منذ سنة 1902 أن المنطقة المعروفة باسم ميسو بوتيميا (ما بين النهرين) من الامبراطورية العثمانية والتي تعرف اليوم بالعراق والكويت وشرق سوريا تحتوي على مصادر كبيرة من البترول وأن الهم الأساسي للقوى الكبرى السعي هو الوصول إليها. (فجر هذا الاكتشاف صراعاً هائلاً من أجل الهيمنة العسكرية والاقتصادية الدولية التي استمرت إلى نهاية القرن العشرين) ونستطيع اليوم بعد أن اكتشف في العراق أعظم احتياطي للنفط في العالم أن نؤكد أن هذا الصراع سوف يستمر إلى نهاية القرن الحادي والعشرين (*).

أدركت الحكومة والصناعة الألمانيتان (في بداية القرن الماضي) أن النفط هو وقود المستقبل لا للمواصلات البرية فحسب بل وللمراكب البحرية أيضاً وكانت شركة ستاندارد أويل الأمريكية «للنفط» لمالكيها أسرة روكفلر تمسك برقبة ألمانيا انذاك باعتبار أنها كانت تهيمن على 91٪ من مبيعات النفط الألمانية بينما كان البنك الألماني يمتلك حصة 9٪ من نسبة أسهم هذه الشركة وهي نسبة غير حاسمة لذلك فإن البنك الألماني أثناء مفاوضاته لتمويل تمديد خط برلين بغداد الحديدي سعى إلى لحصول على امتياز من الإمبراطور العثماني يمنح بموجبه خط حديد بغداد حقوق الوصول قبل الآخرين إلى النفط والمعادن في مساحة عرضها عشرون كيلومتراً على جانبي الخط الحديدي وكان ذلك الخط يومها (عام 1912) قد وصل إلى الموصل.

وبما أن البترول لم يعد مجرد مادة للحصول على الطاقة عصب الصناعة والتجارة والزراعة فقط بل أصبح المادة الأساسية التي جعلت الحلفاء يكسبون الحرب ويحققون النصر على الألمان وهو ما أشار إليه وزير خارجية بريطانيا اللورد اسمورزون «سبح الحلفاء إلى شاطئ النصر على موجة من البترول» فقد بدا واضحاً من يومها أن النفط أصبح ضرورةً استيراتيجية وعسكرية واقتصادية وأصبح الأمن القومي للدول يعتمد على تأمين وصوله إليها بشتى الوسائل.

(*) إينغدال، وليام (مائة عام من الحرب) دار طلاس. دمشق. ص43

عرف الأنكجلو سكسونيين أن العراق لو استعاد الكويت فإن العراق سوف يمتلك ثلث الاحتياطي العالمي من النفط وسيكون بمقدور أي حكومة وطنية أن تحدد سعر النفط العالمي كله ولذلك فإن مثل هذا النظام الوطني قد يدعو مجدداً إلى ضم الكويت وسيشكل بالتالي خطراً استراتيجياً على الاقتصاد الامبريالي كله.فعندما طالب الملك غازي باستعادة الكويت قتل على الفور من قبل عبد الإله ونور السعيد وعندما طالب عبد الكريم قاسم بضم الكويت عام 59 جرت محاولة إغتياله عام 59 ثم قتل عام 63 وحورب من جميع أشقائه العرب وعندما قام صدام باحتلال الكويت تحالفت ثلاثين دولة امبريالية عليه بقيادة الولايات المتحدة واليوم يجري احتلال العراق لخنق أي تفكير لدى العراقيين بعودة الكويت إلى وطنه الأم العراق.

أما بعد الحرب العالمية الثانية فلقد أضيف للنفط أهمية أخرى تمثلت في الحصول على أكثر من نصف مليون مادة تستخدم في شتى المجالات الغذائية والطبية الصناعية والتجميلية وإن ما لا يعرفه الكثيرون أوما يسعى الكثيرون إلى التغطية عليه هو أن البترول قد أصبح البديل عن الذهب الذي كان يستخدم كاحتياطي نقدي في العالم حتى الحرب العالمية الثانية باعتبار أن كمية الذهب الموجودة في البنوك والمصارف العالمية كاحتياطي نقدي لم تعد كافية لمعادلة الكميات الهائلة للنقود التي تصدرها الدول فكان لابد عن الاستعاضة عنها بقاعدة الذهب الدولار وفقاً لاتفاقية بريتون وودز (في عام 1944) التي تم استناداً إليها معادلة أونصة الذهب بـ__35 دولار حيث أصبح الدولار بعدها معادلاً وبديلاً للذهب ولكن توسع التجارة العالمية الهائل جعل الولايات المتحدة الأمريكية تصدر كميات هائلة من الدولارات اقتضى في عام 1975 إلى فرض قاعدة البترودولار حيث أصبح البترول احتياطياً بديلاً عن الذهب وبعد أن فقد العالم ثقته بالدولار وبنظام النقد الدولي أصبح من الممكن للبترول أن يلعب بحد ذاته دور الاحتياطي النقدي البديل عن الذهب والدولار.

وهكذا فقد أصبح باستطاعة البلدان التي تمتلك احتياطيات من البترول أن تصدر كميات من النقود. موازية أو معادلة لما تمتلكه من احتياطي البترول بحيث يكون بمقدور نقدها أن يصبح نقداً دولياً بديلاً عن الدولار والذهب وحتى لا يفقد الاقتصاد الأمريكي والمهيمنين على المصارف هذه الميزة التي مكنتهم من الهيمنة على الاقتصاد العالمي فإن الأميركيين والمصرفيين اليهود سوف يقاتلون بضراوة من أجل أن يكون هذا الاحتياطي من البترول تحت سيطرتهم لا ليبقوا على الدولار العملة الوحيدة المهيمنة فحسب بل ليظلوا مسيطرين على استخراج هذه المادة وتسويقها وتوزيعها والتحكم بأسعارها وباقتصاديات العالم كله، هذا بالإضافة لما تشكله هذه المادة من أهمية حاسمة لاقتصاد الولايات المتحدة أكثر من سواها من البلدان الأوروبية.

«منذ أن أصبحت ألمانيا أقوى دولة أوربية اقتصادياً وسياسياً أحست بريطانيا أنها مهددة منها أكثر من أية أرض أو دولة أخرى في وضعها الاقتصادي الدولي وتفوقها

البحري» لماذا شعرت أنها مهددة إذا حصلت ألمانيا على البترول؟ إذا لم يكن الاقتصاد الانكليزي وقوة أنكلترا وهيمنتها تقوم على نهب بترول العرب وهكذا استحال حل الخلافات الألمانية الإنكليزية منذ تلك اللحظة (بالطرق الدبلوماسية) ولم يعد الاتفاق بينهما ممكناً حول مسألة واحدة)). (*)

كان المصرفي الألماني كارل هليفيرتش قد أشار سنة 1918 أن السبب الجوهري لإعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا في آب 1914 يكمن في التقليد القديم للسياسة البريطانية في الوقوف ضد قيام أية دولة أوروبية تكون الأقوى اقتصادياً وسياسياً ولقد أشار هليفيرتش بأسى إلى دقة بيان بسمارك سنة 1897 «بأن الشرط الوحيد الذي سيقود إلى تحسن العلاقات الإنكليزية الألمانية هو أن تكبح بريطانيا تطورنا الاقتصادي وهذا غير ممكن. (*)

«لذلك فلقد قام القيصر الالماني وليهلم الثاني في تشرين الثاني سنة 1899 عقب زيارته للقسطنطينية بعد أن حصل على امتياز تمديد الخط الحديدي برلين بغداد. بزيارة إلى بريطانيا لمقابلة الملكة فيكتوريا للدعوة إلى مشاركة بريطانيا في مشروع خط بغداد تلافيا لحرب محتملة بين البلدين، فألمانيا تعرف جيداً مصالح بريطانيا المؤكدة في الخليج العربي وقناة السويس. كما أنها تعرف أن ذلك المشروع سيواجه بدون مشاركة ودعم بريطانيا صعوبات جمة» غير أن بريطانيا من جانبها لم تعمل على مساعدة ألمانيا أو مشاركتها بل سعت بكل وسيلة ممكنة إلى عرقلة التقدم في بناء الخط وتعطيله وكانت الورقة الرابحة التي لعبتها حكومة صاحبة الجلالة هي علاقتها مع شيخ الكويت مبارك الصباح، ففي سنة 1901 فرضت السفن الحربية الإنكليزية الراسية أمام ساحل الكويت على الحكومة التركية أن تعتبر منذئذ وصاعداً قبيلة عنزه وشيخها مبارك الصباح محمية بريطانية وفي سنة 1907 اقنعت بريطانيا الشيخ مبارك الذي كان قد استولى على السلطة سنة 1896 بعد قتل أخويه الذين كانا نائمين في مقره أن يوقع على صك يمنح فيه في شكل تأجير دائم الحكومة الإنكليزية «الغالية» أرض ميناء الشويخ مقابل هبات سخية من الذهب والبنادق كي تجعل من هذا التوقيع أكثر استساغة للشيخ مبارك. (**)

أما في عام 1913 فلقد حصل السير بيرسي كوكس على كتاب من الشيخ مبارك وافق فيه الأخير على ألا يمنح أياً كان غير الشخص الذي تسميه الحكومة البريطانية أي امتياز لتطوير النفط.

وهكذا بعد أن أمنت الحكومة البريطانية قاعدة ثابتة لها في أرض الكويت أصبح ممكناً لها بعد سنة من ذلك التاريخ أي في عام 1914 أن تبدأ بشن الحرب على ألمانيا وأن تنطلق من الكويت لتحتل أرض العراق واستطاعت في آذار من عام 1917 أن تدخل بغداد

(*) إينغدال ص46

(*) اينغدال ص16

(**) اينغدال ص43

وأن تنسف جميع الامتيازات التي حققتها كل من ألمانيا وفرنسا في العراق وفي الشرق العربي خلال سنوات طويلة وأن تحكم سيطرتها على العراق والمنطقة كما فعلت وتفعل أمريكا وبريطانيا اليوم تجاه العالم أن التاريخ يعيد نفسه بشكل مختلف.

تاريخ الحروب والتبعية

إن أغلب الكتابات والأفلام الروسية والألمانية والفرنسية التي تزعم أنها كتابات وثائقية عن الحروب خاصة العالمية الأولى والثانية تظهر هذه الحروب كما لو كانت حروباً بين الإنكليز وحلفائهم في مواجهة الألمان وحلفائهم (تسمية الدول الأولى بالحلفاء يحمل انحيازاً مسبقاً للانكلوسكون) من أجل السيطرة على أوروبا أو بسبب نزاعات أوروبية أو من أجل اقتسام مناطق النفوذ في العالم وقلة هي الكتابات التي تظهر أن الصراع الأساسي أو حتى الهامشي إنما هو بشكل أساسي صراع من أجل الحصول على النفط والسيطرة على بترول الشرق الأوسط وبصورة خاصة بترول العراق والكويت والسعودية ونادرة هي الكتابات التي تظهر أن فلسطين كانت محوراً أساساً لهذا الصراع أو أن لليهود الدور الحاسم في تغذية المخاوف الأنكلوسكسونية ودفعهم إلى شن الحرب لمنع الألمان من الوصول إلى بترول العراق والخليج واحتلال العراق وفلسطين.

فبحجة الموضوعية والعلمية والنزاهة يركز أغلب المؤرخين على ظواهر الأحداث والمعارك وتسلسلها وعدد الضحايا هنا وهناك وعلى حجم المعدات والقوات وعلى بطولات الجنود والقادة أو على دهائهم وبراعتهم وشجاعتهم أثناء تنفيذ الخطط العسكرية وترويج عشرات الأفلام التي تمجد البطولة والدهاء والذكاء الاتكليزي والشجاعة الأمريكية متجاهلين الأهداف البعيدة المدى للقوى السياسية الحقيقية التي تختفي وراءها والتي تحرك الجيوش والقادة والشعوب الأسباب والدوافع الحقيقية لتلك الحروب أو أهدافها. من المؤكد أن أي كاتب روسي ماركسي للتاريخ ذاته سيكتبه بطريقة مغايرة تماماً عن الطريقة التي سيكتبه بها مؤرخ انكليزي أو أمريكي وكذلك عن الطريقة التي سيكتبه بها مؤرخ ألماني أو تركي أو إفرنسي.

فإذا استمعنا للرواية الوثائقية التاريخية التي تنشرها الفضائيات مثل محطة LBC و MBC والعربية والجزيرة عن الحرب العالمية الأولى يخيل إلينا أن دخول أمريكا الحرب كان انقاذاً للبشرية من خطر النازية وأن إلقاء القنبلة الذرية على اليابان كان عملاً إنسانياً رائعاً في سبيل الحرية. وأن ملايين الضحايا الذين ذهبوا لم يموتوا إلا في سبيل نشر الديمقراطية والحرية الأمريكية التي فرضت أخيراً على سماء اليابان وألمانيا كما لو أن الحرب العالمية الثانية كلها كانت حرباً موجهة ضد النازية المعادية اليهود وأن الحرب الأمريكية في فيتنام والتي ذهب ضحيتها ثلاثة ملايين ونصف مليون انسان فيتنامي لم تكن إلا حرباً من أجل الديمقراطية والحرية وليست من أجل المطاط والذهب أو البترول أو مراكز النفوذ في جنوب وشرق آسيا وبالطبع فإن رواية حرب عام 1967 نقلت لسوانا من الشعوب كما لو كانت حرباً ضد البربرية والهجمية العربية والإسلامية مما دفعت بكثير من

القوى اليسارية الغربية إلى الوقوف إلى جانب إسرائيل وكذلك فإن الحرب الجديدة على العراق تصور لنا ولغيرنا على أنها حرب من أجل الديمقراطية والحرية ويصورون حرب الإبادة التي يمارسها الصهاينة ضد الفلسطينيين على أنها حرب ضد الإرهاب.

إن تأريخ العالم كله خاصة تاريخ الحروب يحتاج إلى إعادة كتابة من منظور مختلف عن التصور الذي كتب فيه حتى الآن ولأننا كعرب ومسلمين مستهدفون نحن وثقافتنا وثرواتنا وخيراتنا وبلادنا بشكل مباشر يجب أن نعيد كتابة وقراءة التاريخ المعاصر وتاريخ العالم بطريقة مغايرة تماماً.

إن الزعم بأن على المؤرخ أن يكون موضوعياً وحيادياً ما هو إلا أكذوبة فكل التاريخ المنقول إلينا سواء من الغرب أو من الشرق إما ملفق أو كاذب وإذا كان التاريخ يكتب من وجهة نظر المنتصرين فإن على المهزومين كتابته بطريقة مغايرة ليس من ناحية التوصيف فقط وإبراز الحقائق الصحيحة ودحض الأكاذيب والتلفيقات فحسب وليس من ناحية إبراز حقائق معينة جرى طمسها بل من ناحية الحرص على ابراز ما خفي من دوافع وقوى محركة أو محرضة على تلك الحروب والأفعال والأحداث. وإذا كان الكتاب والمؤرخون الأوربيون ينحازون إلى مواقف حكوماتهم الاستعمارية فإن من واجب الكتاب والمؤرخين العرب والمسلمين أن ينحازوا إلى شعوبهم المضطهدة. إننا إذا لم ننحز إلى شعوبنا وأوطاننا وديننا وأخلاقنا وتراثنا وحقوقنا وقضايانا فسنكون منحازين إلى رؤية أعدائنا وخصومنا الفكريين والسياسيين وعبيداً لهم، إذ لا وجود لموضوعية بحتة أو مجردة في كتابه التاريخ. لن أخوض هنا في أحداث التاريخ الكثيرة ولن أعيد كتابتها أو عرضها بطريقة منحازة لكنني أزعم أنني سأعمل من خلال نقاط مفصلية على كشف حقائق أساسية جرى تغييبها وطمسها عن قصد وتصميم.

التبعية الفكرية والسياسية:

من المؤسف أن يكون أغلب دعاة النهضة والتنوير العرب والمسلمين منذ الطهطاوي ومحمد عبده وأحمد أمين وسواهم من خريجي الجامعات الفرنسية أو الإنكليزية أو الأمريكية مضللين ومخدوعين بسبب أن أغلب هؤلاء الخريجين سواء أكانوا فلاسفة منظرين أو مؤرخين أو دعاة تحرير وتحرر أو صحفيين أو كتاب أو روائيين أو زعماء سياسيين عادوا مبهورين بالحضارة الغربية وراحوا يبشرون بها وإذا كانت المدارس التبشيرية لم تعد تلقى القبول والاستحسان من قبل جماهيرنا العربية والمسلمة فإن عملية صناعة وتصدير متنورين عرب و مسلمين باسم التنوير والإصلاح كانت أجدى وأنفع وإذا كان من الواضح أن عملية التثقيف والتنوير ومحاربة الظلام والظلامية والاستبداد كانت أموراً إيجابية وضرورية ومطلوبة وعظيمة ورائعة لكنها ساهمت في الجهة المقابلة مساهمة كبيرة في تهيئة الأجواء والمناخات ليس لتقبل بضائعهم ومنتجاتهم وآلاتهم المصنّعة بل ولتهيئة الأجواء لتقبل بضائعهم الفكرية والسياسية المنتهية مدتها أو الفاسدة ولتكييف

أوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية للتبعية السياسية والاقتصادية والفكرية لهم [*].

أما الوضع في الدول الشيوعية سابقاً فهو لا يقل مأساوية عما هو عليه في دول أوربا الغربية فبعد مقتل يفغيني ايفسييف عضو لجنة مكافحة العنصرية والصهيونية في الاتحاد السوفيتي (بحادث سيارة مرت فوق جثته مرتين) قامت يوم 10 شباط من عام 1990 تظاهرة جماهيرية حاشدة في شوارع موسكو تندد بالقتلة المجرمين الصهاينة ووزع أعضاء اللجنة بيانا دعوا فيه إلى تخليص الاتحاد السوفيتي من براثن النفوذ الصهيوني وإلى طرد العناصر المعروفة بميولها الصهيونية من وسائل الإعلام وكافة المجالس والهيئات.

إن زيارة غورباتشوف لإسرائيل وتقديسه المحرقة ولبسه الطاقية اليهودية تشير إلى أن غورباتشوف والصهاينة الذين أصبحوا متنفذين في الاتحاد السوفيتي لم يكونوا وليدي لحظة تاريخية معينة بل إنهم كانوا موجودين في كل مكان في الاتحاد السوفيتي السابق وجميع الجمهوريات الاشتراكية في أوروبا الشرقية وإذا كانوا قد ظهروا بعد سقوط المنظومة الاشتراكية إلى العلن وبدأوا يعملون على المكشوف فإن هذا لا يعني أنهم لم يكونوا ينشطون سراً بطرق عديدة وإنهم لم يكونوا موجودين.

لقد أظهرت أحداث المجر وتشكيوسلوفاكيا وبولونيا مدى تعاظم وتأثير النفوذ الصهيوني في هذه البلدان وأن هذا النفوذ الصهيوني كان أحد أهم الأسباب لذلك السقوط السريع والمريع وكما يؤكد يفسييف وسواه من المنظرين السوفييت فإن نشاط اليهود والصهاينة لم يتوقف طيلة السبعين عاماً الماضية ولقد أوضح الكاتب الأمريكي ديفيد ديوك[*] «أنه لم تتضح لليهود مناورات ستالين ضدهم إلا بعد الحرب العالمية الثانية حيث قام بالفتك بهم وعندما اكتشف اليهود أنهم فقدوا السيطرة على النظام السوفيتي ارتدوا عن الشيوعية وتحولوا للعمل في المنظمات التي تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان وبدأوا يعملون رسمياً ضد النظام السوفيتي.

يعرف جميع من درسوا في الاتحاد السوفيتي والجمهوريات الاشتراكية والمطلعون على الأوضاع فيها أن اليهود كانوا يشكلون ما نسبته 40٪ من أساتذة الجامعات وحملة الدكتوراه في الاتحاد السوفيتي مع أنهم لا يشكلون إلا نسبة 0.65٪ من عدد السكان مما يعكس الدور الخطير الذي كان هؤلاء يمارسونه سابقاً على المستوى الايديولوجي والتعليمي كما يعرف الجميع سيطرة اليهود على المراكز السياحية وتجارة العملة الصعبة والسوق السوداء والتهريب وتجارة المخدرات والجنس ويعرفون الدور التخريبي الذي مارسوه في تخريب الاشتراكية من الداخل.

إننا إذ نظهر هذا الدور التخريبي لليهود والصهاينة وهذا النفوذ الواسع لهم فليس

(*) من الملفت للنظر أن كثيراً من الكتاب الاشتراكيين او الماركسيين لم يعطوا لذلك الأهمية المطلوبة مع انهم قد يكونوا أكثر موسوعية من الكتاب الليبراليين.
ديفيد ديوك (الصحوة). ترجمة د.ابراهيم الشهابي.

هدفنا إخافة الناس منهم أو الخضوع لاملاءاتهم وهيمنتهم بل لنظهر مدى خطورة النفوذ الصهيوني سواء في الشرق أو في الغرب حتى نتصدى له بصورة أكثر جذرية وجدية وحتى لا نضيع في الأوهام التي يتم ترويجها حول صحة وسلامة مواقف هذه الحكومات أو الأحزاب إزاء الصراع العربي الصهيوني أو إزاء سياسة إسرائيل الإجرامية.

إن الديمقراطية التي يتحدثون عنها في الغرب لا وجود لها إلا في أذهانهم أو في الكتب التي قرأوها أو التي درست لهم. لقد أوضح ارتو روزنبرج(*) **أنه لا وجود لديمقراطية بحتة أو مجردة وإننا عندما نبحث عن الديمقراطية كنظرية وليس كممارسة سوف نكتشف وجود أنواع من الديمقراطيات الغربية البرجوازية الحديثة (الكاتب لا يتحدث طبعاً عن الديمقراطيات القديمة الاثينية أو الرومانية أو الديمقراطية العشائرية والقبلية) فهناك الديمقراطية الليبرالية الاجتماعية التي انتهت في أوروبا مع القضاء على كومونة باريس والديمقراطية الليبرالية الامبريالية التي تسعى إلى إقامة توازن بين العمال والرأسماليين عن طريق سياسة القوة والفتح الاستعماريين وهي التي سادت في أوروبا بعد عام 1880 كممارسة وفعل والديمقراطية الكولونيالية التي يصبح الوفاق الطبقي فيها ممكناً للمستعمرين وحدهم فقط بواسطة الأرض الحرة التي يقومون بالاستيلاء عليها فيما وراء البحار».**

أما الديمقراطية الاشتراكية فلم يتح لها الوقت لتظهر في أي من بلدان أوروبا الغربية أو لأن تتطور في أوروبا الشرقية وروسيا ويؤكد الكاتب أن الديمقراطية الليبرالية التي هي شكل خاص من الديمقراطية الغربية والتي أمن الكثير من هؤلاء بها قد انهارت نهائياً في أوروبا منذ عام 1881لتخلى مكانها في الواقع والفعل والممارسة فقط للديمقراطية الامبريالية والكولونيالية وإنه لم يبق من الديمقراطية الليبرالية الاجتماعية التي يروجون لها والتي تحدث عنها روسووفوليتر ومونتسكيو إلا حق الاقتراع العام.

ويرى روزنبرج أن هذا الحق استمر على قيد الحياة لحرف الجماهير عن الديمقراطية الاجتماعية و الاشتراكية من خلال الاستغلال البارع للجماهير الجاهلة وللتغطية على الأزمة المعيشية الطارئة التي تلعب وسائل الإعلام والدعاية الانتخابية دوراً حاسماً فيها.

ويؤكد روزنبرج أن الاتجاه الرأسمالي الكبير والعسكري استطاع تأمين الأغلبية له من خلال الطبقة السائدة التي تمتلك أجهزة الشرطة والجيش والقضاء والصحافة والإعلام حيث يستطيع الرأسمال الكبير والعسكري بواسطتها خنق أية معارضة ديمقراطية اجتماعية أو اشتراكية وسحقها بالأقدام».

ويتحدث روجيه غارودي (*) عن حقيقة الديمقراطية فيؤكد «**أنه لم يعد باستطاعة**

(*) ارتور روزنبرغ. (الديمقراطية الأوروبية). ترجمة ميشيل كيلو. وزارة الثقافة. دمشق.

(*) مجلة الهلال المصرية، العدد (9) لعام 2000 ص8.

أي مرشح لمجلس النواب أو الشيوخ أو الرئاسة أن يتقدم للانتخابات إلا إذا كان يتوفر له ملايين الدولارات والتي قد تصل في انتخابات الرئاسة الأمريكية إلى مليارات الدولارات التي لا يستطيع تقديمها للناخبين إلا أصحاب الأموال الكبيرة خاصة اليهود».

أية ديمقراطية هذه التي يتحدثون عنها في الولايات المتحدة الأمريكية والتي تم بواسطتها شطب أصوات ملايين الناخبين الأمريكين والتي تم بواسطة صوت عضو واحد في المحكمة العليا الفدرالية أن يرجح الكفة لصالح بوش الابن حتى ديمقراطية حق الاقتراع العام تبددت لتخلي المجال فقط لديكتاتورية أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة والاحتكارات النفطية واحتكارات صناعة السلاح.

وقد أظهرت لنا الوقائع والحقائق اللاحقة والراهنة أن الديمقراطية والحرية التي يتحدثون عنها لاوجود لها الا في الخيال (سنوضح لاحقاً أن هؤلاء الدعاة إما كانوا مضللين أو مخدوعين أو جهلة ومن المؤكد أن نسبة كبيرة منهم كانوا مأجورين وعملاء حتى ولو بدون أن يتقاضوا أتعاب مالية حيث تكفيهم المناصب أو السمعة الحسنة.

الهيمنة الصهيونية على السياسية الأوربية:

إن أبسط دارس أو زائر لدول أمريكا الشمالية وأوربا الغربية إذا كان نزيهاً أو موضوعياً ومخلصاً لوطنه وبلده وإذا لم يتم خداعه أو شراءه عن طريق المال أو الجنس وإذا لم ينبهر بالمظاهر الزائفة للحضارة الغربية لابد وأن يكون قد صدم بفظاعة وبشاعة الهيمنة الصهيونية على مجمل وسائل الإعلام الغربية والشرقية ومن يدقق أكثر سوف يكتشف هيمنة الفكر الصهيوني على كثير من الفلاسفة والكتاب والروائين والفنانين ولابد أن يكون قد تأذى من النظرة الاستعلائية والفوقية التي ينظرون بها إلينا كعرب ومسلمين أو من نظرة الازدراء والاحتقار التي يحملونها عنا وعن تاريخنا وثقافتنا وديننا ونبينا وأخلاقنا وعاداتنا. هذا لا يعني أن كل ما ورثناه من عصور الاستبداد والاستعباد المملوكي والعثماني هو سليم ينبغي أن ندافع عنه أو أن نتمسك به لكن شتان ما بين رفض ما هو سلبي وورثناه من تلك العصور وما بين ازدراء واحتقار كل شيء في حياتنا وتراثنا وأخلاقنا.

من يدقق في الحياة السياسية للحكومات الغربية كما هي لا كما تنقل إلينا في وسائل الإعلام يكتشف مدى اتساع الهيمنة الصهيونية على أغلب الأحزاب والنخب السياسية الحاكمة هناك والمنحازة بالمطلق لإسرائيل ولأعمالها مهما كانت قذرة ومن يدقق ويتعمق أكثر في الحياة الاقتصادية فإنه سوف يكتشف أن الصهاينة على قلتهم باتوا يهيمنون على المفاصل الحساسة للحياة الاقتصادية لهذه الدول ويتحكمون بها.

لاشك أن هناك حرية صحافة وحرية فكرية وسياسية ويستطيع الكاتب أو الصحفي في جميع الدول الأوروبية أن يوجه النقد للمسيحية والاسلام ولجميع الأديان ويستطيع أن يوجه النقد للمسيح ومحمد والله ويستطيع أن يوجه النقد لأي وزير أو رئيس دولة أو زعيم حزب أو نائب في البرلمان وأن يوجه النقد لأدائه العملي خاصة إذا تقاعس أو تقاضى

رشوة لكن من المحرمات والمحظورات والممنوعات أن يتصدى أي فطحل لتوجيه أي نقد للصهيونية أو لإسرائيل أو لسياستها الإجرامية والعدوانية أما من يجرؤ على أي نقد لسياسة حكومته أو حزبه الممالئة لإسرائيل فسيكون مصيره قاتماً هذا إن تمكن من توجيه النقد أو وجد وسيلة إعلامية تمكنه من توجيه مثل هذا النقد.

ويمكن ذكر مئات الشواهد على هذه الهيمنة إلا أنني سأكتفي بمثال واحد للتدليل على ذلك. لقد كان المفكر والفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي مقبولاً طيلة الفترة التي كان فيها ماركسياً محايداً أما عندما أصدر كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» وعندما أظهر رفضه للسياسة الإجرامية لإسرائيل انقلبت الدنيا عليه وأصبح في نظرهم جاهلاً ومعادياً للسامية وأصبح عنصرياً ونازياً وحلت عليه اللعنات من كل حدب وصوب وفرضت عليه العزلة والحرمان من جميع الحقوق ثم التغييب ثم وجهت إليه التهديدات بالقتل.

يظهر لنا المفكر والفيلسوف روجيه غارودي مدى هيمنة الصهاينة على الحياة الفكرية والسياسية في فرنسا خاصة الصهاينة المؤيدين لإسرائيل وللخط اليميني المتشدد.

ويستشهد غارودي(*) بقول الرئيس الفرنسي شارل ديغول حول وجود جماعة ضغط إسرائيلية في فرنسا:

أن ديغول **«كان الرئيس الفرنسي الوحيد الذي جرؤ أن يعلن عن ذلك ولم يوجد قبله أو بعده أي مرشح للرئاسة الفرنسية ومهما كان الحزب الذي ينتمي إليه إلا وقام قبل الانتخابات بزيارة إلى إسرائيل وقام بتقديس المحرقة ووضع إكليل من الورد عليها لكي يحصل على دعم الصهاينة ووسائل إعلامهم له في الانتخابات»**.

ويقول غارودي «ومع أن عدد اليهود في فرنسا يقل عن 2٪ من عدد الفرنسيين إلا أنهم هم الذين يقررون من الذي يجب أن يفوز بالانتخابات ويؤكد على أن جميع الصحف ووسائل الإعلام والتلفزيون والسينما في فرنسا الحرة والديمقراطية (إضافة إلى الأفلام الهوليودية) تتبع خطأً واحداً مناصراً لإسرائيل في طرحها للأحداث وتفسيرها لها حيث تصور النضال الفلسطيني المشروع عنفاً وإرهاباً بينما تطلق على إرهاب الدولة العنصرية المنظم اسم الدفاع المشروع عن النفس ولأن غارودي أصدر كتاباً علمياً موثقاً بأقوال يهود وصهاينة فقد صودر كتابه وحورب في جميع وسائل الإعلام ثم وجهت إليه التهديدات بالقتل بالإضافة إلى رفع منظمتين صهيونيتين دعاوي قضائية ضده وجهت إليه فيهما تهمة العنصرية والعداء للسامية وطالبت بحبسه ومنعه من الكتابة.

هذه هي فرنسا بلد الديمقراطية والحرية فما بالنا بالدول الغربية الأخرى. الواقع أنه لا وجود لديمقراطية وإنما ديكتاتورية صهيونية مهيمنة على السياسة والإعلام.

(*) (الهلال العدد 9 عام 2000 ص11).

من حق الصهاينة وعبيدهم من كتاب وصحفيين وسياسيين إخفاء هذه الحقيقة عن أعين الجماهير الأوربية لأن الصهيونية تقدم لهم هامشاً واسعاً من الرفاه القائم على نهب خيرات بلدان العالم الفقيرة.

أما في بلداننا العربية والإسلامية التي تتعرض لعملية النهب والإفقار التي تقع عليها وعلى شعوبها فإن المرء لا يستطيع إلا أن يصاب بالدهشة لما يقوم به كثير من الكتاب والمفكرين من إخفاء لهذه الحقائق وهذه السيطرة الصهيونية.

لماذا يهبون مدافعين بقوة وشراسة عن الديمقراطية المزعومة التي يعرفون أنها ليست موجودة إلا بالمقدار الذي لا يمكن أن تمس فيه الصهيونية وإسرائيل فقط وأعمالها بأي انتقاد

من يخدم من؟ من يقود الآخر، الإمبريالية أم الصهيونية؟؟

لفترة طويلة وربما -حتى اليوم- ما تزال هذه المسألة في نظر الكثيرين نوعاً من الأحجية المستعصية ولدى البعض مسألة نظرية وبحثاً في المجرد لا طائل من ورائه والبعض الآخر يعتبرها نوعاً من الفذلكة كالسؤال من قبل من، الدجاجة أم البيضة؟ فيتوصلون إلى أن الترابط بين الحركتين يجعل من الصعب الفصل بينهما وهذا مخرج مريح.

ربما يتهرب الكثيرون من الإجابة على هذا السؤال خوفاً من وجع الرأس الذي سوف يسببه لهم البحث في هذا الموضوع أو خوفاً من أن تثبت الحقائق خطأ رؤيتهم وإن كثيراً من المفكرين الغربيين يتقصدون إخفاء الحقيقة أو تركها ضائعة وغائمة وقسم كبير منهم يساهم في طمس الحقيقة وإعطاء صورة معاكسة للواقع.

أما القسم الأكبر من منظرينا وللأسف فإن غالبيتهم يفتقرون إلى الشجاعة اللازمة للمبادرة ولإعطاء رأي حاسم في الموضوع (إن لم يكن بسبب تبعيتهم الفكرية) فيجدون أن من الأسهل لهم التعاطي مع الموضوع استناداً لما هو رائج ودارج واعتبار الصهيونية أداة للإمبريالية وإسرائيل أوقاعدة أو ثكنة متقدمة لها في المنطقة وكفى الله المؤمنين شر القتال، إذا كانت هذه ثكنة متقدمة فلماذا لا نسحقها بالأقدام ونستريح منها ولماذا يحرص البعض منا على أمنها وبقائها؟

طبعاً لا يمكن تجاهل حقيقة أن هناك معيقات كثيرة تعيق الباحث أثناء جمع المعلومات والحقائق التي قد تستغرق سنوات طويلة قد يتطلب الغوص فيها مراجعة آلاف الصفحات المكتوبة حول الموضوع حيث نعلم أن أهم الحقائق حول هذا الموضوع لا يمكن العثور عليها ولا يستطيع الكتاب والمنظرون والباحثون الوصول إليها. وليس أسهل من القول بوجود حلف صامت بين الغرب والصهيونية(*) لإخفاء المعلومات والوثائق وتزويرها، مما ينجم عنه

(*) المسيري، عبد الوهاب. (اليهودية والصهيونية وإسرائيل)

قصور في التدقيق والمراجعة وفي عدم إعطاء رأي حاسم وثابت لما يجب فعله اليوم وغداً.

إن المسألة ليست نظرية بل مسألة عملية ويومية ومباشرة وملحة كالماء والهواء لحياتنا ومستقبلنا الذي قاموا بتلويثه وإفساده.

من الواضح جيداً أن نقطة الانطلاق تحدد المسار اللاحق للأمور والأحداث فإذا كنا قد انطلقنا منذ بداية النهضة من تصورات خاطئة فإن جميع السياسات التي اتبعناها بعد ذلك كانت خاطئة وبلا نتيجة أو أدت إلى نتائج سلبية وبما أن النتائج التي حصدناها انطلاقاً من تلك الرؤية لم تؤد بنا إلا إلى مزيد من الانحدار والتراجع فإن تصحيح تلك الرؤية وعلى الأخص نقطة الانطلاق والرؤية ستشكل عاملاً حاسماً في رسم سياسات ناجحة.

وإذا انطلقنا من اعتبار إسرائيل قاعدة للاستعمار مهمتها تحقيق المصالح الإمبريالية في المنطقة من حيث تكريس التجزئة ومنع الوحدة الاقتصادية أو السياسية للعرب ومنع تشكل قوة عربية أو قطب عربي في العالم أو منع قيام أنظمة وطنية أو تقدمية أو ضربها فإننا سوف نتجاهل أو ننسى أن من فرض التجزئة وكرسها هو الاستعمار والأنظمة والجامعة العربية قبل أن تقوم دولة إسرائيل. إننا إذ نتجاهل أن التواجد الاستعماري والتجزئة موجودة في بلادنا قبل قيام إسرائيل نتجاهل أن هذا التواجد والتجزئة إنما كانا من أجل زرع إسرائيل وليس العكس ونتجاهل أن قيام الدول القطرية كان نتيجة للسياسة الاستعمارية التي مورست علينا خلال المائتي سنة الماضية من أجل عيون إسرائيل وليس العكس فالتفرقة والتجزئة وعمليات التدمير مستمرة قبل أن تقوم هذه الدولة. ونحن إذ ننسى أو نتجاهل أن التبعية السياسية والاقتصادية التي فرضها الاستعمار علينا قبل قيام إسرائيل أو بعد قيامها إنما كانت تهدف بشكل رئيسي إلى تدمير بلادنا ولجعل إسرائيل بعد ذلك القوة الوحيدة في المنطقة القادرة على قيادتها وخلق شرق أوسط جديد إسرائيلي.

يرى البعض أننا إذا أقمنا سلاماً مع هذه الدولة الباغية أو حيّدناها فإننا نكون قد أفشلنا المخطط الإمبريالي حيث يصبح الوجود الأمريكي في الخليج والتبعية الاقتصادية والسياسية لأمريكا أمراً طبيعياً.

لكننا إذا انطلقنا من اعتبار الاحتلال الإنكليزي والفرنسي لبلادنا وتقسيمها يهدف إلى زرع إسرائيل في المنطقة فإننا لاشك نتوصل إلى نتائج مغايرة.

إذا انطلقنا من أن الاحتلال الأميركي للعراق هو تحرير للعراق ولشعبه من الطاغية صدام أو أنه جاء من أجل دمقرطة العراق والمنطقة فإن كثيرين لن يجدوا ما يمنعهم من التحالف مع الأمريكان والتعاون معهم وبالتالي تسويغ العلاقات مع إسرائيل إما إذا انطلقنا من أن الاحتلال الأمريكي للعراق مطلوب من أجل فرض تسوية سلمية للصراع في المنطقة وفقاً للمنظور الإسرائيلي أو وفقاً لخارطة الطريق كما أعلن عن ذلك كل من بوش وبلير

صراحة فإننا لاشك نتوصل إلى نتائج مغايرة تماماً.

أما إذا انطلقنا من أن الاحتلال الأمريكي للعراق جاء لخدمة المشروع الصهيوني في المنطقة والعالم كما فعل الاحتلال الإنكليزي والفرنسي سابقاً من أجل زرع إسرائيل وتحويلنا إلى عبيد للصهيونية على أرضنا فإنني اعتقد جازماً أن مواقفنا من هذا الاحتلال ستكون مغايرة وأن أحداً لن يقبل السكوت على هذا الاحتلال أو للتعاون معه أو للسكوت عليه لحظة واحدة لذلك فإن الجدل الفكري والسياسي يحتدم بشدة حول هذه النقطة بالذات أكثر من أي نقطة أخرى.

إذا عرفنا أن الدولة الوحيدة في العالم التي دعمت العدوان الأمريكي على العراق بشكل مطلق وسافر وصريح وشجعته وجاهرت في تأييده وعملت على الإسراع بتحقيقه كانت إسرائيل فإننا ندرك بسهولة أن هذا الاحتلال الأمريكي للعراق لم ولن يكون إلا لخدمة الرؤية الصهيونية الشارونية في المنطقة ولخدمة المشروع التسلطي الصهيوني الإسرائيلي. المسألة ليست مسألة نظرية وحسب بل مسألة مستقبلية مسألة تتعلق بالمستقبل الذي سننتهي إليه.

الحملة الانكلوأمريكية على العراق خدمة لإسرائيل:

منذ الأيام الأولى لاستلام بوش الحكم عمل على توجيه أنظار الأمريكين والعرب والمسلمين وأغلب شعوب العالم نحو العراق ونحو التهديد الذي يمثله نظام صدام حسين على دول المنطقة وشعوبها وعلى الشعب العراقي نفسه وعلى الولايات المتحدة الأمريكية بسبب ما يمتلكه من أسلحة دمار شامل سبق له وأن استخدمها في حربه مع إيران أو ضد الأكراد العراقيين.

أرسل فوراً وزير خارجيته كولن باول فقام بزيارة لأغلب دول المنطقة من أجل خلق جبهة عربية مساندة للولايات المتحدة في موقفها من نظام صدام وبعد ذلك أرسل وزير الدفاع السابق اليهودي والصهيوني المتشدد وليم كوهين لزيارة دول الخليج والسعودية والكويت وقطر ثم تلاه ارميتاج وبيرنز ثم انطوني بلير الثعلب الصهيوني الماكر حيث بدأ يتضح للجميع أن هناك خطة لغزو العراق بدأت ملامحها وخطوطها وتحالفاتها ترتسم في المنطقة.

إن أول وأهم الأهداف التي حققتها إسرائيل وشارون من وراء هذه الحملة والتعبئة الانكلوأمريكية هو تحويل أنظار جميع دول العالم بما فيها شعوب ودول المنطقة صوب العراق لمواجهة ما يمثله من أخطار محتملة وغير مؤكدة في حين جرى تجاهل التهديد الحقيقي الذي تمثله وتمارسه إسرائيل على الفلسطينيين ودول المنطقة والتهديدات المباشرة والصريحة التي كانت تطلقها ضد سوريا ولبنان والسد العالي وتم تجاهل ونسيان الاعتداءات اليومية والمذابح والجرائم التي تمارسها قوات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني الأعزل والمجرد من السلاح.

ومن يومها بدأ يتراجع الاهتمام الشعبي العربي والرسمي بالانتفاضة ويتراجع الدعم المعنوي والمادي للانتفاضة مما مكن شارون وقوات الاحتلال الصهيونية طيلة السنتين الماضيتين من تنفيذ أبشع الجرائم ضد الفلسطينيين بهدف تدميرهم وتركيعهم.

وكلما كانت الانتفاضة تتصاعد ويتصاعد معها الاجرام الصهيوني كلما سعت أمريكا إلى توجيه الأنظار نحو العراق من خلال حشد الجيوش والقوات وافتعال قضايا خلافية وكلما استجاب العراق لأحد مطالبهم اختلقوا له مسألة جديدة وكلما قدم تنازلاً مهيناً طالبوه بتقديم تنازلات مذلة أكثر وأكثر وفي هذه الفترة طرحت خارطة الطريق التي تنتهي في عام 2005 بدويلة فلسطينية هوائية غير محددة الهوية والملامح تظل أعين الجميع ورؤوسهم متطلعة إليها متناسية المياه التي تجري من تحتهم في العراق بحيث بدا للجميع أن أمريكا حريصة فعلاً على تحقيق السلام العادل للفلسطينيين والعرب لكن شارون رفض حتى خارطة الطريق الصهيونية الموضوعة من قبل حزب العمل. وأصر على عدم إبداء موافقته عليها إلا بعد أن تحتل أمريكا العراق بما يمكنه أولاً من سحق الانتفاضة واغتيال أكبر عدد ممكن من قيادييها وناشطيها على أمل أن يستطيع بعد احتلال العراق أن يحقق رؤيته الجديدة للشرق الأوسط الإسرائيلي بما يتيح له بعد ذلك فرض خارطة جديدة للمنطقة مختلفة عن خارطة الشرق الأوسط الذي أراده شمعون بيريس. قبل أن نرى هذا البعد الآخر لاحتلال العراق أرى ان علينا أن نتعرف على خارطة الطريق وعلى رؤية شارون والليكود وبوش لها.

الفصل الخامس

رؤى أخرى لاحتلال العراق

1ـ خارطة الطريق إعادة ترسيم المخطط الصهيوني للعرب والفلسطينيين(*)

قد يكون من المفيد جداً للكثير من الكتاب والباحثين السياسيين قبل أن يطلعوا على خارطة الطريق التي أعلن الرئيس الأمريكي بوش عنها في نهاية العام الماضي 10/21/ 2002 أن يعرفوا أن أول مرة ورد فيها ذكر هذه الخطة كان على لسان رئيس الوفد «الإسرائيلي» إلى مفاوضات الوضع الدائم عوديد عيران في الجلسة الافتتاحية للمفاوضات في رام الله بتاريخ 1999/11/18 (*) حيث جاء في خطاب عوديد ما يلي: (إن اتفاق الإطار بشأن الوضع الدائم يجب أن يكون وفق خريطة للطريق حول اتفاق الوضع الدائم والشامل بحيث يضم العناصر المتبقية للحل المتفق عليه بيننا). مما يعني أن خارطة الطريق هذه التي اقترحها بوش لم تكن من إبداعاته العقلية ولا من إبداعات إدارته بل هي خارطة موضوعة من قبل المطبخ الصهيوني المصغر في فترة حكم حزب العمل وهي الخارطة التي تحدث عنها بيريس لاحقاً بشكل مقتضب (كما سنورد لاحقاً).

إن ما يجب التأكيد عليه أن خارطة الطريق هذه ولنقل خطة الطريق هي بالأساس والجوهر خطة صهيونية قلباً وقالباً من وضع حزب العمل وموضوعة للمنطقة كلها وليس للفلسطينيين فقط. وإن كانت ستبدأ بهم.

وكما قال نعوم تشومسكي (**) فإن خارطة الطريق الحالية تعكس تماماً مطالب شارون في عام 1992 في الواقع فما قبله شارون اليوم هو ما كان يطالب به عام 1992 لكن نوعية النقاش تغيرت الآن فعندما اقترح شارون خطته عام 1992 بدت يومها مستحيلة ومتطرفة أما اليوم فهو يقدم لنا الاقتراح نفسه في صورة مشروع مصالحة، والحقيقة هي أن الاقتراحات نفسها تقريباً ومن بينها الاقتراحات التي قدمها حزب العمل والجيش الإسرائيلي مستقاة من خطة ألون عام 1968. وجميع الحكومات الإسرائيلية من يومها وحتى اليوم عملت في إطار هذه الخطة منذ وضعها حزب العمل عام 1968.

(*) مقال نشر في صحيفة الفكر المقاوم العدد 2003/3

(*) (النص مترجم عن الإنكليزية من موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية في الإنترنت، تم نشر نصه في مجلة دراسات فلسطينية في العدد 41 لعام 2000 ص 205).

(**) مقابلة أجرتها معه صحيفة أرلكرونوس. والتي نشرتها صحيفة الحياة يوم الثلاثاء 10/حزيران 2003

ويتساءل تشومسكي لماذا يتظاهر شارون برفضها الآن ويريد من الفلسطينيين والعرب تقديم مزيد من التنازلات؟

هل لأن وضع العرب والفلسطينيين اليوم صار أسوأ مما كان عليه عام 1992 بما يتيح له المطالبة بمزيد من التنازلات؟.

سريت هآرتس(*) خبراً مفاده أن مجلس نيويورك للعلاقات الخارجية الذي يتزعمه كل من برجينيسكي (مستشسار الأمن القومي في عهد الرئيس كارتر الديمقراطي) وسكوكروفت (مستشار الأمن القومي في عهد بوش الأب الجمهوري) هو الذي تولى إيجاز ما جاء في المذكرة «الوثيقة» حول خارطة الطريق وتقديمها للرئيس وطالب رئيساه بضرورة تنفيذها في 13 شباط 2003 حسب **ما ذكرت صحيفة وول ستريت جورنال وأن هذا المجلس رأى أن التنازل الذي قدمه بوش تحت ضغط شارون لتأجيل المفاوضات إلى ما بعد غزو العراق لا يحمل مصلحة للأمن القومي الامريكي.**

هذا يفسر سبب رفض شارون لها بعد زيارته الأخيرة لواشنطن وبعد فشل حملة الدرع الواقي. ومع أن الرئيس الفلسطيني أعلن موافقته على الخطة بدون أية تحفظات بعد أن أعلن بوش عنها فإن ذلك يشير ويؤكد أن موافقته عليها تمت من قبل وليس يوم أعلن موافقته عليها بشكل رسمي ودون أية تحفظات ويؤكد أنه اتفق مع حزب العمل على تنفيذها منذ عام 1999 حسب قول عوديد: «الحل المتفق عليه بيننا» وعلى الرغم من أن الخارطة ـ الخطة هي صهيونية مئة بالمئة إلا أن الرئيس الأمريكي نزل عند رغبة شارون بعدم إبداء موافقته عليها إلا بعد الانتخابات التشريعية «الإسرائيلية» في شباط الماضي.

أما الخطوط العريضة والأساسية لهذه الخطة كما شرحها بيريز(**) فهي كما يلي:

1. يؤمن حزب العمل أن الطريق الذي يمكن من خلاله درء الخطر الذي يتهدد وجود «إسرائيل» عبر تحويلها إلى دولة ثنائية القومية يكمن في إقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح إلى جانب دولة إسرائيل.
2. يعتبر حزب العمل إنهاء السيطرة على الشعب الفلسطيني استنتاجاً أخلاقياً للتاريخ اليهودي ولمصلحة دولة «إسرائيل» السياسية والأمنية. **(الفكرة ذاتها كررها شارون في خطاب العقبة).**
3. يمكن تحقيق هذه الأمور فقط من خلال الاتفاق على الفصل بين الشعبين برضا تام.

أما الفقرات 5.4 فتتعلق بضرورة وقف تام لإطلاق النار من جانب الفلسطينيين وتحميل عرفات مسؤولية فشل المفاوضات وما ينجم عن عدم تطبيق الخطة.

أما الفقرة 6 فتشير إلى أن الخطة يجب أن تلاقي استعداداً «إسرائيلياً» لقبولها بعد

(*) هآرتس يوم 2003/3/3. نقلاً عن صحيفة المحرر.

(**) دراسات فلسطينية. العدد (40) عام 2002

إبداء عدم الرفض لها من قبل العالم العربي هذا الأمر الذي أصبح ممكناً بعد طرح خطة السلام السعودية.

تناقلت كثير من وسائل الإعلام فكرة أن الحرب على العراق هي جزء من خارطة الطريق الجديدة لتغيير الخارطة الجيوسياسية القديمة للمنطقة (**التي وضعت في عام 1916 قبل الحرب العالمية الأولى**) بعد أن زرعت «إسرائيل الصغرى» وتثبتت وتم الاعتراف بها من أغلب العرب والفلسطينيين فإن المنطقة تحتاج إلى خارطة جديدة تجعل منها «إسرائيل الكبرى».

أما خارطة الطريق (خارطة المنطقة الجديدة) حسب ما نقلته صحيفة هآرتس(*) فتتضمن أربعين بنداً أجد أن من المفيد ذكر البنود الرئيسية فيها فقط.

1. تعيين حكومة فلسطينية وخلق منصب رئيس حكومة فلسطينية يملك الصلاحيات بما في ذلك ما يتعلق بإجراء التغييرات الدستورية المطلوبة (من هذه الزاوية كان يصبح من حق السيد محمود عباس أن يشترط على الرئيس عرفات وعلى المجلس التشريعي أن يعطى صلاحيات واسعة باعتبار أن أول بند في خريطة الطريق يعطيه هذه الصلاحيات).

8. يتم توحيد قوات الأمن الفلسطينية في ثلاث تنظيمات تخضع لأمرة وزير للداخلية مخول الصلاحيات.

14. تعمل الدول العربية بإصرار على وقف التمويل الشخصي والشعبي للتنظيمات المتطرفة وتقوم بتمويل دعمها للفلسطينيين عبر وزارة المال الفلسطينيية فقط.

19. تعقد اللجنة الرباعية مؤتمراً دولياً بموافقة الأطراف المعنيةلبناء دولة فلسطينيةمؤقتة.

20. يكون هدف اللقاء شاملاً بهدف تحقيق السلام الشامل بما في ذلك بين «اسرائيل» وسوريا ولبنان.

22. تستأنف العلاقات بين العرب و«إسرائيل» كما كانت قبل الانتفاضة.

23. تستأنف الحوارات متعددة الأطراف (لجنة التعاون الإقليمي والدولي - لجنة التسلح - لجنة اللاجئين - لجنة المياه - لجنة الحدود).

26. يتواصل التعاون الأمني وتصادر كافة الأسلحة غير القانونية ويتم تفكيك التنظيمات المسلحة بما يتفق مع الاتفاق الأمني حسب خطة تينيت.

29. تنتهي الإتفاقات المؤقتة وتقام دولة فلسطينية داخل حدود مؤقتة في نهاية عام 2003، ويتم تقرير الإشراف الدولي في المرحلة القادمة.

(*) مأخوذة عن الإنترنيت بتاريخ 2002/10/22

31. مؤتمر دولي في مطلع عام 2004.

40. تحصل الدول العربية على علاقات طبيعية مع «إسرائيل» وتحصل إسرائيل من دول المنطقة على الأمن.

أعتقد أن بنود الخطة لا تحتاج إلى أي تعليق فهي تفسر نفسها بنفسها باستثناء البند الأخير الذي ينص على أن الدول العربية ستكافئ بالحصول على علاقات طبيعية مع «إسرائيل» عندما تضمن أمن «إسرائيل».

مما يشير إلى أن خارطة الطريق هذه هي موضوعة لحل الصراع العربي «الإسرائيلي» بطريقة تضمن تشكل شرق أوسط جديد تكون فيه «إسرائيل» القوة القائدة والمهيمنة «آمنة ومستقرة ومزدهرة».

خارطة شارون بوش:

يبدو أن شارون لم يوافق على الخطة عندما عرضت عليه، بدليل أنه أبدى عليها مئة ملاحظة، تم الإعلان عن ذلك رسمياً بعد فوزه بالانتخابات ومن المؤكد أن شارون بعد زيارته لواشنطن في كانون أول 2002 أقنع الرئيس الأمريكي بعدم إحراجه بإبداء رأيه على الخطة إلا بعد غزو الأخير للعراق مما يشير أيضاً إلى أن شارون يأمل أن تتيح له عملية الغزو أن يفرض على العرب والفلسطينيين أقل مما تقدمه لهم خارطة الطريق فطالما أنهم قد قبلوا ما سبق ورفضوه (أو أعلنوا عن رفضه) في كامب ديفيد عام 2000 فإن إمكانية أن يفرض عليهم ما هو أقل وأدنى مما يقدم لهم الآن تظل إمكانية قائمة فلماذا يضيع شارون الفرصة ولا يفرض على العرب والفلسطينيين تقديم تنازلات أشد إيلاماً؟

ومن المؤكد أن الرئيس الأمريكي لن يصر على تفنيذ الخطة ولن يلزم شارون على التقيد بها بانتظار ما يمكن أن يحققه بعد غزو العراق حيث ستتوفر معطيات جديدة.

ومن المؤكد أيضاً أن اللجنة الرباعية لن تصر على تنفيذها أيضاً كي لا تمنى بالخيبة والفشل إذا ما رفض شارون الخطة بعد غزو العراق.

إنني لا أشك اليوم في أن أغلب محبي أمريكا وأصدقاءها ومحبي أوروبا والاتحاد الأوروبي وفرنسا وروسيا هم اليوم كارهون جداً لأمريكا (الحبيبة) لأن سياستها باتت تحرجهم وتفضح محبتهم لها ولأنه بات من الصعب عليهم أن يظهروا لها تلك المودة والمحبة والإخلاص المطلوبين أمام شعوبهم الغاضبة والرافضة لسياستها.

ومن المفيد أن أذكر المخلصين فقط. بأن قافلة من الجمال قابلة لأن يجرها حمار يسير تائهاً وراء كلب، وربما وراء ذئب أو ضبع برداء كلب وليس من الضروري أن يكون الأمين العام كوفي أنان ثالث هذه الجمال أو آخرها.

قد أكون قاسياً في هذه الرؤية ولكن عندما تتعلق القضية بالشعب والوطن والمصير

والمستقبل فلا بد للمرء من أن يكون قاسياً ومجرداً من العواطف والأوهام.

حكومة احتلال فلسطينية:

اعتقد مؤيدو عرفات أنه بموافقته المسبقة على خارطة الطريق دون أية تحفظات قبل غزو العراق أراد أن يقطع الطريق على شارون ليمنعه من تنفيذ عملية ترحيل للفلسطينيين، لكن ما نسيه الجميع أنه بموافقته على هذه الخطة قدم تنازلاً رسمياً عن حوالي 60٪ من أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية وعن الدولة المستقلة، هذه الأمور لم يرد ذكرها على لسان المدعو محمود عباس في خطاب العقبة والذي أكد فيه أن صياغته قد تمت بالتنسيق مع عرفات وبموافقته.

لذلك فلقد أعلن عباس موافقته على خطة الطريق وبدأ بتنفيذ الخطوة الأولى فيها يوم 14 شباط بناءً على طلب مجلس نيويورك للعلاقات الخارجية والمتمثلة بالبند رقم واحد الذي ينص على تعيين حكومة فلسطينية وخلق منصب رئيس وزراء يمتلك صلاحيات واسعة لحكومة رتبت صلاحياتها في مؤتمر لندن الذي عقد في بداية شهر آذار والتي ستتركز مهمتها كما صرح بذلك محمود عباس على وقف العمليات لمدة سنة كاملة، ومنع جميع المظاهر المسلحة حتى لرجال الأمن الفلسطينيين الذين يجب أن يرتدوا ثيابا مدنية دونما أسلحة حسب خارطة الطريق.

إن أقوال وزير الإعلام الفلسطيني ياسر عبد ربه وعدد من أعضاء المجلسين الوطني والتشريعي الفلسطيني من أن الموافقة على تعيين رئيس وزراء هو شأن فلسطيني داخلي ومطلب شعبي للفلسطينيين. لا يمت للحقيقة بصلة لأن مطلب تعيين رئيس للوزراء لم يطرحه من قبل أي من الفلسطينيين وكان قبل أيام قليلة يلقى معارضة شديدة من عرفات لأن هذا المنصب سوف يقلص ويحد من صلاحياته المطلقة ولأن كثيراً من الفلسطينيين يرون بهذا المنصب مساساً بصلاحيات عرفات المقدسة ومساساً بقدسية القضية الفلسطينية (وكأن القضية لا تستقيم إلا بامتلاك عرفات جميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية بحيث غدا مجرد التفكير بوجود شخص آخر إلى جانبه أو بموازاته لكثير من الفلسطينيين كالشرك بالله) ولقد لقي معارضة شديدة من قبل أعضاء اللجنة المركزية لفتح بعد اجتماعهم الموسع مع عرفات في كانون الأول من عام 2002. لأنه يلغي دورهم كحركة تحرر في ظل حكومة بصلاحيات دولة لا وجود لها في الواقع. وكما أكد على ذلك أيضاً سليم الزعنون بأن منصب رئيس الوزراء لم يكن وارداً على الإطلاق ضمن السياسة العامة للسلطة استناداً لاتفاق أوسلو.

إن جميع هذه المعطيات تشير إلى أن موافقة عرفات وفتح واللجنة التنفيذية والمجلسين الوطني والتشريعي على هذا المنصب لمحمود عباس لم يكن مطلباً فلسطينياً بل مطلباً صهيونياً أولياً في خطة خارطة الطريق وأن اجتماعات هذه المجالس واللجان وموافقتها بالإجماع أو بوجود معارضين شكليين لها لن تكون إلا تمثيليات فلسطينية لإخراج

هذه الخطة بحيث تبدو للجميع خاصة الفلسطينيين أنها مطلب فلسطيني بحت تم تبنيه بشكل ديمقراطي حر ونزيه وحتى لا تلقى أية معارضة شعبية.

إن تشكيل منصب حكومة فلسطينية برئيس وزراء واسع الصلاحيات (كما هو الحال في جميع الدول المستقلة والديموقراطية)، في ظل الاحتلال «الإسرائيلي» ودون أية ضمانات لوقف عمليات القتل والتدمير والاغتيال الإسرائيلية لن تكون إلا حكومة فلسطينية لتسويغ الاحتلال ولتمكينه من فرض الاستسلام على الشعب العربي الفلسطيني. وقبل أن تبدأ المفاوضات بالركض وراء (الجزرة) الدولة، ليس لتنفيذ خارطة الطريق بل لتنفيذ البند الأول فيها والذي يقضي بإنهاء الانتفاضة وسحب جميع الأسلحة غير المرخصة وإيقاف التحريض على العنف (المقاومة)

هل تنجح هذه الحكومة في فرض الاستسلام على هذا الشعب في ظل الاحتلال؟ أعتقد أن ذلك سيكون صعباً إن لم يكن مستحيلاً وحتى ولو جرى احتلال العراق واجتياح مناطق السلطة وترحيل الفلسطينيين فإن المشكلة ستتعقد أكثر أمامهم مما يعني أن العرب والفلسطينيين في ظل حملة بوش على العراق وسوريا وإيران ولبنان والمنطقة هم أمام ثلاث خيارات فقط.

الأول: الخيار الصهيوني لحزب العمل حسب خارطة الطريق بغطاء أوروبي (أميركي ديمقراطي) نحو شرق أوسط جديد يفتح نافذة لشراكة أوروبية متوسطية ويبدو أن هذا الخيار قد أصبح في ذمة التاريخ باعتبار أن قمة العقبة استبعدت اللجنة الرباعية.

الثاني: الخيار الصهيوني المتشدد لشارون بغطاء من بوش وبلير بعد احتلال العراق وإغلاق المنطقة على التحالف «الإسرائيلي» الانكلوسكسوني.

أما **الثالث:** فهو خيار المقاومة والرفض.

فأي طريق سيختار بقية الفلسطينيين والعرب؟ باعتبار أن غالبيتهم في قمة شرم الشيخ اختاروا طريقهم بوضوح تام.

أعتقد أن المقاومة ليست أصلح الخيارات فقط بل أسهلها أيضاً لأن الخيارين الأول والثاني سيشكلان تهديداً للوجود القومي والإنساني والروحي للعرب وأعتقد أن تنفيذ الخطوات الأولى في خارطة الطريق الموضوعة للمنطقة كلها لم تعد شأناً فلسطينياً داخلياً بل شأناً عربياً عاماً سيلحق أضراراً فادحة بشعوب ودول هذا المنطقة كلها بحيث سيكون التعامل مع حكومة احتلال كهذه (حصان طروادة) غطاءً للتعامل مع الاحتلال ذاته وللخنوع له.

2ـ رؤية أخرى مكملة لاحتلال العراق

بعد ضرب العراق عام 91 وذهاب العرب إلى مؤتمر مدريد للسلام وبعد أن نفذ بوش الأب ما يريده الصهاينة طرح شمعون بيريس رؤيته لشرق أوسط جديد من خلال كتابه نحو شرق أوسط جديد تكون فيه إسرائيل القوة القائدة للمنطقة إدارياً وتكنولوجياً

وسياسياً واقتصادياً وثقافياً من خلال مشاريع مشتركة عديدة بين الدول العربية وإسرائيل سوف يحققها السلام المنشود وعندما جاء الديمقراطيون إلى الحكم طرح حزب العمل رؤيته للشرق الأوسط الجديد واستطاع بيريس أن يحقق اتفاق أوسلو كخطوة أساسية أو كنقطة انطلاق في مشروع الشرق الأوسط الجديد بشراكة أوربية متوسطية لكن الليكود والجمهوريون والمتشددون الصهاينة في الإدارة الأمريكية وجدوا أن الواقع الجديد الذي استطاعوا فرضه على العرب بعد ضرب العراق بات بمكنهم من تحقيق ما هو أضيق من شرق أوسط جديد بشراكة أوربية متوسطية.

إن الواقع الجديد والأوراق الأخرى التي ما تزال بيدهم تمكنهم من فرض شرق أوسط جديد «إسرائيلي» دون شراكة أوربية أو شرق أوسط جديد بشراكة انكلوأمريكية فقط مع استبعاد أوروبا كلياً فراحوا يعرقلون تنفيذ اتفاق أوسلو وأول عمل قاموا به هو قتل رابين والمجيء بنتنياهو ومع أن حزب العمل عاد إلى الحكم بأقلية ضئيلة في عهد كلنتون إلا أن باراك لم يستطيع أن يتخطى رؤية حزب الليكود وشارون واليمين الصهيوني المتشدد سواء داخل إسرائيل أو داخل الإدارة الأمريكية ومنذ أول يوم جاء فيه شارون إلى الحكم أعلن أنه ضد اتفاق أوسلو وضد إقامة دولة فلسطينية إلا بحدود حكم ذاتي محدود وأنه لن يقبل إلا بشرق أوسط جديد يخضع بالقوة لإرادة الإسرائيليين بحيث لا يبقى أمام العرب والفلسطينيين أي أمل بالحصول على أي شيء سوى الرضوخ والعبودية وقبول ما يتصدق به عليهم أبناء عمومتهم الأحق والأجدر بهذه الأرض وخيراتها من حكامها الذين بددوها عبثاً(*) وهذا الأمر لن يتحقق إلا بضرب العراق ومحاصرة سوريا ولبنان واقتلاع أي تأييد راهن أو محتمل مستقبلاً للفلسطينيين ولسحق أي تفكير بإمكانية المقاومة بما يتيح لهم فرض رؤيتهم لحكم ذاتي محدود للفلسطينيين يكون منطلقاً لشرق أوسط إسرائيلي وعلى المكشوف(**) عبر عنها يوسي كلاين حيث قال:

((ترى وجهة النظر الصهيونية لليكود أن إقامة دولة فلسطينية في الوقت الذي يوجد فيه عرب يؤمنون بالجهاد والتحرير والمقاومة المشروعة ويؤمنون بضرورة تطبيق القرارات الدولية والسلام العادل والشامل (التي أصبحت جزءاً من الماضي بعد دخول العرب مؤتمر مدريد) ستجعل من وضع إسرائيل على المدى القريب والبعيد قلقاً وبما أنه (حسب رأي الكاتب) لا يمكن لإسرائيل أن تعرض أمنها للخطر من خلال إقامة هذه الدولة في ظل بقاء أنظمة مؤمنة بالسلام العادل وتطبيق القرارات الدولية أو في ظل بقاء أحزاب ونخب وفئات وجماهير عربية ما تزال تؤمن بالمقاومة والجهاد والكفاح. لابد إذن أولاً من تحطيم هذه الدول والقوى ولابد ثانياً من تحطيم وتركيع المقاومة الفلسطينية وكما يرى الكاتب فإن الدولة الفلسطينية لن تكون المبشر بالشرق الأوسط الجديد (الشاروني) بل ستكون

(*) حسب رؤية كثير من الصهاينة الإسرائيليين والعرب.

(**) هذه الرؤيا كشف عنها الكاتب الصهيوني يوسي كلاين في صحيفة جيروزليم بوست الصهيونية المتشددة بتاريخ 2003/4/28 مأخوذة عن الإنترنيت.

نتيجة له أي بعد تغيير الأنظمة المحيطة بإسرائيل التي ما تزال تؤمن بالسلام العادل أو الجهاد والمقاومة) بعد ذلك فإن الدولة الفلسطينية (الحكم الذاتي المحدود) تصبح مقبولة ويمكن التعايش معها دون أية أخطار مستقبلية على أمن إسرائيل ويرى الكاتب أن هذه الرؤية الشارونية «نظرية شارون والليكود وكبار الصهاينة قامت منذ البداية على رفض اتفاق أوسلو وهذا ما جعلهم يدفعون بوش إلى تبني الفكرة الأخرى القائمة على أن أحداث اصلاحات والتخلي عن الإرهاب والعنف) أي التخلي عن المقاومة والجهاد) في العالم العربي المحيط بإسرائيل يعتبر شرطاً أولياً وأساسياً قبل منح الفلسطينيين سلطة حكم ذاتي)).

ويتابع الكاتب قائلاً: «وهكذا فإن الرئيس بوش باحتلاله للعراق يكون قد قام بدور حاسم في عملية التقدم نحو السلام الصحيح ولإقامة الدولة الفلسطينية» إننا نستطيع أن نجزم أن الإدارة الأمريكية بعد احتلال العراق قد فرضت وخلقت واقعاً جديداً واقعاً مادياً ملموساً وليس وهماً نظرياً ولا هلوسة خيالية واقعاً فرضته على المنطقة القوة العسكرية سوف تجعل من خارطة الطريق تبدو لكثير من الإسرائيليين تنازلاً مجانياً للفلسطينيين ولشعوب المنطقة لا يجوز الإقدام عليه بدون ثمن جديد إلا بعد استثمار الانتصار والوجود الأمريكي في العراق استثماراً كاملاً ومن المؤسف أن عرفات وأبو مازن والاراغوازات الفلسطينيين راحوا يرحبون بخارطة الطريق ويعيدون ترتيب بيتهم الفلسطيني على أساس أن خارطة الطريق سوف تنفذ متجاهلين أن الواقع الجديد الذي فرض على المنطقة بعد احتلال العراق سيجعل من تلك الخارطة شيئاً من الماضي مثلما جعل ضرب العراق عام 91 القرارات الدولية شيئاً من الماضي البعيد».

يبدو أن عرفات وأبو مازن وأحمد قريع والمؤمنين بهم يعيشون في واقع آخر واقع وهمي لأن الغبي اليوم فقط هو الذي لا يدرك أن خارطة الطريق لن تنفذ لأنها ليست أكثر من جزرة مما يشير إلى أن هؤلاء يعيشون على أوهام وانتصارات الماضي الزائفة التي لا يوجد أية صلة لها بالواقع الحقيقي المعاش والملموس.

إذا كان العرب بعد ضرب العراق قد ذهبوا إلى مدريد بعد أن تخلوا عن القرارات الدولية والأمم المتحدة تحت صيغ جديدة مراوغة (الأرض مقابل السلام ومحادثات ثنائية ومتعددة وموازية) أي بالشروط الإسرائيلية التي كانت مرفوضة من قبل العرب قبل عام 1991 فإن الاحتلال الجديد للعراق قد خلق واقعاً مأساوياً أكثر. واقعاً يجعل من الصعب على المعارضين (السوريين واللبنانيين والفلسطينيين) أن يرفضوا ما يمكن أن تفرضه أمريكا.

إن أي مراقب للأمور لابد أن يتوقع من أن العرب والفلسطينيين بعد احتلال العراق سيكونون مرغمين على تقديم تنازلات جديدة ما كان لهم أن يقدموها قبل احتلاله.

أن أي حديث عن سلام عادل أو عن الدخول في أية مفاوضات في ظل حكومة شارون

وفي ظل الاحتلال الأمريكي للعراق. لن تكون إلا خضوعاً لاملاءات القوة العسكرية الانكلوصهيونية سواء في العراق أو في إسرائيل التي تمتلك أحدث الأسلحة وأفتكها بما فيها القنابل الذرية وما على شعوب المنطقة إلا قبول مواقف حكوماتها والتكيف مع الواقع الجديد والخضوع للمطالب التي سوف يرسلها شارون مباشرة أو عن طريق بوش كي يتجنبوا ما حل بالعراق من دمار.

إن الأحمق فقط هو الذي يمكن أن يتوهم أن المسألة مسألة نظرية إنها مسألة عملية يراد حسمها لمصلحة المشروع الصهيوني الليكودي الشاروني وأن زاوية الرؤية التي نرى فيها الأمور سوف تجعلنا نسير بشكل مستقيم أو بشكل منحرف.

3ـ بعد آخر لاحتلال العراق

يذكر د. أنيس صايغ(*) (**كتب قس بريطاني في عام 1917 أن العراق هو مجرى انهار النفط الثمين وفلسطين هي مركز تصديره إلى أوروبا أما الأردن فستكون طريقاً لتمرير أنابيب نقل النفط**) من المؤسف أن مثل هذه الرؤية التي طرحها هذا القس لم تستدع انتباه الكتاب والباحثين مع أن هذه الرؤية البسيطة كانت القوة المحركة للسياسة البريطانية والدولية قبل وخلال فترة الحرب العالمية الأولى وما بعدها.

لقد عمل الإنكليز منذ اكتشاف النفط في العراق وايران على خلق قواعد لهم في الخليج العربي ثم عملوا كل جهدهم على احتلال العراق والأردن وفلسطين خلال الحرب العالمية الأولى من أجل تنفيذ هذه الغاية الاستراتيجية الكبيرة وكما نعرف فإنهم تركوا حلفائهم الفرنسيين يقاتلون الألمان (حيث قتل من الفرنسيين مليون ونصف مليون جندي في واترلو) واتجهوا صوب العراق وفلسطين من أجل احتلالهما تنفيذاً لهذه الخطة وكما يعرف الجميع فإن بريطانيا حرصت خلال الفترة اللاحقة الإبقاء على احتلالها لهذه البلدان الثلاثة من أجل هذه الغاية ثم وضعت حكومات عميلة لها في العراق والأردن.

وكما استخدموا الإنكليز من أجل الاستيلاء على فلسطين يستخدمون اليوم الأمريكان من أجل تدمير العراق تهيئة لتحويل مشروع القس الإنكليزي من مشروع لبريطانيا العظمى إلى مشروع لإسرائيل الكبرى فبعد أن حققوا القسم الأول من المشروع الذي تحدث عنه ذلك القس بتلك السهولة بدأوا اليوم بتنفيذ القسم الثاني.

4ـ بعد رابع لاحتلال العراق

يعرف الجميع أن العراق كان بالإضافة إلى شبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص والبحرين وليبيا وأوغندا وموزمبيق والارجنتين من الدول التي طرحت بعد المؤتمر الصهيوني الأول (الذي ثبت فكرة ضرورة أن يكون لليهود دولة قومية خاصة بهم أسوة بجميع أمم وشعوب الأرض)

(*) د. أنيس صايغ (الهاشميون والثورة العربية الكبرى) ص172

كما يعرف الجميع أن الصهاينة يعتبرون العراق هو الموطن الأصلي والأساسي لهم منذ حوالي أربعة آلاف عام. حيث هاجر الجد الأصلي لنا ولهم سيدنا إبراهيم الخليل وحيث قام اليهود بهجرة ثانية من العراق إلى أرض فلسطين وثالثة من مصر إلى فلسطين لذلك فإن الدعوة لعودة اليهود إلى العراق موطنهم الأصلي تكتسب بعداً تاريخياً وايديولوجيا سوف يجد لدى عدد كبير من اليهود والمتهودين والمتصهينين من يؤمن به ويصدقه ويدعو إليه أنه إذا كان لليهود (استناداً للتوراة وكتب التاريخ المنبثقة عنها) حق في أن يكون لهم دولة فيفترض أن تكون هذه الدولة في العراق استناداً لحقائق تاريخية كثيرة وليس في فلسطين حيث أن فلسطين لم تكن في يوم من الأيام موطناً أصلياً أو دائماً لليهود فإذا كانت الدعوة لإقامة هذه الدولة في فلسطين لا تستند إلى أسس تاريخية أو حقوقية أو ايديولوجية بقدر ما تستند إلى رؤية سياسية ومصالح اقتصادية سياسية لا علاقة لها بالتاريخ والايديولوجيا والدين فإن الذي منع الصهاينة من طرح فكرة العودة وإقامة دولة في العراق لم يكن بسبب أن الحضارة السومرية والاكادية والبابلية كانت أسبق بل لأن إقامة هذه الدولة وتوسيعها إلى العراق ومصر سوف تأتي لاحقاً.

أما الذي منع اليهود من اتخاذ مصر أو سيناء موطناً لإقامة دولة لهم فليس بسبب أن الحضارة الفرعونية كانت أسبق فالجميع يعرفون أن الحضارة اليبوسية والكنعانية كانت أسبق من الوجود اليهودي وأن الأقوام العربية التي سكنت فلسطين منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم كانت أقدم من الأقوام العربية التي سكنت العراق ومصر بل أن ما جعلهم يركزون على فلسطين هو قلة سكانها فقد كان من المستحيل عليهم إخراج سكان العراق أو مصر لإقامة دولة لليهود عليها في تلك الأزمنة والظروف لذلك روج الصهاينة لفكرة أن تكون فلسطين في البداية مجرد قاعدة للصهيونية (تستطيع الانطلاق منها لاحقاً لاحتلال مصر والعراق) ومع أنهم في البداية لاقوا معارضة أقسام كبيرة من اليهود والأوروبيين إلا أنهم بعد الفوائد الجمة التي حصلوا عليها من احتلال فلسطين وبعد نجاح مشروعهم أصبح من الممكن ومن السهل جداً الترويج لفكرة أن تعود العراق لهم باعتبارها تشكل الموطن الأصلي لهم وسوف نجد أن غالبية المسيحيين في العالم الغربي يؤيدونهم في هذا المسعى.

أن هذه الفكرة تبدو خيالية اليوم لكن من كان يتصور في بداية القرن العشرين أن فلسطين ستتحول بعد ثلاثين سنة من احتلال الإنكليز لها إلى دولة لليهود أو أن العرب والفلسطينيين أصحابها الأصليين سوف يعترفون بحقها في الوجود وفي أن تبقى وتدوم وأن يتراكض الجميع للحفاظ على أمنها وأمن مستوطنيها وتوسعها إننا قد نكون اليوم في بداية الطريق نحو تهويد العراق والمنطقة وتحويلها إلى محمية إسرائيلية.

من المفيد أن نذكر مواطنينا العرب بأن غالبية الأمريكيين والأوربيين وسكان العالم الثالث (الجهلة) لا يعرفون أصلاً أين تقع أرض الميعاد ولا يعرفون موقع فلسطين على الخارطة ولا أي شيء عن حدودها أو تاريخها وأن غالبيتهم تعرف فقط أن أرض الميعاد هي الأرض الواقعة بين الفرات والنيل ولن يكون من الصعب عليهم تقبل أن تمتد حدود

هذه الدولة من الفرات إلى النيل.

تبدو المسألة في نظر الكثيرين نوعاً من الخيال الجامح فالمسألة ليست في اتساع الرقعة ولا في كثرة السكان. فمساحة الهند أكبر من مساحة هذه المنطقة وعدد سكانها يزيدون عن مليار إنسان ومع ذلك استطاع أقل من مليون مستوطن وجندي بريطاني حكمها مئات السنين واستطاعوا حتى الآن إبقاءها ملحقة بالتاج والكومنولث البريطاني وإذا ما طالب اليهود بعد سنوات قليلة في أن تعود مكة والمدينة لحكمهم باعتبار أنهم كانوا موجودين فيها قبل نشوء الإسلام (بنو قريظة والقينقاع وفي حصن خيبر) فإن هذا يجب أن لا يكون مدعاة للاستغراب. (*)

فما دام احتلال الانكليز فلسطين أدى إلى زرع إسرائيل وما دامت القوة العسكرية هي التي أبقتها في المنطقة وأدت إلى احتلال سيناء عام 67 وإلى إجبار المصريين (مقابل استعادة سيناء) قبول تقديم مصر كلها إليهم وفتح أبوابها للهيمنة الإسرائيلية وأن تمتد بالتالي دولة إسرائيل فعلياً إلى النيل وإلى ما هو أبعد منه إلى السودان وليبيا والمغرب العربي فإن احتلال العراق اليوم سوف يشكل نقطة انطلاق نحو النقلة النوعية الثالثة في تحقيق مشروع إسرائيل العظمى وليس الكبرى مما يعني أن الاحتلال الانكلوسكوني للعراق اليوم سيكون تمهيداً لانتقال المشروع الصهيوني إلى المرحلة الثالثة. يقول الكاتب الأمريكي ديفيد ديوك (**أن شعار إسرائيل من الفرات إلى النيل ليس ثرثرة كلامية فارغة إن هذا يتم الترويج له يومياً في جميع الدوائر اليهودية والأمريكية ويتم العمل من أجل تنفيذ هذا المشروع فعلاً**). إن الاحتلال غير المباشر والهيمنة السياسية والفكرية والاقتصادية على مقدرات وعقول ونفوس شعوب المنطقة قد تحققت بمقدار ما وقد تكون هي الطريقة الأحدث والأفضل والأرخص من الاحتلال العسكري المباشر.

إن إقامة سلام مع إسرائيل وفتح هذه البلاد للصهاينة سوف تحقق لهم أكثر من نهب خيرات المنطقة واستعباد شعوبها وطاقاتهم لأنها ستكون المركز القائد والموجه والمنظم للمنطقة إدارياً وعلمياً وثقافياً وتكنولوجياً وفنياً وسياسياً واقتصادياً وأخلاقياً وروحياً.

إذا كانت القيادة التي تتحدث باسم الفلسطينيون بعد أقل من ربع قرن على طردهم من بلادهم بغير وجه حق قبلت التخلي عن حقهم في فلسطين وأصبح أعضاؤها يلهثون وراء أن تكون لهم دويلة ولو على أقل من 10٪ من مساحة وطنهم الأصلي وبأن يكونوا عبيداً لأبناء عمومتهم وإذا كان المصريون بعد أحد عشر عاماً على احتلال إسرائيل لسيناء قبلوا أن يفتحوا مصر كلها لهم. فليس من المستبعد أن يقبل العراقيون الأمر ذاته أيضاً بعد عشر سنوات أو أقل أو أكثر لسبب بسيط جداً هو أن العين لا تقاوم المخرز ولأن القوة النووية والعسكرية المرعبة لا يمكن أن تقاوم بالحجارة ولأن العمليات الاستشهادية تؤلب العالم

(*) **قد يبدو هذا نوعاً من الخيال، غير القابل للتحقق، وإن التخوف من تحقيقه والعمل على تلافي تحققه منذ اليوم سيكون أفضل من النوم على الماء التي تجري من تحتنا.**

علينا ولأنها تبدو لهم جريمة وإرهاباً ضد المدنيين الإسرائيلين أو لأننا ضعفاء أو لأنه لا أحد يساعدنا أو يقف معنا أو لأنه لا حول لنا ولا قوة ولأننا شعوب فقيرة مستعبدة ومذلة ومهانة لا تستحق إلا العطف والشفقة وربما البكاء!!.

5ـ بعد خامس لاحتلال العراق

إذا كان اليهود من خلال تحكمهم بالأسواق المالية في لندن ونيويورك وواشنطن استطاعوا أن يحولوا الإنكليز والأمريكان ساسة وشعوباً إلى عبيد لهم وإلى أدوات يوجهونها كيفما يشاؤون فإنهم إذا ما أحكموا السيطرة على العراق وعلى المنطقة الممتدة من الفرات إلى النيل والتي تحتوي أكثر من ثلث النفط العالمي وأكثر من ثلثي احتياطي النفط في العالم فإنهم سيتحكمون بمصير العالم كله.

لقد تعلم الروس وشعوب الاتحاد السوفيتي السابق ونخبهم السياسية بعد خمس وثلاثين سنة من دعمهم للعرب دروساً قاسية «أن من يقف في وجه اليهود ويعارضهم لن يكون مصيره إلا الدمار والخزي والعار لذلك لا يستبعد أن يجنب الصينيون أنفسهم سلفاً التجربة المرة التي مر بها إخوانهم السوفييت مع العرب فلن يكون من المستبعد بعد أقل من عشر سنوات أن يتحول المارد الصيني إلى قزم ولا يستبعد أن يركع إخواننا الألمان الذين يعتزون بآريتهم وتكنولوجيتهم المتقدمة ولا يستبعد أن يركع الفرنسيون الذين يفتخرون بثقافتهم وحريتهم الفكرية التي لن يكون لحدودها قرار إلا الرضوخ لتعاليم التلمود.

بما أن معذبي الأرض يائسون
لدرجة أنهم لم يعودوا يخشون أن يموتوا بشرف
تحت نيران الشيطان الأكبر.
لذلك فإن علينا أن نستبق الأمور
ونعمل على سحقهم سلفاً
قبل أن يفكروا بالموت بشرف ضدنا

«ريتشارد بيرل»

الباب الثاني

الأنكلوصهيونية



الفصل الأول

إشكالية العلاقة بين الإمبريالية ورأس الـمال اليهودي

لا يملك المرء مهما بلغت درجة سذاجته إلا أن يصاب بالدهشة والاستغراب وهو يقرأ ما كتب عن الإمبريالية (في مئات الكتب سواء المدرسية أو الجامعية أو في الصحف أو المجلات أو الكتب العلمية الصارمة) حيث لا يعثر على كلمة واحدة تتحدث عن الصهيونية أو عن دور رأس المال المالي اليهودي أو عن دور اليهود في نشوء الإمبريالية وهيمنتهم عليها رغم أنهم يكثرون من الحديث عن دور اليهود في نشوء الرأسمالية والثورتين الفرنسية والروسية.

إذا كان رأس المال لا يعرف وطناً أو ديناً أو قومية فلماذا تتم الإشارة إلى رأس المال الإنكليزي أو الأمريكي أو العربي بالاسم وباعتباره كذلك بينما يتم تجاهل رأس المال اليهودي خاصة في الاحتكارات فوق القومية أو العابرة للقارات أولا يشار إليه إطلاقاً؟، إذا كان رأس المال لا يعرف وطناً ولا ديناً ولا قومية فإن هذا ينطبق بشكل خاص على رأس المال العابر للقارات وبصورة أكثر تحديداً على رأس المال المالي اليهودي باعتبار أن رأس المال اليهودي هو الوحيد الموجود في جميع القارات والبلدان. وإذا كان رأس المال كذلك فإن هذا ينطبق على رأس المال اليهودي بالذات لأن المصرفي اليهودي لا يرتبط بأي دين أو قومية أو وطن ولا يرتبط إلا بالمال ولا يعبد ويقدس إلا المال.

يشير هذا إلى أن هناك مؤامرة من الصمت البحثي ترمي إلى إخفاء الدور الحقيقي الذي مارسه وما زال يمارسه رأس المال اليهودي على اقتصاديات وسياسات البلدان الإمبريالية.

ما يعرفه الكثير من الكتاب والباحثين العرب أنه مع نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح مجرد ذكر اسم اليهود واليهودية أو الصهيونية أو الإشارة أو التلميح إليهم في أي كتاب غربي أو صحيفة سواء في فرنسا أو في أمريكا أو روسيا وبصورة خاصة في ألمانيا والنمسا سيعرض الكاتب للمشاكل حيث يبدأ اليهود بتوجيه التهم له بالعنصرية أو النازية والفاشية أو العداء لليهود، ثم تحل عليه اللعنات من كل حدب وصوب وقد يفقد وظيفته وقد يقتل، لذلك فإن الباحثين والكتاب الغربيين بدأوا يتجنبون الإشارة إلى اليهود أو إلى رأسمالهم أودوره ودورهم بل ويتحاشون التطرق إلى وجود رأسمال يهودي متنفذ داخل أمريكا أو فرنسا أو غيرها كي لا يتهموا بالعنصرية ومعاداة اليهود بل راحوا يتحدثون فقط عن رأس مال أمريكي أو ألماني فقط، إننا نتفهم موقف هؤلاء الكتاب والباحثين ونعرف الأسباب التي تمنعهم من أية إشارة أو تلميح لليهود فلقد تشكلت لديهم رقابة داخلية أقوى

من الرقابة الخارجية تمنعهم من ذكر اليهود بالاسم خاصة في أقذر عملية جرت في التاريخ وأقصد (الاحتكار) والتي تحاربها جميع الأديان. أما أن ينهج كتابنا العرب والمتمركسون النهج ذاته بحجة العلمية والموضوعية ودقة الترجمة لما ينقلونه عن الكتاب الغربيين أو الشرقيين فلا يكتشفون من بين الأسطر ما يدل على الرأسمال اليهودي فإن الأمر يدل على الغفلة وعدم القدرة على قراءة ما خلف أو ما بين السطور.

إذا كان صحيحاً أن رأس المال لا يقيم أي وزن أو اعتبار للأخلاق والشرف والمبادئ والمثل العليا وأنه يتحرك وفقاً لقوانينه الخاصة، فإن هذا ينطبق أكثر ما ينطبق على رأس المال المالي الاحتكاري لليهود.

إن ما يدعو للاستغراب أن تتم الإشارة إلى الرأسمال الإنكليزي أو الألماني أو الأمريكي وإلى الدور الخطير الذي مارسه أو يمارسه على اقتصادياتنا وبلادنا ولا تتم الإشارة إلى رأس المال اليهودي والصهيوني الذي يستهدفنا أكثر من سوانا ومن الملفت للنظر أن كثيراً من المنظرين عندما يتصدون لمسألة الإمبريالية والاستعمار والاحتكار فإنهم يسقطون دفعة واحدة إي إشارة إلى اليهود والصهيونية ويظهرونها كما لو كانت مجرد حركة سياسية صغيرة طافية على السطح منعزلة تابعة للإمبريالية المتوحشة والعملاقة وأنها بالتالي لا تستحق إلا الشفقة والرثاء باعتبارها ليست إلا اداة وقاعدة لتلقي الضربات من الوحوش والإرهابيين العرب والمسلمين وحين يتم البحث عن الدور الذي مارسه اليهود في نشوء الكولونيالية والإمبريالية فإن هؤلاء الباحثين يصمتون. لقد سعى سومبارت أن يسقط الدور الذي لعبه اليهود في نشوء الكولونيالية والإمبريالية على مرحلة نشوء الرأسمالية التي لم يكن لهم دور فعلي فيها وذلك لإخفاء الدور اللاحق لهم أو للتخفيف من آثاره، إن سومبارت عندما يقول إن انتشار اليهود في جميع أصقاع الأرض جعلهم يكونون شبكة تجارية ضخمة ومتواصلة ومتماثلة ومتحدة ومتشابكة. وجعلهم يعطون للعلاقات التجارية الرأسمالية طابعها الدولي والعولمي. فإنما يخلط بين عملتين مختلفتين ومتباعدتين فإذا كان لهم دور في تحول الرأسمالية الاحتكارية إلى الإمبريالية، ونشوء الاحتكارات فوق القومية التي أصبحت عالمية فإن دورهم في نشوء الرأسمالية التي استغرقت ثلاثة قرون كان محدوداً إن لم يكن معدوماً وهذا ما تظهره الحقائق التاريخية التي سنأتي على ذكرها لاحقاً.

المستغرب فعلاً أن يتم الصمت عن دور الحركة الصهيونية في تحول الرأسمالية إلى الاحنكار ثم إلى الامبريالية مع أنها أصبحت مع بداية القرن العشرين حركة عالمية واسعة الانتشار والتأثير ولا تقل خطراً عن الإمبريالية حتى لو كانت فرعاً منها وإذا كان الهجوم يجب أن يتركز على الأصل فإن هذا لا يبرر السكوت عن الدور الخطير الذي مارسه الفرع.

إذا كان الفكر الماركسي قد أعطى لاكتشاف الأدوات تلك الأهمية الحاسمة في تطور القوى الإنتاجية. وإذا كان النقد والمال قد مارس دوراً خطيراً في نشوء الإمبريالية وفي السياسة العالمية، وإذا كان اليهود لا يشكلون إلا مجرد أداة فلماذا يتم تجاهل أن هذه الأداة

وهذه الأموال قد لعبت وتلعب الدور الحاسم في تشويه تطور النظام الرأسمالي وتحوله إلى الإمبريالية؟

لماذا يتم تجاهل الدور الخطير الذي مارسه النقد (ورأس المال المالي الاحتكاري لليهود في العالم؟) وإذا كان الأمر مجرد ضعف في التحليل والرؤية فإن من واجب الشرفاء أن يظهروا للعالم هذا الدور الذي مارسه رأس المال المالي لليهود وإبرازه ليس لتحويله إلى شبح مخيف ولكن من أجل فضح دوره وتعريته ومن أجل فضح السياسة الإمبريالية المماثلة للصهيونية.

أولاً- نشوء الصهيونية:

من أخطر الأفكار رواجاً وهيمنة على الرأي العام في بلادنا العربية والإسلامية ذلك الرأي القائل أن الحركة الصهيونية هي وليدة الحضارة الرأسمالية الغربية وأداة من أدواتها وأن الاستعمار الأوروبي وخاصة الإنكليزي هو الذي أنشأ وبلور الفكرة الصهيونية ووظف معتقداتهم وحركتهم من أجل إقناعهم بالعودة إلى فلسطين لاستخدامهم سياسياً وعسكرياً من أجل تحقيق المصالح الإنكليزية ثم الأمريكية في المنطقة التي عجزت الحروب الصليبية عن تأمينها واستمرارها وأن اليهود هم مجرد ألعوبة مع أنهم كانوا أسياداً للإمبراطوريات الكبيرة يعلنون دوماً «**أن الحركة الصهيونية لو لم تكن موجودة لابتدعتها وخلقتها بريطانيا**» [*].«**لو لم تكن موجودة**» تؤكد بشكل غير مباشر أنها كانت موجودة قبل أن تبتدعها بريطانيا.

ربما يكون الحق مع المسيري [**] وسواه من الكتاب في الزعم بأن الصهيونية هي دعوة غربية للتخلص من اليهود ومن شرورهم في أوروبا عن طريق إعادتهم إلى موطنهم الأصلي الذي جاءوا منه بسبب وجود نزعة معادية لليهود في أوروبا، يرى المسيري وسواه أن أهم ما جاءت البروتستانتية من أجله هو تحقيق النبوءات التوراتية المتعلقة بنهاية الزمان وعودة المسيح وتجمع اليهود في القدس.

1- قد يكون صحيحاً أن البروتستانتية عكست في البداية محاولة لاستيعاب اليهود ثم في مرحلة لاحقة رفضاً لهم ثم ساورتها رغبة في التخلص منهم ومن شرورهم في ألمانيا وأوروبا لكن البروتستانتية لم تكن أبداً من صنع اليهود أو بتأثيرهم بل لأسباب أخرى بعيدة كل البعد عن فكرة العودة والخلاص التي نجمت عنها فيما بعد، كما يؤكد على ذلك المسيري نفسه.

لقد اعتقد مارتن لوثر أن العودة للتوراة تسهل على اليهود دخول المسيحية لكنه اكتشف لاحقاً إن يهوديتهم هي أقوى لذلك طالب فيما بعد بطردهم واعتبرهم ديدان

(*) قلما تجد كتاباً يتحدث عن الحركة الصهيونية وإسرائيل إلا وتجد فيه ذكراً لهذا القول الذي ذكره احد هاعآم في بداية القرن الماضي.

(**) المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.

وحشرات مؤذية. إن هذه الفكرة التي يستند إليها كثير من المنظرين، تقوم على ترسيخ الفكرة الصهيونية لتبرير تمسك اليهود بيهوديتهم وصهيونيتهم فهم إذ يؤكدون على أن الشعوب الأوروبية وحضارتهم لم ولن تتخلص من روح العداء للسامية ومن البربرية فإنهم يبررون تمسك اليهود بيهوديتهم وصهيونيتهم، كما أن الصهاينة عندما يؤكدون استمرار العداء للسامية ويجعلون من هذا العداء أمراً مستحكماً في الحضارة الغربية وفي البشرية جمعاء إنما يستخدمون هذا الأمر لتبرير صهيونية اليهود وعنصريتهم وانعزالهم.

إن الزعم بأن الصهيونية هي بالأساس دعوة غربية للتخلص من اليهود أو لاستخدامهم كأداة غير مقنعة. لأن كثيراً من الحكام الأوروبيين كانوا وما زالوا يتمسكون باليهود ويعتمدون عليهم ويرحبون بقدومهم إلى بلادهم مثلما فعل كرومويل وسواه ويفرشون لهم الورود ويعاملونهم بكثير من التفضيل والاحترام.

2ـ لا يمكن تجاهل وجود رغبة لدى كثير من الأوروبيين للتخلص من بعض اليهود أو من معظمهم وأن هناك رغبة مماثلة في استخدامهم كأدوات لهم، لكن هذه الرغبة أو تلك لم تكن هي في الأصل وراء إنشاء اليهود للفكرة الصهيونية، ذلك لأن اليهود لا يمكن أن يسيروا وفق مشيئة الآخرين الذين يخضعون لهم، وباعتبار أن الصهيونية كانت قد برزت في أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر عندما بدأت المسألة اليهودية تنحل ذاتياً (من خلال حصول اليهود على المساواة في الحقوق منذ الثورة الفرنسية)، بينما لم تبرز الصهيونية في بداية القرن ذاته عندما كانت هناك رغبة في طرد اليهود من أوروبا أوعندما ظهرت البروتستانية قبل أربعمائة سنة، فقد خفت القرن التاسع عشر حدة العداء لليهود وأصبح من غير المعقول أن يسعى الأوروبيون إلى طردهم أو التقليل من أعدادهم في الوقت الذي قامت فيه كثير من الدول بسن القوانين من أجل إبقائهم ودمجهم في البلاد التي يعيشون فيها بعد نالوا حقوق المواطنة من خلال إعطائهم هذه الحقوق كما حصل في فرنسا بعد عام 1791، أو كما حصل في ألمانيا بعد عام 1823، أو كما حصل في بريطانيا بعد عام 1831، وهكذا فإن هذا الكلام يحمل مغالطات مركبة لا يقبلها العقل.

إن الصهيونية على العكس من ذلك، جاءت رداً معاكساً لعملية الإندماج على يد حاخامات ومصرفيي اليهود وليس على يد الأوروبيين كما يتوهم البعض للتخلص منهم أو من أجل الحيلولة دون دمجهم وتحريرهم، (تلك العملية التي أفرزتها حركة التنوير والثورات الأوروبية) بعد أن أخذت عملية الاندماج (التي بدأت قبل مئة سنة) تعطي ثمارها في أوروبا، فالصهيونية إذن هي حركة يهودية عنصرية خالصة مضادة للاندماج ومضادة للتنوير والرأسمالية معاكسة لحركة التاريخ والتقدم التي أصابت أوروبا في ذلك العصر وهي تتناقض مع مسار الحضارة الأوروبية التقدمي.

3ـ يرى ماركس **«أن اليهودية تحتوي على عنصر مناهض للمجتمع عام وراهن. عنصر دفع به التطور التاريخي الذي شارك فيه اليهود. تمت هذه العلاقة السيئة بمشاركة نشيطة دفعت التطور إلى ذروته في الزمن الحاضر، إلى ارتفاع لا يستطيع بعده إلا أن يتفكك**

وينحل» (*) بعد أن اعترف اليهودي بعبث جوهره العملي أخذ يسعى إلى حذف هذا الجوهر عن طريق الانعتاق الروحي والاندماج العملي في التيار الإنساني العام. لكن المشكلة هي أن هذا الانعتاق قد تم بطريقة يهودية حيث تحول المجتمع كله إلى مجتمع يهودي، إلى مجتمع يعبد المال ويقدسه. لذلك فلقد حافظ اليهودي في ظل هذا الانعتاق على يهوديته وأخذ يعتز بها ولم يتحرر منها وهولن يتحرر منها إلا إذا تحرر المجتمع كله من اليهودية ومن عبادة المال».

هذا التحرر لن يتحقق إلا من خلال الاشتراكية، حسب وجهة نظر ماركس التي تقوم على إلغاء عبادة المال وسيطرته على البشر.

المشكلة في نهاية القرن التاسع عشر لم تكن مسألة طرد لليهود بل مسألة أن انعتاق اليهود قد تمّ بطريقة يهودية مما جعل اليهودي يحافظ على يهوديته ويتمسك بها. ويشعر بالتفوق على جميع أصحاب الأديان والمذاهب الأخرى وهكذا جاءت الصهيونية كتجسيد لهذا الشعور بالتفوق والانعتاق الحقوقي بطريقة يهودية وجعلت اليهودي أكثر تمسكاً بيهوديته واعتزازاً بها.

وإذا كان صحيحاً أن قسماً كبيراً من الرأسماليين اليهود الصغار وجدوا في الرأسمالية ضالتهم المنشودة لأنها تتيح لهم الدخول في نشاطات لم يكن مسموحاً لهم بها من قبل، ولأن كثيراً من فقراء اليهود وعمالهم وباعتهم المتجولين والمنبوذين والمثقفين وجدوا في المساواة مخرجاً لهم وخطوة إيجابية يجب الدفاع عنها إلا أن القسم الأكبر من كبار الرأسماليين وأصحاب رؤوس الأموال، وكذلك الحاخامات بدأوا يفقدون هيمنتهم على أبناء دينهم أوتضعف من مواقعهم في المجتمع ككل. لذلك وجدوا في هذه المساواة وفي هذا الاندماج في المجتمع الرأسمالي وفي الثورة البرجوازية والتنوير والرأسمالية خطراً عليهم وعلى مصالحهم وعلى أفكارهم.

فوجدوا أن الطريقة المثلى للحفاظ على وضعهم وسيطرتهم ونفوذهم إنما تتم من خلال العودة للتمسك بيهوديتهم وفي العودة إلى الانعزال والتقوقع على الذات بحجة معاداة السامية وفي التفوق والتميز وأسطورة الشعب المختار. وكما حصل في التاريخ السابق كله فإن المرابين اليهود وحاخاماتهم لم يتمكنوا من الحفاظ على نفوذهم إلا من خلال الانغلاق والدعوة إلى الحفاظ على التميز والانفراد والتفوق، أومن خلال الزعم بأن هناك حركة لافظة أو معادية لهم.

من هنا فإن الحركة الصهيونية لم تكن لا حركة رأسمالية ولا برجوازية ولا تنويرية ولا قومية بل حركة يهودية مضادة للرأسمالية والثورة البرجوازية ولحركة التنوير، حركة رجعية مغرقة في الرجعية والظلام، بل أنها أشد الحركات الفكرية والسياسية إغراقاً في العنصرية والرجعية والظلامية في العالم.

(*) ماركس، كارل. باور، برولو (المسألة اليهودية) ترجمة الياس مرقص.

هذه الحركة قام بها، ومولها كبار الرأسماليين اليهود بتحالف مع بعض رجال الدين والكهنوت ثم رحب بها الإمبرياليون والرجعيون في أوروبا لاحتواء الفئات التي لم تتمكن من الاندماج أو التي تحولت إلى بروليتاريا ثورية ودفعها إلى الخارج لتنفيذ المشروع الصهيوني.

من هنا فإن الصهيونية لم تكن حركة غريبة بل إنها حركة قام بها كبار الرأسماليين اليهود المتحالفين مع رجال الدين والكهنوت لمنع اليهود من الإندماج، ولاحتواء الفئات التي رفضت الاندماج أو التي لم تجد لها موطئ قدم في عملية المساواة على الطريقة الرأسمالية التي كانت تقذف بأعداد هائلة من اليهود وسواهم إلى الشارع وتحولهم إلى بروليتاريا رثة أو بروليتاريا ثورية، وبدلاً من أن يرفدوا صفوف الحركات الثورية المتصاعدة في أوروبا بعناصر جديدة مناهضة للرأسمالية جرى إنشاء حركة تعمل على إبقائهم يهوداً منعزلين وتحويلهم إلى أدوات لتنفيذ أغراضهم الخاصة، وهكذا نشأت الحركة الصهيونية. أولاً لمنع اندماج اليهود وللحفاظ على يهوديتهم وللحيلولة ثانياً دون تحولهم إلى قوى ثورية مناهضة للرأسمالية واليهودية. ثم تحويلهم ثالثاً بدلاً من ذلك إلى جيش مقاتل وغاز يقوم باحتلال واستيطان مناطق جديدة من العالم كما فعل الأوروبيون خلال استيطانهم أمريكا أو استراليا أو جنوب إفريقيا خدمة لأغراضهم الخاصة وأسوة بما فعله الإنكليز والفرنسيون والألمان في استعمار العالم.

تتفق وجهة النظر هذه مع الرؤية التي طرحها ابرهام ليون(*) بقوله:

«إن نظرية سومبارت التي نسبت لليهود دوراً مرجحاً في التطور الرأسمالي ليست بنظرية علمية إذ لم يكن تطور ونشوء الرأسمالية الحديثة إلا شؤماً على الوضع الاجتماعي للمرابين والحاخامات اليهود الذين كانوا يمثلون رأسمالية بدائية تجارية وربوية»، لذلك فإن ليون يرى أن الصهيونية هي حركة ضد انعتاق اليهود وتذويبهم لإبقائهم محافظين على النمط الربوي، ولإجبار الرأسمال اليهودي على أن يظل يهودياً ولمنعه من الانحلال».

ويرى ليون ص27 «إذا كانت الرأسمالية قد وضعت أسس حل المسألة اليهودية بما أحدثته من دمج لليهود لكنها (أي الرأسمالية) بسبب طابعها المتناقض الذي يؤدي إلى خلق طبقات فقيرة أدى إلى مفاقمة الأزمة الرأسمالية والأزمة اليهودية لليهود المطرودين من مراكزهم في العهد الإقطاعي، وبما أن عملية الرسملة كانت تلفظ العناصر اليهودية غير المترسملة، فلقد نمت لدى الطبقات الوسطى الأوروبية أيضاً لا سامية استقطبت الجماهير الغاضبة والرافضة لوضعها فحولت حقدها على اليهود».

حسب وجهة نظر ليون فإن الصهيونية **«تجد جذورها في النزعة الرجعية المناهضة للحضارة والمجتمع المتأصلة لدى المرابين والمصرفيين اليهود أولاً ثم كردة فعل على الوضع الذي آل إليه وضع اليهود نتيجة لانهيار النظم الإقطاعية وثانياً لإخراج الرأسمالية**

(*) ليون، ابراهام (الجذور المادية للمسألة اليهودية) ص26

المنحطة من أزمتها وثالثاً كما يرى ليون فأن سعي هذه الحركة لإقامة دولة يهودية في فلسطين لن تساعد على حل المشكلة اليهودية أو مشكلة يهود الشتات بل على العكس ستفاقمها وتزيد من كراهية الأوروبيين والعرب لهم. وبالتالي فإن آلام اليهود لن تزول بانعزالهم بل أنها سوف تزداد حتى لو أعادوا بناء الهيكل فإنه سيهدم مرة ثالثة».

نقطة أخيرة لا بد من الإشارة إليها يوردها المسيري في موسوعته العظيمة كما أشار إليها الكثير من المؤرخين الأوروبيين والروس. فهو يرى أن الحقوق التي حصل عليها اليهود في أغلب بلدان أوروبا الغربية دفعت يهود أوروبا الوسطى والشرقية وروسيا إلى الهجرة إلى بلدان أوروبا الغربية وخاصة إلى بريطانيا وبما أن غالبية هؤلاء المهاجرين كانوا من الحثالة الرثة والفقيرة فإن تزايد عددهم خلق أو أنه سيخلق ردة فعل لدى الأوروبيين الغربيين خاصة الإنكليز ليس ضد اليهود المهاجرين فقط بل ضد اليهود بصورة عامة اليهود المقيمين والمتنفذين في بريطانيا بصورة خاصة مما أضر وسيضر بالمراكز والمصالح التي كسبها الرأسماليون اليهود خلال قرون طويلة. لذلك وجد هؤلاء الأثرياء من اليهود وعلى الأخص آل روتشيلد أنه من الأفضل لهم أن يحولوا هذه الهجرة اليهودية القادمة من أوروبا الوسطى والشرقية باتجاه فلسطين بدلاً من توجيهها نحو بريطانيا. وهكذا كان لا بد من إحياء فكرة الخلاص النائمة وفكرة العودة إلى أرض الميعاد والأجداد تلك الفكرة التي كان يرفضها أغلب الحاخامات (لأنها لن تتحقق إلا عندما يشاء الله) من أجل دفع هؤلاء اليهود قسراً باتجاه فلسطين لاستعمارها وللهيمنة لاحقاً على كل المنطقة الممتدة من الفرات إلى النيل. والقضية لم تكن تكلفهم إلا القليل جداً من الدريهمات التي دفعت بصحفي تافه يعمل صحفياً في صحيفة تابعة لروتشيلد للترويج لهذه الأفكار إضافة إلى بعض الكتاب والمنظرين والمؤرخين الغربيين الذين قذفت بهم الرأسمالية إلى الحضيض. ودفع بضع جنيهات لمدعي كاذب ليلفق تهمة التجسس للضابط اليهودي الفرنسي دريفوس لاستثارة روح العداء لليهود، وشيئاً من أموال روتشيلد لشراء أراضي الاقطاعيين السوريين واللبنانيين من آل سرسق. لإيواء هؤلاء المهاجرين من بولونيا ورومانيا وأوكرانيا في فلسطين بدلاً من بريطانيا.

ينتج مما سبق أن الحركة الصهيونية هي أساساً حركة يهودية القلب والقالب، حركة تمثل وتخدم مصالح الرأسماليين الاحتكاريين والمصرفيين اليهود بالذات. حركة رجعية مناهضة للحضارة الغربية وعلى الأخص التنويرية والتقدمية والعلمانية والديمقراطية، حركة معادية للشعوب العربية والشعب الفلسطيني بصورة خاصة ومعادية للاشتراكية كتوجه أساسي وعام. وجد فيها بعض الرأسماليين الإنكليز والأوروبيين والأمريكان. مخرجاً يمكن أن يخلصهم من جزء كبير من البروليتاريا اليهودية وحيث يستطيعون استخدامها لمناهضة الاتحاد السوفيتي والحركة الشيوعية وحركات التحرر الوطني العربية.

من المستحيل على الإمبرياليين والرأسماليين أن يخلقوا لدى اليهود الرغبة في الانعزال والتوجه نحو الصهيونية لو لم تكن روح الانعزال والتفوق والرغبة في الهيمنة قائمة

ومتوفرة بقوة لديهم منذ أكثر من ألفي سنة ثم وجدت في تحول الرأسمالية الإمبريالية فرصة لإحراز مزيد من التقدم والهيمنة والسيطرة. والدليل على ذلك أنه بعد أن طرح كرمويل الفكرة الصهيونية ومن بعده نابليون وشافستبري فإن غالبية اليهود لم يتشجعوا للفكرة الصهيونية حتى بعد أن جرى إنشاؤها، ولم يتحمسوا لها على الإطلاق إلا بعد صعود النازية وبعد النجاحات التي حققها المشروع الصهيوني في فلسطين وما زالت حتى اليوم لا تحرك إلا القلة من اليهود المنبوذين والمهمشين في روسيا وأوروبا وأمريكا مما يؤكد أيضاً أنها ليست حركة شعبية بل حركة تمثل مصلحة القلة من الرأسماليين اليهود المسعورين. والذين قال عنهم ماركس عام 1850 أنهم يقررون مصير أوروبا كلها والذين هم اليوم على الرغم من قلتهم في أميركا يحركون الآلة العسكرية الضخمة للإمبريالية الأمريكية، ويحركون هذا الثور الضخم والهائج الذي اسمه الولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً: نشوء الإمبريالية والاقتصاد الرمزي

لم تكن الرأسمالية الاحتكارية قد ظهرت بعد خلال حياة ماركس وأنجلز حين كانت المنافسة الحرة وحرية التجارة وترك المجال للسوق هي السمات العامة والبارزة للنظام الرأسمالي الصاعد، وقد أوضح ماركس في حينها كذب ما يطلق عليه اسم المنافسة الحرة الي لم تكن حرة في الأساس ومن حيث الجوهر لذلك كان يستخدم تعبير (ضلال المنافسة الحرة). ومع بدايات الثمانينات من القرن التاسع عشر بدأ يتضح أن المنافسة سوف تقود إلى تخفيض الأسعار مما ينجم عنه خفض معدل الربح، ولكي تتلافى الشركات مثل هذه النتيجة لجأت إلى الاتفاق فيما بينها على التوحد لتلافي نقص معدل الربح فشكلت الكارتلات(*) والتروستات(**).

وهنا بدأت تتلاشى المنافسة والسوق الحرة رويداً رويداً وأصبحت التروستات والكارتلات هي التي تحدد نوع وسعر السلعة سلفاً لرفع معدل الربح وهذا ما يطلق عليه اسم الاحتكار، حيث انتقلت أغلب الشركات والدول الرأسمالية إلى ما أطلق عليها هلفردينغ وهوبسون ولينين مصطلح الرأسمالية الاحتكارية.

وقد أوضح هؤلاء أن تصدير رأس المال للحصول على أعلى معدل للربح في المناطق ذات المواد الأولية الرخيصة والأجور المتدنية تعود عليهم بمعدل أعلى من الأرباح وهكذا انتقلت الرأسمالية الاحتكارية إلى مرحلة أخرى أطلق عليها اسم الإمبريالية.

إن مسألة الإمبريالية هي مسألة إشكالية تثير قضايا معقدة وكما يرى بوكار فإنه لا يوجد بين الماركسيين ـ على الأقل ـ اتفاق على نظرية حقيقية للرأسمالية الاحتكارية

(*) الكارتل: اتحاد مؤسستين أو أكثر تقدم أو تنتج كل واحدة منهما مادة أو سلعة تكون أولية بالنسبة للثانية.

(**) التروست: تجمع عدة مؤسسات تنتج مادة أو سلعة واحدة في مؤسسة كبيرة قادرة على ابتلاع ومنافسة المؤسسات والمصانع الصغيرة أو القضاء عليها وتدميرها.

والإمبريالية مقبولة لدى الجميع، هل بدأت الإمبريالية بعد أن انتقلت الرأسمالية إلى الاحتكار والتنافس على الأسواق الخارجية أم أنها بدأت قبل ذلك بزمن طويل؟. فاستعمار الهند مثلاً حدث قبل أن تظهر الرأسمالية الاحتكارية أو الإمبريالية في بريطانيا. كذلك جرى احتلال فرنسا للجزائر والمغرب العربي عام 1830 قبل انتقالها إلى الإمبريالية عام 1880 هل الإمبريالية مرحلة متقدمة للرأسمالية الاحتكارية تهدف إلى توسيع السوق الداخلية للبلدان المستعمرة أو الأقل تقدماً بهدف توفير سوق محلية تستوعب منتجات البلدان الرأسمالية الصناعية المتطورة؟ ويرى (كريستان بالوا)(*) «**أن قدرة الإمبريالية على الانتشار تتوقف على زيادة قدرة الأسواق الداخلية للبلدان الأقل تطوراً على امتصاص وشراء البضائع المصدرة أو على تشغيل رأس المال المصدر**».

ومن هنا فإن البعض يرى أن للرأسمالية وليس للإمبريالية دورٌ تحديثيٌّ وتطويريٌّ للبلدان الأقل تطوراً أو التي لم تدخل بعد في الرأسمالية وهو ما يراه كاوتسكي وماركس نفسه أيضاً(**). بينما نظر بوخارين للإمبريالية من زاوية أنها إعادة إنتاج علاقات الإنتاج الرأسمالية على الصعيد العالمي (عولمة الرأسمالية) بهدف السيطرة على تطور قوى الإنتاج في حيز التشكيلات الاجتماعية الرأسمالية المتطورة.

أما هوبسون فيرى أن الإمبريالية هي نقل للتناقضات الداخلية للإمبريالية إلى الخارج ويؤكد بأنها ليست حتمية، ويمكن تجنبها عن طريق الرأسمالية الرشيدة بينما أكد لينين حتميتها وهي تعكس وصول الرأسمالية إلى مرحلة وصلت فيها التناقضات الداخلية بحيث لم يعد من الممكن أن تنحل إلا من خلال تصديرها إلى الخارج وبالتالي فالإمبريالية هي أعلى مراحل الرأسمالية بحيث لا بد للاشتراكية أن تظهر من خلال عملية توسيع القاعدة الاجتماعية للإنتاج. أو من خلال الثورة الاشتراكية.

هيمنة رأس المال المصرفي:

انطلق هلفردينج من مقولات ماركس حول التعارض بين رأس المال التجاري (المالي) ورأس المال الصناعي فاكتشف أن استراتيجية وهدف الاحتكارات هي رفع معدل الربح عن طريق استراتيجية للأسعار تضعها الاحتكارات نفسها بدلاً من تركها للسوق والمنافسة الحرة، فبدلاً من أن تكون نتيجة تصبح شرطاً وبدلاً من أن تكون ضرورة مستقلة عن إرادة ووعي الشركات والمنتجين تصبح تعسفية، وبما أن الربح التجاري هو اقتناص جزء من مجموع فائض القيمة المتحققة في الإنتاج فإن الرأسمال التجاري (الربوي) أو المصرفي يسعى إلى تكبير هذا الجزء من خلال سيطرته وهيمنته على عملية الإنتاج. وكلما كبر هذا الجزء كلما قلّت النسبة التي يحصل عليها الصناعي المنتج والعامل.

(*) بالوا، كريستان (النظام الاقتصادي العالمي). ص76

(**) لقد شجع ماركس وأيد الرأسمالية وليس الإمبريالية، لأن الإمبريالية لم تكن قد برزت في زمانه بعد 33.

ولهذا ينشأ تعارض بين رأس المال الصناعي ورأس المال المصرفي(*) ، ويرى هلفردينغ أن الذي قرر ويقرر الأمر فعلاً هو القوى المالية الكبرى. وقد أدى ذلك إلى أن الرأسمال المالي لليهود أخذ يهيمن على الرأسمال الصناعي المنتج ليحوز على أعلى معدل من الربح. ونتج عن ذلك أن القوى المالية اليهودية بدأت تهيمن على الإمبريالية منذ نشوئها وليس العكس كما اعتقد ويعتقد الكثيرون دون تعمق في المسألة أو كما سعى ويسعى الكثيرون، إلى ترديد الرأي الشائع دون تمحيص.

إن القضايا الأخرى المتفرعة عن المسألة هي على درجة عالية من الأهمية مثل عملية الاستحواذ على فائض القيمة المنتج في المناطق الأقل تقدماً ونقل الأزمات إليها.. لكن ما يهمنا نحن في هذا المجال هو التركيز على فكرة أن الإمبريالية عكست سيطرة القوى المالية الكبرى خاصة اليهودية والصهيونية على عملية تدويل رأس المال وتصديره للحصول على مزيد من الأرباح أكثر مما عكست رغبة الصناعيين في توسيع الصناعة وتطويرها.

النقطة الهامة التي أكد عليها هلفردينغ أن حاجة المؤسسات الكبيرة إلى التوسع كانت تتطلب رؤوس أموال أكبر لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال البنوك والمصارف التي كما نعلم وكما سيتضح معنا كانت تعود ملكية غالبيتها أوإدارتها لليهود. الذين كانوا جاهزين لتقديم هذه الأموال بعد الحصول على فوائد عالية. أو على نسبة عالية من الأرباح ، وقد نتج عن هذه المسألة قضيتان الأولى تمثلت باندماج رأس المال المصرفي مع رأس المال الصناعي. بحيث نتج عن اندماج الاثنين معاً قوة اقتصادية جديدة، أطلق عليها اسم رأس المال المالي.

الذي شكل محفزاً أكبر للكرتلة والتوسع في عملية تشكيل التروستات (والشركات العابرة للقارات. أو فوق القومية لاحقاً واليوم) وزيادة الاحتكار.

مما لا شك فيه أن عملية الاندماج والتوسع هذه لعبت دوراً تطويرياً هائلاً فقد عملت أولاً على التقليل من عمليات الهدر وتكاليف النقل وفي زيادة القدرة على التنسيق والتعاون واستخدام نتائج العلم بصورة مباشرة وتحويلها إلى تكنولوجيا حديثة في جميع مجالات الحياة الصناعية والزراعية والطبية مما ساعد في تطوير الأبحاث العلمية والتكنولوجية تفوق قدرة كثير من الدول حتى الرأسمالية الكبيرة لكنها من الناحية الأخرى ساهمت في استشراء روح الاستهلاك ونجم عن ذلك هيمنة الشركات فوق القومية على المواد الخام والبلدان المصدرة لها والتحكم في أسعارها (الفحم - البترول - البن - الشاي - المطاط - الحديد - النحاس - إلخ) وربط اقتصاديات هذه البلدان وعملية نموها بحاجات البلد المستوردة مثلما فعلوا في مصر والهند (والصين) وأفغانستان (تصدير الأفيون والمخدرات) مما زاد من تبعية هذه الدول الاقتصادية وبالتالي السياسية والثقافية. وهنا يتفق ويتباين

(*) (أشار ماركس قبل ثلاثين سنة من ذلك إلى نشوء تعارض بين رأس المال الصناعي ورأس المال التجاري أو (الربوي)) ينتج عنه صراع يقود إلى خضوع أحد الطرفين للآخر.

المنظـرون الماركسـيون والإمبريـاليون ونحــن لــن ندخــل فــي تعقيــدات المســائل الأخــرى الأيديولوجية الناجمة عن نظرية الإمبريالية التي تتبـاين فيها وجهات نظـر كاوتسكي مـع بليخانوف وبوخارين ولينين وروزا لوكسمبورغ فهذا موضوع آخر لا يعنينا كثيراً في هـذا المجال.. فالواقع أن هذه التروستات الكبيرة أصبحت سلطتها داخل الدولة أقوى من سلطة مجلس النواب أو الشيوخ أو الشعب (وهذه نقطة يتجاهلها محبو الديمقراطية الغربيـة) باعتبار أن الفوائد التي تجنيها من الخارج والضرائب التي تقدمها للدولة على شكل خدمة للعمال الذين تشغلهم، تنعكس على تطور البلد وتقدمه ورفاهـه مما جعل رأس المال المالي يصبح مهيمناً على السياسة العامة للبلد المعني (فإذا علمنا أن ملكية رأس المال المالي في أغلبيته ـ تعود لليهود يصبح من السهل علينـا أن نـدرك كيـف هيمـن اليـهود ليـس علـى الاقتصاد فقط بل على الساسة في هذه البلدان الإمبريالية).

قال ماركس بصدد هيمنة المالي على الصناعي والسياسي ما يلي:

«اليهودي حرر نفسه بطريقة يهودية بأن جعل نفسه سيد السوق المالي الذي بفضله وبواسطته صار المال قوة عالمية وصارت الروح العملية اليهودية الروح العملية للشعوب المسيحية والتناقض الموجود بين سلطة اليهودي السياسية الواقعية وحقوقه السياسية هو التناقض بين السياسة وسلطة المال نظريا السياسة فوق سلطة المال. لكنها عمليا صارت أسيرته المطلقة».

أشار هلفردينغ إلى مسألة أخرى أكثر أهمية وهي أنه إذا كانت عملية اتحاد الشركات والمؤسسات تؤدي إلى النجاح في مجال المنافسة فإن اتحاد المصارف سيؤدي أيضاً إلى النجاح في مجال المنافسة المالية أيضاً. وهو ما دفعها إلى تكوين شبكة من المصـارف المتحدة أو المنتشرة في جميع أصقاع الدنيـا. وقد أدى ذلك أولاً إلى تركيز رأس المال المصرفي وإلى الاحتكار المالي الموازي للاحتكار الصناعي والتجاري ومرافق له. وبما ان الصيارفة اليهود هم الأكثر انتشاراً في العالم والأكثر ملكيـة لرأسـمال السـائل (وليس الثابت)، لأنه وكما أشرنا سابقاً فإن اليهود لم يكن يحق لهم توظيف رؤوس أموالهم في الأراضي الزراعية أو العقارات أو في بناء المصانع مما نجم عنـه غيـاب رؤوس الأمـوال المحلية لذهابها في المجالات الثابتة لرأس المال بينما ترك المجال لرأس المال اليهودي الحر والمكدس ليظل سائلاً ومتحركاً وقد أكد المسيري وليون على أن رأس المال المصرفي السائل والمخزن في البنوك لليهود كان يفوق مجموع رأس المال لجميع الشعوب والدول، وبما أن اليهود كانوا دوماً متحدين ومتعاونين فإنهم كانوا ينسقون أعمالهم ويتعاونون أكثر من تعاون الألمان مع بعضهم بعضاً أو مع الفرنسيين هذا إن تركوا لهم مجالاً للتعاون.

أسوق مثالاً واحداً من بريطانيا حيث تمكن المليونير اليهودي روتشيلد عام 1868 برأسماله وحده فقط شراء 90٪ من أسهم قناة السويس في الوقت الذي لم تتمكن الحكومة البريطانية والمؤسسات والشركات من شراء أكثر من 10٪ من الأسهم لعدم توفر المال السائل لعملية الشراء هذه، ومع حاجة المصانع والشركات للتوسع كانت تزداد حاجتها

للتمويل وبالتالي الخضوع لاحتكار المصارف الكبيرة. وأصبحت المصارف تحصل على نسبة من الأرباح الناجمة عن عمل الصناعيين والعلماء والعمال عن طريق الفائدة المحسومة سلفاً مما ساعد في تنمية وزيادة رأس مال اليهود السائل والمتحرك في حين ظل مواطنو البلد أسرى مموِّلي مصانعهم وأراضيهم وعقاراتهم وللآلات التي كانت تحتاج إلى التجديد وأسرى الحاجة إلى قروض جديدة وتمويل جديد. بمعنى أن رأس المال اليهودي كان ينمو ويزداد أكثر من سواه ويبتلع قسماً كبيراً من فائض القيمة (زيادة على الأرباح التي يحصل عليها من المشاركة).

ثمة من يرد على ما ورد سابقاً بأن رؤوس أموال أغلب المصارف مؤلفة من رؤوس أموال مودعين من عامة الناس. وهذا صحيح. لكن هذا أيضاً كان يجري لمصلحة اليهود للأسباب التالية. أولاً بما أن لكل مصرف مدير أو رئيس أو مجلس إدارة يعين حسب نسبة رأس المال الداخل في المصرف وبما أن اليهود كانوا دائماً يملكون أعلى نسبة في رأس المال المتداول فإن هذا كان يتيح لهم أن يكونوا هم إما غالبية أعضاء مجلس الإدارة أو أن يكون الرئيس أو المدير منهم دوماً.

ثانياً: يستطيع المدير أو رئيس مجلس الإدارة التحكم برؤوس الأموال المتوفرة لدى المصرف، فيلعب دوراً مزدوجاً فهو من جهة يتحكم ويهيمن على المقترض من الشركات الصناعية والترستات والكارتلات فوق القومية، وعلى المودعين بأموالهم وبنسب أرباحهم من جهة اخرى حيث يحصل من ورائهم على أرباح اخرى إضافية وهكذا يستمد هؤلاء المدراء وأصحاب المصارف من أموال المودعين الآخرين قوة إضافية تجعلهم يتحكمون بالسوق والسيطرة على الكارتلات والترستات وبالتالي على اقتصاد البلد المعني وسياسته. فهم الذين يقررون من يجب أن تقدم له القروض، ومن يستحق ذلك ويقررون الضمانات المطلوبة من المستلفين والتي قد تؤدي إلى ضياع ملكيتهم ومصانعهم وبيوتهم وإشهار إفلاسهم. مما يعني أنه أصبح بإمكانهم التحكم بأسعار الفائدة في أي بلد في العالم وبالعالم كله وبأي صناعة يريدون لها أن تتطور أو يريدون تدميرها ومن هنا نفهم لماذا دفعوا الولايات المتحدة الأمريكية لتطوير صناعتها الحربية أكثر من صناعاتها المدنية والسلمية ولماذا كانوا وما زالوا يحاربون تطوير الصناعات السلمية للذرة والطاقة الهيدروجينية التي يمكن أن تشكل بديلاً عن استخدام البترول والفحم اللذين يلوثان الطبيعة كيلا يفقدوا الأرباح التي يجنونها من تسويق البترول ومن العمليات الحربية وقتل الناس وتدمير وتلويث الطبيعة والبيئة. وهذا ما سوف يجري الحديث عنه لاحقاً.

النقلة الأهم التي كان هلفردينغ سباقاً في اكتشافها والإشارة إليها هي تلك المتعلقة بنشوء سوق مالية موازية ومنفصلة عن سوق البضائع بمختلف أنواعها وسوق العقارات والمزارع.. الخ تلك السوق المالية التي أنشأها اليهود في جميع أصقاع العالم والتي يطلق عليها سوق البورصة (سوق الأوراق النقدية) أدت إلى تشكل اقتصاد جديد أطلق عليه هلفردينج اسم الاقتصاد الصوري.

تطور هذا الاقتصاد الصوري فيما بعد، ليصبح اسمه الاقتصاد الرمزي أو الاقتصاد الوهمي الذي تناوله بالبحث والتحليل د.فؤاد مرسي(*) (**لقد أصبح سوق البورصة ميداناً جديداً للسرقة والنهب واختلاس جميع الأموال الفائضة والزائدة في جميع أسواق وجيوب) الناس في العالم (المال العام الزائد) تلك السوق التي أصبحت خاضعة للمصارف)** ص48 ((علينا الكلام منذ الآن عن اتجاه المصارف الكبرى وليس عن اتجاه البورصة. ذلك أن المصارف قد جعلت يشكل متزايد يوماً بعد يوم من سوق البورصة أداة في خدمتها حيث تقوم بالتحكم بحرمانها وفق مشيئتها))

يؤكد فؤاد مرسي «**أنه مع نشأة رأس المال المالي في نهاية القرن الماضي بدأت معالم الاقتصاد الرمزي تعبر عن تلك الرأسمالية ذات الطبيعة الطفيلية غير المرتبطة بالإنتاج حيث بدأ يتكون رأس مال اسمي يتمثل في الأوراق المالية لا في الإنتاج. وهو يجني الريع لا الربح، وكلما أوغلت الرأسمالية في النمو ازداد معها الطابع الرمزي للاقتصاد حتى عصرنا الراهن حيث نما القطاع غير المنتج نمواً مطلقاً وازداد وزنه في الاقتصاد الرأسمالي العالمي نتيجة للزيارة الحادة في إنتاجية العمل الناتجة عن الثورة العلمية واستخدام التكنولوجيا والسيرنتيك والكمبيوتر وظهر الاقتصاد الرمزي كامتداد لظهور رأس المال المالي.. ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية أخذ الاقتصاد الرمزي يتوسع شيئاً فشيئاً خلال ربع القرن الماضي خصوصاً بعد منتصف الستينيات حتى صارت له بعد ذلك الهيمنة المطلقة على الاقتصاد الحقيقي للعالم بأسره**» (**).

تأكيداً للموضوعات الماركسية حول رأس المال المالي أوضح الاقتصادي الأمريكي وولف كيف أن النظام المصرفي الخاص وصل إلى درجة بات يلعب فيها دوراً خاصاً ومهماً في توسيع أعمال الولايات المتحدة في العالم. وبين كيف ساعدت الولايات المتحدة في التوسع الخارجي لمصارف الولايات المتحدة (التي هي مصارف برأس مال يهودي). تلك المصارف التي أصبحت تملك الوسائل الأقدر على التأثير على قرارات استثمار الوحدات الاقتصادية غير التابعة للولايات المتحدة. بما في ذلك الاتجاهات التي تلاءم فقط الحاجة الملائمة لها هي أي لليهود والصهيونية وإسرائيل.

يظهر وولف بالأرقام والأسماء أن أكبر 49 مؤسسة مصرفية تحتفظ بـ768 مركزاً قيادياً ضمن 286 مؤسسة هي الأكبر ضمن مجموعة 500 مؤسسة أميركية، كما تحتفظ بـ146 مركزاً قيادياً ضمن 29 مؤسسة من مجموعة أكبر 60 شركة تأمين و86 مركزاً قيادياً ضمن أكبر 22 مؤسسة للخدمات(*).

أوضح وولف أن النظام المصرفي الأمريكي سيطر عملياً على 44 مصرفاً عالمياً ملحقاً بها وذلك بالاستقلال عن شبكة فروع المصارف المستقلة (ظاهرياً) لكنها المصارف التي

(*) **مرسي، فؤاد (الرأسمالية تجدد نفسها). ص248**

(**) **نفس المصدر، ص241**

(*) **نقلاً عن إينغدال، وليام (مائة عام من الحرب).**

يتكون أغلب رأسمالها من رأسمال مؤسسات مصرفية أمريكية تعود ملكية غالبيتها لليهود.

وللتأكيد على دور المصارف اليهودية في توجيه اقتصاد الولايات المتحدة الأميركية نكرر ما قاله جيلبرت(**) **(فبعد الحرب العالمية الثانية وبدء الحرب الكورية ومع تصاعد الحرب الفيتنامية. ثم الحرب الباردة تزايدت نفقات الحكومة الأمريكية على التسلح مما ساهم في إخراج الولايات المتحدة من أزمة الكساد حيث أدت هذه الحروب إلى تشغيل حوالي 40 مليون إنسان (اليوم يشتغل في الصناعات الحربية الأمريكية حوالي 70 مليون إنسان على الرغم من التقدم العلمي الحاصل).**

وقد أدى ذلك إلى التخلص من البطالة وزيادة القوة الشرائية والتخلص من الأزمة الاقتصادية لكن هذا النجاح لم يكن إلا مؤقتاً لأن تمويل الحرب والصناعة الحربية كان من خلال الاقتراض من البنوك والمصارف اليهودية وبما أن الأسلحة التدميرية التي تتطلب تكلفة هائلة غير قابلة للاستخدام دائماً فإنها تفقد قيمتها إذا لم تستخدم (مما يعني أن خوض الحروب يصبح مسألة ضرورية من أجل تحريك الصناعات الحربية والقذائف والصواريخ والطائرات والمواد الكيميائية والجراثيم وتجديدها وتشغيل العمال والعلماء العاملين فيها).

وبغض النظر عما إذا أكانت هذه الحروب ضرورية أم لا ومشروعة أو غير مشروعة كما حصل في الحرب ضد العراق فالحقيقة المهمة التي لابد من الإشارة إليها هي أن الصهاينة في عهد الرئيس ريغان دفعوا الإدارة الأميركية لتطبيق ميزانيات تنوء بالعجز الكبير في الميزان التجاري ولم يسبق لها مثيل فزاد العجز الحكومي من 3 تريليون دولار إلى حوالي 9 تريليون دولار. مما يعني أن الحكومة الأمريكية بدءاً من ذلك التاريخ أصبحت أسيرة بالمطلق للمصارف والبنوك التي مولت الصناعة الحربية والتي تخضع بغالبيتها لليهود. لذا علينا أن لا نستغرب أن تصبح هذه الحكومة أسيرة بالمطلق لإرادة أصحاب هذه المصارف من اليهود والصهاينة وان هؤلاء هم من يقررون السياسة الخارجية للولايات المتحدة والسياسة الهجومية لوزارة الدفاع (البنتاغون).

نقول للدكتور الباحث العظيم والكبير الدكتور عبد الوهاب المسيري إذا كانت سيطرة قلة من اليهود على العالم هي خارج إطار العقل والمنطق كما يرى فعلاً فإن المسألة ليست في عدد اليهود كأقلية بل في النفوذ المالي الهائل الذي تتمتع به هذه القلة في ظل نظام اقتصادي مفصل على هواهم. لذلك فإن اللامنطقي يصبح منطقياً جداً في ظل هذا النظام الاقتصادي. واللامعقول يصبح معقولاً جداً لكنه غير مقبول إطلاقاً ولا يمكن الرضوخ له أبداً.

(**) جلبرت، صموئيل. (تاريخ الاقتصادي العالمي) ص285.

الفصل الثاني

إشكالية العلاقة
بين اليهودية والصهيونية والإمبريالية

لم يعط أغلب الكتاب والمؤرخين والاقتصاديين عندها عالجوا الأنظمة الاجتماعية المختلفة التي مرت بها البشرية أي دور بارز لليهود في نشوء أو تطور أو انهيار أي من الأنظمة أو أي من الإمبراطوريات والحضارات كما يرى المسيري(*) وهو محق في ذلك **(أن بعض الأطروحات الساذجة ترى أن العلمانية وحركة التنوير والنهضة الأوروبية والثورة البرجوازية خاصة الفرنسية وحتى اليقظة العربية كانت من صنع اليهود).**

وهذا برأيه يعكس رؤية ساذجة وخطرة لأنها تعطي لليهود والجماعات اليهودية وزناً وحجماً يفوق كثيراً حجمهم ووزنهم الحقيقي. فالعلمانية وحركة التنوير واليقظة ليست مجرد مؤامرة أو حركة يمكن أن تقوم بها جماعة بل هي ظاهرة إنسانية اجتماعية تاريخية طويلة وإذا كان بعض اليهود قد ساهموا في تبني بعض توجهاتها فلأن هذه التوجهات والظواهر كانت أكبر منهم وتتجاوز إرادتهم ورغباتهم وأصواتهم وتوجهاتهم ولأن بعضهم وجد في العلمنة والديمقراطية والمساواة في الحقوق مخرجاً لهم من الوضع الذي جعلهم حاخاماتهم ومرابيهم يعيشون فيه. ولم يكن ذلك لمخطط تآمري بهدف تدمير الأديان والحضارات والمجتمعات. غير أن المسيري يرى أن غالبية اليهود وحاخاماتهم ومرابيهم وقفوا ضد العلمنة والمساواة والحرية واعتبروا الانعتاق خطراً أكبر من خطر الانعزال وضياع خصوصيتهم الدينية والعملية وتميزهم ومراكزهم المؤثرة. وإن أغلب المؤرخين لم يعطوا لليهود أية أهمية خاصة باستثناء الإشارة إلى أن أغلبهم كانوا تجاراً أو مرابين يتميزون بالبخل والدهاء والخبث أو بالمسكنة «حتى يتمكنوا».

غير أنه بعد انتقال المجتمع إلى الرأسمالية مال بعض الكتاب أمثال سومبارت وماكس فيبر إلى إعطاء اليهود دوراً بارزاً أو حاسماً في نشوئها. باستثناء ماركس ومن تابع خطاه من المفكرين أمثال أبرهام ليون الذين اعتبروا النشاط التجاري والمالي لليهود لا يشكل أكثر من اتجاه خاص عاش ويعيش على هامش جميع الأنظمة الاجتماعية المختلفة ويمارس في كل نظام أو مرحلة أسلوبه الخاص في العمل. والأمر الغريب والملفت للنظر أن أغلب المفكرين والمنظرين، باستثناء ماركس ومن تابع خطاه خلال توسع النظام الرأسمالي بدأوا ينظرون إلى المرابين اليهود نظرتهم إلى الرأسماليين الآخرين. وأصبحوا

(*) موسوعة د.عبد الوهاب المسيري ج3/ ص25

ينظرون إلى الرأسماليين اليهود (**وإن كان لا وجود لشيء اسمه رأسماليون يهود لأن الرأسمالية ارتبطت حسب وجهة نظر ماركس بالصناعة وعملية الإنتاج وهذا لم تمارسه إلا قلة نادرة من اليهود**) نظرتهم للرأسماليين الآخرين وكفوا عن النظرة إليهم كفرع متميز في ظل الرأسمالية. صحيح أن ماركس اعتبر أن المجتمع بانتقاله إلى الرأسمالية قد تهود لكن مشكلة اليهود أنهم لم يترسلموا بل حافظوا (غالبيتهم) على يهوديتهم ولم يندمجوا في النظام الرأسمالي. وظلوا يمارسون نشاطهم الخاص الذي اعتادوا عليه خلال الأنظمة المختلفة السابقة على الرأسمالية. وباستثناء الجميع فإن ماركس وحده أعطى للمصرفيين والمرابين اليهود دوراً خطيراً (يفوق حجمهم الحقيقي) ـ كما يرى المسيري ـ قال ماركس: «فاليهودي الذي لا يسمح له بالمساواة في مدينة فيينا يحدد بقوته المالية مصير الإمبراطورية النمساوية كلها».

(إن المصرفي اليهودي الذي لا يمتلك أي حق من حقوق المواطنة في ألمانيا يحرك بإصبعه الاقتصاد العالمي).

ظل ماركس ينظر إلى اليهود بصفتهم مرابين وليسوا رأسماليين باعتبار أنهم لم يندمجوا في النظام الرأسمالي بل ظلوا خارجه وخارج عملية الإنتاج وخاصة الإنتاج الصناعي المميز للرأسمالية.

يرى المسيري(*) (**أن كره ماركس للتجارة والربا والأعمال الطفيلية التي كان يمارسها اليهود دفعه إلى كرههم مثله مثل جميع مفكري أوروبا الذين كانوا ينظرون إلى الرأسماليين اليهود نظرتهم إلى حلقة مغلقة من الممولين الدوليين المترابطين والموحدين والمتحالفين مع النخب الحاكمة في البلدان الأوروبية**) وهو تصور ـ كما يرى المسيري ـ (برغم جزئيته ليس منافياً للحقيقة التاريخية. فيهود البلاط كانوا يتركزون في وسط أوروبا وغربها وقطاع كبير منهم كانوا مرتبطين بالقوى الرجعية وقوى الاستغلال والنهب في أوروبا الإقطاعية. ونضيف إلى هذا عنصر أخر هو الكره العميق الذي يكنه ماركس للرأسمالية التجارية التي تعيش في شقوق المجتمعات على عكس الرأسمالية الصناعية التي كان ماركس يحبها ويؤيدها ويقيمها باعتبارها حركة تقدمية صاعدة. وقد استمر كره ماركس للرأسمالية التجارية حتى النهاية).

ولكن المسيري يعارض ماركس في تقييمه لليهود والنشاط التجاري لهم ويحيل إلى رؤية ماكس فيبر التي يعتبرها أكثر استنارة وشمولية من رؤية ماركس لأنه انطلاقا من فكرة الترشيد (جوهر نظرية ماكس فيبر) (توظيف الوسائل بأعلى درجة من الكفاءة لخدمة الأهداف الموضوعة).

يخضع ماكس فيبر جميع الظواهر للمنطق الرياضي والهيمنة المنهجية المنظمة على جميع جوانب الحياة مستبعداً المعايير التقليدية والأخلاقية والعاطفية أو الإنسانية أو

(*) **المسيري / الموسوعة ج6 ص110.**

الممارسة الكارزمية، لذلك كان فيبر يرى أن اليهودية باعتبارها ديانة توحيدية لعبت دوراً أساسياً في عملية الترشيد «الفيبرية»، لكن فكرة الخلاص وشعب الله المختار كما يرى المسيري أدتا إلى عزلة اليهود التي عمقتها الفرق العشائرية لأنهم حيثما أقاموا في أوروبا احتفظوا بالوضع نفسه الذي كانوا عليه في الشرق، من المؤسف أن المسيري لم ير أن ماركس إضافة لكرهه للنشاط التجاري الربوي اليهودي وتحالفهم مع القوى الرجعية كان يعارض اليهود واليهودية بشكل خاص للسبب نفسه الذي أشار إليه المسيري لكونهم فئة منعزلة ولأنهم بالرغم من جميع الحقوق التفضيلية التي حصلوا عليها في أوروبا ظلوا يعملون بغالبيتهم كفئة منعزلة معتبرة نفسها متفوقة ومتميزة عن جميع الأقوام والشعوب باعتبارهم شعب الله المختار الذين يحق لهم ما لا يحق لغيرهم.

(والواقع أن أغلب المنظرين والمفكرين بعد صعود الرأسمالية كفوا عن النظر إلى المصرفيين والمرابين اليهود كفئة منعزلة واعتقدوا أنهم قد اندمجوا في النظام الرأسمالي. وقد نجم عن زاوية الرؤية هذه افتراق شاسع بين ماركس وبين غيره من المنظرين والمؤرخين حتى إنجلز نفسه لم يحاكم روتشيلد باعتباره رأسمالياً يهودياً بل باعتباره رأسمالياً إنكليزياً ينطبق عليه ما ينطبق على الرأسمالي الإنكليزي) (*).

قد يكون الحق مع إنجلز ولينين وغيرهم من المنظرين الماركسيين في عدم التمييز بين المصرفي والمرابي اليهودي وبين الرأسمالي الإنكليزي أو الفرنسي باعتبار أن عملية الاندماج بين رأس المال الربوي اليهودي وبين الرأسمال الصناعي في ذلك الوقت قد بدأت تتعمق أو تتداخل بحيث أن كثيراً من المصرفيين اليهود تحولوا إلى ممولين لكثير من الصناعات لدرجة أصبح من غير الممكن التمييز بين الممول اليهودي وغير اليهودي.

وقد يكون الحق مع جميع المنظرين الماركسيين واللينيين في عدم النظر إلى اليهود باعتبارهم يهوداً وإلى النشاط المالي للمصرفيين اليهود بوصفه نشاطاً يهودياً خالصاً بل بوصفه نشاطاً رأسمالياً ينطبق عليه ما ينطبق على أي رأسمالي آخر لأنه لم تكن قد برزت في أيامهم عملية الانفصال التي بدأ المرابون اليهود يمارسونها مع بروز وصعود الصهيونية التي لم تكن تلقى وقتها قبولاً لدى غالبية اليهود.

ونحن إذ نبرز ونؤكد اليوم على هذا الانعزال وتحول معظم اليهود نحو الصهيونية الحديثة واليهودية خاصة بعد نجاح الصهيونية في إقامة دولة إسرائيل وبعد توفر كثير من المعلومات والوثائق والحقائق الحديثة، التي لم تكن متوفرة لإنجلز أو لينين أو سواهم لأنها لم تكن معروفة لديهم. أو لم تكن مكشوفة لهم كما هي لنا اليوم. لأنها لم تكن قد ظهرت أو لم تكن قد ظهرت بوضوح كما هي عليه اليوم ولابد من إبراز حقيقة أو مجموعة حقائق جرى طمسها أو تغييبها خلال أكثر من مئة سنة من التزييف والتضليل مارسه علناً أغلب الكتاب والمؤرخين الأوروبيين والأمريكان وأغلب الكتاب العرب الذين يستقون

(*) المسيري ج 2 ص110 (الموسوعة).

معلوماتهم وأفكارهم من هؤلاء الذين يعتبرونهم مرجعية فكرية وتحليلية ووثائقية(*).

إن أهم نقطة في الموضوع هي تلك التي أشار إليها الفيلسوف النمساوي والمنظر الكبير فريدريك هلفردنج، والتي أخفق الجميع في التقاطها، والمتعلقة بنشوء الاحتكارات ونشوء رأس المال المالي وتحول الرأسمالية من المرحلة التنافسية إلى الاحتكارية ثم إلى الإمبريالية. وأن اندماج رأس المال (اليهودي) المتجمع في المصارف والبنوك (حيث أصبح منذ بداية القرن الماضي يهيمن على الصناعة في جميع البلدان الأوروبية والولايات المتحدة). لم يساهم فقط في تحول الرأسمالية التنافسية إلى احتكارية بل ساهم في تحولها إلى الإمبريالية.

نعود من جديد لنؤكد على هذه النقطة الأساسية وهي أن المصرفيين والمرابين اليهود الذين شكلوا ثروات طائلة من خلال عملهم في النشاط التجاري البيني القديم ثم من خلال إقراض الملوك والأمراء وتغذية الحروب والذين نشطوا في الأعمال المالية والمصرفية والبنكية لم يتخلوا مع نشوء الرأسمالية عن أسلوبهم القديم في الحصول على الربح والفائدة من خلال عملية التسليف للمشاريع الصناعية (ليس من خلال المشاركة في الإنتاج أو التصنيع كما كانوا دائماط).

والحقيقة أن هذا الميل إلى الانعزال والشعور بالتفوق والتميز يثير إشكالية عويصة لم يتصد لها حسب علمي أحد من الكتاب كمسألة منفصلة تحتاج إلى معالجة معمقة وإلى بناء موقف حاسم وجدي منها مفادها: هل الرأسمالي اليهودي يشبه أي رأسمالي أخر؟ وهل القوانين التي تنطبق على الرأسماليين الإنكليز أو الأميركيين أو الفرنسيين أو الألمان تنطبق على الرأسماليين اليهود. إن ما يجعل من هذه المسألة إشكالية هو أنه أثناء انتقال أوروبا إلى الرأسمالية خاصة بعد أن حصل الرأسماليون اليهود على حقوق متساوية أو مماثلة للرأسماليين الأوروبيين فإن قسماً كبيراً من الرأسماليين اليهود الصغار اندمجوا مع الرأسمال الوطني للبلدان التي يعيشون فيها وتحولوا إلى رأسماليين ألمان أو فرنسيين أو أمريكان أو طليان، ومما لا شك فيه أيضاً أن كثيراً من اليهود قد تخلوا عن يهوديتهم. بدءاً من سبينوزا مروراً بريكاردو وماركس، وانتهاء بروزا لوكسمبورغ وإبراهام ليون، أو ساهموا في النشاط الثوري العام أمثال تروتسكي وماركوف وبيلار كون ولوكاش ودويتشير من جانب آخر قد يكون الحق مع لينين وأنجلز وجميع قادة الأحزاب الشيوعية في العالم خاصة في روسيا وأوروبا الشرقية في عدم التعامل مع اليهود كفرع منعزل أو كأصحاب ديانة مختلفة عن الديانات الأخرى. لأن الشيوعية لم تكن تنظر للإنسان استناداً إلى دينه بل كانت تنظر إليه من خلال موقعه في عملية الإنتاج والطبقة التي ينتمي إليها أو من خلال موقعه في النظام العام سواء الإقطاعي أو الرأسمالي أو الإمبريالي لقد رأى ماركس وهو محق في ذلك (إن تحرير المجتمع من اليهودية لا يمكن أن يتم إلا من خلال تحرير المجتمع من الرأسمالية ومن جميع أنظمة الاستغلال) و(إن مسألة تحرر اليهود

(*) راي المؤلف.

ليست مسألة قائمة بذاتها فجميع الجهود يجب أن توجه نحو تحرير المجتمع كله من الرأسمالية وأنه بمجرد أن يتم القضاء على الرأسمال واستغلال الإنسان لإنسان فإنه سيتم تحرير المجتمع من استغلال اليهود وإنه بمجرد ما أن يتم القضاء على الرأسمالية. يحصل جميع أفراد المجتمع بما فيهم اليهود على حقوقهم الإنسانية وعلى الحرية والمساواة.

لذلك فإن النضال ضد اليهودية كدين أو نمط استغلال أو كاتجاه إنما يتم من خلال القضاء على أساس أنظمة الاستغلال القائمة على الملكية الفردية لوسائل الإنتاج. وعبادة المال والخضوع لسلطته).

جذور ثورية اليهود في روسيا وأوروبا الشرقية:

ثمة اختلاف واضح بين الموقع الذي احتله اليهود في أوروبا الغربية وبين موقعهم في أوروبا الشرقية وروسيا. يتمثل في أن أصل اليهود في هذه البلدان يختلف عن أصلهم في أوروبا والعالم الآخر (أمريكا). فعندما آمن ملك الخزر بولان بالديانة اليهودية (كما يؤكد على ذلك المؤرخان كوستلر ودنلوب) عام 740م. فإن يهود الخزر كشعب أو كأقوام تحولوا إلى اليهودية ثم تبعهم كثير من القازان والاستراخان (سابقاً) كاختيار وسط بين بيزنطة المسيحية وتركمنستان الإسلامية وبعد أن تمت عملية القضاء على مملكتهم انتقل أو هاجر قسم كبير منهم إلى أوكرانيا وبولونيا ورومانيا وبحر البلطيق حيث كانت غالبتهم من الفلاحين أو العمال أو الحرفيين أو الباعة المتجوليين أو الهوائيين (الذين لا عمل لهم والمستعدين للعمل في أي شيء). وبما أنه كان يحظر عليهم تملك الأرض أو غلاتها أو تملك العقارات فإن القسم الأكبر منهم أصبحوا عمالاً كادحين أو حرفيين (سمكرية ـ عمال صفائح ـ صناع أقفال ـ باعة متجولين) وكان ينظر إليهم في هذه البلدان بضفتهم أغراباً أو كمواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة.

وبما أن الثورة البرجوازية في أوروبا الغربية قد ساوت بين اليهود وبين بقية المواطنين (هذا الأمر الذي لم يتحقق وما كان له كان يتحقق في روسيا وأوروبا الشرقية إلا مع الثورة الشيوعية) لذلك فإن القسم الأكبر من اليهود في هذه البلدان انضموا إلى صفوف الشيوعيين وراحوا يناضلون في سبيل الاشتراكية كمخرج لهم من الوضع الذي كانوا فيه وليس للنضال من أجل بناء الرأسمالية.

ولذلك توجه كل من ومارتوف وتروتسكي إلى اليهود ليس بصفتهم يهوداً بل بصفتهم أناساً مضطهدين سيعملون في سبيل بناء نظام مختلف وهذا ما أكد عليه اسحق دوتيشر(*). وربما يكون هذا هو السبب الذي جعل بعض الكتاب العرب والمسلمين يميلون إلى اتهام الشيوعية باليهودية لأن أغلب قادة هذه الحركة في أوروبا الشرقية وروسيا إبان

(*) (كان لينين ومارتوف وتروتسكي مصممين على جذب اليهود إلى النضال الذي يخوضه رفاقهم الروس ضد القيصرية والرأسمالية) اسحق دويتشر (المسالة اليهودية) ص.

الثورة وبعدها كانوا من اليهود.

عمل لينين إلى جذب اليهود المضطهدين إلى الشيوعية ليس لأنه كان ضد انعزالهم فحسب بل لأنه كان ضد تحولهم إلى الصهيونية التي بدأت مع تصاعد المد الثوري (في روسيا وألمانيا وأوروبا) تجر وتسحب كثيرا من اليهود الروس إليها أكثر من سواهم لأنها تؤمن لهم الأرض على حساب غيرهم (في فلسطين).

ومن الملفت للنظر أنه عشية الثورة البلشفية في روسيا عام 1917 فإن خبر إصدار وعد بلفور كما قال إيفانوف، كان قد (أرسل على الفور برقياً إلى موسكو من أجل أن يتخلى اليهود عن دعمهم للبلشفيك وليتحولوا نحو الصهيونية) لقد أراد لينين أن يجذبهم إلى الشيوعية بدلاً من أن يتوجهوا نحو الصهيونية ولذلك لقد حارب انعزالهم في حزب خاص حتى ولو كان حزباً ماركسياً واشتراكياً روسيا (حزب البوند) كما حارب بضراوة فكرة أن اليهود يشكلون شعباً أو أمة وهذا يفسر لماذا قامت إحدى اليهوديات المرتبطة بالحركة الصهيونية بإطلاق النار عليه مما سرّع في موته المبكر عام 1923 وكانوا أيضاً سبباً في الموت المبكر لأندروبوف عام 1984.

الأمر نفسه حصل مع ستالين عندما دسوا له السم وتسببوا بموته المبكر أيضاً. أما لماذا لم ينجح لينين أو ستالين (من بعده) في دمج اليهود في الحركة الشيوعية العالمية بشكل تام وكامل. أو لماذا تحولوا فيما بعد إلى أعداء وخصوم للشيوعية فتلك مسألة أخرى سوف نتناولها بالبحث لاحقاً لكننا نشير الآن في هذا المجال إلى ما قاله اسحق دوتشير العدو اللدود لستالين «كان لينين والبلاشفة قد بالغوا في تفاؤلهم حول فرص حل المسألة اليهودية من خلال الاشتراكية لأن الحركة الصهيونية يومها لم تكن قد نمت بعد ولم تكن الاشتراكية تقدر على جذبهم إليها أما بعد أن تقوت الصهيونية خاصة بعد ظهور النازية فإن قسماً كثيراً من اليهود ارتدوا عن الشيوعية وعادوا إلى يهوديتهم وتحولوا إلى مؤيدين للصهيونية» ونضيف إلى ما قاله دوتيشر. إنه بعد إقامة دولة إسرائيل وبعد عدوان عام 67 خاصة حين وقف الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية ضد العدوان وسحبوا تمثيلهم الدبلوماسي من تل أبيب (عدا رومانيا) وهددوا بسحب اعترافهم بإسرائيل إن لم تنسحب من الأراضي العربية المحتلة فقد تحولوا إلى إعداد الداء ومناهضين للشيوعية إن لم نقل أنهم تحولوا إلى عملاء للإمبريالية والصهيونية وإسرائيل».

وبما أن أهم المشاريع الصناعية في البلدان الرأسمالية - إنكلترا - ألمانيا - أميركا مع نهاية القرن التاسع عشر بدأت تنحو نحو التركز والاحتكار وتتسارع وتتزايد حاجتها إلى التمويل المالي فإن رأس المال اليهودي (أو الذي كان بغالبيته يهودياً) كان جاهزاً ليدفع بهذه العملية نحو الأمام بسرعة ليس حباً بها بل من أجل أن يهيمن على الصناعة والاقتصاد العالميين. وبما أن هذه السيطرة والهيمنة التي تحققت لهم بعد انتقال الرأسمالية إلى الاحتكار والإمبريالية قد عادت عليهم بفوائد مالية أضخم من الفوائد المالية التي كانت تعود عليهم سابقاً فقد انعكس ذلك إيجابياً على وضع اليهود الاقتصادي

في جميع أنحاء العالم حيث لم تعد تجد واحداً منهم (باستثناء يهود روسيا وأوروبا الشرقية) فقيراً فكلهم أصبحوا برجوازيين وأغنياء أو من الطبقة الوسطى والمرفهة لذا كان من الطبيعي أن يتحول الجميع إلى معاداة الشيوعية وأن يتمسكوا بيهوديتهم. ويتحولوا جميعاً إلى مؤيدين للصهيونية التي تؤكد على انعزالهم والتمسك بدورهم التاريخي القديم والمميز الذي خصهم به الله.

لقد انتبه المصرفيون اليهود قبل غيرهم إلى أهمية المنطقة العربية الاستراتيجية وأهمية النفط لذلك وضعوا في صلب اهتماماتهم السيطرة على الشرق الأوسط، ومثل هذه الهيمنة لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال إقامة دولة لهم في هذه المنطقة تشكل قاعدة ارتكاز لهم وإلا فإن مشروعهم القائم على انعزاليتهم سوف يعاني التراجع وسوف يصابون بالتفكك والاضمحلال. لذلك وجدوا في فلسطين (اسماً ومكاناً) أكثر ملائمة للاستمرار والتوحد كفئة منعزلة لاستقطاب اليهود وغير اليهود من الصهاينة حولها.

إن فلسطين تؤلف مركز إشعاع ديني وقدسي ملائم جداً لاستقطاب اليهود ومنعهم من الاندماج حيث هم، ولدفعهم ثانياً إلى التجمع حول الحركة الصهيونية وحول سياسييهم المبثوثين في جميع أنحاء دول العالم خاصة في أمريكا وإنكلترا وفرنسا وإيطاليا والنمسا وألمانيا. وقد نجحوا بالفعل في عملية العزل هذه خاصة بعد أن نجحوا في إقامة هذه الدولة فحولوا جميع اليهود خاصة يهود أوروبا الشرقية وروسيا (مع استثناءات قليلة لا يحسب لها حساب) إلى صهيونيين ومقاتلين أشداء ومدافعين عن الصهيونية وإسرائيل.

ثمة نقطة هامة ودقيقة أشار إليها عبد الوهاب المسيري تتعلق بالدور الخاص الذي مارسه اليهود في نشوء الرأسمالية والإمبريالية خاصة الأمريكية فهو يتساءل إذا لم يوجد اليهود في العالم ألا يتشكل النظام الرأسمالي ويتحول إلى الاحتكار والإمبريالية وتتجه أمريكا للهيمنة على نفط المنطقة؟.

والحقيقة أنه لو لم يوجد اليهود في العالم فإن الرأسمالية سوف تتحول إلى الاحتكار وتنتقل إلى الإمبريالية وتتكالب كل من بريطانيا وأمريكا وأوروبا على المنطقة ولو لم يوجد رأسمال مصرفي يهودي لوجد غيره لكن من المؤكد أن هذا الرأسمال اليهودي في صيرورة تلك العملية التاريخية التي حصلت لعب دور المسرع في هذه العملية فإذا كان الدكتور المسيري يرى أن اليهود لعبوا دور الخميرة في نشوء الرأسمالية وهي عملية تاريخية طويلة كما يرى فلماذا لا يلعبون دور الخميرة في نشوء الإمبريالية التي برزت خلال فترة قصيرة تتميز بهيمنة رأس المال لليهود وسواء أكانوا هم أو غيرهم قد لعبوا دور الخميرة أم لا وسواء لعبوا هذا الدور القذر بصفتهم يهوداً أم مجوساً فإننا لا يمكن أن نتجاهل أن هذا الدور الذي قام به هؤلاء الناس يتطابق تماماً مع النتائج التي وصل وانتهى العالم إليها. بحيث أننا لا نستطيع إلا أن نقول أنهم بصفتهم يهوداً قد مارسوا هذا الدور سواء أكانوا يهوداً أو مجوساً أو

غير ذلك، ولابد لنا أن نفضح دورهم هذا ونذكرهم بالاسم وأن نقف ضدهم بسبب هذا الدور الذي مارسوه وما زالوا يمارسونه ضدنا وضد البشرية.

يهودية الرأسماليين اليهود:

بعد هذا الاستعراض نستطيع أن ندخل في صلب الموضوع لنؤكد أن اليهود لبسوا نوعاً من الجن غير المرئي وليسوا نوعاً بشرياً خاصاً إلا بقدر ما يتمسكون بعبادتهم للمال ويعملون على تكديسه واعتبار أنفسهم عرقاً متميزاً ومتفوقاً.

غالبية اليهود خاصة الرأسماليون منهم ظلوا يهوداً ولم يتخلوا عن يهوديتهم وبالتالي لا يجوز محاكمتهم كرأسماليين روس أو أمريكان بل لا يمكن النظر إليهم إلا بصفتهم رأسماليين يهود وصهاينة.. مهما كانت جنسيتهم أو لغتهم وبغض النظر عن منشأ الجد الأساسي لآل روتشيلد المدعو ماجير أشلي روتشليد (1743 ـ 1812) كما يقول المسيري والذي استطاع أن يحقق ثروة طائلة أثناء الحروب التي قادها نابليون من خلال عمله في بلاط الأمير وليم حيث يقول (أن هذا الجد الأول قد عاش حتى عام 1824 واستطاع بطريقة قذرة جداً أن يكون ثروة طائلة) وكما يقول أبرهام ليون(*) أثناء الحرب الدائرة بين نابليون وديلنفتون في واترلو عام 1815 ساد القلق جميع الأوساط التجارية والمالية في أوروبا وأخذت بورصة لندن تعاني من الانكماش لذلك سعى روتشيلد من خلال عمله في بلاط الأمير إلى معرفة نتائج الحرب قبل أن تنتهي وعندما أيقن أن نابليون سوف يُهزم بعث ببرقية كاذبة إلى لندن تقول أن نابليون قد انتصر فارتفعت أسعار الأسهم الفرنسية بينما انخفضت أسعار الأسهم الإنكليزية. فأعطى أوامره لممثليه وأعوانه في لندن وغيرها لشراء جميع الأسهم الإنكليزية التي أصبحت تباع بأسعار متدنية وبيعت الأسهم الفرنسية بسعر مرتفع وبعد أن وصل خبر هزيمة نابليون عادت الأسهم الإنكليزية للارتفاع بينما انخفضت قيمة الأسهم الفرنسية فباع الأسهم الإنكليزية بسعر مرتفع جداً ثم اشترى الأسهم الفرنسية بسعر منخفض بعد أن باعها بسعر مرتفع جداً.

وبذلك كون ثروة طائلة تقدر بالمليارات..

يذكرنا ما فعله روتشيلد اليهودي بما فعله سيدنا يوسف بالمصريين. فعندما حلت المجاعة في أرض مصر أخذ يبيع للمصريين الحنطة المكدسة لديه من سنين الخير. بأسعار باهظة فأخذ أموالهم كلها واشترى بيوتهم وحيواناتهم ولما اشتد الجوع بالمصريين اشترى يوسف بالأموال التي لديه كل أرض مصر وقدم أغلبها لفرعون ثم خاطب أخونه الضالين (تعالوا إلي أعطيكم خيرات مصر وتأكلوا دسم الأرض) سفر التكوين رقم 18.

وخاطبه الرب هاهي أرض مصر قدامك فاسكن أنت واخوتك فيها (ما هذا الرب

(*) ليون، ابراهام (الجذور المادية للمسألة اليهودية) ص249

الذي يعطي خيرات مصر ليوسف واخوته فقط) وهكذا جاء بنو إسرائيل إلى أرض مصر من فلسطين وتملكوا فيها وأثمروا ثمراً جيداً) سفر التكوين رقم27.

ما فعله روتشيلد الجد في أوربا يتطابق تماماً مع ما فعله يوسف بمصر وشعب مصر؟ هل تغير سلوك اليهود اليوم عما كانوا عليه قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام؟ هل كفوا عن كونهم يهوداً بعد أن أصبحوا رأسماليين إنكليز وألمان أو فرنسيين؟

لنستمع إلى: (هذه الرواية التالية التي يتفق عليها المسيري وديوك الأمريكي وفاسيليف الروسي وسواهم).

وزّع ماجيرو روتشيلد ثروته على أبناءه الخمسة في الإمبراطوريات الكبرى.

1ـ ألمانيا. 2ـ النمسا. 3ـ بريطانيا. 4ـ فرنسا. 5ـ إيطاليا. ولقد كان عادلاً جداً في توزيع ثروته

1ـ نيثان روتشيلد فرع العائلة في إنجلترا تزوج من ابنة المصرفي اليهودي الكبير موسى مونتفيوري أول داعية في بريطانيا لاستعمار فلسطين وبعده جاء ابنه ليونيل نيثان دي روتشيلد الذي قدم له دزرائيلي فرصة شراء أسهم قناة السويس وكما يذكر المسيري (تمت العملية بدون موافقة وزارة الخزانة وبدون تصويت البرلمان عليها) أما ابنة إدموند دي روتشيلد والذي أصبح لورداً فلقد موّل مع مونتفيوري أول عمليات استيطان يهودية في فلسطين لليهود الروس «**أحباء صهيون**».

أما ابنه جيمس أرماند دي روتشيلد فلقد أصبح عضواً في البرلمان البريطاني بعد أن خدم في الجيش البريطاني في فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى وكانت مهمته تتركز على تجنيد اليهود للالتحاق بالفيلق اليهودي التابع للجيش البريطاني ثم التحق بعد الحرب بإدارة مشاريع استيطانهم ثم ترأس هيئة الاستيطان اليهودي وخصص قبل وفاته مبالغ طائلة من أجل إشادة مبنى للكنيست في القدس.

2ـ أما في فرنسا فإن جيمس ماير دي روتشيلد ساهم بعد عودة آل بوربون إلى الحكم (بعد هزيمة نابليون) في تقديم كافة أشكال المساعدات المالية والقروض للويس فيليب لمواجهة الاضطرابات والقلاقل في فرنسا ولتحسين علاقات فرنسا مع مصر في عهد محمد علي. وعلى الرغم من التغيرات الكثيرة التي أصابت فرنسا فلقد ظل أهم شخصية مالية في فرنسا وهو الذي قدم القروض لنابليون الثالث لاحتلال المغرب العربي وحروبه التوسعية في أمريكا وأفريقيا. وأصبح ابنه من بعده مالكاً لامتياز سكة الحديد في شمال فرنسا.

3ـ أما في النمسا فقد أسس سولومون دي روتشيلد كآخر يهودي في بلاط آل هابسبورغ أول بنك في النمسا (كريديت بنك) وكان صديقاً حميمياً للثعلب الماكر مترنيخ الذي رسم سياسة أوروبا كلها واستطاع بهذه السياسة الماكرة هزيمة ماركس والديمقراطية

الاجتماعية والليبرالية. وساعد النمسا في التغلب على الأزمات المالية التي أصابتها بعد مقارعة الحركات الانفصالية المجرية والبولونية، ثم أسهم في بناء سكة حديد النمسا أما ابنه فلقد أصبح عضواً في البرلمان ومالكاً لبنك كريديت (بنك النمسا).

4. وفي ألمانيا فإن المدعو أمشل مايرفون دي روتشيلد مول الحركة اليهودية الأرثوذكسية في ألمانيا وأسس مصرفاً في فرانكفورت وقدم قروضاً للحكومة الألمانية

5- كما أن دي روتشيلد إيطاليا أسس بنكا في نابولي قدم خدمات مالية عديدة للدويلات الإيطالية المتحاربة.

وهكذا يتضح أن عائلة روتشيلد المؤلفة جميعها من المصرفيين والممولين ظلت يهودية رغم حصولها على جنسيات مختلفة. ومارست دوراً متناقضاً بين الإمبراطوريات الخمس الكبرى في أوروبا وكان لها دور كبير في تغذية الحروب التي نشبت في القارة الأوروبية خلال القرن التاسع عشر.

من المفيد جداً التذكير ببعض العائلات والشخصيات اليهودية المهمة التي لعبت دوراً مهماً وحاسماً في رسم تاريخ العالم منذ بداية القرن العشرين.

نذكر من هذه العائلات عائلة مورجنتاو. الذين كانوا بغالبيتهم مصرفيين وممولين لرجال الأعمال والعاملين في القطاع الحكومي. وأبرزهم هنري مورجنتاو الذي ساهم كما يقول عبد الوهاب المسيري مساهمة كبيرة في إيصال الرئيس الأمريكي ولسون إلى سدة الرئاسة في الحملتين الانتخابيتين اللتين خاضهما بسبب الدعم المالي والإعلامي له وساهم مع برانديس في دفع ويلسون إلى اتخاذ قرار الاشتراك في الحرب العالمية الأولى لإنقاذ بريطانيا من الهزيمة لقاء إعطاء وعد بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين. يقول المسيري أن هنري بعد اعتزاله العمل الحكومي اتجه للعمل بنشاط في القضايا والشؤون اليهودية العالمية، ثم تولى منصب رئيس النادي اليهودي العالمي (الروتاري) من عام 1950 إلى عام 1953 ذلك النادي الذي لعب دوراً حاسماً في دعم إسرائيل إعلامياً وسياسياً وعسكرياً ثم ترأس الجمعية الأمريكية للتمويل والإنماء من أجل إسرائيل ثم تزعم حملة سندات من أجل دعم إسرائيل. (*)

أما ابنه هنري الثاني. فلقد ترأس مجلس المزارعين الفيدرالي في الولايات المتحدة ثم أصبح وزيراً للخزانة في عهد الرئيس روزفلت عند اندلاع الحرب العالمية الثانية (المنصب الذي احتله اليهود دائماً والذي يقوده حالياً آلان غرينسان) (ملك العالم غير المتوج) ولقد ساهم في رسم السياسة الضريبية التي ساعدت في إخراج البلاد من حالة الكساد التي كانت تمر بها الحكومة الأمريكية.

(*) (بعد مؤتمر العقبة عام 2003 بيعت أسهم سندات إسرائيل في الولايات المتحدة والبالغة 12 مليار دولار بخمسة أضعاف عما كانت عليه قبل المؤتمر).

ومن المهم الإشارة هنا إلى ما قاله المسيري من أن هنري هذا كان من أشد المتحمسين لدخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية مع الحلفاء. للخروج من حالة الكساد من خلال تحريك آلة الحرب والصناعات الحربية تلك السياسة التي فرضت على أمريكا أن تظل أسيرة هذه الصناعات الحربية بعد الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم وأسيرة التمويل المالي اليهودي لها.

وقد استطاع عام 1943 أن يحصل على موافقة وزارة الخارجية الأمريكية على الخطة التي وضعها المؤتمر اليهودي العالمي لتمويل حملة أمريكية من أجل نقل يهود أوروبا إلى فلسطين.

وفي عام 1944 شكل مجلس لاجئي الحرب. ثم ترأس عام 1955 - 1951 الجامعة العبرية في القدس. ثم أصبح رئيساً للمؤسسة الأمريكية للتمويل والإنماء من أجل إسرائيل ثم تزعم حملة بيع سندات دعم إسرائيل.

من المفيد أيضاً التذكير بأهم شخصية مالية ظهرت فيما بعد والمدعو جورج سوروس المجري الأصل. يذكر المسيري في موسوعته ج3 - ص 154 بأن سوروس اعترف في مقابلة أجرتها معه محطة ويت tv الأمريكية أنه تواطئ مع القوات النازية أثناء احتلالها للمجر في الحرب العالمية الثانية وأنه ساعد في نهب ممتلكات اليهود لدفعهم للهرب والهجرة مما جعله يكون تلك الثروة الطائلة التي مكنته فيما بعد أن يجعل اقتصاديات جنوب شرق آسيا تصل إلى القمة ثم تنهار فجأة لتعود إلى حقيقتها.

إن جورج سوروس هذا كما يقول المسيري، «**يقدم لنا نموذجاً جيداً عن اليهودي الحقيقي. الذي لا يتورع عن سلخ جلود أبناء جلدته في سبيل المال والثروة وتوطيد المشروع الصهيوني**».

كذلك فإن برنار باروخ أبرز شخصية في عائلة باروخ المصرفية والمسيطرة على أهم وسائل الإعلام في بريطانيا واستراليا وأمريكا قد اختاره الرئيس ولسون ليصبح عضواً في اللجنة الاستشارية لمجلس الدفاع القومي الأمريكي (المنصب الذي احتله اليوم في عهد الرئيس بوش الصهيوني البارز والمتشدد ريتشارد بيرل). ثم أصبح رئيساً للجنة المسؤولة عن التنقيب عن المعادن والمواد الخام. وخلال الحرب العالمية الأولى تولى رئاسة مجلس الصناعات الحربية في أمريكا.

أما لويس برانديس المحامي العام لوزارة العدل الأميركية فكان صديقاً شخصياً للرئيس ولسون وكان قد أصبح رئيساً فخرياً للمؤتمر اليهودي العالمي مدى الحياة منذ عام 1916 وقد لعب دوراً حاسماً كما تذكر كتب التاريخ في جعل ويلسون يجازف بسمعته السياسية ويقرر دخول الحرب إلى جانب الحلفاء مع أنه فاز بالانتخابات تحت شعار الوقوف على الحياد.(*)

(*) (تصوروا رئيساً يفوز بالانتخابات تحت شعار وقوف أمريكا على الحياد في الحرب ثم يخالف

لا يستطيع القارئ إلا أن يبدي إعجابه بالجهد الكبير الذي بذله المسيري في موسوعته التي خصص تقريباً نصف أحد أجزاءها الستة للتعرف على أهم الشخصيات اليهودية في العالم والتي يظهر فيها أن أكبر أصحاب البنوك والمصارف وأسواق البورصة في جميع أنحاء أوروبا وأمريكا هم من اليهود. وأن أهم تجار الذهب والماس وأصحاب المناجم في أفريقيا الجنوبية وروديسيا وموزامبيق والكونغو هم من اليهود.

يستطيع القارئ الذي يريد أن يتعرف إلى أسماء أهم العائلات والشخصيات اليهودية في أمريكا والعالم والتي تعمل بشكل خاص في مجال المال والمصارف والبنوك والبورصة والذهب والماس والصناعات الحربية والكيميائية وفي مجال الدعاية والإعلان والسينما والصحافة أن يعود للجزء الثالث من موسوعة المسيري أما من يريد التعرف على أسماء اليهود وغير اليهود من المليارديرية الذين يقدمون الهبات وكل وسائل الدعم لإسرائيل فيمكنه العودة إلى كتاب الصهيونية سلاح الإمبريالية المسموم الصادر عن مكتبة الإعداد الحزبي في دمشق حيث سيكتشف أن أغلب المليارديرية اليهود في العالم إما مؤيدين للصهيونية وإسرائيل واليمين الصهيوني أو مؤيدين وداعمين لسياسة بلدانهم الداعمة لإسرائيل مما يشير ويؤكد أن غالبية اليهود أثناء انتقال أوروبا إلى الرأسمالية والإمبريالية ظلوا يهوداً منعزلين، لهم مشروعهم الخاص ورؤيتهم الخاصة ومؤيدين للصهيونية وإسرائيل بغض النظر عن الجنسية التي يحملونها أو اللغة التي يتحدثون بها أو الأعمال التي يقومون بها.

رأي ناخبيه الـ65٪ من الشعب الأمريكي الذين أوصلوه لسدة الحكم ثم يقرر خوض الحرب ضد رأيهم. هل هذه هي الديمقراطية الأمريكية؟).

الفصل الثالث

تهويد بريطانيا

إن ما جعل المسيري وغيره من المنظرين والباحثين يستبعدون فكرة أن اليهود على قلتهم يمكنهم أن يسيطروا على السياسة الإمبريالية الإنكليزية والأميركية تجاهلهم حقيقة أن رأس المال اليهودي كان يلعب دوراً مهيمناً على الصناعة والتجارة العالميتين وذلك قبل أن تنتقل هذه الدول إلى الإمبريالية. ويخلطون بين دور رأس المال اليهودي في نشوء الرأسمالية وبين هيمنته عليها لاحقاً فقبل أن تنشأ الرأسمالية وبدءاً من عام 1551 أجاز الملك سيغموند أوغست لليهود حق اختيار حاخاماتهم وقضائهم وإدارة شؤونهم الخاصة. وكما يقول المسيري نفسه فإن الملك فرديناند والملكة إيزابيلا الذين وحدا إسبانيا كانا محاطين باليهود المتنصرين سواء كمستشارين لهم أو حاملي أسرار أو سكرتيريه أو حرس أو محاسبين . ولقد قام اسحق إبراباتل وشريكه أبراهام سينوا بتمويل حروب الملك والملكة ضد المسلمين(*) (كما قام النبلاء الإقطاعيون في كل من رومانيا وألمانيا بمنح اليهود مواثيق الحماية المطلوبة من أجل الحصول على دعمهم المالي).(**)

الحقيقة ذاتها أكدها المسيري ثانية في الصفحة 284 من الجزء السادس. كان الوضع القانوني لأعضاء الجماعات اليهودية يعد مزية كبرى. حيث لم يكن اليهودي مرتبطاً بالأرض كالاقنان ولا بالكنيسة وكان بوسع اليهودي أن يتحرك ويتنقل كالفرسان ولقد وفرت لهم جميع المواثيق الصادرة في الإمبراطوريات القديمة الحماية والجو المستقر للقيام بالأعمال المالية والمصرفية والتجارية هذه الحقيقة أكدها برونو باور «الحصول على خيرات إضافية لا يمتلكها غيرهم من المواطنين لكونهم يهوداً». فاليهودية كانت تعتبر ميزة خاصة وتفضيلية وهذه الحقيقة عبر عنها أيضاً ماركس بقوله: (**الدولة المسيحية لا تعرف سوى امتيازات. واليهودي كان يحوز في نفسه امتيازاً لكونه يهودياً فقط. فله كيهودي حقوق ليست للمسيحيين. فلماذا يطالب بحقوق ليست عنده ويتمتع بها المسيحيون**).(***)

إن اليهود وقبل أن تظهر الرأسمالية كانوا يمارسون دوراً قيادياً ومهيمناً على السياسة العامة للإمبراطوريات الأوروبية، وكما أن نشوء الرأسمالية وحاجة الصناعة إلى التمويل والتصريف والبحث عن أسواق خارجية جعلت الحاجة إلى رؤوس أموالهم تتضاعف مرات ومرات وحين دعا

(*) المسيري، عبد الوهاب (الموسوعة ج3 /ص 305)

(**) ص 386 المسيري، الفكرة ذاتها أكد عليها ابراهام ليون في الصفحة 29 من كتابه (التصور المادي للمسألة اليهودي).

(***) (المسألة اليهودية) ماركس. باور.

كرومويل اليهود للعودة إلى بريطانيا عام 1649 فلكي يكسب رؤوس أموالهم إلى جانب دولته، لأنه كان يحتاج إلى رأسمالهم من أجل تمويل التجارة البريطانية في ما وراء البحار.

ثمة حقيقة ينساها الكثير من الباحثين وهي أن البرلمان البريطاني لم يسمح بعودة جميع اليهود بل أجاز لكرومويل شخصياً فقط إدخال من يراه مناسباً من اليهود بموافقة خاصة مما يعني أنهم لم يكونوا يرغبون بدخول أي يهودي وأن القرار كان يعني السماح لليهود أصحاب رؤوس الأموال فقط بالدخول.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ يتصاعد دور رؤوس الأموال اليهودية في التجارة والسياسة البريطانية لدرجة جعلت جون سكوت يقرر في بداية القرن العشرين أن الحكومة السرية والحقيقية لبريطانيا هي حكومة يهودية.

لقد حسم المصرفيون اليهود أمورهم من خلال تركيز رؤوس أموالهم في بريطانيا فقرروا دعمها باعتبار أنها شرعت لهم أبوابها وباعتبار أنها الإمبراطورية التي يستطيعون من خلالها الهيمنة على التجارة العالمية، أسسوا فيها عام 1661بنك إنكلترا الخاص بهم(**).

ثمة حقيقة أخرى ينساها الكثير من المنظرين وهي أن الاقتصاد البريطاني قام منذ البداية على المشاريع الفردية الخاصة وأن دور الحكومة والجيش والنواب والشيوخ. كان يتركز في حماية هذه المشاريع الفردية والدفاع عنها. مما جعل الحكومة البريطانية وجيشها ومواطنيها كلهم يعملون في خدمة هذه المشاريع الخاصة الكبيرة. التي بدأ بها اليهود خاصة روتشيلد وباروخ وسيبل رودس في أفريقيا الجنوبية وروديسيا (التنقيب عن الذهب والفضة والمعادن) وشركة الهند الشرقية التي يمتلكون أكثر من نصف رؤوس أموالها وأسهم قناة السويس التي كان روتشيلد وحده يمتلك 90٪ منها.

لذلك فنحن عندما نقرأ أي حديث لأي رئيس وزراء أو لأي زعيم بريطاني أو مفكر بريطاني يدعو الحكومة البريطانية إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين فإن ذلك لم يكن ولن يكون إلا لخدمة المشاريع الخاصة الفردية للبريطانيين وبصورة خاصة لليهود البريطانيين والتي كانت تنعكس فوائدها على الشعب البريطاني والحكومة البريطانية من خلال الضرائب التي تجنيها ومن تحريك الجيوش وتشغيل العمال والبواخر وآلاف الصناعيين والتجار.

لقد صور اليهود للإنكليز أن أهدافهم الخاصة (أهداف الرأسماليين اليهود) هي أهداف بريطانيا العظمى وكما يذكر عبد الرؤوف سنو(*) فخلال الفترة من 1838 - 1840 طورت بريطانيا (الحكومة السرية لبريطانيا) مشاريع متعددة هدفها قيام استيطان يهودي في فلسطين بدعوة من شخصيات يهودية بارزة مثل اللورد أشلي الأكثر نفوذاً في جمعية يهود لندن والذي كان على قرابة جيدة من اللورد بالمرستون وزير المستعمرات وقد أقنعه بضرورة أن يوضع اليهود في الدولة العثمانية تحت الحماية البريطانية أسوة بالدول

(**) صحيح أن اسمه بنك إنكلترا، لكنه في الحقيقة بنك يهود إنكلترا فقط.

(*) سنو، عبد الرؤوف. (المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين) ص 39

الأخرى التي بسطت كل واحدة منها حمايتها لأقلية دينية معينة حيث فرضت ألمانيا حمايتها على البروتستانت بينما بسطت فرنسا حمايتها على الكاثوليك وروسيا على الأرثذوكس فلم يجد الإنكليز موطأ قدم لهم في الإمبراطورية العثمانية سوى التذرع بحماية االيهود أما خارج الجمعية فكان موسى مونتفيوري زعيم يهود لندن لا يدعم حماية الـ 7 آلاف يهودي الموجودين في فلسطين فقط بل كان يطالب بأن تدعم الحكومة البريطانية هجرة يهود أوروبا إلى فلسطين وفسح المجال لهم لشراء الأراضي هناك والاستيطان فيها)(*) ينتج مما سبق أن الدعوة لشراء الأراضي في فلسطين والاستيطان عليها هي بالأساس دعوة يهودية تبنتها الحكومة البريطانية قبل أن تنتقل بريطانيا لاستعمار الشرق الأوسط الذي كان يخضع للسيطرة العثمانية وقبل أن تحفر قناة السويس مما يعني أن فكرة زرع إسرائيل ليست فكرة أو مصلحة بريطانية بل فكرة ومصلحة يهودية خالصة. ثم أصبحت سياسة رسمية لها وبالتالي فإن مشروع إقامة دولة يهودية في فلسطين لم يكن مشروعاً استعمارياً بريطانيا (كما توهم وروج الكثيرون) بل مشروعاً يهودياً خالصاً. تم تبنيه من قبل الحكومة البريطانية لاحقاً.

النقطة الثالثة التي يتجاهلها كثير من المنظرين والكتاب أن دعم جميع حكومات أوروبا لفكرة استيطان اليهود لفلسطين بعد مؤتمر لندن في عام 1840، تمت بضغط من اليهود المهيمنين على الحكومة البريطانية المتهودة كمحاولة من زعماء هذه الحكومات كسب ود اليهود وليس كما يخيل للبعض من أجل استخدامهم لأغراضهم الخاصة. ويذكر اينغدال(**) (إنه بدءاً من تسعينيات القرن الماضي تشكلت مجموعة من النخبة السياسية والمثقفة الإنكليزية من كليات وجامعتي أوكسفورد وكمبردج شبكة سياسية، باتت الأكثر نفوذاً في بريطانيا خلال نصف القرن التالي أو يزيد ومع ان هذه المجموعة، نفت أن تكون لها أي صفة رسمية إلا أن بصماتها واضحة المعالم في مسار السياسة البريطانية. خاصة بعد أن تشكلت في عام 1910 مجلة جديدة للإمبراطورية تحت اسم الطاولة المستديرة ثم تجمعت هذه الزمرة حول صحيفة التايمز قوية النفوذ وضمت أصواتاً مثل ألبرت لوردنمري ـ والمؤرخ وعضو المخابرات البريطانية المشهور أرنولد توينبي والكاتب والروائي المعروف هـ ج ويلز من كلية اقتصاد لندن وقد أصبح خزان فكرها الرئيس هو المعهد الملكي للشؤون الدولية الذي تشكل في ممرات مؤتمر فرساي عام 1919)

ومن المؤكد أن من كان يدعم هذه المجموعة من كبار النخبة في بريطانيا هم اليهود وخاصة روتشيلد. حيث وجه زعيمها المدعو ماكيندر مؤلف علم الجغرافيا رسالة تعظم الفكرة الهائلة للتفكير الكامن وراء اقتراح بلفور لإقامة دولة يهودية في فلسطين والموجة إلى اللورد روتشيلد.

«لقد كانت خطة هذه المجموعة هي ربط ممتلكات (الممتلكات الفردية للبريطانيين التي هي في غالبيتها تعود لأفراد من يهود بريطانيا) ومستعمراتها الشاسعة حقاً بدءاً من

(*) المصدر السابق (ص42)

(**) اينغدال (مئة عام من الحرب). ص63-64.

مناجم ذهب وألماس سيسيل رودس وحقول الذهب الموحدة لروتشيلد في جنوب إفريقيا مروراً بموزمبيق والكونغو وتنجانيقا شمالاً مروراً بالطريق الملاحي الحيوي عبر قناة السويس ثم عبر وادي الرافدين والكويت وفارس إلى الهند والصين في الشرق..» (*)

«وقد شكلت فكرة (فلسطين يسيطر عليها اليهود) المتطلعة إلى بريطانيا جزءاً من مفهوم الإمبراطورية البريطانية لدى هذه المجموعة التي رأت أنه إذا أصبحت الجزيرة العربية بوصفها الممر البري من أوروبا إلى القارة الهندية ومن شمالي الجزيرة العالمية إلى جنوبها مركز الجزيرة العالمية فإن قلعة القدس القائمة على القلعة تتمتع بموقع استراتيجي بالإشارة إلى الحقائق العالمية التي لا تختلف عن موقعها المثالي في منظور العصور الوسطى أو موقعها الاستراتيجي بين بابل ومصر».

وقال ماكيندر في رسالته الموجهة إلى اللورد روتشيلد: **(سيكون المقر القومي اليهودي في فلسطين أحد أهم نتائج الحرب فوطن قومي في هذا المركز التاريخي والطبيعي للعالم سيجعل اليهودي يصنف نفسه.. باعتباره سيداً للعالم).**

إن فكرة إقامة دولة لليهود في فلسطين لم تكن من بنات أفكار هرتزل الذي لم يكن سوى أجير صغير في صحيفة لآل روتشيلد في النمسا. بل فكرة تبنتها مجموعات من كبار السياسيين والمفكرين الإنكليز بدعم من روتشيلد عندما كان هرتزل يهرول باحثاً عن موطئ قدم له في النمسا كمواطن.

من غير المعقول أن يربط كثير من الكتاب والمفكرين نشوء الحركة الصهيونية والماسونية وبروتوكولات حكماء صهيون بعام 1897 بهرتزل وبكتابة عن الدولة اليهودية. إن النشاط اليهودي المحموم لإقامة مثل هذه الدولة كان قد بدأ منذ بداية القرن التاسع عشر منذ غزوة نابليون لمصر وفلسطين.

من غير المعقول أن يكون هرتزل قد استطاع خلال سنة واحدة بعد إصداره كتابا عن الدولة اليهودية أن يخلق هذا التأييد الهائل للمشروع الصهيوني. ومن غير المعقول أن تجد هذه الفكرة القبول لدى أكثر من خمسمئة من فطاحل اليهود ومؤيديهم للفكرة في العالم الذين حضروا المؤتمر ثم قبول جميع الدول الأوروبية لها لو لم يكن اليهود قد عملوا خلال نصف القرن الماضي (منذ عام 1840) على إقناع جميع الدول الأوروبية بأن إقامة مثل هذه الدولة سوف تخدمهم وبأنها ستشكل الحل الأمثل للمسألة اليهودية. وبأنها ستكون قاعدة لهم في هذه المنطقة الحساسة من العالم مستغلين حقد المسيحيين على المسلمين الذين هزموهم في الحروب الصليبية للانتقام منهم وحقدهم على الدولة التركية المسلمة.

الفكرة الثانية التي يعرفها أغلب الباحثين ولا يتابعونها هي تلك المتعلقة بالاختلاف بين السياستين الألمانية والبريطانية. والمتمثلة في أن الصعود المتأخر للصناعة الألمانية جعلها تستخدم أحدث منجزات العلم. كما أن الاستيلاء على الألزاس واللورين (من فرنسا

(*) ص 65 أنيفدال.

بعد حرب عام 1871) الحاويتين على أهم مناجم الحديد والفحم قد مكنا الصناعة الألمانية من التطور السريع والمكثف وعندما تكدست البضائع المصنعة لم تجد الأسواق اللازمة لها باعتبار أن كلاً من بريطانيا وفرنسا كانتا قد استعمرت العالم كله بحيث لم يعد أمام ألمانيا من سبيل سوى التوجه نحو روسيا أو أوروبا الوسطى والدولة العثمانية. ففي حين اتفق الجميع في مؤتمر لندن عام 1840 على ترك الرجل المريض حتى يلفظ أنفاسه فإن اليهود فشلوا في الحصول على وعد من السلطان عبد الحميد بالسماح لهم بالاستيطان في فلسطين لقاء مساعدته في التخلص من ديونه الهائلة. حيث قال لهم:

(لقد كسب شعبي هذه الإمبراطورية بالقتال. وسنغطيها بالدماء ثانية قبل أن نسمح بضياعها وأنا لا أستطيع أن أبيع حتى قدماً واحداً لأنها ليست ملكاً لي بل لشعبي. وعندما تتجزأ إمبراطوريتي يحتمل أن يحصلوا على فلسطين بالمجان..) (*)

عندها وجد اليهود أنه لا سبيل أمامهم سوى إقناع بريطانيا باحتلال امبراطوريته وتجزئها كما قال السلطان. هذا الأمر الذي لن يتحقق إلا من خلال احتلال الوطن العربي حيث بدأوا باحتلال حضرموت ثم مصر ثم الإمارات والبحرين والكويت وتركوا فلسطين للآخر.

على العكس تماماً من السياسة اليهودية التي اتبعتها بريطانيا عمل الألمان الإبقاء على الإمبراطورية العثمانية ومساعدتها والتحالف معها والعمل من خلال هذا التحالف للامتداد نحو العراق والخليج العربي عن طريق مد خط حديد برلين - بغداد، وهنا حصلت نقطة الإفتراق الأولى بين السياستين البريطانية والألمانية التي كانت السبب المباشر للحرب العالمية الأولى كما يؤكد على انيغدال أما نقطة الافتراق الثانية والأهم فتعود لأعوام سالفة ففي عام 1890 كما يقول اينغدال صفحة (30) **«وبسبب الأزمة التي عصفت بالاقتصاد البريطاني وبسبب الخسائر الفادحة التي عصفت بالألمان في الاستثمار والمضاربة بالسندات والأوراق المالية في أسواق لندن عين المستشار الألماني لجنة تحقيق من 28 شخصاً مرموقاً برئاسة رتشارد كوخ رئيس بنك الرايخ وكانت نتيجة عمل هذه اللجنة إصدار «قانون الصرف» وهو أشد تشريع دولي. في ذلك الوقت. يقيد المضاربات المالية التي يسيطر عليها اليهود. ويوقف التلاعب بسوق الأوراق المالية. فشكل ذلك القانون منذئذ عاملاً حاسماً في تطور الصناعة والاقتصاد الألمانيين وساعدهما على النهوض السريع والمذهل»**.

هذا النموذج الألماني يقوم على الربط بين رأس المال المصرفي وبين رأس المال الصناعي ولا يترك مجالاً لرأس المال المصرفي لأن يهيمن على الصناعي ولا أن يتلاعب بالأسواق وسعر الفائدة أو القيام بالمضاربات المالية. بينما يقوم النموذج الاشتراكي السوفييتي اللاحق على منع رأس المال المصرفي أساساً من القيام بأي دور في نمو الصناعة أو الزراعة معتمداً على عمل العمال والمنتجين بدون أجر أو بأجر زهيد جداً لتوفير فائض تستخدمه الدولة لتطوير اقتصادها في المجالات الضرورية.

(*) ج هـ ـــ جانسن (ص75 الصهيونية وآسيام).

(كان فائض العمل يتراكم على شكل مواد مصنعة، متطورة ومعامل وسدود وليس على شكل نقد يختطفه ويسرقه اليهود أو الرأسماليين وهذا سر حقد اليهود على النظام الألماني والسوفييتي).

إن هذا النموذج الاقتصادي مكن الاقتصاد السوفييتي الفقير والضعيف خلال فترة قصيرة من أن ينمو وينهض نهوضاً سريعاً فاق الإنتاج الصناعي الألماني ومن أن يتجنب الأزمة التي أصابت العالم الرأسمالي عام 1929. لذلك فلقد وجد اليهود - بداية - في النموذج الألماني (الذي لا يتيح لهم الهيمنة والسيطرة على الاقتصاد الألماني) خطراً عليهم فكان لابد من تدمير هذا النمط وألمانيا نفسها عن طريق الحرب.

كتب فيليب كير (اللورد لوثيان) في مجلة الدائرة المستديرة في آب عام 1911 أي قبل بروز النمط السوفييتي ما يلي (**هناك الآن رمزان للأخلاقية الدولية الرمز البريطاني أو الأنكلوسكسوني (اليهودي) والرمز الأوروبي الألماني. ولا يمكن لكليهما أن يسودا فإذا لم تكن الإمبراطورية البريطانية (الحكومة السرية في بريطانيا) قوية بما يكفي لتشكل نفوذاً حقيقياً من أجل التعامل العادل! بين الأمم فإن المعايير الرجعية للبيروقراطية الألمانية سوف تنتصر. وما لم يكن الشعب البريطاني على درجة كافية من القوة كي يصبح مستحيلاً على المنافسين المتخلفين مهاجمته فيحققون أي نجاح فإن عليه أن يتقبل المعايير السياسية والعسكرية للدول العدوانية**) لقد كان هذا الكلام بمثابة بداية إعلان الحرب على ألمانيا ليس من أجل منعها من الوصول إلى نفط العراق فقط بل من أجل تحطيم وتدمير النمط الألماني في الاقتصاد الذي تسيطر عليه الدولة (*).

وهكذا لم يعد هناك مفر من الحرب ليس من أجل احتلال الإمبراطورية العثمانية وتقسيمها بل من أجل زرع وطن قومي لليهود فيها ومن أجل تدمير نموذج اقتصادي مغاير لا يخضع لهيمنة رأس المال المصرفي اليهودي.

هذا هو أيضاً الأساس الذي بنى عليه اليهود والخاضعون لنفوذهم المالي بعد أزمة الكساد الكبير عام 1929 خطتهم لتدمير النمط السوفييتي الذي بات يشكل تهديداً لنمطهم القائم على هيمنة رأس المال المالي اليهودي على الحياة الاقتصادية للعالم والتلاعب بأسواق المال والائتمان. ومن هنا بدأ التخطيط لصعود النازية في ألمانيا منذ عام 1930 وتقديم القروض للصناعات الحربية الألمانية من أجل شن الحرب على الاتحاد السوفييتي لتدميره وهذا ما تحقق لهم في الحرب العالمية الثانية ثم الثالثة (الحرب الباردة) حيث تم لهم إسقاط هذا النموذج وإعادة النموذج الاقتصادي الإمبريالي (اقتصاد السوق) الذي يتيح لهم السيطرة على مجمل النشاط الاقتصادي (الصناعي والتجاري والمالي) لروسيا وجمهورياتها السابقة.

(*) اينغدال. ص64

الفصل الرابع

الولايات المتحدة اليهودية

«ويل لهذا العالم إذا أمسكت أمريكا برقابه»
شارل ديغول

إذا كان ماركس قد تحدث عن عملية تهويد لأوروبا أو تهويد للمسيحية فإنه كان يقصد التهويد بالمعنى المجازي بمعنى تحول المسيحيين إلى عبادة المال والمنفعة الخاصة حيث أصبحت الديانة اليهودية هي الديانة العملية لأوروبا المترسملة. بمعنى أن المسيحيين الغربيين كانوا مسيحيين من الناحية النظرية لكنهم أصبحوا يهوداً من الناحية العملية والواقعية والسلوك بعد تصاعد الرأسمالية.

عندما نقول أن المجتمع المسيحي أو الإسلامي تهود فمعنى ذلك أنه كان مسيحياً أو مسلماً من قبل ثم تهود عبر عبادة المال.

لقد أوضح المسيري (بأن ظهور البروتستنتايتية تزامن مع تزايد النشاط التجاري الرأسمالي في المجتمعات الغربية) بمعنى أن البروتستانتية كانت أول عملية تهويد للمجتمع المسيحي الأوروبي (ومع بداية ظهور البروتستانتية بدأت الكاثوليكية تتقهقر وتتخلخل مواقعها الإيديولوجية وقد ساهم هروب اليهود من محاكم التفتيش الإسبانية ولجوئهم إلى المدن البروتستانتية في هولندا وألمانيا وبريطانيا ودخولهم في البروتستانتية في عملية التهويد لمسيحيي أوروبا). ولكن مع بقائهم من الناحية النظرية والعبادات والتقاليد مسيحيين أما في بريطانيا فعندما نقول أنها تهودت بعد عام 1649 فلأنها كانت مسيحية قبل ذلك التاريخ ثم تهودت تماماً فيما بعد. ولا ينطبق ذلك على الولايات المتحدة الأميركية لأنها منذ البداية كانت يهودية!!!

تلك نقطة خلافية أساسية أعتقد أنه دون فهمها يصعب معرفة حقيقة أمريكا وفهم سياستها الداعمة لإسرائيل. والتمييز بينها وبين بريطانيا وبين بقية بلدان أوروبا الغربية وبقية دول العالم.

يؤكد هنري فورد رائد صناعة السيارات الأمريكية في مقالاته التي كتبها بين عامي 1920 ـ 1922 تحت عنوان اليهودي العالمي.

إن اليهود السريين (المتظاهرين بالمسيحية) الثلاثة لويس دوسانتاجيل الذي كان تاجراً مهماً من فالنيسا وشاغلاً لمنصب جابي الضرائب الملكية. وقريب له اسمه جابريبل سانيز

الذي كان أمين الخزائن الملكية. وصديقهم رئيس البلاط الملكي خوان كامبرميرو. عملوا باجتهاد للتأثير على الملكة إيزابيلا ليمولوا رحلة كولمبوس على أمل أن تحصل على ذهب جزر الأنديز لتعوض عن نضوب الخزائن الملكية.

يذكر فورد[*] أن خمسة من اليهود رافقوا كولمبوس في رحلته. ومع أن بترسيفانست عمدة مدينة نيويورك الهولندي اعترض على استقرار اليهود بين السكان وأمرهم بالرحيل غير أنهم أبطلوا أمر ستيفانت بترحيلهم إما بسبب رأس المال الضخم الذي استثمروه بافتتاح محلات البيع بالتجزئة التي قادتهم إلى التجارة الخارجية وتجارة الجملة كلها بما يشبه الاحتكار بسبب صلاتهم بأوروبا.

ولقد حذر بنيامين فرنكلين في أواخر القرن الثامن عشر الشعب الأمريكي وحكومته من تغلغل اليهود في الإدارة والحياة الأمريكية بغية الحفاظ على مستقبلهم ومستقبل نظامهم خاصة خوفاً من نبذ عالمي للأمريكان إذا ما هيمن اليهود على حياتهم.

يقول هنري فورد «يبدو أن الدافع الغريزي اليهودي للبحث عن الثروة والمال جعل اليهود يدركون أن نيويورك ستكون فردوس المتعة الرئيسية لهم في الأيام الآتية وقد تأكد حدسهم ذلك لأن نيويورك التي استقر فيها معظم اليهود غدت البوابة التي يتم من خلالها فرض ضرائب على معظم صادرات وواردات أمريكا. كما أنها صارت عملياً معقل التجارة في أمريكا وهي تدين بالفضل في ذلك لسادة المال اليهود. أما أرض المدينة ذاتها فلقد صارت هي الأخرى ضمن حيازات اليهود حيث تكشف وثائق ملكية العقارات في المدينة أنه نادراً ما يوجد اسم لمالك غير يهودي ولذلك كما يرى فورد لم يكن مستغرباً أن الكتاب اليهود حينما رأوا هذا الرخاء غير المسبوق والنمو في الثروة والنفوذ اليهودي أخذوا يصرحون بشكل حماسي بأن الولايات المتحدة هي بالفعل الأرض الموعودة التي تنبأ بها الأنبياء. وأن نيويورك هي القدس الجديدة وأن قمم جبال روكسي هي جبال صهيون».

هذه النقطة التي أشار إليها فورد تؤكد أن أرض الميعاد بالنسبة لليهود هي الأرض التي تنتج الذهب والفضة والثروة وقدسهم وإلههم المعبود هو المال وجبال صهيون هي الجبال التي من خلالها يهيمنون على العالم ليزيدوا من نفوذهم وثروتهم وتسلطهم عليه. في ذلك الوقت كانت أمريكا تمثل بالنسبة لهم أرض الميعاد ولم تكن فلسطين تحرك أي شعور لديهم بالقداسة أو بالرغبة في ملجأ آمن ولم يفكر أي واحد منهم بالذهاب إليها وإذا كانوا قد عادوا من جديد للتنظير والتخطيط للعودة إليها ثانية فلأن السيطرة عليها ستتيح لهم السيطرة على الاقتصاد العالمي من خلال الهيمنة على النفط والمال والموقع الاستراتيجي للمنطقة العربية.

وكما يرى الكاتب المصري جميل مطر[*] فإن مسألة تعيين المرشح الأمريكي آل جور

(*) (مجلة وجهات نظر عدد 49) ص30

(*) (مجلة الهلال العدد 2001/1 ص20)

ليبرمان نائباً له قبل البدء بالحملة الانتخابية قد فجرت صراعاً عنيفاً داخل الولايات المتحدة ويقول مطر «وما زلت عند رأيي بأنه سيكون لاختيار ليبرمان أبعاداً سوف تمس العلاقات المسيحية اليهودية والعلاقات بين الإصلاحيين والأرثوذوكس من اليهود وستمس أيضاً مجمل منظومة القيم الدينية في الولايات المتحدة، والعلاقة بين الدين والدولة وجوهر الدستور الأمريكي حيث تعالى أخيراً صوت الرأي العام الأمريكي الذي يزعم أن «الآباء المؤسسين للولايات المتحدة اعتبروا التوراة (وليس الإنجيل) هو المصدر الرئيسي للدستور الأمريكي والتشريع في الولايات المتحدة». من أجل أن تصل الولايات المتحدة وشعبها إلى اللحظة التي تقبل شخصاً يهودياً مثل ليبرمان ليكون رئيساً لها إذا ما قتل آل غور أو أزيح عن السلطة لسبب من الأسباب».

إن ما هو مؤكد تماماً مثلما قال جميل مطر وهو واقع بالفعل أن التوراة كانت المصدر الأساسي للدستور والتشريع في الولايات المتحدة الأمريكية وأن مؤسسي الدولة الأوائل استندوا إلى التوراة وليس إلى الإنجيل أو إلى القوانين الرومانية أو اليونانية.. لذلك فمن الطبيعي جداً أن يقف جميع رؤساء الولايات المتحدة وزعمائها البارزين منذ بداية المشروع الصهيوني وراء هذا المشروع وأن يدعموه بكل قواهم. وبعد أن أقيمت دولة إسرائيل تبنوا المشروع الصهيوني وأرادوا أن يجعلوا من هذا الهدف هدفاً للغرب وللولايات المتحدة.

كتبت الباحثة المصرية سهير السكري(*) صحيح أن الولايات المتحدة هي دولة عظمى تعتمد في رسم سياستها على مؤسسات دراسة وبحث وتقصي لكن هذه الدولة تخضع لما يراه ويقرره أنبغ وأقدر الشخصيات الأمريكية (مثل مورجنتاو - برانديسي - هنتجتون - كسينجر - سكوكروفت - برجنيسكي - ريتشارد بيرل وسواهم).

وسواء أكان هؤلاء يهوداً أو غير يهود (فإنهم من ذوي الميول الصهيونية الواضحة (أو المنتسبين لأحد المحافل الماسونية أو نوادي الروتاري) حيث تقوم المنظمات الصهيونية بتمويل هذه المؤسسات كما أوضحنا سابقاً) وتتابع سهير السكري وحيث قام الصهاينة بزرع هؤلاء في مراكز صنع القرار وفي غيرها من الأماكن الحساسة في الإدارة الأمريكية في الولايات أو الكونغرس أو البلديات (سواء أكانت ديمقراطية أم جمهورية) فإنها باتت تخضع لرغبة الصهاينة في إقناع الأمريكيين ولتصور لهم عن طريق وسائل الإعلام والصحافة التي تسيطر عليها أن المخططات الصهيونية في المنطقة هي مخططاتهم وأن الدفاع عن إسرائيل، إنما يخدم أمريكا ومصالحها ومصالح الشعب الأمريكي **(وأن من المستحيل على الأمريكيين أن يساندوا مثل هذه السياسة التي تبعث بأبنائهم للموت أو أن ترسل حكومتها الأسلحة المدمرة لقتل الشعوب الأخرى البائسة والفقيرة إلا إذا أصبحوا مقتنعين بأن الدفاع عن إسرائيل وأمنها قد أصبح جزءا أساسيا من الأمن القومي الأمريكي)**. إن لم يكن في نظر بعض المنظرين أمثال توماس فريدمان أهم من الأمن الأمريكي ذاته.

(*) (وجهات نظر عدد 49 . 2003 . ص32).

التحالف الإنكلوسكسوني لخدمة الصهيونية:

لا جدال في أن الأمريكيين والبريطانيين (الأنكلوسكسون) أقاموا حلفاً متيناً فيما بينهما مع بداية الحرب العالمية الأولى وقد تحدث الجنرال ديغول نفسه عن هذا الحلف بقوله: (**)

(في المخاطر القاتلة التي نجتازها نحن الفرنسيين (والأهم أن نقول نيابة عن شعوب البر الأوروبي لأن ما يصح على فرنسا يصح بدرجة أكبر على ألمانيا وإيطاليا وروسيا باعتبار أن فرنسا كانت حليفة للإنكليز في الحرب العالمية الأولى واقتسمت معها مناطق النفوذ في العالم منذ مطلع هذا القرن لم يخيل إلينا قط بان الولايات المتحدة تعتبر مصيرها مرتبطاً بمصير فرنسا (أو أوروبا) أو بأنها تريد لفرنسا أن تكون قوية عزيزة. أو بأنها تعمل ما بوسعها لمساعدتها لأن تظل قوية أو أن تصبح قوية. ولقد أعدت على محدثي (السفير الأمريكي في لندن) أن الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الأولى لم تتدخل إلا بعد ثلاث سنوات من القتال أنهكت فيها قوانا ونحن نصد العدوان الألماني وأكثر من ذلك فالولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الأولى لم تدخل الحرب إلا لأن القوة الألمانية أصبحت تشكل عائقاً أمام تجارتها وبعد أن حاولت فرض صلح يسمح لفرنسا باستعادة الألزاس واللورين وبعد أن هزمت ألمانيا شوهد الأمريكيون يرفضون لفرنسا ضمانات سبق لهم ووعدوها بها كما أنهم راحوا يمارسون على فرنسا ضغطاً عنيداً للتخلي عن الرهونات التي كانت بحوزتها وعن التعويضات التي من حقها على ألمانيا. وأخيراً راح الأمريكيون يقدمون لألمانيا العون لاستعادة قوتها العسكرية. وختمت كلامي للسفير قائلاً: وكانت النتيجة هتلر)

«كما ذكرت هوبز بالجمود الذي التزمته الولايات المتحدة عندما بدأ الرايخ الثالث في السيطرة على أوروبا وذكرته بالحياد الذي اعتصمت به بلاده بينما كانت الكارثة تحل بفرنسا عام 1940 وبالرفض الذي قابل به روزفلت نداء بول رينو في الوقت الذي كان فيه مجرد الوعد بالمساعدة ولو سراً كافياً لجعل سلطاتنا العامة تقرر مواصلة الحرب ثم ذكرت السفير كيف ظلت واشنطن تقدم عونها للزعماء الفرنسيين الذين وقعوا وثيقة الاستسلام وكيف كانت تتحى باللائمة دون حساب على الذين يواصلون القتال. وقد أضفت أنكم وجدتم أنفسكم مضطرين لدخول الصراع عندما أرسل اليابانيون أسطولكم إلى القاع في بيرل هاربور».

ويقول ديغول(*) في مكان آخر ص213 (لو أن فرنسا الحرة كان لها مكانها الصحيح في توجيه الجهود المشتركة. ولو كانت قادرة على جعل التحالف يتبنى أهدافها في الحرب. ولو كانت تشترك بصورة منظمة في القرارات العسكرية لاختلفت الأمور اختلافاً كلياً. لكن حكومة لندن وواشنطن كانتا تدعيان الاحتفاظ بحق قيادة الحرب دون منازع).

(**) مذكرات الجنرال ديغول ج3. ص134

(*) مذكرات الجنرال ديغول ص 291

(إن القيادة الأنكلوسكسونية المندمجة كانت تحتفظ بحق قيادة مونوبول خطط العمليات العسكرية وعندما كانت فرنسا تخاطر بمصيرها ومصير مستعمراتها وكان الجيش الفرنسي يشكل ربع قوات إيزنهاور فإن عناد الأنكلوسكسونيين في الاحتفاظ وحدهم بدقة القيادة كان مبالغاً فيه كل المبالغة وإزاء هذا الموقف الاستغلالي أجد نفسي مضطراً كلما سنحت لي الفرصة للضغط على القيادة لاستخدام قواتنا خارج إطار القوات الحليفة).

ويقول في مكان آخر. (كنت أؤمن أن لفرنسا في أوروبا الغربية والعالم رسالة لمنع قيام رايخ ألماني جديد وأن تتعاون مع الشرق ومع الغرب دون أي نوع من التبعية. وأن أجعل منها إن اقتضى الأمر حكماً بين الكتلتين الشرقية والأنكلوسكسونية وكل ما قمت به منذ عام 1947 وعملت له كان لامتلاك تلك الإمكانيات ولذلك عارضت إنكلترا وأمريكا هذه السياسة وسعت إلى تدمير فرنسا).

أما الكاتب الفرنسي جان فرانسوا في كتابه الهوس المعادي لأمريكا فيقول إن **الذي حسم المعركة على الجبهة الأوروبية هو روسيا، التي تمكنت بما قدمته من تضحيات بشرية ضخمة قبل حصار لينينغراد وأثناء حصارها وبعده من تحطيم شوكة الجهاز العسكري النازي. أما تدخل الطيران الأمريكي فإنه لم ينجح في تحقيق أهداف استراتيجية** وأن القنابل الأمريكية أصابت غالباً أهدافاً مدنية كان من نتيجتها تصلب مواقف الألمان).

ويورد جان فرانسوا للتأكيد على هذه الحقيقة قول الجنرال العسكري البريطاني ليدل هارت (بأن سلوك الفرق الأمريكية في الحرب كان بيروقراطياً وعديم الجدوى بالقياس إلى القوى العسكرية والاقتصادية المعطاة وكلما تطلبت الوضعية العسكرية من فرق الحلفاء التدخل اتبعت القوات الأمريكية الأسلوب ذاته مع حلفائها)(*). نستنتج مما سبق أن تحالفاً رسمياً وعملياً كان قائماً بين كل من بريطانيا وأمريكا منذ بداية القرن الماضي لتدمير أوروبا القارية لتحوز الدولتان بعد ذلك على جميع المكاسب الناتجة عن تضحيات الآخرين دون أن تقدم أية تضحيات حاسمة.

يميل بعض المنظرين إلى الزعم بأن صراعاً في المصالح قد ظهر بين كل من بريطانيا وأمريكا بعد الحرب العالمية الثانية جعل الأخيرة تحل محلها في جميع مستعمراتها وقد تكون هذه الحقيقة تعكس جزءاً من الحقيقة التي عملت مؤسسة مورجان على تكييفها مع المصالح المالية لمصارف نيويورك وواشنطن وليس لأي سبب آخر كما يتضح معنا لاحقاً.

يورد حسنين هيكل(**) **«أن بريطانيا بعد حرب السويس والتي كانت تعاند سابقاً قد تخلت عن هذا العناد فتخلت عن مصالحها في الشرق الأوسط للولايات المتحدة في صفقة لم تتجاوز قيمتها 400 مليون دولار كانت ضرورية لإنقاذ بريطانيا من أزمتها بعد حرب السويس».**

(*) (وجهات نظر العدد 2003/50 ص23)

(**) (وجهات نظر العدد 2003/50/ص13)

ويرى هيكل أنه (جرت أكثر من عملية تسليم واستلام خلال التاريخ حيث قامت إمبراطورية قديمة بتسليم ممتلكاتها لإمبراطورية جديدة وكأن الدول والأقاليم بضائع تنقل من مخزن إلى آخر. حيث أخطر ايزنهاور تشرشل أنه يعبر له عن فهمه للضرورات التي تدعو الحكومة البريطانية لتخفيف أعبائها في الشرق الأوسط. وهو يتعاطف مع رغبته في جعل التزاماتها في المنطقة متوازنة مع مواردها المالية والاقتصادية والعسكرية وأخطره بأن الولايات المتحدة لن تستطيع تحمل كل الأعباء البريطانية التي ترى الحكومة البريطانية أنها مضطرة إلى التخلي عنها للولايات المتحدة.

وأعلمه أخيرا أن حكومته تقدم دعماً مالياً فورياً للحكومة البريطانية قدره 400 مليون دولار.(*)

ويرى هيكل أنه في ظل الحرب الباردة ولإبقاء الاتحاد السوفيتي بعيداً كقوة مؤثرة في السياسة الدولية جعلت الولايات المتحدة كثيراً من الحكومات في الشرق الأوسط تحقق استقرارا سياسياً واقتصادياً عجزت الحكومات البريطانية الفرنسية عن تحقيقه.

ولهذا فإن أولى المهمات التي وضعتها الحكومة الأمريكية لإعادة السيطرة على هذه المواقع التي لم يعد بمقدور بريطانيا الاحتفاظ بها هي العمل بأسلوب أكثر ذكاءً وبعداً عن التدخلات العسكرية المباشرة. وقد تمثل ذلك الأسلوب بالاعتماد على الداخل من خلال القيام بانقلابات عسكرية تقودها المخابرات المركزية، و لم تكن هذه السياسة تهدف إلى أن تقود انقلابات على عجل للحصول على الموارد بسرعة بل كان من المهم بالنسبة لها إخلاء الساحة من القوى الخارجية والقضاء على القوى الوطنية المحلية والوطنية عن طريق إزاحة واقتلاع قوى وأفكار وأحزاب وحركات ورجال وليس مهماً إذا كانت عواقب عمليات الاقتلاع هذه أن تلحق بهذه البلدان الخوف والدمار والخراب وموت الآلاف أو الملايين لكن المهم بالنسبة لها أن يتمكن النسر الأمريكي المحلق بعد أن حوّم طويلاً وعالياً أن ينقض بلمح البصر أو يحضر حيث يشتم رائحة الفريسة جاهزة وهكذا حط أخيراً على العراق بلمح البصر.

النشاط اللصوصي لليهود

يروي محمد حسنين هيكل (**) من قصص المغامرات أن الولايات المتحدة قد أعجبت بالقرصان الشهير الكابتن مورجان. الذي تقوم فلسفته على أن القرصان العادي هو الذي يغير على السفن التجارية المسافرة فيقتل ركاباً أبرياء وينهب حمولتها من الأشياء والنقود أما القرصان الذكي فإنه لا يغير إلا على سفن القراصنة الآخرين ينتظرهم قرب مكامنهم عائدين محملين بالغنائم مجهدين من القتل والقتال ثم ينقض عليهم محققاً جملة أهداف:

1. يحصل على كنوز عدة سفن أغار عليها القراصنة العاديون في رحلة شاقة وطويلة.

(*) يا لهذا الثمن البخس الذي قدم ثمناً للشرق الأوسط.

(**) ص5 وجهة نظر العدد /50/2003

فيما القرصان الذكي يحصل عليها جاهزة وبضربة واحدة.

2. لا يرتكب بالقرصنة جريمة لأنه نهب الذين قاموا بالنهب وقتل الذين سبقوه بالقتل وعليه فإن ما قام به لم يكن جريمة وإنما عقاب عادل ولم يكن قتلاً ولا نهباً وإنما قصاص.

3. يصنع لنفسه مكانة وهيبة تذكرها تقارير العهد وتتذكرها حكايات الليل.

يشبه هيكل الولايات المتحدة بالقرصان الذكي ولكن الحقيقة هي أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت مثلها مثل بريطانيا وفرنسا ومثل جميع اللصوص في البلدان المستعمرة قد تحولت منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى قرصان عادي يقوم بالاعتداءات وينفذ أبشع عمليات القتل والتدمير فقد قامت بأكثر من مئتي عملية اعتداء. مما يعني أن القراصنة الأذكياء هم اليهود الذين جعلوا ما تسرقه الإمبرياليات بما فيها الأمريكية وما يسرقه اللصوص من الشعوب في المحصلة النهائية يصب في جيب أصحاب المصارف التي يهيمن عليها اليهود. الذين كانوا ومازالوا يحصلون وحدهم على الذهب الخالص دون أي تعب أو شقاء «وعلى البارد المستريح» ودون أن يظهروا على الساحة على هيئة لصوص أو قتلة ومجرمين ولا شيء يضيرهم من أن تقوم أمريكا كما قامت بريطانيا وفرنسا بعمليات القرصنة والنهب والغزو والاستعمار والاحتلال بينما يحصلون هم على الفوائد دون أن يخسروا فلساً واحداً بعد أن خسرت بريطانيا مواقعها وسمعتها ثم أمريكا. أما المصرفيون اليهود والمتعاونون معهم فهم الوحيديون الذين لم يقدموا أية تضحية أو خسارة والوحيدين الذين ازدادوا ثراء وغنى وازدادوا هيمنة وسيطرة ونفوذاً وقوة. في حين دمر الآخرون بعضهم بعضاً.

الأنكلوصهيونية

ذكرنا سابقاً أنه تشكلت في بداية القرن العشرين في لندن مجموعة من النخبة السياسية التي ألتئمت حول مجلة الطاولة المستديرة التي تأسست رسمياً عام 1910 وقد تبين أن الممول لهذه المجموعة من النخبة المؤلفة من المؤرخ أرنولد توبيي. والروائي هـــ. ج ويلز. وج ماكيندر مؤسس الجغراسيا...هو روتشيلد الذي كان يرى أن هدف هذه النخبة العمل على ربط ممتلكات بريطانيا ومستعمراتها من خلال خلق دولة يهودية في مركز الجزيرة العربية (بين بابل ومصر) التي ستكون مركز الجزيرة العالمية.

كما أن من مول الحرب العالمية الأولى هي المصارف الكبرى التي يسيطر عليها اليهود في كل من لندن ونيويورك وأن بريطانيا خرجت من تلك الحرب أكثر إفلاساً مما كانت قبلاً وأن الولايات المتحدة زاد دينها لصالح مصرفيي مدينة نيويورك على أي دين معروف في تاريخها السابق.

ونكرر هنا ما قاله محمد حسنين هيكل:

من المدهش أن أميركا العائدة إلى شواطئها بعد الحرب التي قدمت فيها خسائر أقل

من الخسائر التي قدمتها رومانيا، أصرت أن تقتضي نصيبها من تعويضات المهزومين (الامبراطورة النمساوية. الامبراطورية العثمانية. ومشروع الامبراطورية الألمانية والايطالية.) ذهباً وليس أي شيء آخر وكان نصيب أميركا هو الأكبر بدعوى أن دخولها الحرب في النهاية هو الذي قلب موازينها وبهذا المنطق أرسل الرئيس هاردنج الذي خلف ويلسون من يشرف على شحن ذهب التعويضات من ممالك ال هابسبورغ وال روما نوف. وآل عثمان وآل هوهنزلن - ورصها في صناديق فوق صناديق على البواخر الذاهبة إلى أميركا، ومن يومها انتقل نصف ذهب العالم إلى أيدي يهود ومصرفيي أميركا. لكن للأسف فإن هيكل يؤكد على أن أمريكا هي القرصان الذكي الذي سرق ما يسرقه القراصنة العادين لكنه يتجاهل الحقيقة التي يظهرها لنا أنيغدال من أن حكومتي الولايات المتحدة الأميركية والبريطانية كانتا من القراصنة العادين لأنهما أُخرجتا من الحرب بديون هائلة بينما كان أصحاب مصارف نيويورك وواشنطن ولندن من اليهود والمتعاونين معهم هم الوحيدون الذين زادت ثروتهم. نفهم مما سبق أن المستفيدالأساسي من الحرب العالمية الأولى ووراء دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية بشكل متأخر إنما كان المصرفيون اليهود والوحيديون الذين لم يقدموا أية تضحية تذكر والذين زادت ديونهم على الحكومتين الإنكليزية والأمريكية على عشرة مليارات.

إذا كانت أمريكا تمثل القرصان الذكي فإن المصرفيين اليهود هم في الحقيقة القرصان الأذكى وكان لا بد أن ينشأ تعارض بين مصالح الحكومتين الإنكليزية والأمريكية وبسبب ذلك حسب ما يقول انيغدال ص75 وعلى خلفية محادثات فرسا يل تشكلت مدرسة جديدة للتنسيق الأنكلوسكسوني وفقا لمصالح المصرفيين اليهود في الشؤون الاستراتيجية للعالم. ولقد اقترح ليونيل كيريتس العضو في حلقه بلفور تأسيس العهد الملكي للشؤون الدولية. واجتمع اللورد لوثيان اليهودي واللورد روبرت سيسل وآخرون من حلقة الطاولة المستديرة في ذلك الاجتماع التأسيسي حيث كانت المهمة الأساسية والرسمية لهذه المؤسسة الجديدة تأسيس فرع أمريكي لهذا المعهد اللندني الذي أطلق عليه اسم «مجلس نيويورك للعلاقات الخارجية». (في الحقيقة: أمناء جبل الهيكل) والذي لا يضم في عضويته إلا رؤساء الأمن القومي الأمريكي ورؤساء المخابرات المركزية ووزراء المال) (من الغريب أن يكون الأمير محمد شقيق الملك حسين عضواً في هذا المجلس).

وكما يقول أنيغدال، تشكل هذا المجلس من أجل التعمية على الصلات البريطانية اليهودية العميقة والحميمية. ولقد أمل مورغان ورجاله الذين كانوا يمولون هذا المجلس أن يعمل على لجم التناقض بين المصالح الأمريكية والبريطانية لتعمل في تناسق وتناغم تامين؟

لا يذكر أنيغدال طبعاً لمصلحة من سيكون هذا التناسق والتناغم؟ إنه يتركه لنا لنكتشفه بأنفسنا!

ومع ذلك يصر الكثيرون على رفض تحديد من هو المستفيد الأساسي ورفض توجيه الأنظار والاتهامات إليه ومحاربته... لماذا؟؟؟

الفصل الخامس

من الذي مول الحروب العالمية

«الحرب: أناس يتذابحون ولا يعرفون بعضهم بعضاً لصالح أناس يعرفون بعضهم بعضاً ولا يتذابحون»

بـــول فـالـيـــري

«إن أحد الأسرار - التي بقيت طي الكتمان - للحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) هو أن خزينة بريطانيا وماليتها كانتا مفلستين في آب 1914 حين أعلنت بريطانيا الحرب على الرايخ الألماني[1] ومما يلفت النظر أنه في اليوم الأول من آب وكان يوم سبت وجه جورج بيش إلى لويد جورج رسالة في الساعة الثانية صباحاً جاء فيها ((عزيزي وزير المالية إن نظام الائتمان الذي بنيت عليه التجارة والأعمال لهذه البلاد قد انهار والأهمية البالغة الآن هي وجوب اتخاذ خطوات لإصلاح البلية وأسبابها دون تأخير وإلاّ فإننا لن نستطيع أن نأمل في تمويل حرب عظمى إذا دفعت منذ البداية بيوتاتنا الماليه الكبرى إلى الإفلاس))[2].

لا بد من التساؤل من الذي دفع البيوتات المالية الإنكليزية الكبرى إلى الإفلاس. (أليس نظام الائتمان الذي يمسك به المرابون اليهود). وإذا كانت بريطانيا مفلسة فما الذي يدفعها لشن الحرب؟ أم أنه لم يكن أمامها مخرج من أزمتها المالية، سوى الحرب؟؟.

فإذا كانت الحرب ستنقذ بريطانيا من الانهيار المحتم فمن سيدفع تكاليف تلك الحرب؟ وهل سيدفعها لوجه الله أم مقابل شيء ما؟

من المؤكد أن من سيدفع تكاليف تلك الحرب سوف يمسك بخناق الإمبراطورية العظمى يقول إنغيدال وعلى الفور أوقف بنك إنكلترا دفعات مسكوكات الذهب والفضة وبدل الذهب أعطي مواطنو بريطانيا أوراقا نقدية أصدرها بنك إنكلترا. للإبقاء على الكميات الكبرى من الذهب بين يدي بنك إنكلترا لتستطيع الحكومة البريطانية تحويل مشتريات الأغذية والمواد الحربية اللازمة لتغذية الحرب المعلنة على ألمانيا.

يقول انغيدال في مؤتمر الصلح في فرسايل سنة 1919 «كانت انكلترا مدينة للولايات المتحدة بحوالي 4,7 مليار دولار ديون حرب (وهذا مبلغ خيالي في ذلك الوقت) وكان اقتصادها المحلي يعاني من كساد عميق فيما بعد الحرب فصناعتها خرائب مدمرة

---

(1) اينغدال ص53

(2) اينغدال ص55

والتضخم الوطني بالأسعار كان 300٪ بعد أربعة أعوام من الحرب كما ارتفع الدين القومي البريطاني أكثر من تسعة أضعاف أي حوالي 624٪ منذ سنة 1913 حتى 1918 وبلغ 7,4 مليار جنيه استرليني إذا كانت بريطانيا العظمى قد دخلت الحرب وهي مفلسة[1] فلقد خرجت منها وهي أكثر إفلاساً. فلماذا دخلتها إذاً ولمصلحة من. ومن الذي موّل تلك الحرب؟

يجيب إنغيدال «إذا كانت بريطانيا قد خرجت من الحرب بوصفها المنتصر الإقليمي في فرسايل فإن مصالح معينة صناعية ومصرفية دولية في الولايات المتحدة برزت وهي تحمل فكرة واضحة أنها هي وليست بريطانيا التي أصبحت أقوى قوة اقتصادية في العالم[2].

ثم يقول: بموجب ترتيب قسري كانت جميع الذخائر والمواد الحربية والقمح والمواد الغذائية المشتراة لبريطانيا وفرنسا والدول الحليفة الأخرى في اوروبا خلال الحرب تمر عبر بيت مورغان المالي الذي استخدم بنك مورغان - غرينفل وشركاؤهما اليهود وفروعهما في لندن للتمويل.

فبيت مورغان بامتيازه كممثل شراء وحيد لمجموعة دول التحالف جميعها أصبح المتسلط الفعلي على استقبال الصادرات الأمريكية الزراعية والصناعية . فمورغان هو من يمنح طلبات التصدير عالية الأرباح وكبيرة الحجوم اللازمة للمجهود الحربي الأوروبي ضد المانيا[3].

ولما لاح خطر انهيار فرنسا وبريطانيا في كانون ثاني سنة 1917 (بعد أن انسحبت روسيا من الحرب بعد الثورة البلشفية) وقد أنهكهما المجهود الحربي فلقد توفر ما هو أكبر من حافز لمورغان وللمجمع المالي اليهودي في نيويورك لتعبئة دعايتهم الموحدة ومصادرهم الأخرى. وقد فعل هؤلاء ذلك بمساعدة حذرة ومتأنية مع أعلى المستويات في المخابرات البريطانية والمنافذ الصحفية الأمريكية التي تسيطر عليها الصهيونية .. وحين اتضح أن لا شيء يمكن أن يقلب ويصد الكارثة التي تلوح في الأفق في أوروبا (هذه الكارثة قد تصيب مورغان وزبائنه الأوروبيين) سوى دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب، فقد عمل المحامي الصهيوني لويس برانديس والرئيس الفخري للمؤتمر الصهيوني العالمي، قاضي محكمة العدل العليا الفدرالية والصديق الشخصي للرئيس ودرو ولسون، على دفع الولايات المتحدة الامريكية لدخول الحرب إلى جانب الحلفاء لإنقاذهم من الهزيمة. وما أن أعلن كونغرس الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا في الثاني من نيسان سنة 1917 حتى بدأ المجمع المالي في نيويورك مدعوماً بالسيد سترونغ حاكم مصرف أمريكا الاتحادي البدء

(1) ص69 إنفيدال
(2) إنفيدال 71
(3) إنفيدال ص71

بتنفيذ أكبر عملية مالية طموحة في التاريخ فمنذ عام 1914 لعب بيت مورغان والمصالح المالية الدولية لليهود في مدينة لندن ونيويورك بزعامة هنري مورجنتاو الدور الحاسم في صياغة نظام النقد الاحتياطي للولايات المتحدة خلال الأشهر الأول التي سبقت اندلاع الحرب. وفي آب 1917 نظم بيت مورغان المالي الاحتياطي الاتحادي مبيعات قروض الحرية والسندات المالية وأدارها لتمويل الخزينة الأمريكية للمستثمرين والأفراد حيث بلغ مجموع هذه القروض والسندات مبلغاً يأخذ الأنفاس إذ تجاوز 21 مليار ونصف مليار دولار ولم يحدث في التاريخ أن جمعت مبالغ طائلة كهذه في مثل هذا الزمن القصير من أيدي المواطنين حيث كانت عمولة مورغان في هذا العمل الضخم ضخمة جداً.

وقد ذكر توماس لامونت شريك مورغان /في عام 1920/ انه نتيجة لأربع سنوات من الحرب والدمار الذي أصاب العالم ازداد الدين القومي على العالم نحو 210 مليار دولار أي 475٪ زيادة عن السنوات الست الأخيرة. وكنتيجة طبيعية لهذه الديون فلقد تضاعفت كثيراً أنواع السندات الحكومية وعدد المستثمرين. وبما إن بيت مورغان المالي ومجمع نيويورك الاستثماري المتحالفين معاً وحالما تذوقا طعم ودور القوة المالية لهما والتي تقود العالم فقد أصبحا راغبين في فعل أي شيء آخر للمحافظة على إمساكهما بتلك القوة إلى الأبد لذلك فأثناء مؤتمر الصلح الذي عقد في فرساي عام 1919 جلس رجال مورغان ومنهم صديقاه الحميمان وزميلاه في وول ستريت اليهوديان بيرنارد باروخ وتوماس لامونت على طاولة الاجتماعات في فرساي وراء الأبواب المغلقة لوضع فاتورة الحرب. وشكلوا لجنة دائمة خاصة للتعويضات كي تقرر تماماً مقدار المال الذي يتوجب على ألمانيا دفعه للتعويض عن الدمار الذي ألحقته بأوروبا ولكون مورغان وأصدقاؤه من أصحاب المصارف اليهود كانوا من المحافظين الصالحين!! فهم لم يستطيعوا ان يتنازلوا عن قروض الحرب على بريطانيا والدول الحليفة أثناء خيلاء السلام على الرغم من افتراضات بلفور وغيره في الحكومة البريطانية أن وعدهم لليهود بالعمل كل ما بوسعهم لإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين وتغيير خارطة سايكس بيكو وفق مشيئة رئيس المؤتمر الصهيوني العالمي وايزمن سيجعل البيوتات المالية تقدم لهم مثل هذا التنازل عن الديون قد ضاعت عبثاً. وبما أن الخزينة البريطانية لم تكن قادرة على دفع هذه الديون فلقد وافق مورغان وشركاؤه اليهود على تحويل قروضهم الخاصة على الحكومة البريطانية إلى دين عام على خزينة الولايات المتحدة الامريكية فور دخول هذه الأخيرة الحرب باعتبار أنها ستكون الرابح الأعظم منها. وكانت النتيجة أن هذه الديون المترتبة على الحكومة البريطانية قد أصبحت عبئاً إضافياً على دافعي الضرائب الأمريكيين فيما بعد الحرب. حيث زاد دين الولايات المتحدة بعد الحرب عن أي مستوى معروف من قبل في تاريخ أمريكا ومنذ ذلك اليوم يمكن القول أن أمريكا لم تتهود فحسب، بل ووقعت تحت قبضة الديون التي تترتب عليها للمصرفيين اليهود . ((ولذلك غشي على التمييز بين مصالح مورغان ومصرفيي لندن ونيويورك وبين مصالح الولايات المتحدة الأمريكية التي جعلت من نفسها بكل بساطة وبشكل متزايد أداة مفيدة لتوسيع السلطة الجديدة لمصرفيي نيويورك ولندن الدوليين)).

ومنذ ذلك اليوم امسك هؤلاء المصرفيون اليهود بمفاتيح السياسة الإنكليزية والأمريكية (الانكلوسكسون) وبالتالي بمفاتيح السياسة والاقتصاد العالميين حيث ((ازداد الدين على العالم نحو مائتي وعشرة مليارات دولار او نحو 475٪ في السنوات الست الأخيرة))[1]

يقول طومسون[2] «إن أسس معيار نظام الذهب الذي ظل سائداً في فترة ما بين الحربين العالميتين. (تضمن تثبيت سعر رسمي بالذهب لكل عملة – واقترن ذلك بالاستيراد والتصدير الحر للذهب من دون التقيد بالحساب الجاري أو حساب رأس المال. وحيث كان يسمح لحركة الذهب خروجاً ودخولاً فلقد فرض أن يظل إصدار النفوذ الورقية والمعدنية مرتبطاً بمستوى احتياطات البلدان من الذهب»

ثم يقول في ص87. «لقد عمل هذا النظام (في فترة ما بين الحربين) بشكل كارثي على الدول التي لا تمتلك احتياطات من الذهب، (باعتبار أن اغلب الاحتياطي منه قد انتقل إلى مصارف نيويورك) ومع ذلك سعى المصرفيون الصهاينة لتدعيم سياسة مالية جديدة تم الاتفاق عليها بين تشرشل وروزفلت عام 1944 من خلال اتفاقية بريتون وودز. تتضمن تثبيت سعر رسمي بالذهب لكل عملة.

وكما يرى د. حازم البيلاوي[3] «فقد صممت هذه الاتفاقية لتجنب القيد الخارجي الذي فرضه معيار الذهب على الاقتصاديات القومية. وبدأت المشاورات الأمريكية البريطانية بين وزير الخزانة الأمريكي في عهد الرئيس روزفلت المدعو هنري مور جنتاو. الصهيوني واليهودي البارز وبين اللورد الصهيوني البريطاني ماكينزي. حيث تم الاتفاق بين الطرفين أن يكون النظام المالي الجديد مستنداً إلى القوة الاقتصادية للولايات المتحدة وحدها و لسعر الدولار مقارنة بالذهب 35 دولار= اونصه ذهب» ولذلك كما يقول حازم البيلاوي: فلقد جاء نظام بريتوم وودز بما يتطابق مع المصالح المالية للبنوك والمصارف الأمريكية التي يهيمن عليها اليهود أكثر مما يتطابق مع مصالح العالم او مصالح الشعب الأمريكي».

ولنقل بوضوح أشد لتتطابق مع مصالح الذين كان بيدهم قرار الانتصار في الحرب وقبل أن تحسم نتيجتها. حيث فرض اليهودي هنري مورجنتاو على الحلفاء الخضوع لهذا النظام قبل أن تنتهي الحرب، فإما أن يخضعوا لهذا النظام وإلاّ فإنهم سوف يهزمون.

«وعلى الرغم من محاولات أوروبا والعالم فيما بعد الحرب لرأب الصدع المفروض عليهم من خلال اتفاقية بريتون وودز إلاّ ان الدولار الأمريكي بقي العملة المختاره لإجراء جميع الصفقات النقدية العالمية مما نجم عنه تقلب في الأسواق المالية حيث ترك المجال

---

(1) اينغدال ص74

(2) طومسون، غراهام (ما العولمة) ص84

(3) البيلاوي، حازم (النظام الاقتصادي الدولي المعاصر) ص44

للأسواق المالية التي يسيطر عليها اليهود[1] لأن تحدد سعر الصرف في ضوء اتساع الصفقات المالية بالقياس إلى الصفقات التجارية وإلى تحكم مجموعة صغيرة من المؤسسات المالية اليهودية بالتبادل في آن واحد في جميع الأسواق المالية.))

ونتيجة لانكشاف الخزانة الأمريكية بطبع كميات هائلة من الدولارات تفوق الاحتياطي المتوفر لديها من الذهب فيما لو طالبت دول العالم استبدال دولاراتها بالذهب، خاصة بعد مطالبة الرئيس الفرنسي ديغول مبادلة الدولارات الموجودة لدى المصارف الفرنسية بالذهب في عام 1968 فقد بات ذلك يهدد القوة المالية لأمريكا ولدولارها ((لذلك فلقد اصدر الرئيس نيكسون عام 1971 قراراً يقضي بإيقاف تحويل الدولار إلى ذهب وبتخفيض قيمة الدولار أيضاً. (مما يخفف أيضا من إمكانية سحب الذهب الأمريكي) وعلى الرغم من جميع محاولات أوروبا توحيد عملتها إلاّ أنها لم تتمكن من إزاحة الدولار عن موقعه بوصفه المعيار الأساسي لإجراء المعاملات النقدية العالمية))[2].

ثمة نقطة مهمة أشار إليها الكثير من المحللين الاقتصاديين ساهمت في تعزيز دور الدولار كعملة صعبة تهيمن على جميع أنواع العملات وعلى الاقتصاد العالمي بسبب حاجة الدول المتزايدة للنفط بعد قرار الحظر الصادر بعد حرب تشرين عام 1973 والذي تمثل بقرار الأوبك والسعودية عام 1975 باتخاذ الدولار عملة وحيدة لشراء النفط ((والحقيقة البسيطة هي أن القوة المالية لمدينة نيويورك (قوة اليهود المالية) قد طغت على المصالح القومية فارتفعت ديون الولايات المتحدة الأمريكية بكميات مذهلة. فحين فاز ريغان عام 1980 كان جماع دين الولايات المتحدة الخاص والعام 3873 مليار دولار)).

أما في نهاية عهده فلقد وصلت هذه الديون إلى ما يزيد عن عشرة تريليون دولار أي عشرة آلاف مليار دولار، مما عنى زيادة عبء دين الحكومة الأمريكية الذي يتوجب دفعه لصارف نيويورك بما يزيد عن ستة آلاف مليار دولار عن عام 1980كدين للمصارف التي يسيطر عليها اليهود. مما يعني أن القوة العسكرية والاقتصادية الأمريكية لا تقوم على وهم وخرافة فحسب بل تقوم على دين يتوجب دفعه لليهود. فلم يكن امام الإدارة الأمريكية للخروج من هذه الأزمة سوى التوجه نحو عسكرة الاقتصاد وإشعال الحروب كما فعلت بريطانيا عام 1914 قبل الحرب العالمية الأولى، حيث فرض ريغن برنامج حرب النجوم والدرع الصاروخي والتحالف الاستراتيجي مع إسرائيل لإلقاء الشيوعية وحركات التحرر في العالم في مزبلة التاريخ.

وكما يؤكد إنغدال فقد عين ريغن أثناء تلك الأزمة عام 1982 جورج بوش الأب نائباً له وجيمس بيكر الصهيوني البارز رئيساً لهيئة موظفي البيت الأبيض وقد حاج هؤلاء مع

(1) سنوضح ذلك في فصل الأممية الداعمة والممولة لإسرائيل

(2) ص 56 طومسون ما العولمة.

كسينجر بقولهم «إن علينا أن ننقذ مصارف نيويورك مهما كانت التكاليف»[1]

ماذا يعني هذا الكلام في التطبيق العملي؟

يعني أولاً الاقتراض من اجل تطوير برنامج الدفاع الصاروخي وحرب النجوم مما ينهك الاتحاد السوفيتي ويجعله يصاب بالعجز عن المواجهة النووية الاستراتيجية (وطبعاً ينشط بعض الصناعات الحربية الأمريكية - مهما كانت الديون التي سوف تترتب على الخزانة الأمريكية وعلى دافع الضرائب الأمريكي لمصلحة المصرفيين اليهود) حيث بدء بشن حرب مقدسة ضد الوجود السوفيتي في أفغانستان وحيث تحرك العرب والمسلمون لخوض هذه الحرب وهم فرحون جداً ومنتشون بمحاربة الشيوعية الكافرة والملحدة!! قدمت السعودية لتمويل هذه الحرب عشرين مليار دولار وفتحت مساجدها ودعاتها في السعودية وجميع أنحاء العالم العربي والإسلامي للدعوة إلى الجهاد ثم غذت الحرب العراقية الإيرانية وشجعت إسرائيل لشن حربها على لبنان عام1982 لإخراج المقاومة الفلسطينية وإحراج سورية والاتحاد السوفيتي سياسياً لدى العرب والفلسطينيين حيث ظهر بمظهر العاجز عن مواجهة العدوان الإسرائيلي وهكذا يتخلى الفلسطينيون والعرب عن الصداقة مع هذا البلد العاجز والضعيف والتي لن تجدي صداقته نفعاً في هذه المواجهة وهكذا حوصر الاتحاد السوفيتي وعزل وفهم غورباتشوف التي تسلم الحكم، بأن السياسة السابقة الداعمة للعرب وبلدان العالم الثالث والتضحيات التي يقدمها في أفغانستان ستكون نتيجتها مدمرة لذلك رأى أن من الضروري تغيير هذه السياسة من خلال التخلي عن المواجهة النووية الاستراتيجية والانسحاب من أفغانستان وإدارة ظهره للعرب والفلسطينيين وبلدان العالم الثالث وتوقيف مساعداتهم التي لم ولن تجدي نفعاً في ظل غياب قوى حاكمة وطنية مما أدى إلى انهيار السياسة الخارجية السوفيتية القائمة على دعم حركات التحرر الوطني.

وقد اقتضى ذلك أيضاً تبديل جذري في موقفه كذلك من بلدان أوروبا الشرقية التي أتعبته كثيراً ولم يعد بمقدوره مواجهة التحركات الصهيونية لفالنسيا وسواه في بولونيا بدون تدخل عسكري كما فعل في تشكوسلوفاكيا عام 1968 أو في المجر عام 1957 مما سيزيد الطين بله. وهكذا سقطت الاستراتيجية التي وضعت للاتحاد السوفيتي منذ الثورة البلشفية بعيد الحرب العالمية الثانية وسياسة الانفراج والحرب الباردة القائمة على دعم حركات التحرر الوطني العالمية مما أدى إلى انهيار شامل في الحركة الثورية العالمية وحركات التحرر الوطني في العالم أجمع تبعها مباشرة انهيار للسياسة الداخلية في الاقتصاد الموجه ثم جرى تبني سياسة السوق والخضوع للنشاط الطفيلي اليهودي حيث برز عشرات الملياردية اليهود أمثال بيرزوفسكي وفريدمان .

إذا كانت أوروبا قد احتاجت بعد الحرب العالمية الثانية إلى مشروع مارشال من أجل

(1) اينغدال ص280

إخضاعها للهيمنة الأمريكية والصهيونية فإن الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثالثة التي انتهت بسقوط المعسكر الاشتراكي بدون حرب سوف يحتاج إلى أكثر من مشروع مارشال. وبما أن اليهود لا يمكن أن يقدموا مثل هذه المساعدة إلاّ إذا خضع الاتحاد السوفيتي لمطالبهم في رأسملة الاقتصاد وإخضاعه لاقتصاد السوق فلم يكن أمام السوفييت من طريق سوى الحصول على المساعدات الألمانية والأوروبية (حيث وقفت أمريكا واليهود ضد هذا التوجه). وإما أن تحصل على ديونها السابقة المترتبة على العراق وسوريا ومصر وغيرها من بلدان العالم الثالث. وبما أنه كان قد ترتب على العراق وحده ديوناً مستحقة تزيد عن 15 مليار دولار راح يطالب السعوديين والكويتيين بتسديدها. عندها دفعت المخابرات الأمريكية الكويتيين والسعوديين إلى التشدد في دفع ما يترتب عليهم للعراق ثم أغرت صدام حسين بغزو الكويت لتحصيل أمواله بالقوة، حيث أعلنت سفيرة الولايات المتحدة أنها لن تتدخل في النزاع بين العراق والكويت وهكذا وقع العراق في الفخ.

وماذا كانت النتيجة!! لم يعد العراق غير قادر على تحصيل ديونه فحسب، بل ترتبت عليه ديون إضافية زادت عن 60مليار دولار، ودمر جيشه وفرض عليه حصار اقتصادي لم يعد قادراً بموجبه على بيع نفطه إلا لتحصيل المبالغ الضرورية لإطعام شعبه، ودفع تكاليف غزو الكويت والعراق للولايات المتحدة والنتيجة كانت هي أن العراق أصبح عاجزاً عن سداد فلس واحد للاتحاد السوفيتي السابق أو لألمانيا وفرنسا، مما أجبر روسيا والدول السابقة للاتحاد السوفيتي أن تخضع لشروط البنك الدولي والشروط التي وضعتها أمريكا لتقديم القروض له. مما قوض النظام السوفيتي (الذي شكل انقطاعاً في الهيمنة المالية للمصارف اليهودية وجعله يخضع لاقتصاد السوق الذي أصبح النظام الوحيد السائد في العالم باعتباره الاقتصاد القائم على هيمنة المصارف اليهودية في لندن ونيويورك وواشنطن).

وهكذا فإن ما يطلق عليه اسم النظام الدولي الجديد ما هو إلا كذب ونفاق وخداع للتغطية على هيمنة مصالح المصارف على السياسة العالمية.

سواء أكان صدام حسين ضالعاً في الخطة الأمريكية أم لا. وسواء أكان مدركاً خطورة الخطوات التي اقدم عليها في احتلال الكويت أم لا. وبعد أن انسحب من الكويت بدون قتال ومدركاً للعقوبات التي فرضت عليه أم لا، فمن المؤكد أن الخطة التي وضعها منتدى أعمال العراق وأصدقاء كيسنجر عام 1988 بعد انتهاء الحرب مع إيران هي التي نفذت بحذافيرها للتحكم بأسعار النفط وتخفيضها واستعادة المصارف اليهودية في نيويورك هيمنتها على الاقتصاد العالمي.

وبما أن هذه الهيمنة لم ولن تمنع روسيا وألمانيا وفرنسا من المضي في سياستهم الرامية للخروج من الهيمنة الأمريكية على أسعار النفط ولتحسين وضع اليورو أمام الدولار اليهودي. من أجل الإبقاء على المستوى الجيد لشعوبهم. والعمل من أجل اوراسيا

(أوربا + روسيا) حديثة ومستقلة ومتعاونة كان لا بد للأمريكان والصهاينة من متابعة الهجوم لمحاصرة روسيا والصين وأوروبا من خلال الهيمنة على نفط وغاز باكو واذربيجيان وطاجيكستان فافتعلوا أحداث 11 ايلول ليوجدوا مبرراً لاحتلال أفغانستان.. ثم تابعوا هجومهم الساحق في الزعم بأن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل ويشكل تهديداً لأمن الولايات المتحدة وأصدقائها في المنطقة والعالم فشنوا حرباً عدوانية بكل ما في الكلمة من معان على الرغم من معارضة جميع دول العالم لهذه الحرب باستثناء بريطانيا.

وبكل بساطة قام صدام حسين بتسليمهم العراق ونفطه وخيراته وموقعه الاستراتيجي لمتابعة الهجوم على أوروبا وروسيا والصين وإيران وسوريا (المؤيدين للحق الفلسطيني والانتفاضة) لإجبارهم على التخلي عن رفضهم لخارطة الطريق وفرض خارطة طريق أخرى تصبح فيها إسرائيل هي الدولة الوحيدة المهيمنة على المنطقة بأسرها ولفرض هيمنتها على العالم اجمع.

مما لا شك فيه أن المصالح المالية لمصارف نيويورك وواشنطن التي يسيطر عليها اليهود قد أنقذت . لكن هل ستخرج الولايات المتحدة الأمريكية من أزمتها الاقتصادية الخانقة؟ والمتمثلة بتراجع معدل النمو؟ وكيف ستخرج من أزمة الديون الهائلة التي تترتب عليها ليهود نيويورك وواشنطن؟ هل إن ركّعت المنطقة وأخضعتها لإسرائيل سوف يكافئها اليهود ويعفونها من الديون المترتبة لهم عليها أم انهم سوف يطلبون منها القيام بالمزيد من الأعمال العدوانية والإجرامية تحت غطاء ما أطلق عليه سياسة مكافحة الإرهاب؟ كما فعلوا ببريطانيا وألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى؟؟

هل سيركع العراقيون؟ هل سيركع الفلسطينيون؟ هل سيقبل العرب بأن يتحولوا إلى عبيد للغزاة اليهود على أرضهم؟ هذه الأسئلة وغيرها ستجيب عليها الشعوب العربية والإسلامية، خاصة الشعبين العراقي والفلسطيني باعتبار أنهما يواجهان احتلالاً مباشراً لبلادهم.

هل ستتخلص أمريكا من أزمة المديونية القاتلة؟

يقدم الخبير الاقتصادي الأمريكي ليندون لاروش إجابة متميزة على هذا السؤال سنتركها لبحث آخر.

الفصل السادس

الحرب العالمية الثانية
حرب ضد الشعوب والشيوعية

«إن رأينا أن ألمانيا في سبيلها للفوز في الحرب علينا نساعد روسيا، أما إن ربحت روسيا فعلينا أن نساعد ألمانيا»

ترومان

أصبح واضحاً لكثير من المؤرخين والاقتصاديين والسياسيين أن العالم الرأسمالي بدأ يعاني منذ مطلع عام 1929 أزمة اقتصادية ومالية ونقدية لم يسبق لمداها وخطورتها مثيل (تلك الأزمة المعروفة بالكساد الكبير) وأخذت هذه الأزمة تضرب أول ما تضرب الأسواق المالية لمدينة نيويورك، وقد أصيب الأمريكيون جميعاً بالهلع فما بدا لهم أنه عهد رخاء ورفاه قد تبدد في لحظة واحدة حيث أفلس في يوم واحد /1كانون الأول 1931/ 11 مصرفاً واتضح للجميع أن المستقبل لا يدعو إلى التفاؤل وأكد أهم الاقتصاديين أمثال جون ألفردكينز وجون كومنز أن هذه الأزمة ليست أزمة عارضة بل أزمة عميقة تمتد لتشمل أسس النظام الرأسمالي الذي لم يجد له مخرجاً منها إلا بافتعال الحروب ومع أن هذه الأزمة قد تعمقت أكثر فإن العالم كله سيعاني منها سواء نشبت الحرب أم لم تنشب لأن المشكلة في أساس النظام.

امتدت هذه الأزمة التي بدأت في الولايات المتحدة إلى أوروبا حيث كانت الولايات المتحدة منذ عام 1925 تقدم اعتمادات مالية ضخمة إلى البلدان الأوروبية ولكن ما أن بدأت الأزمة تكتسحها حتى وجدت نفسها مضطرة إلى التوقف عن تقديم الاعتمادات المالية للبلدان الأوروبية[1] ثم انتقلت عدواها إلى جميع الدول الأوروبية بدءاً من النمسا مروراً بألمانيا وإيطاليا وفرنسا ثم انكلترا وإلى جميع الدول الأوروبية الصغيرة في حين ظل النظام السوفيتي وحده فقط بعيداً عن هذه الأزمة بل إنه كان يحرز تقدماً سريعاً في وتائر الإنتاج.

لم يكن أمام نخب وأحزاب وقادة هذه الدول لتجاوز هذه الأزمة سوى سلوك أحد طريقين إما الانتقال إلى الاشتراكية وإما التوجه نحو الفاشية والنازية ثم إلى الحرب وتصدير الأزمة إلى دول العالم المستعمرة.

---

(1) بير رونوفن (تاريخ القرن العشرين) ص240

يتجاهل كثير من المنظرين أن كلاً من بنيتو موسوليني وأدولف هتلر كانا من دعاة الحرب وذلك قبل أن تقع الحرب العالمية الأولى وكانوا أعضاءً في الأحزاب الاشتراكية القومية التي وقفت في تلك الحرب مع حكوماتها الإمبريالية ضد شعوب العالم الفقيرة من أجل اقتسام مناطق النفوذ والتوسع كما ويتجاهلون أن البلاء الذي حل بأوروبا والبشرية إنما كان بسبب انسياق شعوب هذه البلدان وراء أحزابها القومية ووراء أحزاب الأممية الثانية مع حكوماتها الإمبريالية لخوض تلك الحرب بدلاً من أن تتحالف مع الأحزاب الاشتراكية والشيوعية لإقامة الاشتراكية في بلادها وأنهم شكلوا بالتالي استمراراً لتلك الحركات القومية الشوفينية والإمبريالية المعادية أساساً لشعوبها حتى وإن سمت نفسها أحزابا اشتراكية قومية. والأدهى من ذلك أن تلك الحركات القومية الاشتراكية الشوفينية لم تقف ضد شعوبها بل حولت حقد هذه الشعوب من حقد على حكوماتها الامبريالية إلى حقد موجه ضد الشيوعيين في بلادهم وضد الشيوعية العالمية والاتحاد السوفيتي حيث عملوا أولاً على تدمير الديمقراطية الشكلية البرلمانية في بلادهم.

فمنذ أن استلم موسوليني الحكم في ايطاليا عام 1923 صرح أمام البرلمان الايطالي بأنه سوف يستغني عن الأكثرية البرلمانية (التي أوصلتها الديمقراطية الليبرالية المزعومة) وخول نفسه سلطات واسعة بأن (يكون له الحق في أن يصدر مراسيم تشريعية لها قوة القانون وفوقه كما هو حاصل في أغلب بلدان العالم الثالث وعلى الأخص في عراق صدام حسين حيث شكل موسوليني وصدام الميليشيا الفاشية من أعضاء الحزب وجعلا من نفسيهما وحدهما الأمينين على النظام والبلاد والعباد.

أول عمل قامت به هذه الميليشيا هو قتل النائب الشيوعي ماتيوني أحد زعماء المعارضة الاشتراكية المشهورين فقد خطفه أربعة رجال وهو يسير في قارعة الطريق في روما حيث أركبوه حافلة ثم قتلوه في الضاحية[1] .

ولما بدأت إيطاليا وألمانيا تعانيان من القلاقل والتوترات بعد أن استلم موسوليني وهتلر الحكم تم تبني وطرح فكرة أن الدولة يجب أن يحكمها زعيم واحد (الزعيم الأوحد) وأنه لا مجال للديمقراطية أو للتعددية ثم بدأ موسوليني وهتلر بإقصاء الشيوعيين والاشتراكيين من البرلمان والوزارة أولاً ثم اندارا على الأحزاب الأخرى بحيث لم يبقَ إلا الحزب الفاشي والنازي وحده حاكمين لإيطاليا وألمانيا وأعلن موسوليني أنه وحزبه فقط سوف يأخذان على عاتقهما كل شيء وبدأ عملية تسلح واسعة لشن الحروب الخارجية للدفاع عن المستعمرات الايطالية في الحبشة وليبيا ولمواجهة الأطماع الانكليزية والفرنسية

(1) هذا العمل بدأ به أيضاً صدام حسين نشاطه السياسي حيث قام في عام 1958 بعد أن نجح خاله في التغطية على جرائم القتل الثأرية التي قام بها سابقاً بقتل مسؤول الحزب الشيوعي في تكريت بتوجيه من خاله خير الله طلفاح المعروف بتأيده للنازية ومشاركته في انقلاب رشيد علي كيلاني عام 1941 مما هياه لاحقاً للقيام بعملية اغتيال عبد الكريم قاسم عام 1959. (ص225 بيرونوفين)

مما ألهب خيال الشعب الايطالي وحميته القومية فوجد نفسه ينساق وراء موسوليني بسرعة خاطفة بعد الانتصارات التي حققها في الحبشة كما انساق كثير من العراقيين وراء صدام بعد انتصاراته الأولى في الحرب ضد إيران.

من المؤسف أن يتجاهل كثير من المنظرين أن الهدف الذي أنشئت من أجله الاشتراكية القومية الألمانية لم تكن لمعاداة اليهود لدورهم القذر في الحرب العالمية الأولى بل لمعاداة الشيوعية بالدرجة الأولى حيث جاء في أقوال هتلر «إن الاشتراكية وخاصة الاشتراكية البلشفية هي قوة دولية تغذي نزاع الطبقات وهي ما يجب علينا مكافحتها بالدرجة الأولى» وإن أول عمل قام به هتلر عندما استلم السلطة هو إخراج الشيوعيين والاشتراكيين الآخرين من الرايخستاغ[1] العمل ذاته الذي قام به موسوليني وهيروهيتو وكثير من العملاء الذين نصبتهم أميركا حكاماً على بلادهم أمثال عيدي أمين وبينوشيه وفان دين ديما (فيتنام) وسوهارتو أندونيسيا وفوجي موري وصدام حسين.

ويتجاهلون أن الميثاق الالماني الياباني الذي أبرم بين الدولتين إنما كان موجهاً بشكل رئيسي ضد الاتحاد السوفيتي حيث جاء في نص الميثاق «إن الدولتين الساميتين المتعاقدتين متفقتان على أن تتبئ إحداهما الأخرى بنشاط الدولية الشيوعية وأن ينفذا هذه التدابير بتعاون وثيق وعلى هذا فإن الاتفاق الالماني الياباني من حيث المبدأ والأساس كان موجهاً بصورة خاصة ضد الدولة الشيوعية أي ضد الاتحاد السوفيتي وهذا ما حصل فعلاً حيث وضع الاتحاد السوفيتي أمام مواجهة مع أعظم قوتين امبرياليتين فاشيتين ظهرتا في تاريخ العالم ألمانيا من الغرب واليابان من الشرق ولم يتعرض أي بلد في العالم لمثل هذا الحصار المرعب.

يتجاهل الكثيرون أن جميع الحروب التي خاضها الألمان واليابانيون ضد فرنسا وأوروبا لم تكن إلا حروباً صورية حيث استسلمت هذه الدول بلمح البصر للقوة النازية الغازية فمن يصدق أن دولة مثل فرنسا لم تصمد قواتها أمام القوات النازية مدة أسبوع ثم انهارت جميعها واستسلمت للألمان.

إن المسألة الأهم في الحرب العالمية الثانية والتي يتجاهلها أغلب المؤرخين والكتاب هي لماذا لم تقف بريطانيا وأمريكا وأي من الدول الأوروبية ضد المانيا بعد صعود النازية وهذا ما أكد عليه ديغول في مذكراته حيث تساءل لماذا لم تقم هذه الدول بأي خطوة جدية لمنع النازية من الصعود في عام 1933 أو عندما قررت الحكومة الهتلرية أن تغادر مؤتمر نزع السلاح وأن تخرج من عصبة الأمم ومنذ أن بدأ هتلر بفرض الخدمة العسكرية الاجبارية والتركيز على الصناعات الحربية.[2]

إن ديغول نفسه يحمل الانكلوسكسونيين مسؤولية صعود هتلر ونشوب الحرب العالمية

---

(1) نفس المصدر (ص240)

(2) مذكرات ديغول ص35

الثانية مع أنه يتجاهل وينسى أن من دعم الصناعات الحربية الالمانية وكما قال كتاب فرنسيون إنما كانت الشركات الأمريكية وأن من قدم القروض لهتلر إنما كانت المصارف التي يسيطر عليها الصهاينة المسألة الأخرى المهمة التي يتجاهلها أغلب المؤرخين والكتاب هي تجاهل ونسيان السؤال التالي: إذا كان هدف هتلر المعلن هو القضاء على الهيمنة الانكليزية التي فرضت عليه الحصار في مؤتمر فرساي فلماذا شن حربه على الاتحاد السوفيتي على الرغم من أنه البلد الوحيد الذي أبرم معه عام 1939 اتفاقية عدم اعتداء ولم يكن حاضراً في ذلك المؤتمر والبلد الوحيد الذي أعفى ألمانيا من الديون المترتبة عليها بعد الحرب.

إن الهجوم على الاتحاد السوفيتي يبين لنا بشكل فاضح أن هناك تواطئاً فرنسياً انكليزياً أوربياً أمريكياً على إيصال هتلر إلى الحكم ثم تشجيعه على تقوية صناعاته الحربية ثم تسليم أوروبا له بدون قتال ثم القيام بالحرب الفعلية ضد روسيا حيث دمر نصف مدنها وصناعاتها وقتل فيها 25 مليون انسان روسي وستة ملايين جندي ألماني بينما لم يقتل في عمليات القصف التي قام بها الطيران الألماني على لندن إلا 48000 مدني انكليزي فقط ومع ذلك فإن الإعلام الغربي والعربي قد هول كثيراً بالحرب التي شنها هتلر على انكلترا وتجاهل كلياً الحرب الحقيقية والشاملة والمدمرة التي كانت تشن ضد الاتحاد السوفيتي وشعوبه ومدنه وقراه ومصانعه التي دمر أو أحرق أغلبها.

يقول بيررونوفن أن الحجج التي أدلى بها هلتر في المذكرة التي وجهها للاتحاد السوفيتي في حزيران 1941 لتبرير تلك الحرب عليه ما هي إلا حجج واهية وما هي إلا ذرائع مختلقة لشن الحرب عليه[1].

ويقول رونوفن ص535 أن بعض مستشاري هتلر قالوا له بأنه يجب انهاء النزاع مع انكلترا أولاً ولكن هتلر أجابهم بأنه يجب التخلص من روسيا أولاً. ومن ثم يتوفر لديه متسع من الوقت ليعاود الهجوم على بريطانيا ولقد زعم هتلر أنه يستطيع أن يحسم الحرب مع روسيا خلال أسابيع أو أشهر كما فعل مع فرنسا. وزعم بأنه عندما تغلب روسيا فإن انكلترا سوف تنهار من تلقاء نفسها.

لكن الذي حصل فعلاً هو أن انكلترا ظلت سليمة ومعافاة وأن البلد الذي دمر كما كان يريد الانكلوصهيونين هو الاتحاد السوفيتي والمانيا حتى يخلو لهم الجو لاحتلال أوروبا بحجة تحريرها من النازية ولمساعدتها على النهوض ويؤكد رونوفن أن قرار الهجوم على الاتحاد السوفيتي قد اتخذ من قبل هتلر شخصياً من دون أن يسمح لأحد أن يناقشه أو يجادله في الأمر وخلافاً لما نصحه به مستشاروه على الرغم من تحذيرات كثير من الاستراتيجيين له.

ما الذي منع هتلر بعد أن احتل أوروبا القارية من شن الحرب على بريطانيا عدوته

(1) بيرن رونفن في كتابه تاريخ القرن العشرين ص533

المزعومة وبعد أن قام بعمليات القصف لعاصمتها تمهيداً للانزال البحري للقوات الألمانية التي كانت جاهزة وقادرة على احتلال بريطانيا التي لم تكن تمتلك كما قال رونوفن إلا 250 مدرعة خفيفة[1] وكما قال المؤرخ الانكليزي إنسور (لم يكن لدى انكلترا إلا فرقة واحدة قادرة على الكفاح داخل بريطانيا وان قواتها الحقيقة كانت في افريقيا ومصر وفلسطين وايران) حيث لم يكن لإنكلترا في ذلك الوقت أي قوة على المقاومة فلو وجه هتلر قوته لاحتلال انكلترا لفعل ذلك بكل سهولة ويسر لكنه لم يفعل ذلك بل راح يؤجل الهجوم على إنكلترا شهراً بعد شهر بحجة الشتاء العاصف ثم ألغى أمر الهجوم كلياً ووجه هجومه على روسيا بدلاً من إنكلترا.

وطالما أننا بصدد الحديث عن الحرب العالمية الثانية فلابد من التأكيد أن هذه الحرب لم تنته بعد باعتبار أنها لم تحقق أغراضها حيث خرج السوفييت منتصرين في تلك الحرب كما خرجت مجموعة كبيرة من بلدان العالم من النير الاستعماري فاستمرت تلك الحرب بما أطلق عليه اسم الحرب الباردة ولنقل الحرب العالمية الثالثة على الاتحاد السوفيتي والشيوعية حيث انتهت هذه الحرب عام 1990 باسقاط هذا النظام ومحاصرة الشيوعية وبدأت بعدها بشن الحرب العالمية الرابعة التي بدأت بغزو العراق عام 1991 وبالحملة العالمية المضادة للارهاب المزعوم لإجراء تغييرات في جميع بلدان العالم ذات الأنظمة الوطنية والتي ترفض الخضوع للاملاءات الأمريكية والصهيونية وفي هذا المجال نستطيع أن نسجل أن بعض الدول العربية ذات أنظمة الحكم القبلية في كل من السعودية ودول الخليج والبحرين والكويت والتي تحكم باسم الاسلام بينما تعود أنظمتها إلى ما قبل الإسلام وتزعم أنها أنظمة ديمقراطية. أن هذه الدول قد جعلت من أرضها ومياهها قواعد للعدوان على البلدان العربية والاسلامية وهي تتخذ الآن من الأخطاء التي أرتكبها صدام حسين ذريعة للهجوم على الفكر القومي العربي والاشتراكي وضد البعث وضد القوة الإسلامية الثورية في السعودية وغيرها كما فعلت في الماضي ضد الشيوعية.

من المؤسف أن ينساق بعض الشيوعيين المتساقطين إلى هذه الحملة المسعورة سواءً ضد الفكر القومي أو الاسلامي مدفوعين بثارات قديمة أو لإخفاء عجزهم وتبعيتهم أمثال المدعو فخري كريم (من يصدق أن محطة مثل الجزيرة المعروفة بعدائها المستحكم للشيوعية تفتح الباب له بصفته زعيماً شيوعياً عراقياً بارزاً للتحدث عما جرى في العراق ومن يصدق أن أمريكا يمكن أن تقبل حميد مجيد موسى كشيوعي في مجلس الحكم إن لم يكن قد تحول إلى تابع لهم).

إن مثل هذه الشخصيات تسيء إلى الشيوعية وإلى الحزب الشيوعي العراقي وتاريخه.

وهنا لابد أن نسجل الملاحظات التالية:

1- إن تركيا التي تقيم تحالفاً استراتيجياً مع الولايات المتحدة والأطلسي واسرائيل

---

(1) المصدر السابق (ص522)

رفضت أن تجعل من أراضيها قاعدة للانطلاق ضد العراق بينما جعل الخليجيون والسعوديون والكويتيون بلادهم ومياههم قواعد للأمريكان لينطلقوا منها لتدمير العراق ولتهديد القوى القومية والاسلامية الثورية والوطنية في المنطقة.

2- إن حزب البعث باعتباره كان أول من طرح فكرة بترول العرب للعرب وقام بتأميمه في كل من سورية والعراق وجعله ملكية عامة للدولة وليس ملكاً خاصاً للشركات الانكلوصهيونية كما هو الحال في تلك الدول ولذلك شكل هذين البلدين ونظامهما خطراً على المصالح النفطية والسياسية الانكلوصهيونية

3- إن هذه الدول جعلت من أراضيها ومياهها قاعدة ليس من أجل إعادة البترول ملكية خاصة للشركات الانكلوصهيونية كما هو الحال لديها بل من أجل شن حملة إعلامية وفكرية ضد جميع القوى القومية والاشتراكية والاسلامية الوطنية التي يعتبرونها من مخلفات الحرب الباردة والنظام السوفيتي السابق بحجة الحرب على الارهاب والاصولية والشيوعية الكافرة.

4- إن نظام البعث في العراق وسوريا قد استطاع أن يصنع في هذين البلدين ثورة علمية وصناعية واجتماعية وأن يخلق قوة عسكرية أوقفت المد الانكلوصهيوني في المنطقة لذلك اتخذت الولايات المتحدة من وجود أسلحة دمار شامل حجة لتدمير هذه القوة العسكرية ولتدمير انجازاتهما العلمية والصناعية من أجل إبقاء اسرائيل القوة الأقدر تكنولوجياً وصناعياً على إدارة المنطقة.

5- أن الحرب العالمية الثانية ما تزال مستمرة ضد الدول العربية الأخرى عسكرياً واقتصادياً وثقافياً من الدوحة والامارات حيث تتواجد معاً وبالقرب من بعضهما البعض القواعد العسكرية والقيادة المركزية للقوات الأمريكية والمكاتب التجارية التي تتعامل مع اسرائيل والشركات فوق القومية والفضائيات التي تشن الحرب الاعلامية والايديولوجيا الواسعة ضد الشيوعية والاشتراكية والفكر القومي والتقدمي والاسلام الثوري كما حصل قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها.

الفصل السابع

فخ الصهيونية الكبير

ا- قفص الإتهام:

ينظر منظرو الليبرالية الجديدة الكبار صموئيل هنتنغتون - وفوكوياما - ولويس برنار، وهم من المؤيدين للصهيونية (إن لم نقل صهاينة) وكثير غيرهم من المنظرين الصغار العرب والغربيين - إلى الشيوعية والإسلام نظرتهم إلى النازية والفاشية. من منطلق أن هذه الإيديولوجيات هي إيديولوجيات شمولية. على عكس الديمقراطية الغربية الليبرالية، خاصة الأمريكية التي هي حسب اعتقادهم إيديولوجية ديمقراطية منفتحة وشفافة وتعددية، لديها القدرة على استيعاب جميع الإيديولوجيات الأخرى، وتشكل في المحصلة نهاية للفكر وللتاريخ الإنساني كله، وأفضل ما فيه، وهم يرون أن الديمقراطية الليبرالية الأمريكية استطاعت أن تصمد في مواجهة تلك الإيديولوجيات الشمولية كلها وأن تنتصر عليها.

فقد استطاعت هذه الليبرالية حسب زعم هنتنغتون وفوكوياما أن تنتصر أولاً على النازية والفاشية في الحرب العالمية الثانية ثم على الشيوعية في الحرب العالمية الثالثة (التي انتهت مع انتهاء المنظومة الاشتراكية في عام 1990)، وهي في طريقها إلى الانتصار على الإسلام في الحرب العالمية الرابعة التي بدأت عام 1991 مع الحرب على العراق واستمرت بالحرب على الإرهاب في أفغانستان.

وباعتبار أن أغلب منظري الليبرالية إما صهاينة أو مؤيدين للصهيونية، فإنهم - جميعاً - نادراً ما يشيرون إلى اليهودية أو الصهيونية أو يذكرونها في كتاباتهم، وجميعهم يتجنبون الإشارة أو الربط بين الرأسمالية الليبرالية وبين اليهودية أو الصهيونية. أو بين الفاشية والنازية والصهيونية.

مع أن اللحمة التي تجمع بين هذه الإيديولوجيات هي عبادة المال وتقديسه، بينما عمل ويعمل الكثير من منظرينا العرب والمسلمين على الضد من هؤلاء على الربط ما بين الشيوعية والصهيونية وقد رأى كثير من منظرينا العرب والمسلمين أن الصهيونية والشيوعية توأمان.[1]

---

(1) (من الملفت للنظر أن القوميين العرب الذين كانوا يعتبرون الشيوعية توأم الصهيونية قد تبنوا الماركسية اللينية فيما بعد مثل - الجبهتان الشعبية والديمقراطية - وكثير من الناصريين

فإذا كانت الشيوعية أختاً للصهيونية فكيف تم تبني نظريتها الماركسية اللينينية من قبلهم؟

من حق المنظرين الصهاينة والليبراليين أن يربطوا بين الشيوعية والفاشية والإسلام باعتبارها نظريات شمولية أو أن يخلقوا مماهاةً بينها ليحولوا عداء شعوبهم ضد النازية والفاشية التي ألحقت بهم الدمار في الحرب العالمية الثانية إلى عداء للشيوعية بعد أن تم الانتهاء من النازية والفاشية ثم إلى عداء للإسلام بعد أن تم الانتهاء من الشيوعية متجاهلين عن قصد أن من ألحق الدمار بأوروبا وروسيا والعالم كله في جميع الحروب هم اليهود والصهاينة. وأن الصهاينة هم الذين كانوا ومازالوا وراء جميع الحروب التي لحقت بهم منذ قيام الثورة الفرنسية وحتى اليوم.

إن ما يتجاهله أغلب المنظرين العرب والمسلمين والليبراليين أن اليهودية والصهيونية لا تنتشر إلا حيثما يبيح النظام الاقتصادي المجال والحرية للمال لأن ينمو ويتكدس ويستعبد البشر.

يضع اسحق دويتشر المفكر اليهودي الماركسي في كتابه (من هو اليهودي) إصبعه على الجرح تماماً حيث يقول (أن اليهودية لا تنتشر إلا حيث يبيح النظام القائم حرية البحث عن الربح والمال وتكديسهما، وأنه حيث توجد حرية التجارة والربح توجد اليهودية).

صحيح أن ما فعلته الليبرالية البرجوازية (من خلال الثورة الفرنسية) في أوروبا الغربية لم تستطع غير البلشفية أن تفعله في روسيا وأوروبا الشرقية من حيث إعطائها لليهود المساواة في الحقوق. أسوة بغيرهم من البشر، إلا أن النظرية الشيوعية هي الوحيدة التي حاربت الربح ورأس المال وتكديسه. والواقع أنه لا يوجد ربح ورأس مال مشروع وآخر غير مشروع فكل ربح هو رأس مال يقوم على سرقة العمل الذي يقوم به العمال والمنتجون. ولهذا فإن عداء اليهود والصهاينة للشيوعية التي تحارب الربح دفعهم لتحريك الجميع (البرجوازيين والليبراليين والفاشيين والنازيين والقوميين والمسلمين المؤمنين بحرية التجارة والربح) لمحاربة الشيوعية حتى أسقطوها دون أن يدروا جميعهم وأنهم قد تحولوا إلى عبيد للرأسمال اليهودي أو إلى عبيد للصهيونية واليهودية بعد أن أسقطوها وأن المجتمع الحالي كله قد أصبح متهوداً (يعبد المال ويقدسه) ويتيح المجال لرأس المال اليهودي أن يعبث بالبشر وأن يستعبدهم ويشيئهم.

إن الشيوعية إذ ترى أن تحرير البشرية من اليهودية غير ممكن إلا عبر تحريرها من عبادة المال ترى أن حل المسألة اليهودية يكون فقط من خلال دمج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها، مثلهم مثل بقية البشر وأصحاب الديانات الأخرى ومنعهم من تكديس المال. وأن تحرير المجتمع والبشرية واليهود من اليهودية لا يكون إلاّ بتحرير الجميع من عبادة المال وتكديسه من خلال الاشتراكية.

والبعثيين واليساريين المتطرفين على الرغم من بقائهم على معاداة الشيوعية).

صحيح أن الثورة البلشفية في روسيا وأوروبا الشرقية أعطت لليهود الحرية والحقوق الإنسانية التي أعطتها لهم الثورة الفرنسية لكن الثورة البلشفية هي الوحيدة التي لم تسمح لليهود بأن يظلوا مرابين أو رأسماليين أو تجاراً كما هو الحال في جميع الأنظمة الأخرى السائدة في العالم.

ولهذا كما يرى اسحق دوتيشر فإن المرابين اليهود والصهاينة والرأس ماليين ومن ضمنهم النازيون والفاشيون وجدوا في الشيوعية الخطر الأساسي على وجودهم وسيطرتهم فعملوا على مكافحتها وتدميرها. فاليهودي المرابي أو التاجر أو صاحب رأس المال لا يكون مسيطراً ومهيمناً إلا حيث توجد حرية الربح والمال. أما حيث تتم محاصرة رأس المال فإن اليهودي سيذوب ويفقد قدرته على السيطرة والهيمنة على من هم حوله من البشر ويفقد جميع ميزاته المزعومة.

وبما أن الشيوعية تحظر التجارة الحرة وتكديس المال لا على اليهودي فحسب بل في المجتمع ككل فإنه لم يعد باستطاعة اليهودي المرابي أو التاجر أو الرأسمالي البقاء أو العيش في ظل هذا النظام ولذلك لم يعد أمامه إلا إما أن يهجر هذا البلد إلى أميركا وأوروبا حيث يقدّس المال ويعبده ويعمل في الوقت ذاته على تدمير الشيوعية من الداخل والخارج.

وإذا كان صحيحاً أن الدين الإسلامي يحرم الربا وتكديس المال إلا أن النظام الإسلامي لم يمنع اليهودي من ممارسته. وسمح للمرابي اليهودي أن يعيش على هامش المجتمع، وفي فراغلته الكبيرة والكثيرة ولأن ينمي أمواله ويكدسها ولأن يعيث التخريب والفساد بالمجتمع والنظام بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر وبشكل مهذب وملطف وناعم أو بشكل فظ أحياناً.

وبما أن النظام الإسلامي يفرض قيوداً على حرية المرابي اليهودي في التوسع والانتشار فقد هجر هذا المرابي اليهودي المجتمعات الإسلامية وانتقل إلى أوروبا الإقطاعية ليعود إليها مجدداً من الشبابيك والأبواب الكثيرة التي أعادت لرأس المال اليهودي إمكانية دخول هذه المجتمعات الإسلامية بصورة اوسع من قبل، وبما أن المسيحية في ظل هيمنة الإقطاع لم تكن تحرم الربى بصورة قاطعة فلقد وجد رأس المال اليهودي المجال لينمو ويترعرع وليصبح مسيطرا ومهيمناً على الحياة العامة السياسية والاقتصادية والفكرية. وبعد أن أصبحت الرأسمالية مسيطرة في العالم الرأسمالي الذي تحول إلى الاستعمار والإمبريالية فإنها استطاعت أن تنقل عدوى الرأسمالية إلى المجتمعات الأخرى العربية والإسلامية وسواها من مجتمعات ما قبل الرأسمالية. وعندما أصبح إنشاء البنوك والحصول على الفائدة والربى حتى لو كان اسمها بنوك إسلامية كما يؤكد على ذلك محمد ياسر الصبان) فإن اليهودية (عبادة المال) تكون قد دخلت بطريقة غير مباشرة إلى صميم المجتمع الإسلامي عن طريق الدول الإمبريالية وأصبح باستطاعة المرابي اليهودي أن يمارس دوره التخريبي والتدميري على هذه المجتمعات بصورة غير مباشرة ولأن يصبح بالتالي مهيمناً من الداخل ومن الخارج على هذه المجتمعات التي تسمي نفسها إسلامية

دون أن يظهر له أي أثر أو وجود مباشر فيها.

ومن المؤسف أنه في الوقت الذي كان فيه المنظرون الإسلاميون يناقشون شروط الوضوء والطهارة ووجود الجان وفيما إذا كان لونه أزرق أم اسود وله ذيل أم لا كان ماركس في منتصف القرن التاسع عشر يرسي قواعد القضاء على اليهودية وكان الشيوعيون يحاربون الفكرة الصهيونية وفكرة أن اليهود يشكلون أمة أو قومية

بما أن الشيوعية هي النظرية الوحيدة التي لا تذوّب اليهودي في المجتمع فحسب بل تحول بينه وبين السيطرة على المجتمع الذي يعيش فيه لذلك حاربها بشراسة (أما حيث توجد البنوك الرأسمالية أو الإسلامية وحرية المال والتجارة فإنه وجد المجال المناسب لا ليبقى يهودياً مرابياً فحسب بل وليصبح مسيطراً) ولهذا فلقد وجد اليهود في النازية ومعاداة السامية بصورة خاصة الإيديولوجية الملائمة التي سوف تسهم أكثر من سواها في عدم ذوبان اليهود وفي الإبقاء على اليهودية حية وفعّالة ولهذا عملوا على تشجيعها وإحيائها وأقاموا تحالفاً خفياً فيما بينهم وبين الفاشية والنازية وأغلب الاتجاهات القومية والدينية الليبرالية والرأسمالية لمواجهة الشيوعية لا ليسقطوها فحسب بل لتبقى اليهودية حية ويقظة وفعّالة ومسيطرة.

ومن المهم الإشارة هنا أن اليهود والصهاينة لم يتمكنوا بقدراتهم الذاتية من تدمير النظام الاشتراكي بل بقدرات جميع عبدة المال في العالم والخاضعين لهم سواء أكانوا عرباً أو مسلمين أو روساً أو ألبان أو أمريكان وألمان.

الصهيونية والنازية وجهان لعملة واحدة

مع أن أغلب المنظرين الماركسيين يرون أن الصهيونية والنازية هما وجهان لعملة واحدة اسمها العنصرية. إلاّ أن الكتابات التي تفضح وتكشف الترابط الحقيقي والتحالف الخفي بينهما هي قليلة جداً. من أبرز هذه الكتابات يأتي كتاب يوري إيفانوف احذروا الصهيونية الصادر في موسكو عام 1969.

يرى إيفانوف [1] «أنه حالما رفع الاشتراكيون القوميون الألمان (النازيون) العرق والقومية إلى مستوى الأشياء المقدسة كان من المحتم أن ينشأ بينهم وبين الصهاينة جسر مشترك ولذلك كما ذكر الكاتب الألماني هانس خينة أن زعماء الصهيونية أمثال غولدمان ونوسيك وبولكس (الذين أقاموا حلقات الاتصال مع الفاشية والنازية) اعتبروا النازية إمكانية تاريخية فريدة لتحقيق نوايا الصهيونية».

صعود النازية وجذورها:

أظهر عدد كبير من المؤلفين العرب والماركسيين الجذور المشتركة للصهيونية والنازية

(1) ايفانوف، يوري كتاب (حذار من الصهيونية) ص88

وبأن النازية ما هي إلا بنت للصهيونية باعتبار أن فكرة الشعب الآري المتفوق على جميع الشعوب ما هي إلا استمرار لفكرة الشعب اليهودي المختار والمصطفى (الأقدم تاريخاً من النازية).

إن الفكر النازي والفاشي ما هو إلا تكرار مشوه لجميع المقولات العنصرية لليهود والصهاينة حول الشعب المتفوق الذي يحق له ما لا يحق لغيره.

لقد أشار الكاتب الهندي الإنكليزي ج. هـ. جانسن[1] إلى أن حركة أحباء صهيون التي تشكلت إثر مذابح 1881 بعد مقتل القيصر اسكندر الثاني في روسيا والتي وجهت الهجرة اليهودية إلى فلسطين حتى عام 1896 أنها قد توقفت كلياً بعد غياب الضغوط اللا سامية في روسيا وكادت أن تخبو وتتلاشى الفكرة الصهيونية وتحولت فكرة العودة إلى رؤية رومانطيكية (وما هي إلا سنوات حتى بدت وكأنه محكوم عليها بالزوال). إلى أن جاءت قضية دريفوس عام 1896 لتعيد الحياة إليها من جديد على يد هيرتزل الذي حافظ على زخم الفكرة الصهيونية المتداعية. ويظهر الكاتب الهندي «أن الفكرة الصهيونية عام 1929 كادت أيضاً أن تتلاشى وتنتهي مرة ثانية. لولا صعود النازية في ألمانيا (إن تردد اليهود في الذهاب إلى فلسطين إستجابة لدعوة العودة إلى أرض الميعاد سواء أكان مرده لليهودية أو الصهيونية قد ظهر بشكل واضح بعد عام 1919 عندما تسلمت بريطانيا مقاليد الحكم في فلسطين وبعد مضي عقد من الزمن تحسنت الأحوال وعم السلم وأصبح السفر أكثر سهولة من ذي قبل بكثير ومع أنه لم تعد هناك قيود على الهجرة إلى فلسطين بعد احتلال بريطانيا لها إلا أنه في فترة ال 12 عاماً التالية من عام 1920 إلى عام 1932 فإن أعداد اليهود الذين غادروا البلاد يزيد عن عدد اليهود الذين دخلوها وفي عام 1928 بلغ صافي عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين عشر أشخاص فقط)[2]

وتظهر جميع الإحصائيات والوثائق العربية والبريطانية أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين لم تتجدد وتتنامى من جديد إلا بعد صعود النازية في ألمانيا. فإذا كانت قضية دريفوس قد أحيت قضية العودة والهجرة من جديد بعد أن كادت تخبو فإن صعود النازية قد أحيت فكرة العودة والهجرة من جديد وبصورة فاقعة حيث تزايد عدد المهاجرين اليهود من أوروبا إلى فلسطين في فترة صعود النازية إلى أكثر من مئتي وخمسين ألف مهاجر مما يؤكد أن النازية قد قامت بإيقاظ الصهيونية النائمة من خلال رفع شعار معاداة اليهود لإحياء الفكرة الصهيونية ولتوسيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين التي بدونها ما كان لإسرائيل أن تقوم أو تتحول الفكرة الصهيونية إلى واقع. ولقد أظهرت الكاتبة الأميركية جانيت أبو لغد[3]: «لو سارت السياسة الألمانية في طريق آخر منذ عام 1930 لما كانت هناك على الأرجح مشكلة يهودية أو فلسطينية في الأربعينات ولما كان هناك نزاع أو صراع عربي

(1) جانسن ج.هـ الصهيونية وإسرائيل و وآسيا ص49

(2) ص24 الصهيونية وآسيا جانسن.

(3) أبو لغد، جانيت (تهويد فلسطين) إصدار د.ابراهيم أبو لغد ص 166

أو صهيوني».

ولقد خدمت النازية الحركة الصهيونية بما لم تخدمها أية حركة أخرى في تاريخ أوروبا عندما أعلنت عن نفسها حركة معادية لليهود فقدمت لهم كل الحجج اللازمة من أجل أن يستثيروا عطف شعوب وحكومات أوروبا بمن فيهم شعوب الإتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية وحكوماتهم بسبب المذابح والمحارق المزعومة من أجل أن يكون لهم موطن آمن بعيدا عن خطر النازية.

ومن المؤسف والمؤلم حقاً أن يتجاهل الشيوعيون والسوفييت والبولونيون والرومان ضحاياهم في الحرب العالمية الثانية والتي زادت عن 25 مليون إنسان ولا يرون من النازية إلا أنها حركة معادية لليهود حيث قتلت منهم 600000 يهودي وحيث جعل الشيوعيين البولونيين من معسكر أوشفتس أيقونةً لجميع شعوب ومفكري ومنظري العالم بمن فيهم الشيوعيين العرب؛ أيقونة خالدة ليستثيروا عطف الجميع على اليهود وليقروا بحقهم في أن تكون لهم دولة آمنة في فلسطين.

لقد أظهر كتاب مئة عام من الحرب لوليام انيغدال (ص76) أن مؤتمر فرساي الذي عقد في عام 1919 بعد الحرب العالمية الأولى فرض على ألمانيا مبلغ 132 مليار مارك (وهو رقم يفوق الخيال حتى في هذه الأيام) وإذا لم تدفع ألمانيا هذا المال خلال ستة أيام فسوف يتم احتلال الألزاس واللورين (عصب الصناعة الألمانية في إنتاج الحديد والفحم). وهذا ما تحقق لهم فعلاً ثم أخذوا منها ممتلكاتها الاستعمارية في جميع أنحاء العالم و25٪ من أسهمها في شركة النفط التركية.. يقول انيغدال «لقد فاق الضغط الذي مورس على ألمانيا كل حساب أو تصور حيث انهار الاقتصاد الألماني بشكل فاق الخيال حيث وصل سعر الدولار الواحد إلى 750 مارك». (وهو رقم قياسي حتى في أيامنا هذه) وهنا لم يكن أمام ألمانيا في عام 1931 سوى إما أن تتوجه نحو الشيوعية وإما نحو النازية. ولهذا سرعان ما تدخل الصهاينة والأمريكان لإنقاذ ألمانيا من الوقوع في براثن الشيوعية ولدفعها نحو النازية دفعاً.

فأخذوا يقدمون للحزب النازي كل أنواع المساعدات عن طريق مجموعة بيلد بيرغ المالية[1]، يقول سميث في مذكراته في التقرير المرفوع إلى رؤسائه في واشنطن في التوصية المتعلقة. بمجموعة هتلر الهزيلة «إن هدفه الرئيس (أي هتلر) هو الإطاحة بالشيوعية وكسب العمال إلى المثل القومية للدولة الألمانية لبسمارك والملكية الخاصة.»

وقال إن من المستحيل إنقاذ ألمانيا (من التوجه نحو الشيوعية) من خلال الليبرالية الديمقراطية (بسبب قوة الحزب الشيوعي الألماني) لذلك يتوجب علينا دعم حركته الهادفة إلى إقامة دكتاتورية قومية من خلال الوسائل غير البرلمانية».

(1) سيتضح معنا لاحقاً وبالأدلة أن هذه المجموعة هي مؤيدة وداعمة لإسرائيل، بشكل أساسي.

ومباشرة منحت التايمز اللندية حركة هتلر ذيوعاً دولياً إيجابياً ويقول انيغدال ص 123 (إن الدعم المالي الذي وفره مونتاجو نورمان وتياركس وأصدقاؤهما (الصهاينة) في بنوك لندن كان حاسماً في تلك الفترة العصيبة التي مرت بها ألمانيا حيث لم يحز حزب هتلر على أكثر من ستمائة صوت في انتخابات عام 1930) وخلال ثلاث سنوات وبسبب الدعم المالي لليهود الصهاينة في لندن ونيويورك استطاع هتلر أن يصبح مستشاراً للرايخ الألماني.

يقول الكاتبان الفرنسيان جاك بيرجيه وبيرنار توماس [1] إن الهولندي الصهيوني هندريك ديتردنغ ملك البترول (مدير شركة النفط الهولندية) والذي ساهم مساهمة كبيرة في انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى قد تحول بعد الحرب العالمية الأولى إلى معاد للشيوعية خاصة بعد أن أممت الدولة السوفيتية النفط. وأن ديتردنغ هذا بدأ حملة عالميةً ضد الشيوعية فأصدر ملايين الروبلات المزيفة لإغراق الخزينة الروسية وعمل على حياكة المؤامرات والدسائس وتقديم المال والسلاح للبيض وللمتمردين «استطاع برؤوس أمواله ذاتها أن يجيء بهتلر إلى السلطة عام 1933». (ص50)

وكما يقول الكاتبان فإن ديتردنغ هذا ساعد برؤوس أمواله كافة الثورات المضادة للشيوعية التي كانت تستهدف تدمير الاتحاد السوفييتي وأن حلمه الذي كان مستعداً لأن يضحي من أجله بحياته وأمواله كلها والمتمثل في تدمير الاتحاد السوفييتي (لم يتحقق خلال حياته لسوء حظه) ومات بغيظه لأنه توفي في عام 1939) وعندما توفي يوم 6 شباط أرسل هتلر ممثلاً خاصاً عنه لحضور جنازته وألقى كلمة في حفل التأبين الذي أقيم له والذي لا يليق إلا بالملوك والأباطرة والأبطال». [2]

ولقد أظهر الكاتب الفرنسي أريك لورو في كتابه الأكثر مبيعاً في فرنسا [3] (أن شركتي فورد وجنرال موتورز الأميركيتين اللتين كانتا تهيمنان على صناعة السيارات والمركبات الأرضية في الثلاثينات من القرن الماضي قد بدأتا منذ عام 1935 بتنفيذ طلبات النظام النازي في ما يتعلق بتطوير القطع اللازمة للشاحنات العسكرية ومحركات الطائرات الحربية الألمانية. وأن هاتين الشركتين بالإضافة لشركة أوبل الألمانية كان لهما دوراً أساسياً في تسليح الجيش النازي مما دفع

(1) جان بيرجيه وبيرنار توماس (حرب البترول السرية) من ص 45. إلى 51

(2) (ألا يذكرنا صعود هتلر هذا بصعود صدام حسين؛ ففي الوقت الذي لم يكن له أو لحزبه عام 1963 أي وزن يذكر أصبح في عام 1968 الشخصية الرئيسية في العراق وكما يذكر نهاد الغاردي في مجلة المحرر أن مشايخ الكويت هم الذين دفعوا الأموال لصدام لاغتيال عبد الكريم قاسم بعد أن طالب بضم الكويت إلى العراق وأن الأمريكيين خوفاً من توجه قاسم نحو الشيوعيين عملوا على إسقاطه وخوفاً من أن يصبح العراق بعد ضم الكويت أكبر قوة بترولية في العالم حيث يوجد ثلثاحتيلطي العالم من البترول وحيث يصبح بإمكان العراق أن يحدد سعره ونوع العملة التي يمكن مبادلته بها) وأن مشايخ البترول الكويتيين أنفسهم انقلبوا على صدام ثانية وعملوا على إسقاطه بذريعة أنه طالب بضم الكويت إلى العراق).

(3) لورو، ايريك (حرب آل بوش).

هتلر إلى منح وسام للمدير التنفيذي لجنرال موتورز الأمريكية).

يقول أريك لوران أن الفوهرر قلد توماس واتسون مؤسس شركة أي بي أم وساماً استثنائياً نظراً لضخامة المصالح المشتركة التي كانت تجمع بين تلك الشركة وألمانيا النازية. ولقد استمرت تلك العلاقة طيلة فترة الحرب في الوقت الذي كانت تنتج فيه هذه الشركة المدافع ومحركات الطائرات لجيوش الحلفاء.[1]. ويقول الكاتب أن دخول الولايات المتحدة الحرب ضد ألمانيا لم يغير شيئاً بالنسبة لهذه الشركات. فلقد استمرت بالمساهمة في تسليح الجيش النازي ليس فقط عبر مصانعها في ألمانيا لكن أيضاً عبر مصانعها في الولايات المتحدة. التي كانت تنقل إليها من أميركا إلى سويسرا التي تقوم بتمريرها إلى ألمانيا».. وأن توماس واتسون هذا كان مقرباً جداً من بريسكوت بوش جد الرئيس الحالي لبوش الابن والذي كان مصرفياً ناجحاً و حيث قام ذاك الجد باستثمارات مربحة جداً في ألمانيا النازية».

الصهيونية توجه الجميع

من المؤسف جداً أن كثيراً من المفكرين والكتاب بمن فيهم الكتاب الشيوعيون في غمرة عدائهم للنازية التي دمرت الاتحاد السوفييتي قد انساقوا مع الحملة الدعائية الصهيونية الكاذبة المعادية للنازية (بالكلام فقط) والتي كانت تقودها الأخيرة ضد النازية فروجوا لفكرة أن النازية هي حركة معادية لليهود وأنها ألحقت باليهود مذابح كبيرة. حيث يتجاهل أغلب هؤلاء الكتاب أن النازية لم تكن معادية للسامية ولليهود إلا نظرياً فقط بينما عداؤها الحقيقي كان ينصب على الشيوعية والشعوب الأخرى. وعلى رأسها الشعوب العربية والإسلامية. وباعتبار أن الإيمان بالتفوق العنصري للعرق الآري أو اليهودي على جميع الشعوب هو الذي يجمع ويوحد بينهما. (**)

دحض الدعاية الصهيونية حول معاداتها للنازية:

أهم النتائج التي تمخضت عن الحرب العالمية الثانية كانت تدمير الاتحاد السوفييتي

---

(1) المحرر العربي العدد 384

(*) من المؤسف جداً أن يتجاهل كثير من الكتاب خاصة الشيوعيون أن النازية لم تكن موجهة ضد اليهود بل كانت موجهة بشكل أساسي ضد الشيوعيين في أوروبا الوسطى والغربية. وضد الاتحاد السوفييتي وضد مصالح الشعب الألماني الأساسية. ومصالح الشعوب الأوروبية وشعوب العالم كافة.

(**) من المؤسف أيضاً أن يتجاهل الكثير من المنظرين والكتاب أن النازية قد وضعت العرب والغجر في أسفل العروق البشرية وفي درجة أدنى من درجة اليهود الذين يجب أن يبادوا ويسحقوا أو أن يتحولوا إلى عبيد.

من المفارقات المؤلمة أن يتجاهل العالم كله موت أكثر من خمسين مليون إنسان في أوروبا نصفهم من السوفييت ويتجاهلون الحروب التي أشعلتها الصهيونية والإمبريالية الأميركية لتدمير أوروبا ولا يذكرون من بشاعة تلك الحروب سوى موت بضعة آلاف من اليهود.

وأوروبا وإعادتهما إلى الوراء خمسين سنة ثم إخضاع أوروبا للنفوذ الأميركي الصهيوني بواسطة مشروع مارشال الذي اعتقد الكثيرون أنه موجه لإعمار أوروبا. بينما لم يكن في الحقيقة إلا لإخضاعها من خلال حلف (الأطلسي) تحت قيادة الولايات المتحدة الأميركية لمواجهة الشيوعية.

من حق أي إنسان أن يتساءل إذا كانت النازية منذ صعودها في ألمانيا عام 1933 قد شنت حملة دعائية واسعة ضد اليهود لامتصاص نقمة الشعب الألماني الذي كان يكرههم لدورهم الحاسم في تدمير ألمانيا وهزيمتها في الحرب العالمية الأولى. فلماذا لم تعمل الصهيونية العالمية والولايات المتحدة المحبة لهم على إنقاذهم من هذا الخطر المزعوم والداهم قبل الحرب أو خلالها؟ لماذا لم تعمل على تكتيلهم لمواجهة النازية ومحاربتها بل عملت على دعم النازية وتقويتها؟.

يقول دافيد كمحي في كتابه (حروب غير منظورة) والذي صدر بعد 21 عاماً على هزيمة النازية «إن المبعوثين اليهود سافروا إلى ألمانيا النازية ليس من أجل إنقاذ اليهود الألمان من الموت. بل من أجل إنقاذ الرجال والنساء الشباب المتأهبين للتوجه إلى فلسطين كي يصبحوا رواداً مقاتلين ومحاربين من أجل الصهيونية» (*) بعد 21 عاماً فقط على هزيمة النازية باح دافيد كمحي عن السر الذي جعل الصهاينة يسهلون دخول الجيوش الألمانية إلى دول أوروبا الشرقية بقوله «لو كان هدفنا إعاقة القضاء على اليهود في مناطق مختلفة من لتوانيا واستونيا ولاتفيا ويوغسلافيا وبولونيا وسلوفاكيا ورومانيا لأقمنا صلات مع قوات الأنصار المقاتلة هناك ضد النازية ولاستطعنا إنقاذ الكثير منهم».

ولو كانت أمريكا حريصة على إنقاذ حياة اليهود وأوروبا من الدمار فلماذا ظلت تقف على الحياد مدة أربع سنوات حيث لم تدخل الحرب إلاّ في نهاية عام 1942 ولم تواجه النازية ولم تدخل الأراضي الأوروبية إلاّ بعد أن استطاع السوفييت هزيمتها لتسرق نتائج الانتصار الذي حققه السوفييت. بعد أن حطموا الرايخستاغ ودخلوا برلين وبعد أن حرروا نصف أوروبا من النازية. فلو كانت أمريكا والصهاينة حريصين على حياة اليهود من الموت فلماذا لم يعملوا على نقلهم إلى الولايات المتحدة الأميركية معبودتهم الأولى؟ ولماذا سُنت القوانين لمنع استقبال المهاجرين اليهود في أمريكا تلك القارة البعيدة عن خطر النازية؟

لو كانت أمريكا حريصة على حياة المئتي ألف يهودي الذين كانوا يتجمعون في رومانيا.. بعد انتهاء الحرب العالمية عام 1946 فلماذا لم تعمل على نقلهم إلى أميركا ولماذا أصرت فقط على أن تفتح الأراضي الفلسطينية لاستقبالهم على الرغم من معرفتها أن كثيراً منهم كانوا يموتون أثناء توجههم في البحر إلى فلسطين؟. وأرغمت بريطانيا على إلغاء الكتاب الأبيض الذي حد من هجرة اليهود إليها؟

يجيب إيفانوف على هذه التساؤلات بقوله (إن لجنة الإنقاذ المعينة من قبل الوكالة

(*) حذاري من الصهيونية (ص89 إيفانوف)

اليهودية في المجر برئاسة رودولف كاستنر (والذي كان على علاقة جيدة مع النازي ايخمان) كان هدفها التوصل إلى اتفاق مع ايخمان لنقل اليهود تحت حماية البوليس الألماني إلى فلسطين مقابل ضمان كاستنر الهدوء والنظام في المعسكرات المجرية التي سُيرَّحل منها مئات الآلاف من اليهود الميسورين وأعضاء منظمة الشبيبة الصهيونية فقط الذين أنقذوا وحدهم من الموت نتيجة ذلك التواطؤ بينما ترك بقية اليهود يموتون في المعتقلات).

لقد أوضح ناحوم غولدمان في المؤتمر العشرين للحركة الصهيونية العالمية عام 1942 «إن المؤتمر انعقد من أجل أهداف اتجرأ بأن أصفها بأنها تهم الحياة اليهودية أكثر من النضال ضد اللاسامية».

يعقب إيفانوف على ذلك المؤتمر قائلاً: «لقد تجاهل المؤتمر مسائل النضال ضد النازية وألح بشكل مركز على إنقاذ يهود أوروبا الخاضعين لدول المحور من أجل نقلهم إلى فلسطين».

يتضح لنا أن من أهم النتائج التي تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية كانت العمل على ترويع اليهود وتبرير نقلهم إلى فلسطين ويذكر إيفانوف بالأرقام أن عدد اليهود في فلسطين كان عام 1933 حوالي 238 ألفاً وما أن حل عام 1936 (بعد صعود النازية). حتى قفز العدد إلى 404 ألف. وما إن أنتهت الحرب العالمية الثانية حتى وصل عددهم إلى نصف مليون تقريباً.

ويُعلق إيفانوف على هذه الحقائق والأرقام قائلاً «من السذاجة التفكير بأن يكون تدفق أغلبية اليهود إلى فلسطين قد جاء نتيجة إيمانهم بأرض الميعاد أو لانتصار الأفكار الصهيونية لديهم. بل جاء نتيجة للحملة الإعلامية النازية ضد اليهود ونتيجة لتواطؤ القيادة الصهيونية معها مستغلين أكذوبة المحرقة لتقديم كل أشكال العون والعطف على اليهود ليقيموا دولة في فلسطين».

نتوصل مما سبق إلى نتيجة تؤكد على أنه إذا كان تدمير أوروبا والاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية جاء نتيجة لصعود النازية فإن أكثر من تضرر من تلك الحرب كانت الشعوب العربية وبشكل خاص فلسطين والشعب العربي الفلسطيني حيث اتخذت الإمبريالية والصهيونية من جرائم النازية حجة من أجل نقل اليهود إلى فلسطين ليقوموا بذبح الفلسطينيين وطردهم من بلدهم.

ومن المؤسف جداً أن الحاج أمين الحسيني ورشيد علي الكيلاني وكثير من المنظرين والسياسيين العرب صدقوا معاداة النازية لليهود وانجروا في فترة الحرب العالمية الثانية إلى التحالف مع النازية التي كان أحد أهدافها الرئيسية نقل اليهود من أوروبا لاستيطان واستعمار فلسطين والوطن العربي.

ولابد من الإشارة إلى أن تحالف هؤلاء الفلسطينيين والعرب مع النازية قد ساهم

بشكل مباشر في خدمة الدعاية الصهيونية القائلة أن العرب والفلسطينيون يحاربون اليهود لأنهم نازيون وقوميون متعصبون ولأنهم كانوا متحالفين فعلاً مع النازية وليس لمنعهم من احتلال فلسطين وطرد شعبها منها.

المحرقة الأكذوبة

من المؤسف أن كثيراً من الشيوعيين سواء في أوروبا أو في البلدان العربية وكثيراً ممن يزعمون أنهم إنسانيون قد أبدوا ذلك القدر الكبير من العطف على اليهود وقدموا ذلك القدر الكبير من الدعم لهم في إقامة دولة لهم على أرض فلسطين قد صدقوا ما حل ببضعة آلاف من اليهود على يد النازيين في ألمانيا وبولونيا خاصة في ما أطلق عليها اسم المحرقة.

من الغريب أن لا يحزن هؤلاء وسواهم على موت أكثر من خمسين مليون إنسان قضوا بسبب تلك الحرب التي أشعلها وغذاها الصهاينة. بينما يحزنون ويتألمون ويبكون فقط على موت بضعة آلاف من اليهود في بولونيا وألمانيا ويؤكد محمد جربوعة (*) أنه «لم يقتل من اليهود الألمان أكثر من مئتي ألف ليس كضحايا محارق كما زعم بل بسبب مشاركتهم في القتال أو حرب الأنصار أو بسبب الجوع والمرض اللذين حلا بجميع الشعوب الاوروبية خلال فترة الحرب».

يستعرض د. رفعت سيد أحمد(**) ما كتبه آرثر بوتز في كتابه عن المحرقة الأكذوبة فيؤكد على أن معتقل أوشفتز الذي جعل الصهاينة واليهود منه أيقونة للعبادة والزيارات والتقديس لم يكن إلا أكذوبة. فلقد أظهرت التحليلات التي أجريت لرماد الجثث المحروقة في أوشفتز أن قسماً كبيراً من هذا الرماد يعود لجثث تم حرقها بعد انتهاء الحرب. وأن قسماً كبيراً من رماد هذه الجثث يعود لجثث ميتة ومتفسخة وليس لأشخاص تم حرقهم وهم أحياء كما يزعم الصهاينة.

وأثبت أن عملية الحرق قد جرت لجثث الموتى من جميع الجنسيات بما فيهم جثث لجنود ألمان قضوا في تلك الحرب حتى لا يتسبب تفسخها في انتشار الأوبئة والأمراض.

ويؤكد آرثر بوتز أن الذي تبنى مشروع حرق الجثث كان العلماء البولنديون وليس القادة الألمان النازيين أو بأوامر من هتلر ومن الملفت للنظر أن بعض العينات التي أخذت من رماد المحارق دلت أن كثيراً من رماد الجثث يعود لجثث خيول نفقت خلال الحرب وليس لجثث آدميين.

ولقد أثبت المؤرخ البريطاني ديفيد ايرفنج أن غرف الغاز في أوشفتز قد أقامها البولونيين بشكل خاص لحرق لشيوعيين الألمان والبولونيين بمن فيهم الشيوعيون اليهود.

(*) جربوعة، محمد (تبرئة هتلر من الهولوكوست) ص35

(**) رفعت سيد أحمد (من التطبيع إلى الانتفاضة)

وأن عملية حرق لليهود إذا كانت قد تمت في بولونيا فإنها لم تتم لهم بسبب كونهم يهوداً بل بسبب أنهم كانوا شيوعيين أو معادين للنازية والصهيونية.

ويرى د. رفعت سيد أحمد أنه بعد أن انكشفت الدعاية الصهيونية الكاذبة عن المحرقة لكثير من الباحثين البولونيين والفرنسيين المحايدين وخوفاً من أن تنتشر الحقيقة ويعرفها الأوربيين فإن الصهاينة والزعماء الأوروبيين المعادين للشيوعية والمتعاطفين مع الصهيونية عملوا على إصدار قرارات وقوانين في جميع الدول الأوروبية الغربية تحكم على كل من يشكك في المحرقة أو تسول له نفسه إعادة النظر أو التشكيك فيها بالسجن من سنة إلى أربع سنوات.

وهنا يحق لنا أن نتساءل عن حقيقة ما يطلق عليه اسم الحرية العلمية التي يزعم الغربيون أنهم وحدهم يمتلكون ناصيتها. إذا كانوا باحثين عن الحقيقة فلماذا يمنعون إعادة التقصي والبحث لاكتشاف الحقيقة؟ إن الأمر ذاته يتكرر ثانية وثالثة ورابعة على أرض فلسطين ولبنان فكلما أقدم الصهاينة على ارتكاب مجازر وجرائم حرب. وكلما طالب العالم بتشكيل لجان تحقيق وتقصي. كلما عمل الصهاينة وحماتهم وخدمهم من الأمريكان والأوربيين والعرب والفلسطينيين المتصهينين على إلغاءها ومنعها من العمل للحيلولة دون التوصل إلى الحقيقة التي تدين الصهاينة وتكشف نوازعهم وأعمالهم الإجرامية..

وبعد أن تصاعدت المجازر الصهيونية ضد الفلسطينيين والتي فاقت في فظاعتها جرائم النازية عاد الأوروبيين إلى التساؤل حول ماذا إذا كانت المحرقة هي أكذوبة أم حقيقة. ولذلك فلقد سارع الصهاينة في شباط من عام 2001 إلى عقد مؤتمر دولي لإحياء المحرقة في استوكهولم وللتغطية على جرائم الصهاينة ضد الفلسطينيين فقرروا أن يتم أحياء ذكرى المحرقة «الأكذوبة» كل سنة.

ومن المؤلم أن يحضر ذلك المؤتمر مندبون عن 26 دولة أوروبية وأميركية ومن السخرية ومن المؤلم أكثر أن يكرم في ذلك المؤتمر المجرم القاتل باراك وأن يقلد الأوسمة باعتباره بطلاً.

الفصل الثامن

الأنكلوصهيونية في مواجهة أوراسيا

من المؤكد أن السيدة مارغريت تاتشر المرأة الحديدية كما يطلق عليها الإنكلوصهيونيون، على الرغم من حديديتها وصرامتها لم تسرَّ لانهيار النظام السوفيتي بل أصيبت بالقلق، لسبب بسيط هو خوفها من أن هذا الانهيار قد يؤدي إلى عودة الرايخ الألماني الرابع كما يقول إينغدال «الرايخ الأول الذي بناه أول مرة بسمارك عام 1871 وإن أشد ما يخيف الصهاينة هو أن يبرز نظام نقد دولي لا يخضع لإشراف البنوك والمصارف التي يسيطرون عليها في لندن ونيويورك وواشنطن قد يصبح فيه اليورو عملة جديدة قوية منافسة للدولار والجنيه الإسترليني».

وبعد أن سقط النظام السوفيتي برز خطر جديد تمثل في إمكانية قيام نظام سياسي دولي جديد تصبح فيه روسيا مع ألمانيا وبعض دول أوروبا أساساً لنظام دولي منافس للأنكلوصهيونيين باعتبار أن أهم نتائج انهيار النظام الاشتراكي هو سقوط جدار برلين حيث أصبح من الممكن أن تتحول ألمانيا الموحدة إلى نواة لقوة دولية جديدة في أوراسيا وهذا ما أخاف الإنكلوصهيونيين بشدة على الرغم من ترحيبهم بانهيار النظام الاشتراكي وهذا ما أبرزه إينغدال(*) «كان جناح مارغريت تاتشر في حزب المحافظين يحس بالخطر من منظور ما دعاه البعض إعادة الرايخ الألماني» والحقيقة أن هناك أمراً آخر أشد خطورة لم يشر إليه إينغدال أو سواه من الباحثين: لقد بنى الصهيونيون سياستهم الدولية على أساس إخضاع أوروبا وأغلب الدول والعالم لهيمنتهم المالية استناداً لخوف الرأسماليين في هذه الدول من الخطر الشيوعي الأحمر أو النظام الاقتصادي الذي لا يتيح للرأسمال المالي اليهودي التحكم بالاقتصاد، إن غياب هذا الخطر لن يربك مخططاتهم السابقة وسياستهم فحسب، بل وسيجعل من الصعب على الأنكلوصهيونيين رسم سياسة جديدة توحدهم أو تمكنهم من مواجهة القوى الاقتصادية والسياسية الجديدة الناشئة في العالم وبصورة خاصة في أوروبا وألمانيا وروسيا والصين.

حقيقة ثالثة لم يشر إليها إلا نفر قليل من المفكرين: إن البناء السياسي والأيديولوجي الإمبريالي في فترة الحرب الباردة، والمعادي للشيوعية قد انتهى دوره فماذا سيفعلون الآن بهذه الأنظمة والقوى العربية والإسلامية ومنظومة الأفكار المعادية للشيوعية بعد أن زالت المنظومة الاشتراكية ومنظومة دول عدم الإنحياز؟ وإلى أين سيوجهون عداء الشعوب

(*) اينغدال. ص 285

العربية والإسلامية والعالم ثالثية، بعد أن تبين أن لا وجود لخطر سوفيتي وأن الخطر الحقيقي الذي يهددهم إنما يأتي من الإمبريالية والصهيونية وإسرائيل؟

ما لا يعرفه كثير من المنظرين والباحثين أن روسيا البلشفية على الرغم من بلشفيتها كانت دولة صناعية متخلفة لا يمكن أن تشكل تهديداً للصناعة والتجارة الأنكلوصهيونية. وقد تخلى لينين عن مطالبته بالديون المستحقة لروسيا على ألمانيا المهزومة والتي أقرها لها المجتمعون في مؤتمر فرسايل في عام 1919 مقابل أن تعمل ألمانيا على مد البلشفيك بالتكنولوجيا الحديثة وقد وافق وولتر راثيناو على خطة رابلوا لمد روسيا بالتكنولوجيا الصناعية الألمانية. ومباشرة أحس الإنكلوصهيونيون بالخطر فلم يجدوا طريقة لإفشال الخطة سوى القيام باغتيال راثيناو.

وبعد ستين عاماً من اغتياله تبنى - مستشار ألمانيا هلموت كول، خطة الفردهير هاوزن - سياسة مماثلة تقوم على مد السوفييت بالتكنولوجيا الألمانية الحديثة مقابل أن تتخلى روسيا عن ألمانيا الشرقية. لذلك لم يجدوا طريقة للتخلص منه إلا بتفجير سيارته.

يقول إينغدال «لقد كان قتلة هيرهاوزن على درجة عالية من الاحتراف حيث نسفوا سيارته المدرعة في 29 ت 2 من سنة 1989 أي بعد أيام من انهيار جدار برلين دون أن يتركوا أي دليل على الفاعل».

وافق هلموت كول بعد انهيار جدار برلين على خطة هيرهاوزن التي تقتضي مساعدة الاقتصاد السوفيتي المنهار كجزء من شروط موسكو للتخلي عن ألمانيا الشرقية، ولإعادة ألمانيا الموحدة. وتوجه مستشار ألمانيا في خطاب إلى الأمة الألمانية تحدث فيه عن تمديد خط حديدي يربط باريس وهانوفر وبرلين وارسو وأخيراً موسكو بحيث يصبح هذا الخط أساساً لبنية تحتية لاوراسيا الصناعية الحديثة.

لقد أصبح مفهوم ديغول حول بناء أوروبا موحدة ومتعاونة اقتصاديا قابلاً للتحقق وهذا ما أرعب الإنكلوصهيونيون. إن مقتل هيرهاوزن لم يمنع الألمان من المضي في مشروع بناء أوراسيا، لذلك كان لابد من تدمير هذا التوجه بطريقة جديدة، أكثر قسوة وإجراماً فلم يجدوا في الشرق الأوسط إلا أداة لتنفيذ هذه السياسة الجديدة وهنا لابد لنا من التعرف على حقيقتين أساسيتين:

إن خطة الإصلاح التي جاء بها غورباتشوف تتطلب أموالاً طائلة لتجديد الصناعات السوفيتية المتخلفة أو المنهارة بالإضافة إلى المعونة العلمية الألمانية. وبما أن المادة الوحيدة التي يستطيع السوفييت من خلالها الحصول على المال اللازم للإصلاح تأتي من بيع النفط والغاز مما يقتضي الإبقاء على سعر مرتفع للبترول السوفييتي والإبقاء على أسعار مرتفعة للبترول عامة، لذلك لجأ الإنكلوصهيونيون في عام 1986 إلى دفع الكويت إلى إغراق أسواق النفط بالبترول الكويتي الذي جعل سعر برميل البترول ينخفض من 26 دولاراً للبرميل إلى 13 دولاراً في السوق السوداء، وطالما أن تكاليف إنتاج البرميل الواحد في

الاتحاد السوفيتي تصل إلى 13 دولار فإن أي بيع للبترول للروسي بهذا السعر سوف يشكل كارثة على الاقتصاد حيث ستفشل خطة الإصلاح والتعاون الروسي الأوروبي. وكذلك إصابة العراق بعجز يحول دونه ودون إعادة إعمار بلده التي دمرتها الحرب مع إيران. ويضيف إينغدال في حزيران سنة 1989 «قدم إلى بغداد لهذه الغاية بطلب من صدام حسين وفد على مستوى عال من منظمة عرفت باسم (منتدى أعمال العراق في الولايات المتحدة). التابع لمؤسسة زملاء كسينجر. حيث ضم مدراء متنفذين في كبرى شركات النفط متعددة الجنسيات لمناقشة إعمار العراق فيما بعد الحرب الإيرانية العراقية، بعد أن دمروه». ثم دفعوا الكويت للتشدد في مواقفها بالنسبة لحصص النفط ولتحديد سعره والتشدد في دفع الديون المترتبة عليه للعراق مما كان سبباً في إعلان صدام حسين الحرب على الكويت ثم احتلاله.

وبما أن أحد نتائج سقوط جدار برلين ستؤدي إلى احتمال تحديث أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي حول ألمانيا الموحدة والناشئة حديثاً، فلقد شعر أصحاب البنوك اليهود في نيويورك وواشنطن ولندن في عام 1989 بالخطر الشديد. «مباشرة حذر ديفيد هيل في تقريره الأسبوعي كما يقول إينغدال ص 287 من الأخطار الإستراتيجية على الأسواق المالية الإنكلوصهيونية إذا نجحت الوحدة الألمانية».

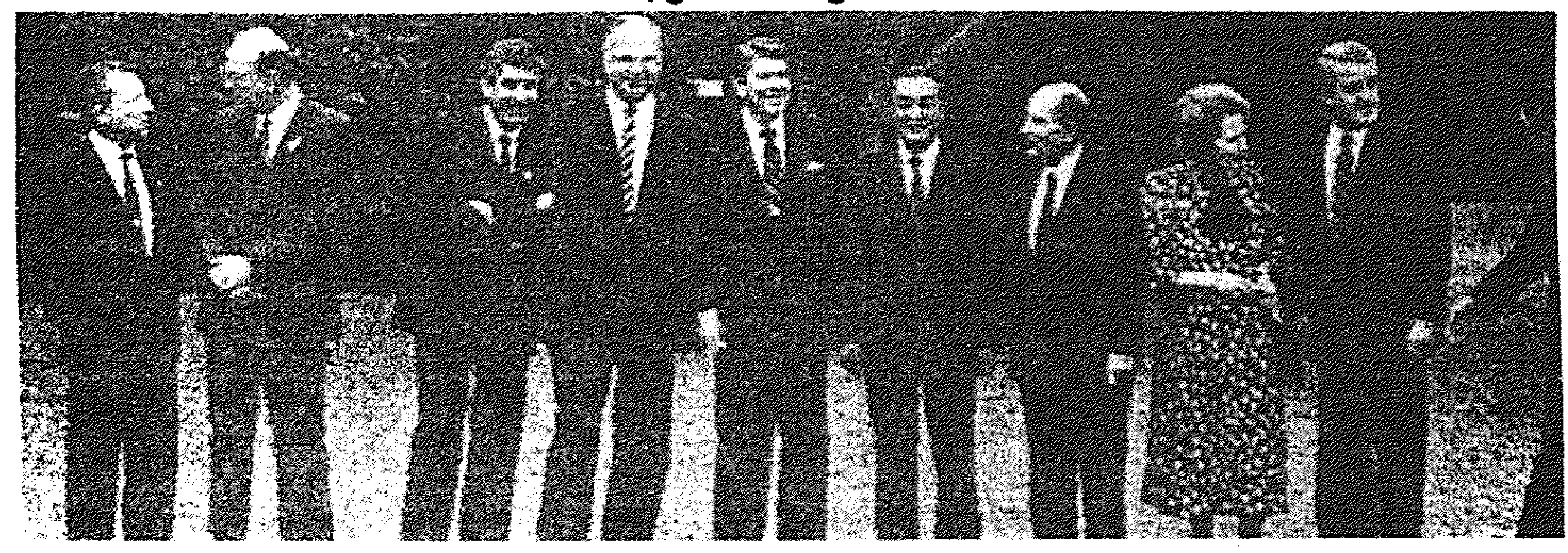
لذلك كان لابد من البدء بشن حرب عالمية جديدة ضد ألمانيا الموحدة وأوروبا وروسيا شبيهة بالحرب العالمية الأولى متخذين من وجود أسلحة دمار شامل في حجة للبدء بحرب عالمية رابعة نشهد أحداثها اليوم.



اللنبي مع هربرت صموئيل ولورنس العرب



جنرالات الحرب



قمة طوكيو / شرطة العالم

الفصل التاسع

الأممية الداعمة والممولة لإسرائيل

بدءاً من عام 1954 بدأت مجموعة من كبار الرأسماليين والمصرفيين في العالم اجتماعاتها السنوية بسرية تامة في فندق بيلد بيرغ في مدينة أوتسربورغ الهولندية أطلق عليها إنيغدال في كتابه مائة عام من الحرب «مجموعة محبة للإنكليز» ويعدد أسماءهم واحداً واحداً ص 181 أما الكتاب الروسي المعنون بـ «الصهيونية سلاح الإمبريالية المسموم» فيسمى هذه المجموعة (بالمحبة لإسرائيل) باعتبار أن اجتماعهم رقم 3 في عام 1957 انعقد في مدينة القدس المحتلة تحت عنوان مؤتمر أصحاب الملايين باعتبار أن الشخصيات الرئيسية في هذه المجموعة تتألف من أصحاب بنك ديفرانس وبير ودريفوس صاحب شركة رينو المرتبطان بالفرع الفرنسي لعائلة روتشليد اليهودية، ومارسمو فيلبرغ عن البنك السويدي وهو معروف بأنه يهودي، ويهمين على الاقتصاد السويدي عليه. وجوفايني انيلي نائب رئيس شركة فيات المعروف بأنه المتبرع السخي للخزينة الإسرائيلية، أما اجتماعهم رقم (13) والذي عقد في السويد بعد عدوان حزيران 1967 فقد قرر المجتمعون عقد اجتماع طارئ تم بموجبه دعم إسرائيل مالياً بمبلغ 9 مليار دولار.

يعدد الكتاب السوفيتي(*) أسماء عشرات اليهود أصحاب المليارات والبنوك في جميع دول العالم الممتدة من السويد إلى جنوب إفريقيا ومن تركيا شرقاً كندا وإلى كاليفورنيا غرباً.

ملوك المال هؤلاء يصفهم الكتاب بأنهم يشكلون أممية حقيقية ممولة لإسرائيل وإنهم جميعاً ملتحمون بأيديولوجية مشتركة اسمها الصهيونية، لها ممارسة مشتركة تقوم على تقديم كل أشكال الدعم لإسرائيل.

أين هي الأممية البروليتارية المضادة لهذه الأممية؟

أما المسألة الأكثر أهمية والتي لابد من الإشارة إليها والمتعلقة بآلية السيطرة الصهيونية على الاقتصاد والسياسة العالمية والتي لن نكون فكرة كاملة عنها إلا من خلال قراءتنا لكتابين «مائة عام من الحرب» و «الصهيونية سلاح الإمبريالية المسموم» حيث أورد الكتاب السوفيتي ما يتفق تماماً مع ما ذكره إينغدال مع فارق أن السوفيت يعتبرون أن هؤلاء المليونيرية صهاينة ويذكرونهم بالاسم حيث نكتشف أن عملهم أكبر من العمل الذي

(*) الذي قام بترجمته مكتب الإعداد الحزبي في دمشق

قام ويقوم به أحباء صهيون لأن عملهم يمتد في العالم كله، ليس لخدمة إسرائيل فقط، وإن كانت خدمة إسرائيل تؤلف جزءاً أساسياً في هذا العمل. يذكر الكتاب خمسة من آل روتشيلد بدأوا منذ نهاية الحرب العالمية يسيطرون على تجارة الذهب كلها في الأسواق العالمية باعتبار أن كل ما يتعلق بهذه التجارة يمر عبر أيديهم في لندن وأن هؤلاء الخمسة الذين كانوا يجتمعون أسبوعياً في لندن يقررون السياسة المالية للعالم كله فإذا ما اتخذت روسيا أو أمريكا أو أي دولة في العالم قراراً يؤدي إلى زيادة احتياطها من الذهب يقومون مباشرة بشراء ذهب أفريقيا الجنوبية كله من خلال بنك إنكلترا. وإذا ما أنزل الروس آلاف الأطنان من الذهب للحصول على الدولارات قاموا بطبع وضخ مليارات الدولارات للأسواق الخارجية للاستيلاء على الذهب الروسي (بدون مقابل).(*)

ويذكر الكتاب (في الساعة العاشرة والثلث من صباح كل يوم، عدا يومي السبت والأحد يجتمع ممثلون عن الجنتلمانيون الخمسة (أفراد عائلة روتشيلد الصهيونية الموزعين على فرنسا - انكلترا - ألمانيا - سويسرا - إيطاليا) في الصالة الذهبية في لندن).(**)

يجلس وراء الطاولة الكبيرة إدوارد هوز رئيس سوق الذهب في العالم (إنسان آل روتشيلد) وبعد أن يبدأ الاجتماع الساعة العاشرة والنصف تبدأ المداولات حيث يأخذ كل من المجتمعين بإجراء الاتصالات الهاتفية المطلوبة لتحديد سعر صرف الذهب في بلده مقابل العملات الأساسية في جميع أنحاء أسواق البورصة في العالم، وبعد أن ينفض الاجتماع، تنتشر أسعار العملات بالنسبة للذهب أو الدولار أو الين أو اليورو في جميع البورصات العالم حيث يتقيد الجميع بها. وتبدأ عمليات الإفلاس أو الثراء تصيب من تصيب وتخطئ من تخطئ).

يقول إينغدال (*) في عام 1973 قرر الرجال الأقوياء المجتمعون حول مجموعة بيلدبرغ شن هجوم كبير على النمو الصناعي في العالم من أجل إعادة توازن القوى لخير المصالح المالية الأنكلو أمريكية فقط، بحيث تكون نتيجة أي زيادة في أسعار النفط في العالم - زيادة في الطلب العالمي على الدولارات الأمريكية لدفع ثمن ذلك النفط الضروري عن طريق طباعة كميات إضافية من الدولارات وتقديمها كقروض إلى الدول الفقيرة والغنية على السواء.

ويقول إينغدال «لم يحدث في التاريخ أن هيمنت مجموعة صغيرة من المصالح كهذه، التي تتمركز في لندن ونيويورك على مصير الاقتصاد العالمي كله وكان واضحاً في حسابها أن تكون خطتها شائنة ووحشيه - فهذه هي الميزة الأساسية لهذه المجموعة».

وعندما احتجت حكومة ويلي برانديت الألمانية ورفضت إمداد إسرائيل بالأسلحة

(*) ص 13 (الصهيونية سلاح الإمبريالية المسموم).

(**) من يشاء التعرف على أسماءهم يمكنه العودة لقراءة الكتاب.

(*) ص 182

الألمانية بناء على أوامر أمريكا خلال الحرب لاعتمادها على النفط العربي كي تتجنب الحظر النفطي، وجه نيكسون لها تحذيراً حاد اللهجة، قريباً من توجيه الإنذار بشن الحرب عليها(**).

بقي أن نشير أخيراً إلى أن هذه المجموعة من المليارديرية اليهود والصهاينة المؤيدين لإسرائيل سواء أكانوا يهودا أو غير يهود أو مسلمين، عربا أو إنكليز او ألمان فإنهم ليسوا مستعدين لتغبير أحذيتهم فوق أرض فلسطين، ولا يمكن أن يفكروا حتى بزيارتها مثلما فعل هرتزل الذي زارها مرة واحدة وشعر بالضيق لشدة الحر والجفاف. وأنهم جميعاً سواء هرتزل أو روتشليد وأولادهم لا يدعمون إسرائيل حباً ببني إسرائيل، ولا حباً بالقدس والهيكل والتوراة وإيماناً بالعودة بل لأن إسرائيل تشكل قاعدة ضرورية من أجل زيادة غناهم ورفاهيتهم وزيادة سيطرتهم وهم جالسون في مقارهم المرفهة.

وإذا كان صحيحاً أن إسرائيل تعتمد اليوم على الدعم المالي والعسكري والسياسي والإعلامي لأمريكا فإن هذا ليس بسبب أن إسرائيل هي قاعدة لها في المنطقة بل لأن الصهاينة وجدوا أخيراً في أمريكا ضالتهم المنشودة باعتبارها الدولة الأقوى التي يستطيعون من خلالها تقديم أوسع وأقوى أشكال الدعم لإسرائيل في المجالات كافة المؤتمرات والمنظمات الدولية لتحقيق حلمهم الكبير وما هو أكبر منه.

من الواضح للجميع اليوم أن الإعلام قد أصبح منذ نهاية القرن الثامن عشر سلطة رابعة قد تكون أعتى القوى على الإطلاق. وهي تشكل أممية أقوى من أممية أصحاب رؤوس الاموال لأنها كما قال فولتيير (آلة يستحيل كسرها تعمل على هدم العالم القديم ليتسنى لها أن تنشئ عالماً جديداً حيث تولد فيها القدرة على كشف الحقائق التي تريد إظهارها ومواراة الحقائق التي نريد إخفاءها وتضخيم بعض الأمور وتهوين بعضها الآخر لتوجيه الرأي العام الدولي والعالمي باتجاه معين).

يعرف الجميع أن الصحف ودور النشر ومؤسسات الدراسة والبحث قد تحولت إلى أقوى قوة في العالم للتأثير في الأحداث والشعوب والحروب ولتغيير مسارها أيضاً. وبدءاً من القرن العشرين ظهر في العالم عدد من الشخصيات اليهودية التي تسيطر على أكثر من 90٪ من وسائل الإعلام في العالم أمثال روبرت مردوخ ملك الصحافة الأسترالي الذي يملك صحف التايمز والصندي تايمز وصحيفة صن. وروبرت ماكسويل (يهودي من أصل تشيكي) صاحب الصحف الشعبية «الديلي ميل والهيرالدتريبيون» والمعروف بتأييده المطلق لإسرائيل والذي استطاع بعد سقوط الاتحاد السوفيتي شراء كل وسائل الإعلام في بلغاريا ورومانيا وأمثال روبير هيرسان اليهودي الفرنسي الذي يمتلك الفيجارو وفرانس سوار والأورور فضلاً عن اثنتي عشر صحيفة إقليمية وعشرات المجلات التخصصية أما في أمريكا فمعروف هيمنة الصهاينة على 99٪ من وسائل الإعلام التي أصبح بمقدورها قلب

(**) ص 183

جميع الحقائق وإيصال من تريد إلى حكم الولايات أو لعضوية الكونغرس أو رئاسة الولايات المتحدة وإسقاط أو قتل من تريد وتحويل الرأي العام الأمريكي في الاتجاه الذي تريده، دون مقاومة من أي إعلام آخر مضاد (حتى لو وجد فإنه لن يجد له طريقاً أو منفذاً ليصل إلا لفئة محدودة، غير ذات تأثير).

السينما والتلفزيون والجوائز

إنها الأممية الساحرة الداعمة للصهيونية وإسرائيل والتي قد تكون اكثر اهمية من اممية أصحاب رؤوس الاموال.

لا أعتقد أن القراء بحاجة لقراءة المزيد عن هذه الصناعة التي يعرف الجميع أن الصهاينة يمسكون بمفاتيحها من ألفها إلى يائها، بدءاً من جائزة نوبل للسلام والآداب والعلوم وانتهاء بأفلام هوليود وانتخاب ملكات جمال العالم والكون وعروض الأزياء وإبراز المغنيين والمغنيات والفنانين والموسيقيين وتقديم الجوائز لهم.

هذا الواقع الملموس يدفعنا إلى التأكيد على أن هناك أممية حقيقية موجودة على أرض الواقع وتمارس نشاطها في جميع أصقاع الأرض هي الأممية الصهيونية الداعمة لإسرائيل[1] أما الأممية الشيوعية أو البروليتارية فقد أثبتت أحداث القرن العشرين أنها أممية مفترضة ليس لها وجود ملموس في الواقع أو أنها لم تمارس نشاطها إلاّ في فترات محدودة. (*)

تشير الحقائق إلى أن أغلب دول وحكومات وأحزاب ومفكري وفلاسفة وإعلاميي وكتاب وصحفيي العالم وأغلب القوى المؤثرة تجتمع على فكرة واحدة تقوم على حق اليهود في أن يكون لهم وطن قومي في فلسطين والمنطقة، وحقهم في العودة إلى هذا الوطن التاريخي المزعوم الذي وعدهم الله به.

---

(1) هذه الأممية تتطلب قيام أممية أخرى تقوم على مكافحة الصهيونية باعتبارها الشكل الوحيد المتبقي من العنصرية في العالم.

(*) قد تكون الأسس النظرية لقيام مثل هذه الأممية الشيوعية أو الأممية العالمية المعادية للصهيونية والإمبريالية وقوى الاستغلال والنهب موجودة فعلا لكنها في الواقع مفككة وممزقة. أو أنها غير متحدة.

الفصل العاشر

مراكز صناعة الأفكار والنظريات

من المؤكد أن الأدمغة والعقول لا تفرز الأفكار كما تفرز الغدد الصم الهرمونات بسبب أن الهرمونات مواد ملموسة ومحسوسة بينما الأفكار هي أشياء غير مادية إلا أن تأثير الأولى - وإن كانت تفرز بكميات ضئيلة جداً على العضوية يكتسب أهمية استثنائية قد تفوق أهمية الجملة العصبية كذلك فإن تأثير الأفكار والنظريات في توجيه نشاط الأفراد والمجتمعات يكتسب أهمية إضافية كونها تلعب دورا استباقياً وهادفاً.

وإذا كانت الأفكار والمعتقدات والنظريات كالهرمونات تأتي انعكاساً للواقع المادي (البيولوجي - الاقتصادي - الاجتماعي - السياسي). المعاش، إلا أنها تمارس تأثيراً مسبقاً في توجيه النشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والروحي اللاحق للمجتمعات البشرية نحو أهداف خاصة تبتعد بها عن بنيتها السابقة.

من الواضح أن النشاط النظري يأتي في مقدمة النشاطات الأخرى التي يمارسها الإنسان وأنه يوجه النشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والروحي ويسبقه. لهذا السبب بالذات أعطت المراكز الإمبريالية والصهيونية للنشاط الفكري النظري والإعلامي أهمية اكبر من النشاط السياسي والاقتصادي بعكس المراكز الإشتراكية (المادية الساذجة التي أهملت هذا النشاط مما سرع في تهديم إنجازاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وعجل في انهيارها).

إذا كان أحد أهداف الاحتكارات فوق القومية والتروستات هو السيطرة مقدماً على معدل الربح والفائدة من خلال الاحتكار والكرتلة بدلاً من تركه خاضعاً لتقلبات السوق والمنافسة الحرة، فإن أحد الأهداف الرئيسية لمراكز الدراسات الإعلامية والبحوث الاستراتيجية (التي تسيطر الصهيونية على 90٪ منها) والتي ترافق ظهورها مع نشوء التروستات والاحتكارات فوق القومية وبدعم منها هي صناعة الأفكار والنظريات وأنماط المعيشة وطرق الاستهلاك والاخلاق الضرورية لتسويق منتجاتها ولتسيطر مقدما وسلفاً على النشاط الفكري والسياسي للمجتمعات المحيطية والتابعة (بما يتطابق مع أهدافها).

إذا كانت الأفكار التي أنتجتها الثورة العلمية والصناعية في الغرب قد انتشرت في جميع أصقاع الدنيا فإن الأفكار التي صنعتها وتصنعها اليوم مراكز الأبحاث والدراسات الإعلامية فوق القومية تحت إشراف وتوجيه الإحتكارات فوق القومية ومراكز المعلومات والمخابرات وبدفع منها تنتشر في جميع أرجاء المعمورة بسرعة أكبر وتسيطر على جميع

النشاطات الأخرى وتوجهها في الاتجاه الذي يريده صانعوها.

لقد أوضح د. مصطفى نبيل(*) «أنه يجري تداول هذه المعلومات والأفكار التي تصنعها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ويلعب فيها اليهود دور الخميرة والموجه - بدون أي تمحيص أو تدقيق» مما يتطلب من القوى الوطنية أن تعيد النظر في جميع المعلومات التي تصدر عن هذه المراكز ونحن نعتقد بعيداً عن نظرية المؤامرة. الساذجة أنه في فترة الصراع بين الشرق والغرب عملت وكالات الأنباء ومراكز الأبحاث على تحشيد القوى الإعلامية ضد الطرف الأقوى في كل معسكر، وهكذا فإن الطرف السوفييتي والمؤيدين له ركزوا هجومهم على الولايات المتحدة قائدة المعسكر الغربي، وتجاهلوا الصهيونية وإسرائيل وخطرهما الذي اعتبروه خطراً ثانوياً فروجوا لفكرة أنها ليست إلا قاعدة للاستعمار او ثكنة متقدمة له فنسوا وتجاهلوا ان الخطر الصهيوني هو أشد خطرا من الإمبريالية الأمريكية، ليس بسبب انه يهيمن عليها فحسب بل لأن نفوذه يمتد إلى الدول الإمبريالية الأخرى وكذلك داخل البلدان الإشتراكية وكثير من الأحزاب الشيوعية والقومية والدينية في بلدان العالم الثالث والوطن العربي.

بينما عمل المؤيدون للولايات المتحدة والمعسكر الغربي خاصة في البلدان العربية والإسلامية على الترويج لفكرة أن الشيوعية ليست إلا صنوا للصهيونية أو أداة لها بسبب ان بعض قادة الأحزاب الشيوعية كانوا يهوداً فراحوا يحاربون الشيوعية ليس بسبب أفكارها النظرية أو مواقفها المؤيدة والداعمة للعرب بل بسبب أن هناك مؤامرة خفية ينفذها المعسكر الشيوعي لمصلحة الصهيونية وإسرائيل وهكذا راح انصار المعسكرين يحاربون بعضهم بعضاً في حين بقي الصهاينة وأنصارهم وعملاؤهم بعيدين عن ساحة الصراع والمواجهة وراحوا يغذونه ويراقبونه بكل سرور وفرح.

يعرف الجميع ان من ساهم بشكل رئيسي في تخريب الاقتصاد السوفييتي ونشر الفساد والإفساد وفي تخريب الدول الإشتراكية في أوروبا الشرقية ودفعها لمعاداة الاتحاد السوفييتي والعرب والفلسطينيين في آن واحد معاً وفي الانقلاب الفوري من مصادقة وتأييد القضية الفلسطينية إلى مصادقة إسرائيل ودعمها والتعاون معها. إنما كانوا اليهود الذين رغم قلتهم كانوا الأقدر على التغلغل في أوساط الأحزاب الشيوعية والعمالية والليبرالية والاشتراكية القومية والديمقراطية المسيحية والجمهوريين والديمقراطيين بدءاً بمورغنتاو وتروتسكي مروراً بفالنسيا وانتهاء بصموئيل هنتغتون الصهيوني البارز وريشارد بيرل الليكودي المتشدد.

إذا كنا نحمل الصهيونية مسؤولية التخريب الذي جرى في هذه الدول فإننا لا نبرأ الإمبرياليين والشيوعيين وحلفائهم من جريمة تجاهل دور الصهيونية وجرائمها التي ارتكبتها ضد جميع شعوب ودول العالم، سواء الاشتراكية أو الرأسمالية او العالم ثالثية، بل

(*) نبيل، مصطفى. مجلة الهلال العدد (8) 2002 في المسألة الثقافية.

نحملها ونحمل منظريها مسؤولية مضاعفة. ليس لأنهم لم يتصدوا للصهيونية وانساقوا مع مواقفها فحسب، بل لأنهم تركوا لها المجال لأن تخضع شعوبهم وحكوماتهم قبل أن تخضع شعوب العالم الأخرى لمصالحها الضيقة.

إسرائيل والصهيونية (ليست قاعدة بل قائدة للإمبريالية)

من أخطر الأفكار التي جرى تداولها في بلداننا العربية والإسلامية دون أي تدقيق أو تمحيص والتي صنعتها مراكز الأبحاث والدراسات الغربية ثم جرى تسويقها ونشرها في بلداننا فكرة أن الصهيونية وإسرائيل ليستا سوى أدوات للإمبريالية، وبأن السياسة الأمريكية الممالئة لإسرائيل ناتجة عن سيطرة اللوبي الصهيوني داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الصعوبة التي تواجهنا أثناء التصدي لهذه البضائع الفكرية والأفكار السياسية المصدرة إلينا تنجم عن عدة أمور أهمها:

أولا: أن هذه البضائع جرى تصديرها إلينا منذ بداية الاحتكاك بالحضارة الغربية كجزء مكمل لعملية التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية للغرب(*).

ثانياً: أن هذه الأفكار والنظريات المستوردة باتت تشكل مع الأفكار المحلية المندمجة معها منظومة متكاملة بحيث أننا إذا أردنا التصدي لأي فكرة منها نجد أنفسنا مضطرين إلى التصدي للمنظومة الفكرية كلها مما يستدعي إعادة النظر في كثير من الأفكار والنظريات المغلوطة حول كثير من القضايا التي آمنا بها.

ثالثاً: إن الجوهري والرئيسي في منظومة الأفكار هذه يقوم على إخفاء وتجاهل الدور الحاسم والمخرب الذي قام ويقوم به اليهود الصهاينة في توجيه السياسة الغربية والشرقية ككل وفي إخفاء دورهم في صناعة هذه الأفكار وتسويقها(**)، لذلك ركزنا في هذا القسم على دور اليهود وسنقوم في القسمين اللاحقين بكشف دورهم الذي سعوا ومازال يسعى الكثيرون إلى إخفائه تحت ركام من الأفكار والنظريات المتداخلة والمتعارضة في مسألة النهضة والحداثة والثورة العربية.

لا أزعم أنني أمتلك الحقيقة لكنني أعرف أن ما سأعرضه في هذا المجال سيلقى معارضة شديدة لأن هناك قوى عديدة تجاهد في سبيل إبقاء الحقيقة غائبة ومغيبة،

(*) لقد تبدت هذه التبعية الثقافية في تشكل تيارات فلسفية وأدبية وفنية مماثلة لكل ما يصدر في المراكز الإمبريالية مثل الوجودية والدادائية والسريالية والبنيوية ومابعد وفوق الحداثة...الخ. مع الفارق الكبير بين المجتمعين ومشاكلهما.

(**) لقد قال وايزمن أنه لابد ان تكون جميع الأنشطة السرية ومنفذة بدقة بحيث لا تظهر أي مسؤولية على صاحبها ويمكن لصانعيها أن يتنصلوا بشكل مقنع من أي عمل في حال اكتشاف أنهم كانوا وراءه.ص29 مجلة الهلال مصطفى نبيل.

وسيكون من الصعب في هذا الكتيب تفنيد هذه الأفكار التي جرى تصديرها خلال المائتي عام الماضية وأصبحت جزءاً أساسياً من مكونات بنائنا الفكري والسياسي. لأن المجال لا يتسع لها في هذا الكتاب بالذات لكنني سأكتفي بعرض مقدمة نظرية أجد من الضروري طرحها الآن حيث سيكون المجال مفتوحاً فيما بعد لكثير من النقاش والحوار حولها:

استناداً لما قاله ماركس في رده على برونوباور في عام 1853 من (أن التناقض الموجود بين سلطة اليهودي السياسية الواقعية وحقوقه السياسية هو التناقض بين السياسة وسلطة المال. نظرياً السياسة هي فوق سلطة المال لكنها عملياً صارت أسيرته المطلقة)[1] سيكون من السهل علينا أن نقبل فكرة أن المرابين والمصرفيين اليهود على الرغم من قلتهم فلأنهم سيطروا على أسواق المال والنقد والبورصة في العالم أصبحوا الأقدر على إخضاع السياسة العالمية لسلطتهم أكثر من سواهم من القوى الأخرى وبالتالي من غير المعقول أن يتحول الذين يمتلكون سلطة المال منذ منتصف القرن التاسع عشر أن يتحولوا إلى عبيد أو أدوات لخدمة السياسة المناقضة لهم او لمصالحهم، بل إن العكس هو الصحيح أن من يمتلك المال ويتحكم بصناعة النقود والذهب وأسواق المال والبورصة في العالم هم الذين حولوا الآخرين إلى أدوات لخدمتهم ولخدمة رؤوس أموالهم.

إذا كانت أوروبا المسيحية قد تعلمت من الحروب الصليبية الدروس الكافية التي تجعلها تحجم عن شن حرب على هذه المنطقة فمن الطبيعي ان يعرف اليهود الذين لا يزيد عددهم في العالم عن 16 مليون أنه لن يكون بمقدورهم إخضاع الوطن العربي إلا إذا استخدموا جميع القوى الإمبريالية واستعانوا بها من اجل إقامة دولتهم للدفاع عنها وحمايتها لاحقاً.

ليس معروفاً عن اليهود انهم كانوا يوماً ما مقاتلين أشداء عدا عن كونهم مقاتلين او محاربين خلال التاريخ الماضي كله، بل تجاراً ومرابين فمن غير المعقول أن يستخدم الأوروبيون المرابين اليهود ليشكلوا قاعدة أو ثكنة أو رأس حربة لهم للدفاع عن مصالحهم أو لفرض هيمنتهم على ربع مليار عربي وما يزيد عن مليار مسلم.

بالإضافة لذلك فإن اليهود ليسوا من السذاجة والضعف والغباء الذي يجعلهم يقبلون أن يكونوا مجرد أداة أو ضحية أو ثكنة أو رأس حربة لغيرهم أو لأن يقاتلوا ويموتوا من أجل حماية مصالح غيرهم.

إن تاريخ المائة سنة الأخيرة تبين أن اعداد اليهود القليلة المسيطرة على المال لم تمكنهم من إقامة دولة لهم ومن البقاء في هذه المنطقة أكثر من خمسين سنة رغم معاداة العرب والمسلمين لهم وأصبحوا قوة مؤثرة بسبب هيمنتهم على القوى الإمبريالية أو لأنهم كسبوها إلى جانبهم وموجهة لها وليس لأنهم قاعدة لها.

---

(1) المسألة اليهودية باور. ماركس. ترجمة الياس مرقص.

إذا كانت إسرائيل قاعدة أو ثكنة متقدمة لبريطانيا العظمى من اجل حماية قناة السويس والطريق إلى الهند أو المصالح البريطانية شرق القنال فمن المؤكد أنها لم تستخدم يوماً من أجل هذه القنال ولم تدافع عن المصالح البريطانية شرقها، بل على العكس تماما. إن من غرس إسرائيل في المنطقة واخضعها لهذا الكيان الغريب كانت القوة البريطانية وان هذه الدولة لم تحم المصالح البريطانية بل كانت سبباً رئيسياً في تدميرها وفي خروج بريطانيا من المنطقة مذمومة مدحورة، مما يؤكد أن الصهاينة هم الذين استخدموا بريطانيا وليس العكس.

لقد انتهت المصالح البريطانية في المنطقة في حين بقيت إسرائيل والمصالح الصهيونية قائمة ومتصاعدة.

إذا كانت إسرائيل قاعدة أو ثكنة متقدمة للإمبريالية العالمية فإن هذه النظرية تتجاهل التناقضات بين الإمبرياليات المختلفة وتتجاهل ان هذا التناقض بين المصالح الإمبريالية الألمانية والبريطانية والفرنسية كانت سبباً في نشوب حربين عالميتين راح ضحيتهما 75 مليون إنسان، فمن غير المعقول ان تكون إسرائيل قاعدة للإمبريالية الألمانية أو الفرنسية او البريطانية في آن واحد معاً إلا إذا كانت تهيمن على السياسة الخارجية لهذه الإمبرياليات مجتمعة، وهو ما يتفق مع فكرة الهيمنة الإعلامية والسياسية للصهيونية على هذه البلدان مجتمعة.

فكرة إسرائيل - أداة تتجاهل أن من حسم الحرب العالمية الأولى كان دخول أمريكا الحرب لصالح بريطانيا لتقوم بتنفيذ وعد بلفور هم الصهاينة بتأثير (هنري مورغنتاو ولويس برانديس) والذين دفعوا الرئيس ويلسون لاتخاذ قرار خوض تلك الحرب إلى جانب الحلفاء من اجل ان تنتصر بريطانيا التي قدمت لهم وعداً بإقامة وطن قومي لهم.

راج في فترة معينة أن الشيوعية العالمية وأحزابها ما هي إلا أدوات بيد الصهيونية والماسونية العالمية التي ترمي إلى السيطرة على العالم من خلال تدمير الأديان والأخلاق.(*) وراج في فترة الحرب الباردة خاصة بعد أن بدا الاتحاد السوفييتي يقدم الأسلحة للدول العربية للدفاع عن أراضيها وشعوبها أن الاتحاد السوفييتي عندما اعترف بدولة إسرائيل وبقرار التقسيم إنما كان ذلك من اجل ان يستخدمها قاعدة لإقامة الإشتراكية في الوطن العربي وراى بعض المنظرين القوميين واليساريين المتمركسين أن الشيوعيين قد خدعوا عندما آمنوا واعتقدوا بان إسرائيل يمكن ان تكون قاعدة لبناء الاشتراكية باعتبار ان مؤسسيها الاوائل كانوا يتبنون الفكر الاشتراكي.

(*) كيف يتم تصديق أن الشيوعية وأحزابها والشيوعيين في العالم يمكن أن يكونوا أدوات بيد الصهيونية العالمية ولا يتم تصديق أن الإمبريالية وعملائها هم الذين يشكلون أدوات لتنفيذ مآرب الصهيونية العالمية باعتبار ان التحالف بين الإمبريالية والصهيونية مسألة مثبتة وواضحة أكثر.

إذا كانت الشيوعية اداة للصهيونية فلماذا عملت الأخيرة على إسقاطها.

لقد انتهت الشيوعية ولم تعمل إسرائيل على نشر الاشتراكية بل عملت على مقاومتها وتدميرها وعلى نشر الرأسمالية والفساد والخراب حتى داخل روسيا ذاتها.

لا يمكن ان تنتهي الإمبريالية البريطانية وتسقط الشيوعية في حين تبقى القاعدة صامدة إلا إذا كانت هي قائدة وليست قاعدة.

نقد نظرية اللوبي الصهيوني

بعد الحرب العالمية الثانية خاصة بعد انهيار مواقع بريطانيا السياسية في المنطقة وبروز الهيمنة الامريكية في عهد إيزنهاور الذي رفع شعار ملء الفراغ وبعد تصاعد دور الإمبريالية الامريكية في الدفاع عن إسرائيل بعد ان فقدت بريطانيا قواعدها العسكرية للدفاع عن إسرائيل لم يجد الإمبرياليون الأمريكان لتبرير سياسة الحكومة الأمريكية المؤيدة والداعمة لإسرائيل ولتبرير سياسة كثير من الحكام العرب الذين تحولوا بعد خروج بريطانيا إلى أصدقاء للولايات المتحدة(*) سوى الزعم بأن هناك لوبي صهيوني ضاغط وان هذا اللوبي هو المسؤول عن هذه السياسة المنحازة للولايات المتحدة النقية والطاهرة والشريفة والبريئة!! وبسرعة تلقف منظرو الصداقة والتحالف مع امريكا هذه الفكرة وراحوا يروجون لأغرب وأخطر واحقر دعوة بأنه لابد من تامين المصالح الأمريكية في المنطقة وتقديم كل التسهيلات والحماية اللازمة لها لتتخلى عن دعمها لإسرائيل وعن انحيازها لها لعلها تدرك ان مصالحها الحقيقية هي مع العرب وليس مع إسرائيل.

لكن ما جرى هو انه على الرغم من ان اغلب بلدان الوطن العربي قد فتحت أراضيها ومياهها وخيراتها وموانيها وبيوتها وقلوبها وعقولها للأمريكان إلا ان هؤلاء لم يفهموا الرسالة ولم يغيروا سياستهم المؤيدة لإسرائيل بل على العكس تماما ازدادوا غياً وانحيازاً في دعمهم لها.

وهنا برز تيار آخر أقل ضلالاً إلا أنه ليس أقل خطراً لأنه

أولاً: يرى أنه ليس امامنا إلا العمل على خلق لوبي عربي ضاغط داخل أمريكا وأوروبا لموازنة ومعاكسة تأثير اللوبي الصهيوني.

ثانياً: يجعلنا نتجاهل حقيقة (أن ما يجبر أمريكا والغرب على تغيير مواقفهم من إسرائيل لا يكون من خلال فتح بلادنا وقلوبنا لهم أو مصادقتهم أو مداراتهم أو الخوف منهم او الخضوع لإملاءاتهم وشروطهم وضغوطهم وتهديداتهم، كما بينت لنا تجارب المائة سنة الأخيرة الماضية، بل تكمن في التعبئة الصحيحة لمواجهتهم

(*) ولقد حرص الجميع على عدم ذكر أن إسرائيل كانت أو يمكن ان تكون يوماً ما قاعدة للإمبريالية الأمريكية بل أكدوا على مبادئ ويلسون العظيمة والرسالة التمدينية للولايات المتحدة الأمريكية في العالم وبأن انحيازها لإسرائيل ناجم فقط عن هيمنة اللوبي الصهيوني.

والتصدي لهم ولإسرائيل. فهم جميعاً من طينة لا تفهم لغة الحوار أو العقل والمنطق والحق بل لغة القوة والمقاومة وهذا هو السبيل الوحيد لإجبارهم على تغيير مواقفهم)

من أحدث الكتب التي نشرها الصهاينة داخل الولايات المتحدة الأمريكية كتاب بعنوان «الصحوة» للكاتب الأمريكي والنائب اليهودي ديفيد ديوك(*) حيث يحاول هذا الكاتب الصهيوني دعوة الشعب الأمريكي وشعوب العالم لان يصحو من هيمنة الحركة الصهيونية على الحركة الشيوعية العالمية(**) ولأن ينتبهوا لخطر اللوبي الصهيوني على السياسة الأمريكية.

للرد على ديوك وغيره من المؤمنين بنظرية اللوبي نستشهد بما قاله ديوك نفسه: نقد نظرية اللوبي

يعدد الكاتب المراكز الحساسة التي بات اليهود يسيطرون عليها في عهد الرئيس كلينتون فيقول انه من أصل 11 عضو في مجلس الأمن القومي الأمريكي يوجد سبعة من اليهود فقط. وأن مناصب وزراء الخارجية والدفاع المالية والزراعية هي من نصيب اليهود دوماً. ويقول ديوك أن منصب النائب العام في أمريكا كان دائماً يهودياً وأن مدير برامج وجداول الرئيس الأمريكي (مهما كان ديمقراطياً أم جمهورياً) هو دوماً يهودي. وأن مدير الإعلام الرئاسي هو دوماً يهودي. ثم يعدد المراكز الأكثر حساسية والتي يسيطر عليها اليهود يذكر - نائب رئيس الأركان - المستشار الاقتصادي للرئيس - مدير هيئة الرئاسة المسؤول عن اتفاقيات التجارة العالمية - المسؤولين عن برامج الصحة. فرق السلام المخصصة للشرق الأوسط؛ رئيس المجلس الاقتصادي القومي. رئيس مجلس الاستشاريين الاقتصاديين. جميع الممثليات التجارية في العالم (يعدد 49 بلداً) ويذكر أيضاً رئيس مجلس الاحتياط الفيدرالي الأمريكي اليهودي المدعو الآن غرينسبان. الذي هو في نظري ونظر كثير هي الاقتصاديين والسياسيين أخطر وأهم شخصية ليس في أمريكا فحسب بل في العالم كله. حيث يعتبره البعض الملك الحقيقي للولايات المتحدة.

إن وجود ثلاثة من اليهود في وزارة الدفاع الأمريكية (والحقيقة وزارة الاعتداء والهجوم) الذين يرسمون السياسة العدوانية للبنتاغون ووجود هؤلاء المذكورين سابقاً وغيرهم المبثوثين في مجلسي النواب والشيوخ وحكام الولايات والمسيطرين على وسائل الإعلام والسينما والتلفزيون، لا يشكلون لوبياً يهودياً ضاغطاً على السياسة الأمريكية كما يريد ديوك وهيكل وغيرهم أن يقنعونا به بل أكثر بكثير إنهم يرسمون السياسة الأمريكية

(*) قام بترجمة هذا الكتاب الذي يصل عدد صفحاته 500 صفحة د. إبراهيم الشهابي وقامت بنشره دار ...

(**) يسعى الكاتب في ثلاثة أرباع الكتاب إلى تقديم البراهين والأدلة على أن الشيوعية العالمية وأحزابها وقادتها ليسوا إلا أدوات للحركة الصهيونية لمحاربة الولايات المتحدة الأمريكية البريئة والرقيقة والمخدوعة والمغلوبة على أمرها بسبب سيطرة اللوبي الصهيوني عليها.

الداخلية والخارجية وهذا ما أكد عليه ديفيد ديوك نفسه وهنري فورد في كتابه المشهور قصة اليهود في أمريكا. حيث أورد في مقدمة كتابه قول ورنر سومبارت «يبدو للوهلة الأولى - وكأن النظام الاقتصادي لأمريكا الشمالية قد تطور بشكل مستقل عن اليهود. ورغم تلك المقولة فأنا مازلت متمسكاً بما أكدت من أن الولايات المتحدة ربما أكثر من أي دولة أخرى قد امتلأت للحافة بالروح اليهودية. وقد بات هذا أمراً معروفاً في أماكن عدة. لاسيما تلك التي كان سكانها أكثر قدرة على تقييم هذا الموضوع في مقابل تلك الحقيقة. أليس هناك مبرر لوجهة النظر القائلة بأن الولايات المتحدة تدين بوجودها لليهود؟ وإذا كان الأمر كذلك بالفعل، فكم مرة إذن يجب التأكيد على مقولة أن النفوذ اليهودي هو الذي أفضى بالولايات المتحدة الأمريكية إلى ما هي عليه الآن من قوة. بمعنى آخر كونها أمريكية، فما نطلق عليه «الهوية الأمريكية» «الأمركة» «طريقة الحياة الأمريكية» ما هو إلاّ الروح اليهودية لكن بعد أن ردت إلى أصلها[1] بينما تقول الكاتب العربية المصرية سهير السكري[*] رداً على هذه المزاعم «قد لا يكون من الخطأ القول بأن الولايات المتحدة الدولة الأقوى هي دولة مؤسسات تعتمد على التخطيط ويرسم سياستها خبراء مجامع الخبراء إلاّ أن هذا القول قد يكون صحيحاً إلى ما قبل السنوات العشرين الماضية. ولكن الأوضاع في الولايات المتحدة تؤكد لنا أن المسألة ليست مسألة لوبي صهيوني أو جماعة ضغط يمكن الحد من تأثيرها أو ضغطها فالمسألة أكبر من مسألة لوبي فقط».

إن مقولة اللوبي الصهيوني الضاغط ما هي إلا مقولة صهيونية خبيثة ولئيمة ترمي إلى إخفاء الهيمنة التي يمارسها اليهود وتصويرها كما لو كانت ناتجة عن نشاط جماعة ضغط بينما هي في الحقيقة نفوذ متغلغل في نسيج المجتمع الأميركي كالدم المجرثم بما يتيح لهم الهيمنة شبه المطلقة عليه.

(لقد تغيرت الصورة الآن إلى حد أن الكثير من الأمريكيين أخذوا يشعرون بأنهم فقدوا القدرة على حكم أنفسهم بأنفسهم وبخاصة بعد التطورات الأخيرة التي حدثت قبل (الانتخابات الأمريكية الأخيرة) والانتخابات لعضوية الكونغرس في نوفمبر الماضي وبعدها، لاسيما فيما يتعلق بقرار الكونغرس السماح بشن الحرب على العراق لذلك فأن الصهاينة وعلى رأسهم مورس أميتاي - رئيس اللوبي الصهيوني في واشنطن المسمى اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة وريتشارد بيرل رئيس مجلس السياسة الدفاعية الذي يسدي النصح لوزير الدفاع رامسفيلد ونائبه بول وولف وولتز كشفوا أخيراً القناع عن حقيقة قوتهم بعد أن نجحوا في إحكام قبضتهم على جميع مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة فأخذوا يظهرون على التلفزيون وفي الإذاعة وغيرها من وسائط الأعلام وراحوا يتحدثون بكل صلافة واستكبار خلف واجهة مزيفة من الوطنية الأمريكية المتطرفة لتمرير الأجندة

(1) ورنر سومبات من كتاب اليهود ورأس المال الحديث من صفحة 38 – 43 ورنر سومبات من كتاب اليهود ورأس المال المدين صفحة من 38 – 43.

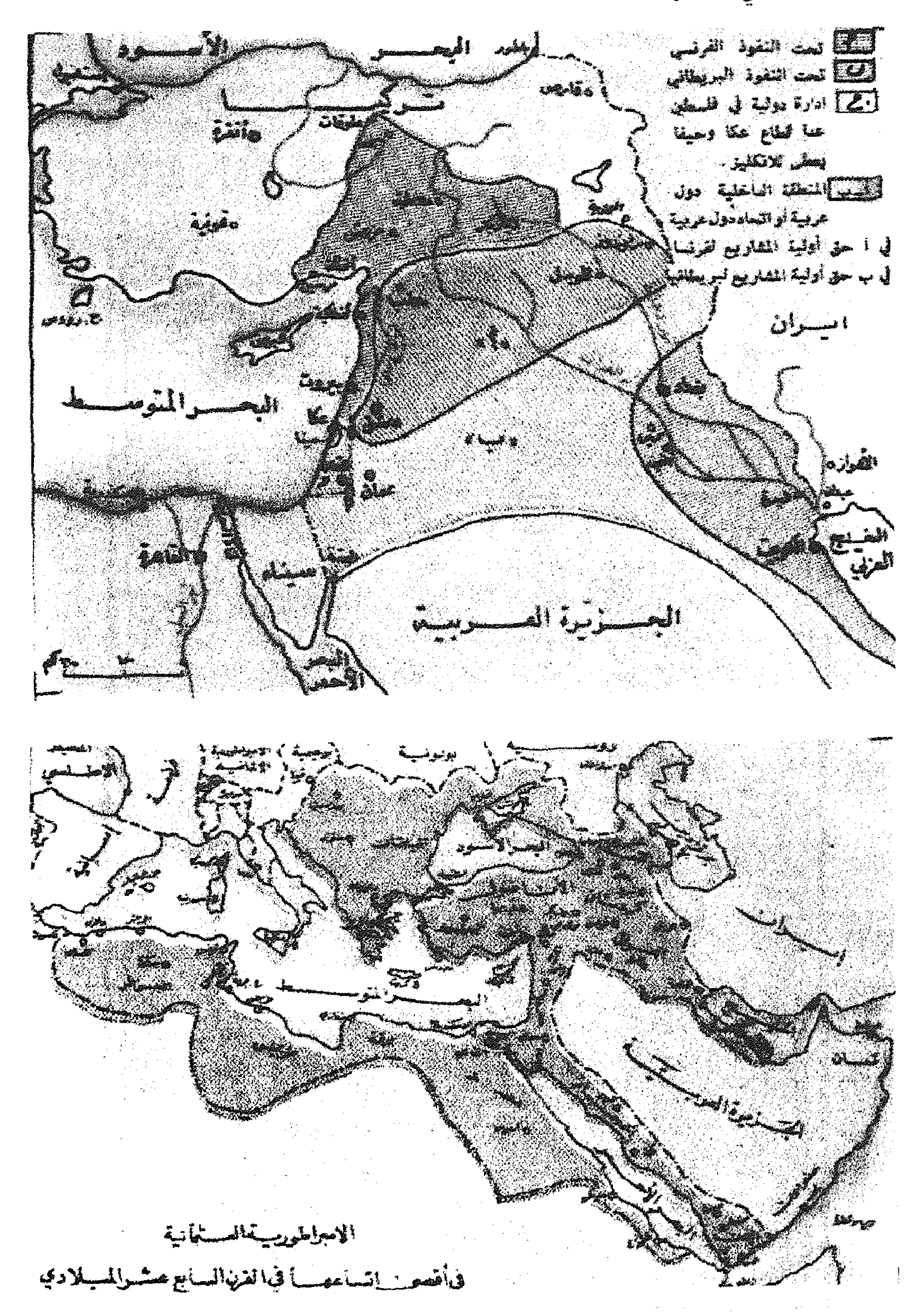
(*) السكري، سهير مجلة وجهات نظر العدد 49/لعام 2003

الصهيونية واليهودية العالمية التي تلحق أشد الضرر بالمصالح الأمريكية ومكانتها في العالم والويل لمن يعترض على وجهة نظرهم أو يمس بها ولو مساً خفيفاً سواء أكان مواطناً عادياً أم صحافياً أم محللاً سياسياً أم مفكرا أم عضواً في الكونغرس، نائباً أو شيخاً. إذ سرعان ما يجعلونه يحس ببشاعته ما ارتكبه من خطأ إما في جيبه أو في وظيفته أو في مكانته وفي الحالات المستعصية في حياته).

خاصة بعد أن أصبح المشروع الصهيوني الذي بدأ في عام 1897 والذي رسم منذ ذلك الزمن قد نفذ بحذافيره ولم يتبق إلا وضع اللمسات الأخيرة لإسرائيل الكبرى للسيطرة على العالم أجمع من خلال أقوى دولة أياً كانت هذه الدولة (هي اليوم الولايات المتحدة).

فإذا كان الصهاينة قد بدأو بتسخير أنفسهم منذ مائة عام لخدمة بريطانيا. إذا ما ساندتهم لتحقيق أمانيهم في فلسطين وما بين الفرات والنيل. كما تقول سهير السكري. فإن ذلك لم يكن إلا مؤقتاً إلى أن يصبحوا هم أسياد العالم بلا منازع، فبعد أن ركبوا على المصالح الإسبانية والهولندية ركبوا على المصالح الإنكليزية عندما كانت لها صوله وجولة في زمانهم ثم انتقلوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وتؤكد الكاتب سهير «أنهم أخفوا طول الوقت ما كانوا يعملون له في السر، واستخدام الجميع لخدمة مخططاتهم ليتمكنوا في نهاية المطاف من الإمساك بزمام حكم العالم».

الفكرة ذاتها أيضاً أكد عليها الكاتب العراقي نعمان السامرائي في كتابه الذي يشير عنوانه إلى هذه الحقيقة (اليهود والتحالف مع الأقوياء).

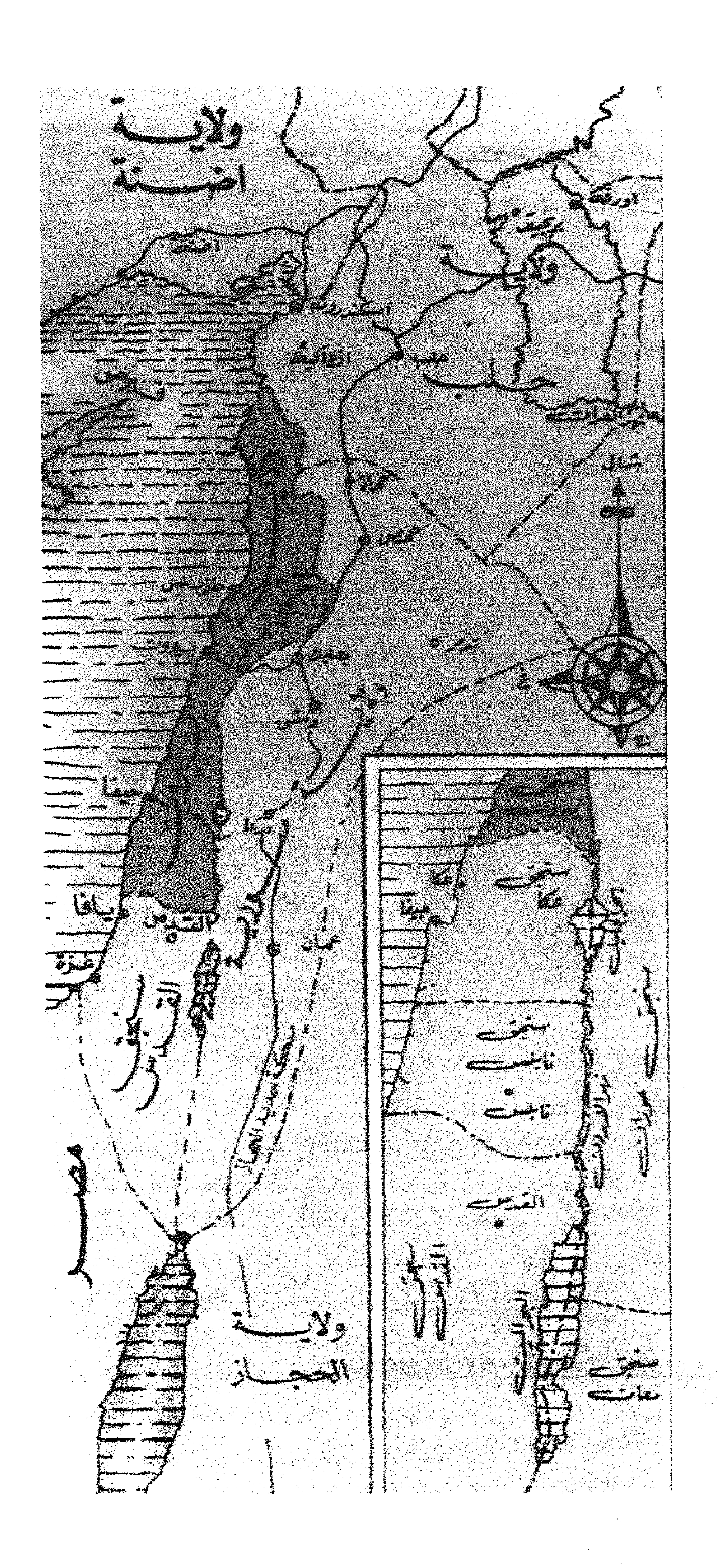


الامبراطورية العثمانية

في أقصى اتساعها في القرن السابع عشر الميلادي

الباب الثالث

نهضة أم غربنة وصهينة


ولاية
اضنة
حلب
شمال
يافا
غزة
مصر
ولاية
الحجاز
حيفا
عكا

الفصل الأول

إشكاليات التحرر من الاستعباد العثماني

إن أحد أهم العوامل الداخلية التي أدت إلى إضعاف حركة التحرر الوطني العربية في مرحلة التحرر من الاستعمار الأوروبي العسكري أو الاقتصادي والسياسي والثقافي. ومنذ بداية نشوؤها وحتى اليوم يتمثل في الصراع بين التيارات الفكرية والسياسية الرئيسية الأربعة:

التيار الإسلامي، التيار القومي، والتيار الاشتراكي والتيار الليبرالي الوطني. والواقع أنه كان وما زال يتوقف على حل الخلافات النظرية والعملية بين هذه التيارات الأربعة تحرر الوطن العربي وتقدمه وسيكون من الصعب توحد هذه التيارات على سياسة عملية موحدة في مواجهة الصهيونية والاستعمار بكل أشكالهما، وسيكون من الصعب جداً تحقيق أدنى طموحات الأمة العربية في التحرر والوحدة دون حل الخلافات النظرية بين هذه التيارات الأربعة.

لقد اتهمت القوى الإسلامية - عامة - التيار القومي بالتبعية للصهيونية بسبب أن أغلب دعاته كانوا قد تلقوا الدعم والتوجيه من الجمعيات الماسونية والأوروبية التي ظهرت في فترة الكفاح ضد الدولة العثمانية (الخلافة الإسلامية).

ومما لا شك فيه أنه إذا كانت للصهيونية والاستعمار مصلحة مباشرة في القضاء على الإمبراطورية العثمانية. والواقع أنه لا يمكن أن نتجاهل أنه كان للقوى القومية سواء العربية أو البلغارية أو... أو العربية أيضاً مصلحة مباشرة في عملية التحرر هذه وهو ما أدى إلى قيام تحالف ضمني أو علني بينها وبين روسيا أو مع القوى الاستعمارية أواليهودية.

وقد اتهمت القوى الاشتراكية، الحركات والأحزاب القومية العربية، بالتبعية للاستعمار الغربي وخاصة الأمريكي في مراحلها المتأخرة. كما أن بعض المتمركسين الجدد اعتبروا الحركة القومية العربية استمراراً للحركة القومية الأوروبية التي كانت تقودها البرجوازية والقوى الرأسمالية الكبيرة، وتابعة لها وما دعم هذا الاعتقاد هو أن هذه القوى القومية المسيطرة منذ بداية الثورة العربية الكبرى وحتى اليوم وقفت موقفاً معادياً للاتحاد السوفييتي وقوت مواقع القوى الليبرالية العربية في الداخل لمواجهة التيارين الإسلامي والشيوعي وقامت بسحقهما والبطش بهما، مع ان طبيعة حركة التحرر الوطني والقومي في العالم أجمع مناقضة تماما للحركة القومية الغربية المتمركزة على الذات.

والحقيقة أنه من دون قراءة صحيحة للواقع العربي في فترة الاستعباد التركي منذ منتصف القرن الثامن عشر ومن دون قراءة السياسة الدولية في تلك الفترة والفترات اللاحقة يصعب التوصل إلى رؤية سليمة وموحدة لما حصل، ولما هو حاصل اليوم، فإذا كان التيار القومي الذي قاده الشريف حسين وابناءه قد تحالف مع الجمعيات والمحافل الماسونية والقوى الاستعمارية للتحرر من الاستبداد التركي . فإن من الخطأ أن نسقط هذه الهيمنة على جميع التيارات القومية والإسلامية التي بدأت مع منتصف القرن الثامن عشر سواءً في سوريا أو مصر أو السعودية أو اليمن أو المغرب وان نسقطه كذلك على جميع التيارات القومية التي ظهرت لاحقاً بعد الخمسينات.

حركة الظاهر عمر الزيداني:

من المؤسف أن يتم تجاهل هذا الزعيم والبطل الشعبي الأسطوري وإغفال دوره في إيقاظ الوعي التحرري من الاستعباد التركي منذ عام 1745 حتى عام 1775 في بلاد الشام كلها، فإذا كان يسهل على الإسلاميين اتهام الجمعيات الماسونية والشريف حسين بتحريك الثورة العربية والتحالف مع الاستعمار الخارجي فإن من المستحيل اتهام هذا البطل بالعمالة لأي جهة، ليس لأنه لم يتلق الدعم من أية قوة خارجية فحسب (باستثناء الإمبراطورة كاترين الروسية في فترة صراعها مع الأتراك في حرب القرم) بل لأن جميع القوى تآمرت عليه. لقد استطاع هذا الرجل البدوي والبسيط والمغمور لكن المعروف بإيمانه وعدله وتقواه، أن يحصل على تأييد الجماهير الشعبية المقموعة في الجليل وصفد فأصبح والياً عليها ثم استطاع أن يوسع حدود عدالته - وليس مملكته، على عكا ويافا وغزة وتوالت جميع القرى (البلدات الفلسطينية) بالانضمام إليه تلقائياً لما كان يتمتع به من عدل وحكمة ونزاهة، ثم تحالف مع شيعة جبل عامل ومع الشهابيين والدروز والموارنه، وتوسعت دائرة عدله، حتى شملت دمشق وحوران ولبنان وفلسطين والأردن حتى حدود مصر والسعودية، ثم تحالف مع محمد أبو الذهب ومع علي بك الكبير في مصر الذي تحرك ضد المماليك والذي لجأ إليه في عكا، ثم سانده للعودة إلى حكم مصر بجيش كبير، فأقام إمبراطورية للعدالة استمرت حوالي ربع قرن.

(كيف استطاع هذا الرجل ان يوحد الجميع، مسلمين ومسيحيين، سنة وشيعة ودروز وموارنة وأرثوذكس بدوا وحضارا وشواما ومصريين تحت رايته بينما لم يستطع أي زعيم عربي منذ ذلك التاريخ وحتى الآن توحيد الجميع تحت لوائه).

إن تاريخ حركة الظاهر عمر هو تاريخ التآمر العثماني الداخلي والخارجي على هذا الرجل التقي والعادل والشجاع حتى استطاع العثمانيون أخيراً في عام 1775 وبعد معارك ومؤامرات دنيئة استخدموا ابنه فيها للقضاء عليه بعد حصار وقصف لعكا دام أشهر وبعد مؤامرة داخلية قذرة، وعلى الرغم من أنه قد أعدم وأرسل رأسه إلى السلطان مراد إلاّ أن هذا السلطان لم يستطع إلاّ أن يبكي فوق رأسه وأن يأمر بقتل من قاموا بقتله قبل أن يدفن.

فإذا كان يروق للإسلاميين اتهام الحركات التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر بالعمالة للماسونية والاستعمار الأوروبي فإن من الصعب عليهم توجيه التهمة للظاهر عمر أو لمحمد أبو الذهب المصري أو لعلي بك الكبير أو للشيخ محمد عبد الوهاب في السعودية.

إذا كان من السهل توجيه تهمة الانتماء للماسونية لكل من الأفغاني والطهطاوي ومحمد عبده، فإن من المستحيل توجيه هذه التهمة لكل من الشيخ مكرم عبيد أو لعبد الرحمن الكواكبي أو لعزيز المصري أولشهداء سوريا ولبنان الذين اعدمهم الماسوني جمال باشا السفاح.

إن التحرر من العثمانيين كان يجد دوافعه في التحرر من الظلم والطغيان الذي مارسوه ضد العرب خاصة السوريين، ومن الخطأ أن نعطي دائماً للقوى الخارجية الدور الحاسم ونجعلها وراء كل حركة تحررية ظهرت في الوطن العربي أو نحيل دعمها اللاحق إلى بعض القوى على جميع القوى الاخرى.

إن دراسة هذه الحركات تظهر أن إمكانية تحرر الوطن العربي من نير الاستعباد التركي أصبحت ظاهرة موضوعية قائمة بوضوح منذ نهاية القرن الثامن عشر وقبل ان تظهر الأهداف الاستعمارية الأوروبية وكان ينقصها فقط عملية التواصل فيما بينها مما سهل على العثمانيين القضاء عليها. وليس كما يزعم البعض من أنه كان يستحيل على هذه القوى التحرر من العثمانيين دون التحالف مع بريطانيا واليهود.

الحركة الوهابية:

إن قراءة بسيطة لتاريخ الحركة الوهابية يظهر أنها كانت أقرب إلى الثورة العربية الإسلامية التي قادها نبينا محمد والخلفاء الراشدون حيث كانت هذه الحركة خاصة في مرحلتها الأولى حركة ثورية إسلامية شعبية خالصة بكل ما في الكلمة من معاني.

وإذا تم لاحقاً استيعاب هذه الحركة من قبل الإنكليز والأمريكان بعد عام 1913 فإنها كانت في البداية مناهضة لهم، لذلك فإننا لا نستطيع ان نتجاهل انها كانت دعوة عربية أصيلة.

مع أن هذه الحركة لم تكن تمتلك قوة العقيدة الأولية والإيمان التي تجعلها قادرة على القيام بثورة عربية، شبيهة بالثورة التي صنعتها الثورة الإسلامية الأولى، إلا أنها كانت قادرة أن تنتقل بالوطن العربي والبلدان الإسلامية إلى مصاف الإمبراطوريات العظمى. وبسبب وجود الأماكن المقدسة في الحجاز وبسبب عروبتها، فإن العثمانيين تآمروا على هذه الحركة من الداخل ومن الخارج.

بما أنه كان يصعب على الأتراك القضاء على هذه الحركة الشعبية العربية باسم الخلافة الإسلامية لأنها كانت تتمسك بالإسلام الصحيح أكثر من العثمانيين فقد تركت المجال لمحمد

علي باشا ليقوم بهذه المهمة بالنيابة عنهم، وبما أن قيام ثورة عربية في السعودية، كان من الممكن أن تقود الوطن العربي والأمة العربية الإسلامية إلى التحرر وبناء قوة مستقلة، فإن القوى الأوروبية واليهودية الصاعدة والمتطلعة إلى الهيمنة على هذه المنطقة دعمت الأتراك ومحمد علي باشا وسكتت على بطشهم بهذه الحركة وسواها من الحركات.

الحركات الشعبية الوطنية القومية والإسلامية:

كما أسلفنا سابقاً، منذ أن هزم العثمانيون في فيينا عام 1683 ومنذ أن بدأت الإمبراطورية العثمانية تتلقى الضربات المتتالية راحت تشدد من قبضتها على الوطن العربي وخاصة على سوريا والعراق والجزيرة العربية وتمارس أشد أنواع القمع ضدهما مما أدى إلى نشوء حركات تململ تدعو للانفصال عن هذه الدولة وكان من أبرز هذه الحركات وأقدمها المماليك في مصر والزيديين في اليمن والسنوسيين في شمال أفريقيا.

أما أبرز الحركات في سوريا وفلسطين ولبنان. كانت الحركات الشعبية التي قادها الشهابيون والموارنه والدروز في لبنان ثم بقايا حركة الظاهر عمر (ابراهيم الجزار) في فلسطين والحركة الوهابية المستمرة في السعودية.

صحيح أن القوى الاستعمارية الأوروبية الناشئة كانت ترغب في تمزيق وتحطيم الإمبراطورية العثمانية، لكن لم يكن ذلك من أجل أن تنشأ حركات عربية مستقلة تحت أي اسم كان، إلا للركوب عليها لتحقيق أغراضهم الخاصة، فإذا كان يصعب على بريطانيا أن تقبل هيمنة أية دولة استعمارية غيرها فكيف ستقبل بهيمنة قوى محلية؟ أو أن تكون قوى مستقلة؟!! ولذلك حرصت هذه القوى الاستعمارية، وخاصة بريطانيا واليهود المتغلغلين في أوساط جميع الحركات المحلية، على العمل للقضاء على القوى الوطنية الحقيقية وتشجيع القوى التابعة لها من خلال إقامة تحالف صامت مع الدولة العثمانية للقضاء عليها ولإبقاء السلطنة ضعيفة، حتى يتسنى لها في مرحلة لاحقة الانقضاض عليها وهذا ما حصل فعلاً. فبعد أن تمكن محمد علي باشا من القضاء على الحركة الوهابية في السعودية والقوى التحررية في سوريا ولبنان وحركة المماليك والقوى الإسلامية الحقيقية في مصر، أصبح من السهل جداً القضاء عليه في اليونان فبعد أن دعموه وأيدوه وسكتوا على احتلاله للسعودية وسوريا ولبنان (بعد ان أرخوا له الحبل مدة 33 سنة) عادوا فانقلبوا عليه في عام 1838 فدمروا أسطوله وأعادوه وأعادوا مصر إلى حجمها المصغر، بعد أن دمروها وأنهكوا شعبها في الحروب الخارجية مع إخوانهم السعوديين والسوريين. ولم ينقض على تدمير حركة محمد علي في مصر والحركة الوهابية في السعودية والحركات التحررية في سوريا ولبنان وفلسطين أكثر من خمسين سنة حتى وجدت بريطانيا الساحة ممهدة لها فقامت باحتلال مصر وأجزاء كثيرة من سواحل الجزيرة العربية ثم راحت تنتظر الظروف للانقضاض على الرجل المريض وتجهز عليه نهائياً.

الفصل الثاني

إشكالات النهضة والغربنة

بعد أن هزمت الجيوش العثمانية على أبواب فيينا عام 1698 اعتقد السلطان سليم الثالث انه يستطيع عن طريق تحديث الأسلحة والجيش مع الاستعانة بالألمان ان يعيد إلى السلطنة قوتها وهيبتها لكن على الرغم من عمليات التحديث التي أجراها فان ذلك لم يحل دون أن تمنى الإمبراطورية بهزائم متتالية على يد الروس والصرب والنمساويين. ولقد أظهرت تلك الهزائم ان الخلل أعمق وأبعد غوراً من مسألة التقنيات العسكرية وجد كثير من المفكرين الأتراك والمصريين بعد غزوة نابليون ان التفوق العسكري للغرب وفرنسا لم يكن ابن يومه ولا وليد الصدفة وهو ليس إلا ما ظهر من جبل الجليد وان ذلك التفوق الظاهر يستند في الأعماق إلى تبدل في النظرة إلى الكون والإنسان وثمرة لتراكم الخبرات والمعارف العلمية خلال مئات السنين مما يتطلب من الأتراك والعرب إجراء تغيير شامل في طرائق التفكير والحكم والعمل.

أظهرت تلك الهزائم والاحتكاك بالمنجزات الغربية التي أحضرها الفرنسيون معهم ان هناك فجوة واسعة تفصل بيننا وبينهم حيث انقسم المفكرون حول طريقة تجاوز هذه الهوة إلى ثلاثة اتجاهات أو فرق:

فريق آمن بضرورة اقتباس ونقل وأخذ كل ما قدمته الحضارة الغربية.

وفريق ثان إصلاحي يرى ضرورة أخذ الإيجابيات والتقنيات مع الاحتفاظ بالهوية الثقافية والفكرية للعرب والمسلمين (الأفغاني ومحمد عبده).

وفريق ثالث رأى أن العودة إلى التراث العلمي والثقافي للعرب المسلمين يمكنهم من الانطلاق لتجاوز هذه الهوة التاريخية (الكواكبي - الموردي).

نستطيع اليوم ان نرى ان الفريقين الأول والثاني هما اللذان سيطرا ووجها مسيرة العرب والمسلمين خلال القرنين التاسع عشر والعشرون. وان الاتجاه الأول غدا بعد الحرب العالمية الثانية اتجاها مسيطراً مع بقاء الاتجاه الثالث حياً وفعالاً في الظل. واليوم يصرح كثير من المنظرين والمفكرين علناً ان اللحاق بقطار العولمة والأمركة هو السبيل الوحيد المتبقي أمامنا.

من خلال قراءة مئات الكتب والمقالات التي كتبت عن النهضة العربية يصعب علينا العثور على الحقيقة التي تتطلب البحث عما بين السطور وما وراءها. فالمسألة من وجهة

نظري مسألة حداثة بمعنى إمكانية الأخذ بالعلوم والتكنولوجيا وتحديث كل شيء في حياتنا بما لا يتعارض مع هويتنا وتراثنا الثقافي كما يحصل في الصين مثلاً.

والواقع أن نابليون بونابرت عندما أحضر معه المطابع إلى مصر لم يكن حريصا على نشر العلم والثقافة، والولايات المتحدة أيضا لم تكن حريصة بالمقدار ذاته على نشر التعليم والثقافة في سوريا ولبنان ومصر عندما أنشأت أولى المطابع التي حرصت على نشر نوع معين من الكتابات ولكتاب معينين دون سواهم. الأمر الذي مازال مستمراً حتى اليوم في أغلب وسائل الإعلام العربية والإسلامية التي تقوم الـ CIA بغرسها هنا وهناك بأسماء عربية، وعلى نشر نوع محدد من الثقافة التي ترمي إلى تكييفنا فكرياً وسياسياً واقتصاديا للتبعية المطلقة للغرب ولأمريكا وللقبول بإسرائيل قوية وآمنة.

لا يمكن تجاهل دور المدارس التبشيرية والجمعيات والمحافل الماسونية والبعثات التي أرسلت إلى فرنسا وأمريكا وبريطانيا من اجل نقل نمط معين من الثقافة التي نهل منها أغلب كتابنا ومنظرينا أولهم (رفاعة الطهطاوي)، وأغلب مراكز دراساتنا وأبحاثنا وجامعاتنا التي تعمل وفق مخطط مدروس تكمل بعضها بعضا وتعمل كمجموعة واحدة في مجالات عديدة. كما لا يمكننا تجاهل النظرة الضيقة للكثير من الكتاب العرب والمسلمين التي جاءت في اغلبها كرد فعل على عمليات التشويه والتحريف والتكييف لبنيتنا الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية مما ساهم في تعميق الهوة داخل المجتمع وزيادة الانقسامات بين الاتجاهات الأساسية (التيار الإسلامي والقومي العربي والليبرالي والاشتراكي) ويجعل من إمكانية توحيدها عملية صعبة تتطلب بذل الكثير من الجهد والعمل المخلص والجاد[1] .

أشار د. مصطفى نبيل[**] أثناء عرضه لكتاب «من يدفع للزمار» من تأليف الكاتبة الإنكليزية فرنسيس سوندرز ترجمة طلعت الشايب أن الكاتبة تؤكد من خلال عمليات البحث والتقصي بأن مئات المؤتمرات والندوات والمحاضرات والمعارض الفنية التي حدثت في أوروبا والعالم كانت المخابرات المركزية الأمريكية هي التي تدعمها وتقف وراءها وتمولها وتخطط لها.

والكتاب كما يرى مصطفى نبيل هو رد واضح على أولئك الذين ينكرون التأثير الخارجي ومحاولة الدول الكبرى التأثير على غيرها من الدول عن طريق التلاعب بالمصادر التي يعتمد عليها الكتاب والمفكرون والباحثون، من الطبيعي أن تكون المعارك التي تدور في عقول البشر وفي الخفاء هي أخطر تلك المعارك. وتظهر الكاتبة أن الدور التي قامت به الـ CIA تحت لافتة مكتب الخدمات الاستراتيجية الذي أنشئ خلال الحرب

(1) إن التجربة الروسية التي قام بها بطرس الأكبر والتجربتين اليابانية والصينية تقدم لنا دروساً مفيدة حيث استطاعت هذه الدول تحديث بلادهم وإحراز كثير من التطور العلمي والصناعي في الوقت الذي حافظوا فيه على الهوية والثقافة الوطنية.

(**) نبيل، مصطفى مجلة الهلال العدد (8) 2002 صفحة 27

العالمية الثانية قد تمثل باكتشاف الخطر قبل وقوعه والعمل على القضاء عليه في منبعه قبل أن يستفحل (الضربة الاستباقية) وان هذا النشاط لم يكن إلا الجانب الفكري من مشروع مارشال «يد تقدم الخبز ويد أخرى تقدم ثقافة دولة الخبز».

ثم أخذت الآلة تدور وتجند الكتاب والفلاسفة والفنانين والسينمائيين والمغنين وتنظم عقد المؤتمرات والمحاضرات وتستخدم الناشرين والفرق الفنية ومعارض الفن التشكيلي ((ووصلت إلى حد استخدام الفولوكلور والأغنيات الشعبية والرواة الجائلين)) وتبنت هذه الأجهزة السرية فكرة أن انجح الوسائل هو استخدام اليساريين المنشقين عن الحركة الشيوعية والماركسية وتقوية اليسار غير الشيوعي وإقامة هياكل تنظيمية متعددة تابعة للمخابرات الأمريكية وجاء التمويل بالإضافة إلى مشروع مارشال من مؤسسات مالية مثل مؤسستي فورد وروكفلر ومؤسسة كارنيجي البحثية) ومن المدهش أن كل ما يقال عن أنه شائعات وهواجس حول دور اليهود البارز في هذا النشاط قدمته الكاتبة بالوثائق والأدلة على أنه حقائق موثقة.

نقطة الافتراق الأولى في عملية القراءة والبحث هذه تنطلق من إعادة النظر في شخصية نابليون بونابرت.

نقطة الافتراق الثانية تنطلق من قراءة مختلفة لحركة محمد علي باشا وحركة النهضة العربية.

نقطة الافتراق الثالثة تنطلق من قراءة مختلفة لما يطلق عليه مصطلح الثورة العربية الكبرى لشريف حسين وأولاده.

نقطة الافتراق الرابعة تنطلق من قراءة مختلفة للخلافة الإسلامية ونظام الحكم في الإسلام ولمفهوم الحداثة والإصلاح.

نقطة الافتراق الخامسة تتعلق بتقديم تفسير مختلف للسؤال القديم الجديد لماذا تقدم الغرب وتأخر الشرق.

نقاط الافتراق هذه تدفع المرء إلى إعادة قراءة التاريخ العربي والإسلامي وإعادة قراءة الثورتين البورجوازية والبروليتارية والوطنية والقومية وتقود إلى تبني وجهة نظر مغايرة تماماً في كثير من المسائل الإشكالية المتعلقة بالعروبة والإسلام والخلافة التركية، قد تجعلنا نرى الواقع الذي انتهينا إليه كما هو بشكل صحيح. والأهم أنها قد تقودنا إلى تبني طرق مغايرة عما تعودنا عليه سابقاً لعملية التغيير.

يصعب هنا تقديم قراءة مفصلة لهذه القضايا التي تتطلب آلاف الصفحات - بات من المتعذر على القراء حتى على الباحثين متابعتها - لكن يمكن تقديم رؤية موجزة، قد تفتح باباً وإن كان ضيقاً إلا أنه قد يتسع لحوار يمكن أن يجعل المواضيع المثارة أكثر دقة وشمولية.

الـموقف من الخلافة العثمانية والإسلام:

إن أغلب الكتابات الإسلامية تعتبر فترة الخلفاء الراشدين - عموماً - بأنها الفترة الحقيقية للإسلام الصحيح والثوري كما تنظر إلى الخلافة العثمانية كما لو كانت الوريث الشرعي للإسلام الذي جاء به نبينا محمد كما ان هناك كثير من الكتابات الإسلامية تعتبر معاوية ابن سفيان والخلافة الأموية حركة مضادة للإسلام الذي جاء به نبينا محمد (باعتبار أنه قاتل علي بن أبي طالب وأحفاد الرسول وجعل الخلافة الإسلامية وراثية في ذريته بعد أن كانت شورى بينهم ومّزق الأمة العربية والإسلامية وأعادها للعصبية القبيلة منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم). ففي الوقت الذي كان فيه سيدنا محمد ومن جاءوا بعده، عمر بن الخطاب يمثلون قمة الديمقراطية من حيث الاستماع إلى عامة الناس حتى لو كان أحدهم بدوياً أوأمياً جلفاً أو ذمياً، وعدم التفريق بين الناس حتى على أساس الدين. فقد حول معاوية الخلافة إلى حكم وراثي (ملك عضوض) مقتصرة على حكم الأرستقراطية القرشية القديمة ممثلة ببني أمية مما يعني فصلاً تاماً بين الدين والدولة. وأن ما ينطبق على معاوية ينطبق أكثر على الدولة العثمانية الطورانية التركية.

هناك فرق كبير بين الموقف من الفتوحات التي حققها الأمويون والعثمانيون والتي لا يستطيع المرء إلاّ أن يقف منها موقفاً مؤيداً ومشجعاً في عالم لم يكن يعرف فيه غير الغزو والفتوحات سبيلاً لتثبيت نفسه وبين الموقف من السلوك العملي للأمويين والعثمانيين والمظالم التي مارسوها باسم الإسلام.

هناك فرق كبير بين تأييد الموقف الذي اتخذه السلطان عبد الحميد من موضوع الهجرة اليهودية ومن هرتزل وبين الموافقة على أو تأييد السياسة التي مارسها هذا السلطان وسواه من سلاطين بني عثمان تجاه العرب بصورة خاصة أو ضد المسلمين الشيعة والأوربيين بصورة عامة والتي أعطت صورة مظلمة وقاتمة عن الإسلام باعتباره دينا دمويا يجيز القتل والاستعباد والعبودية والظلم والظلام (صورة تتطلب بذل الكثير من الجهد النظري والبحثي والعمل لإعطاء صورة مخالفة عن الإسلام).

من المؤكد أن الحكم العثماني حكم استبدادي وظلامي وهمجي وعنصري، اتخذ من الإسلام غطاء لتبرير الفظائع المرعبة التي ارتكبها الأتراك بحق الشعوب الأوربية وبحق العرب بصورة خاصة.

وعلى الرغم، من الجوانب الإيجابية في الخلافة العثمانية، خاصة موقفها من القوى الأجنبية واليهودية والمنعة والقوة التي حققتها الإمبراطورية، إلاّ أننا لا نستطيع أن نتجاهل الدور التدميري الذي مارسه العثمانيون والمماليك والتتر والمغول ضد الحضارة العربية الإسلامية باسم الإسلام.

لا أحد يمكنه أن يدافع عن فرض الإسلام بالقوة والبطش ولا عن اختطاف الأولاد والبنات (أجملهم وأقواهم) من أحضان أمهاتهم وأسرهم ليتحولوا إلى خدم أو عبيد أو

لممارسة الجنس معهم بحجة انهم سبايا أو لجعلهم خدماً ومقاتلين في صفوف الانكشارية، ولا عن الاستبداد وطرق النهب التي مارسها الأتراك ضد العرب طيلة أربعمائة سنة والتي كانت سبباً رئيسياً في تخلفهم الراهن في الوقت الذي كان فيه الغرب يتقدم مسرعاً. وبصدد هذه المسألة فأنا أعتقد بأن نبينا محمد ترك مسألة نظام الحكم في الإسلام للناس يقرروها حسب الزمان والمكان وبكل الاحوال فالقرآن لم يضع إلاّ الأسس العامة للحكم ((وأمركم شورى بينكم – ولا فرق لعربي على أعجمي إلاّ بالتقوى)) ولم يتدخل في أساليب الحكم المباشرة وإن كان قد وضع للحاكم الأسس التي يجب عليه التقيد بها، مما يعني أن الدين الإسلامي هو بالأساس دين علماني وديمقراطي بمعنى أنه ترك مسألة السياسة وطريقة الحكم للناس يقررونها بالاستناد للقواعد العامة التي تنظم علاقة الحاكم بالمحكومين وعلاقة الناس بعضهم ببعض أو علاقتهم بالطبيعة وبالله...الخ.

ونحن إذا استعرضنا تاريخ الدولة الإسلامية منذ عهد معاوية ابن سفيان وحتى اليوم نجد أن العالمين العربي والإسلامي، مع استثناءات نادرة (فترة عمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد ...وسليمان القانوني) لم يحكما على أساس الدين حيث لم يكن لرجال الدين أي سلطة على الحاكم او المحكومين. فالنظام الإسلامي لم يعط لرجال الدين أو لعلمائه أي دور وظيفي كما هو الحال في الديانتين اليهودية والمسيحية كما طبقتا في الغرب ولم يترك لهم أي مجال للتدخل في السياسة العامة للدولة حيث كان للبابا ورجال الدين المسيحيين والحاخامات هيمنة تكاد تكون شبه مطلقة على الملوك والأمراء بينما لم يهيمن رجال الدين المسلمين على الحكم مطلقاً وان كان لهم دور ما فهو لم يتعد دور الناصح أو المرشد كمرجع في الأمور الفقهية أو العبادات وفي إعطاء رأي أو موقف ناصح حول القضايا المستجدة دوماً. لكنهم لم يتدخلوا مباشرة في الحكم وأساليبه، فالخلفاء والسلاطين بلا استثناء كانوا يحكمون الناس وفقاً لأهوائهم الشخصية. فإذا كان الخليفة تقياً أو ورعاً حكم بالعدل. وطالما أن التقوى مسألة شخصية تتفاوت بين حاكم وآخر فلا شيء يلزم الحاكم بأن يكون عادلاً إلاّ بقدر ما يكون متعمقاً أو ملتزماً بروح الإسلام والشريعة وبما أن أغلب الحكام المسلمين لم يتقيدوا بما كان يقترحه عليهم علماء الدين وان كانوا يقربونهم منهم لإضفاء الشرعية الدينية على حكمهم أو لنيل بركاتهم ورضاهم أو صمتهم على أعمالهم التي غالباً ما تتناقض مع تعاليم الدين الإسلامي وجوهره، فقد كانوا في كثير من الأحيان ينكلون برجال الدين ويضطهدونهم كما جرى مع أبى ذر الغفاري وابن سينا وأبي حيان التوحيدي وأبو حنيفة النعمان ومالك بن انس ومحمد الشافعي وأحمد بن حنبل ومن المحدثين السيد مهدي الخالصي ومحمد باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى وغيرهم كثيرون، لذلك فإننا نجد كثيراً من علماء الدين الأتقياء فضلوا الابتعاد عن الحياة العامة والانعزال والانطواء على أنفسهم (بالتقوى والإرجاء) أو تصوفوا أو تفرغوا لدراسة الفقه والشريعة والرياضيات والفلك والفلسفة والعلوم.

أما في أوروبا فكان الملوك يتراكضون للحصول على رضا وموافقة رجال الدين والبابا وبركاتهم.

من هذه الزاوية فإنني اعتقد أن مطلب العلمنة وفصل الدين عن الدولة الذي ينادي به الكثيرون ما هو إلاّ طرح غربي وإلحاقي لا يمت للحقيقة والواقع والتاريخ بصلة فما تحقق في أوروبا من فصل للدين عن الدولة كان متحققاً في الدولة الإسلامية قبل اكثر من ألف سنة ونحن نلاحظ حتى اليوم في أمريكا والغرب أن التيارات الدينية الغيبية والتوراتية والصوفية تزداد انتشارا وتزداد هيمنتها على الحكام وسياسة الدولة الخارجية، ولذلك فأن من الخطأ أن نعزو تخلفنا لهيمنة الدين أو رجاله على الدولة (هذه الهيمنة التي ليس لها وجود ولم تكن موجودة في أي يوم على الإطلاق).

المسألة لا تتعلق بالموقف من الدين والفكر الإسلامي، بل بالموقف من الحكام وطرق الحكم وأن من يتحمل مسؤولية تخلفنا وضعفنا وهيمنة الآخرين علينا أو تقدمنا وقوتنا ونهضتنا هم الحكام وليس مضمون الدين أو رجاله.

إن المعركة التي يفتعلها البعض مع الدين أو الفكر الديني ورجال الدين هي معركة مشبوهة إن لم تكن مفتعلة على الأقل تحرف اتجاه الحركة التاريخية عن اتجاهها الصحيح الذي يجب أن تسير فيه فالدين الإسلامي حارب الربا والاحتكار قبل ان تنشأ الشيوعية بألف سنة. وأغلب رجال الدين وعلمائه ومشايخه هم من عامة الناس يرتبطون بالحياة الشعبية وملتصقون بالناس وبالأخص الفقراء منهم اكثر من كثير من يزعمون انهم بروليتاريون، وغير مرتبطين بالحكام اكثر من ارتباط المثقفين ورجال الأمن والشرطة وذوي المصالح الاقتصادية العليا، حيث أن غالبيتهم من الطبقات والفئات الكادحة والمضطهدة وهم يحملون لواء الجهاد ضد الاحتلال والاستعمار والصهيونية.

لماذا تقدم الغرب وتأخر الشرق

هيمن الأتراك على الوطن العربي والأمة العربية الإسلامية تحت اسم الإسلام واعتمدوا فيه على الخراج والجزية لنهب ما تنتجه شعوبنا وهو ما أبقاها في أدنى درجات العيش لصالح الحروب والقوة العسكرية والأمنية للسلطنة.

وفي ذات الوقت كان الغرب يقوم بالكشوف والفتوحات الجغرافية للعالم الجديد التي مكنته من التوصل إلى كثير من الكشوف العلمية والصناعية مستعينين بالعلوم والأدوات التي خلفها وصنعها البحارة العرب والمسلمون وفلاسفتهم وعلماؤهم لإحراز الكثير من التقدم العلمي والصناعي والحربي.

في الوقت الذي كان فيه العثمانيون يتحكمون بمسار التجارة العالمية في البحرين الأبيض والأحمر والخليج العربي ويعتمدون فيه على تحصيل المكوس والضرائب. كان الأسبان والبرتغاليون ومن بعدهم الهولنديون والإنكليز يخرجون من الطوق الذي فرضه العثمانيون على الشرق الأوسط ليقوموا بحركة التفافية قادتهم إلى اكتشاف رأس الرجاء الصالح والوصول إلى الهند وجزرها والصين وأمريكا ليتهربوا من دفع المكوس للعثمانيين أو من القرصنة التي كان يمارسها المغاربة، مما جعلهم يحصلون على ثروات العالم الهائلة

بعيداً عن أعين العثمانيين الذين ظلوا يفرضون هيمنتهم وسيطرتهم من خلال تحصيل الخراج والجزية والضرائب التي كانوا يثقلون بها كاهل الشعوب الخاضعة لسيطرتهم، مما أبقاها وأبقاهم خارج تيار المدنية والحضارة الجديدة وأخرجهم من حياة العصر الذي كانوا يعيشون فيه.

وعندما فقد العثمانيون هذه المكوس من التجارة الخارجية زادوا من نهبهم وظلمهم للشعوب العربية مما ألبها عليهم وسرع في إنهاء حكمهم ولقد أوضح الكاتب الأمريكي بيترجران في كتابه الجذور الإسلامية للرأسمالية أن عملية النهب التي كان يمارسها العثمانيون على العرب لم تكن تبقي للحرفيين أو الصناعيين أو المزارعين أي فائض يمكنهم من تطوير صناعاتهم أو حرفهم أو زراعتهم أوقدرتهم على الإنجاب والاستمرار حيث تراجع عدد السكان الذين اضطروا على حرق مزروعاتهم وحيواناتهم كي لا ينهبها العثمانيون و إلى تشويه أبنائهم خوفاً من سوقهم للحروب بعيداً عن ديارهم والأهم من ذلك كان عدم تطوير صناعاتهم وإنتاجهم لأنهم كانوا يعرفون سلفاً أن أي فائض لن يكون إلاّ دافعاً للأتراك لنهبه وسرقته ولممارسة مزيد من النهب والاضطهاد والقمع. وأنه لولا الهيمنة العثمانية وحركة محمد علي في مصر لكان بإمكان مصر أن تنتقل إلى الرأسمالية والثورة العلمية والصناعية قبل أن تنتقل أوروبا إليها بل أنه يشير إلى أن التقدم في مجال الطب والتشريح والعلاج الطبيعي وعلاج العيون والزراعة في مصر وبلاد العرب والإسلام كان أسبق مما كان عليه في الغرب وأن العثمانيين ومحمد علي ساهموا مساهمة كبيرة في تدمير هذه العلوم ومنع تطورها وعملوا على حرف مسارها باتجاه التبعية للرأسمالية والحضارة الغربية ((فإذا أخذنا عام 1760 كنقطة انطلاق للرأسمالية الغربية فإن وضع مصر العلمي في ذلك التاريخ كان مماثلاً لما كان عليه في أوروبا إن لم يكن متفوقاً عليهم في بعض المجالات. فلماذا تطور الغرب وأوروبا. بينما تراجع العرب والمسلمين)).

لماذا تطورت اليابان التي لم تتبن الرأسمالية إلا في أواخر القرن التاسع عشر بينما ظل الوطن العربي ومصر متخلفين عنها، مع ان مصر تبنت الرأسمالية منذ بداية القرن التاسع عشر.

دخول المصرفيين اليهود على الخط

ما بين اكتشاف رأس الرجاء الصالح عام 1498 وهزيمة الترك في فيينا عام 1683 انقضت مائة ثمانون عاماً كانت كافية للدول الأوروبية لأن تصل إلى توابل وقطن وقنب الهند وحرير الصين وجميع منتوجات الشرق من دون الحاجة لأن يدفعوا المكوس والجزية للعثمانيين التي وُفَروها ليستخدموها لتطوير صناعاتهم الحربية إضَافة إلى عملية النهب الواسعة التي قاموا بها في إفريقيا الغربية والجنوبية وجزر الهند والعالم الجديد (الأمريكيتين).

ومع ذلك فقد أدرك الغربيون أن السيطرة على الشرق الأوسط الذي كان يخضع

للإمبراطورية العثمانية يظل أفضل من عملية الالتفاف حول أفريقيا للوصول إلى الشرق الأقصى وأرخص ثمناً. ومن هنا برزت فكرة حفر قناة السويس لتسريع عملية الوصل هذه. وهنا انقسم الغربيون بين طامع في القضاء على الإمبراطورية العثمانية كمقدمة للسيطرة على الشرق الأوسط الذي يتيح لهم طرقاً اقصر للوصول إلى الشرق وبين طامع في السيطرة عليها عبر إقامة علاقة صداقة وتعاون بين ألمانيا وروسيا وفرنسا وبما أنه لم يكن قد انقضى ما بين أخر الحملات الصليبية وما بين انتصارهم على الترك اكثر من ثلاثمائة سنة فإنهم كانوا يدركون جيداً أن غزوة صليبية جديدة للشرق الأوسط ستمنى بالفشل إن لم يلجأوا إلى أساليب أكثر خبثاً ومكراً من الغزوات المباشرة وبما أنهم يعرفون أن اليهود هم أكثر الناس خبرة في الشرق فلقد اعتقد منظروهم أنه يمكنهم أن يستخدموا رغبة اليهود في استعادة ملكهم الضائع المزعوم من أجل أن يستخدموا خبرتهم وامكاناتهم ورغبتهم لاستعادة سيطرتهم على الشرق الأوسط لأن اليهود أدركوا أهمية المنطقة قبل ألفي سنة.

وبما أن اليهود من جانبهم لم يكونوا على استعداد لأن يقوموا بدور الأداة فلقد وجدوا أنهم يستطيعون الركوب على حاجة الدول الغربية للسيطرة على الشرق من أجل أن ينشئوا دولة خاصة بهم في الشرق الأوسط.

لذلك لم يبد اليهود في ذلك الوقت أي حماس للاندفاع نحو الشرق إلاّ بعد أن أحكموا قبضتهم على الدول الغربية لذلك فقد تمهلوّا كثيراً حتى يحققوا تلك الغاية التي وصلوا إليها من خلال هيمنتهم على الذهب والفضة وصناعة النقود والمصارف. هذا الأمر الذي لم يتحقق لهم بصورة حاسمة إلاّ خلال الحرب العالمية الأولى.

أسرار حملة نابليون

يذكر الكاتب حسين ادهم جراد(*) أن نابليون عقد اجتماعاً سرياً مع أمناء جبل الهيكل (السنهدرين) من اليهود، قبل حملته على مصر وفي هذا الاجتماع جاءتهم رسالة من اليهودي آبارا راس عضو حكومة الدكتوار (المديرين) الفرنسية ينصح فيها نابليون والفرنسيين باستعمار الشرق ليكون ركيزة لهم ضد البريطانيين والعثمانيين. وبعد ذلك الاجتماع الذي اتخذ فيه قرار الغزو صدر بيان من أمناء الهيكل موجه إلى يهود أوروبا جاء فيه ((إن عددنا 6 مليون يهودي منتشرين في جميع أنحاء العالم وفي حوزتنا ثروات وأموال وممتلكات طائلة.. علينا أن نتذرع بكل قوتنا لاستعادة بلادنا.. إن الفرصة سانحة ويجب أن نغتنمها)).

وعلى أثر ذلك مباشرة تكون مجلس يهودي عالمي من ممثلين عن اليهود في خمسة عشر بلدا ((بريطانيا - أسبانيا - بولندا - البرتغال فرنسا - السويد - إيطاليا - روسيا ومن تركيا - وبلدان آسيا وأفريقيا))

(*) جراد، حسين ادهم أسرار حملة نابليون على مصر والشام ص 18

أصدر هذا المجلس بياناً يوم 4 نيسان 1799جاء فيه: **((يا ورثة فلسطين الشرعيين، إن الأمة التي أنجبت الرجال العظام تناديكم لاسترجاع ما فقد منكم.. هبوا وانهضوا..))**

وفي 22 أيار 1799 نشرت صحيفة لومنيتور نداء جاء فيه **((وجه نابليون نداءً دعى فيه جميع يهود آسيا وأفريقيا للانضواء تحت راياته من أجل إقامة القدس القديمة))**.

بعد فشل حملة نابليون على مصر وفلسطين وهزيمته على أسوار عكا أدرك اليهود والفرنسيون والبريطانيون أن إقامة دولة في فلسطين لن تكون ممكنة من دون تدمير الإمبراطورية العثمانية، وباللجوء إلى أساليب أكثر عملية من الغزو العسكري المباشر كما حصل في الحروب الصليبية وبعد فشل غزوة نابليون.

أدرك الأوروبيون كما جاء في كتاب (مذكرات عن التتر والترك) للبارون روتشيلد ((أن الاهتمام بأموال الدولة العثمانية المفككة الأوصال بدأ يعم وينتشر في جميع أرجاء أوروبا)). مما دفع الجميع لاتباع أساليب جديدة أهمها:

1ـ إرسال الجواسيس:

التجسس مسألة قديمة قدم الجماعات الإنسانية. وتعتبر من أخطر الوسائل في تدمير الخصم لأنها تمكن الطرف المهاجم من معرفة نقاط قوة وضعف الخصم واللعب على الخلافات الداخلية ووقت وطريقة الهجوم المباغت والمناسب. إلاّ أن ما تميز به الجواسيس الغربيون الذين أرسلوا للجزيرة العربية أنهم كانوا على درجة عالية من العلم والذكاء والخبث والخبرة والكشف عن خبايا الواقع الاجتماعي والفكري الذي نجهله عن أنفسنا.

سأعدد أبرز هؤلاء الجواسيس حسب القدم وليس حسب الأهمية:

1- المسيو لاسكاريس والعالم دورفيني: وحسب ما يقول حسن جراد (والسيتر ماتبون والجنرال بوتان الذين أرسلهم نابليون بعد فشل غزوته حيث عاشوا في سوريا ولبنان وبادية الشام ويذكر جراد أن شاباً، مارونتاً اسمه «فتح الله صايغ» كان مرافقاً للسيد لاسكرايس.

2- دومني جولبيث والملقب بعلي بك العباسي عام (1807)، زعم أنه من سلالة بني العباس وأرجع أصله إلى عرب الأندلس وكان في الحقيقة يعمل جاسوساً لصالح نابليون بونابرت في العراق.

3- جيوفاني فيناتي: جنده نابليون أيضاً، وبعد أن أعلن إسلامه تخلى عن مهمته وبقي في مصر.

4- توماس كيث: وهو انكليزي من اصل قوزاقي أعلن إسلامه وعينه طوسون باشا (ابن محمد علي) والياً على المدينة المنورة عام 1815.

5- تشارلز لادني وهو انكليزي تظاهر بأنه طبيب وتنقل في الحجاز ولعب دوراً مهماً في التعرف على جميع خبايا وصراعات قبائل الحجاز.

6- جوهان لودفيج بوركهارت 1841 وهو سويسري الأصل من لوزان أسلم وكان يسمى بالحاج إبراهيم وهو من أشهر من كتب عن السعودية تاريخياً جغرافياً واجتماعياً استند على كتاباته الكاتب السوفيتي فاسلييف في كتابه عن السعودية وآل سعود.

7- هاري سانت جون فيلبي المعروف بجاك والذي أعلن إسلامه وسمي بالحاج عبد الله فيلبي. ومع أنه أرسل من حكومة صاحبة الجلالة لمقابلة الملك عبد العزيز آل سعود عام 1922 إلاّ أنه أصبح من أقرب المقربين إلى الملك ومستشاره الخاص ويشبه دور الحاج عبد الله مع عبد العزيز دور لورنس العرب مع الشريف حسين وابنه فيصل. ولقد كتب أهم كتب التاريخ والجغرافيا عن الجزيرة العربية.

8- ادوارد لورنس المعروف بلورنس العرب والذي كان يقود فيصل ملك العرب وأخوته وأباه كما يقود الراعي أغنامه وهو أخبث شخصية عرفها التاريخ العربي الحديث، فهو كما يذكر زهدي الفاتح(*) وكما يتضح من عنوان الكتاب أنه كان صهيونياً مائة بالمائة بل وأكثر، وبأن ما لم يستطيع هرتزل تحقيقه من الخارج استطاع لورنس تحقيقه من الداخل(**).

يؤكد زهدي الفاتح أن لورنس هو ابن غير شرعي لتوماس تشايمان من مربية بناته المدعوة سارة جونيز (فاليهودي لا يكون يهوديا إلاّ إذا كان من أم يهودية حسب القوانين اليهودية).

ومن الملفت للنظر أن سارة هذه (سارة مادن) أيضا كانت ابنة غير شرعية لأب نرويجي وأم إنكليزية يهودية. وسنأتي على ذكره لاحقاً بالكثير من التفصيل.

9- ومن أخطر الشخصيات التي مارست اقذر الأدوار المدعوة «غيرترو بل» المعروفة بالمس بل والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً والتي كانت تتظاهر بأنها محبة للعرب وحضارتهم واستطاعت ان تصبح عشيقة لأغلب زعماء العشائر والملوك العرب.

10- الليدي ستانهوب (ملكة تدمر) وغيرها...

2- المدارس التبشيرية:

لا ضرورة لذكر المزيد عن هذه المدارس التي كتب عنها الكثير في عشرات الكتب ولا

(*) زهدي الفاتح (لورنس على خطى هرتزل). دار النفائس - بيروت 1991 .

(**) (الدرب نفسه يسير عليه اليوم الثعلب الصهيوني الماكر تيدي لارسن الذي استغل منصبه في إغاثة اللاجئين ليلعب اقذر الأدوار في ترتيب اتفاق أوسلو والاتفاق الموقع بين لبنان وإسرائيل ثم الاتفاقات بين الفلسطينيين والإسرائيليين وهو يعتبر بمثابة المنسق العام لخارطة الطريق بين العرب والإسرائيليين والأردنيين والأميركين والأمم المتحدة).

عن دور هذه المدارس في تهيئة نفوس وعقول العرب والمسلمين لتقبل الحضارة الغربية لدرجة الإعجاب والاندهاش حيث تحول المتعلمون والدراسون فيها إلى معجبين لدرجة الهوس والاستعداد للقتال حتى الموت دفاعاً عن الحضارة الغربية وإلى كارهين للحضارة الشرقية والعربية والإسلامية ومحتقرين لكل ما هو شرقي وعربي.

كتب د. رفعت السعيد كتاباً عن هذه المدارس إلاّ أنه للأسف لم ينشر ـ أو لعله منع من النشر ـ لأنه يشير إلى أن هذه المدارس كانت تخرج المسؤولين الحكوميين والذين كانوا يتسلمون أهم المناصب في الوزارات والمديريات والمسؤولية عن الصناعة والزراعة والمال والثقافة وكل شيء له أهمية حاسمة. حتى أصبح الكثيرين يرون أن لا شيء أفضل من أن يصبح فلاناً خريج الجامعة الأمريكية أو المدرسة اليسوعية، وحتى الناس العاديون باتوا يقبلون، باحترام شديد، على هذه المدارس والجامعات حتى اليوم لتأمين مستقبل أفضل لأبنائهم حيث المنصب الرفيع أو المكانة الاجتماعية أو الراتب الجيد سيكون مؤمن سلفا.

أخطر ما في هذه المدارس والجامعات أنها كرست وعمقت الشعور بالدونية لدى العرب والمسلمين تجاه كل ما هو غربي أو إنكليزي أو أمريكي واحتقار كل ما هو عربي أو شرقي أو إسلامي أو تقليدي وهو الأساس الضروري للخضوع والعبودية والاستسلام حتى أن أغلب النخب المثقفة باتت تحني قاماتها أمام أتفه أمريكي يزعم أنه خبير في الاقتصاد أو في الإدارة.

3ـ الجمعيات السرية والعلنية:

لسنا بحاجة إلى قول المزيد عن هذه الجمعيات والنوادي والروابط والمحافل حيث يستطيع القارئ العودة إلى كتابات جورج انطونيوس. ورفعت السعيد ومحمد عزة دروزة وحسين حمادة خاصة ما كتبه الأخير عن الجمعيات والمحافل الماسونية التي انتشرت في طول البلاد وعرضها والتي قامت بشراء جميع ضعاف النفوس والمتساقطين والباحثين عن الثروة والسلطة والجاه بأحقر وأحط الوسائل والذين كانت تهيأ لهم الأجواء لتسلم أخطر المناصب وأكثرها حساسية في أهم المفاصل الاقتصادية الحساسة والهامة وقد قامت وما تزال تقوم بدور تخريبي ومدمر وناشر للفساد والإفساد والتخريب الفكري والنفسي والأخلاقي والاقتصادي والروحي.

4ـ لغم الحركة الوطنية والثورية من الداخل (حصان طروادة):

بات هذا الموضوع من المواضيع التي يحرّم على الكتاب والباحثين الإشارة إليها حيث أصبح هؤلاء يتجنبون الاشارة إليها من تلقاء أنفسهم خوفاً من أن يتهموا بأنهم من المؤمنين بنظرية المؤامرة السخيفة.

وسوف يتضح لنا لاحقاً أن هؤلاء الزعماء الذين قادوا أو تزعموا كثيراً من الحركات والاحزاب والحكومات الوطنية والقومية والشيوعية والإسلامية في الوطن العربي منذ عهد

محمد علي باشا، حتى الاستقلال قد لعبوا أخطر الأدوار في حرف هذه الحركات وتمزيقها وتدميرها من الداخل.

5 ـ تقديم المساعدات المالية والعسكرية والتنظيمية والإدارية

هذا (حصان طروادة آخر) لكل طامع في السلطة وهو موضوع يطول البحث فيه.

يكفي أن نشير إلى أن أمير الكويت مبارك الصباح باع نفط الكويت لقاء ألف قطعة من الذهب وبضعة بنادق وجعلها قاعدة للإنكليز مدى الحياة، أما عبد العزيز آل سعود فقد قدم بترول السعودية ـ في ظرف كان يحتاج فيه للمال ـ ملكاً أبدياً للإنكليز لقاء خمسة آلاف جنيه شهرياً واقسم يمين الولاء مع الشيخ مبارك للإنكليز بعدم السماح لأي دولة أخرى بالتواجد في أراضيهم إلاّ للمملكة المتحدة (الغالية) بريطانيا العظمى ولما تقرره جلالة الملكة أو تسمح به(*).

وما تزال الدول الإمبريالية حتى الآن تستخدم القروض التي يقدمها البنك الدولي من اجل فرض تغييرات في الاقتصاد والسياسة العامة الداخلية والخارجية لكثير من البلدان.

6 ـ التدخل العسكري المباشر والاحتلال وإقامة القواعد العسكرية:

حين لا تنفع هذه أو تلك من الأساليب في تحقيق ما يريده الصهاينة والاستعماريون يلجأون إلى التدخل العسكري المباشر ليُكملوا بصورة فظة وقاسية ما عجزوا عن تحقيقه بالوسائل السابقة. والتاريخ العربي منذ بداية القرن الثامن عشر وحتى اليوم مليء بالأمثلة ويشكل غزو العراق مثالاً عنها.

(*) كما ذكر فاسيلييف في كتابه عن السعودية الفكرة ذاتها أكدها إينغدال في كتابه مائة عام من الحرب

الفصل الثالث

التداخل بين الغربنة والصهينة
(محمد علي باشا)

يرى أغلب الباحثين العرب والغربيين أن حركة محمد علي باشا كانت حركة تغريب للمجتمع المصري والعربي بينما يرى البعض أنها حركة نهضوية وتنويرية وتثويرية عظيمة ونقطة تحول في تاريخ العرب الحديث. وينقسم الباحثون في تقييم التجربة، فمنهم من يراها محاول لإعادة نهضة الأمة العربية على أسس حديثة أوروبية. ومنهم من يراها بداية لنهضة عربية.

ومع أن كثيراً من الكتاب ألقوا ظلالاً من الشك على محمد علي وحركته إلا أن كتاب سليمان الغنام(*) يعتبر أول دراسة علمية وتاريخية شاملة. أما ما يعيب هذه القراءة فهو أن الكاتب كان منحازاً لآل سعود والحركة الوهابية. وهو إذ يوجه الأنظار إلى أن محمد علي باشا دمر الحركة الوهابية والمملكة السعودية الأولى لخدمة بريطانيا العظمى وهذا صحيح تماماً يتجاهل أن من استوعب الحركة الوهابية وحرفها لاحقاً عن اتجاهها الثوري والصحيح وباع بترول السعودية للإنكليز إنما كانوا آل سعود. مما يدفع القارئ إلى الشك بموضوعية الأستاذ سليمان غنام وبكل ما ذكره عن محمد علي. غير أن الكاتب قدم لأول مرة معلومات كثيرة وقيمة لا توجد في أي كتاب منفصل وهي تتطابق مع كتابات لكتاب تقدميين أمثال فاسلييف ومحمود أمين العالم الذي رأى أن حركة محمد علي لم تكن إلا استمراراً لحملة نابليون العسكرية بطرق حديثة من الداخل عن طريق رفع راية التحديث حسب المنهج الفرنسي.

وبعد ذلك تتالت الكتابات التي تشكك بهذه التجربة ونتائجها قام بها عدد من الباحثين الأجانب والعرب (أرنولد توينبي - بيتر جران - ذوقان قرقوط - فاسيليف - محمد محمود شاكر - برهان غليون - انور عبد الملك وسمير امين).

لست هنا بحاجة لإعادة ما جاء في هذه الأبحاث والكتب والمقالات القيمة، إلا أنني أختصر وانقل ما كتبه الباحث عبد الوهاب محمود المصري(*) «لقد كانت تجربة محمد

(*) الغنام، سليمان (قراءة جديدة في سياسة محمد علي) الصادر في جدة 1980 . دار تهامة)

(**) عبد الوهاب المصري في مجلة الفكر السياسي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب العددين (13-14 / 2001) ص75

علي تغريباً في الثقافة - واستبداداً في السياسة واحتكاراً في الاقتصاد وإذلالاً في الجيش وتبعية في التقانة والاقتصاد والثقافة وأفقاراً للشعب وتدميراً مرعباً للمبادئ العامة، لم تكن لا مشروعاً نهضوياً ولا مشروعاً عربياً بل مشروعاً استعمارياً، إجهاضياً وتدميرياً وإذا كان محمد علي بطلاً فعلاً فإنه بطل الثورة المضادة».

وقال الدكتور قرقوط. «من المؤسف أن أغلب الكتاب المذكورين باستثناء عبد الوهاب المصري لم يقدموا أية إشارة لاحتمال أن يكون محمد علي مرتبطاً بالمشروع الصهيوني أو انه كان من الممهدين له».

فإذا قبلنا أن نابليون كان أول منفذ عملي للمشروع الصهيوني اليهودي في المنطقة فإن «ما عجز نابليون عن تحقيقه كما يقول برهان غليون حققه محمد علي» وكما قال محمود العالم «لقد فشلت الحملة الفرنسية سياسياً وعسكرياً لكنها تركت بصماتها على مصر ولم يكن محمد علي إلا التجسد والاستمرار لذلك».

إذا كان اليهود قد حققوا هيمنة على الاقتصاد والسياسة الأوروبية الرأسمالية فإنه يصبح مفهوماً أن أي نفوذ تحرزه أيا من الدول الرأسمالية والاستعمارية التي يهيمن اليهود على سياستها، لابد ان يخدم الصهاينة إذا كان هذا النفوذ موجه إلى المنطقة العربية.

وإذا كان المسيحيون الأوروبيون وخاصة البروتستانت والأنجليكانيون يؤمنون بالتوراة «العهد القديم» فإنهم ولا شك كانوا متعاطفين مع اليهود ومع أية دعوة يهودية فكيف إذا كانت هذه الدعوة تقوم على فكرة الخلاص وبأن تجمع اليهود في فلسطين سيكون مقدمة لظهور المسيح المخلص الذي سينشر السلام والوئام في العالم.

ليست المسألة مسألة عمالة المسيحيين الغربيين وخضوعهم للنفوذ اليهودي بقدر ما هي أن الديانة المسيحية وخاصة طوائفها الغربية تعتبر ما جاء في التوراة (العهد القديم) مقدساً كقدسية ما جاء في الإنجيل (العهد الجديد). لا يمكننا تجاهل الأحقاد التي غرسها العثمانيون في نفوس جميع المسيحيين، شرقيين وغربيين ضد الإسلام والعرب دون تمييز بسبب أعمالهم الوحشية ولا يمكن تجاهل الصورة السلبية التي كان ينقلها الرحالة المتصهينون عن العرب والمسلمين ودمويتهم وتعاملهم مع الأماكن المقدسة، مما جعل جميع المسيحيين مؤيدين بشكل تلقائي لليهود ودعوتهم في العودة إلى أرض الميعاد كحركة مخلصة للأماكن المقدسة من هيمنة الأتراك المسلمين. وإلى أعداء طبيعيين للعرب والمسلمين، ومنحازين بشكل تلقائي إلى المطالب اليهودية بشكل أو بآخر.

يرى حسين عمر حمادة(*) **«أن أول محفل ماسوني تشكل في مصر عام 1798 على يد كليبر مرافق نابليون وهذا ما يؤكده أيضاً جرجي زيدان وأما أول محفل ماسوني رسمي شكل في فلسطين كان في عهد محمد علي وأن ما عجز نابليون عن تحقيقه في فلسطين**

(*) حسين عمر حمادة (الماسونية في الوطن العربي ص215)

حققه ابنه إبراهيم باشا الذي استطاع بعد حصار لعكا استمر ستة أشهر أن يحطم هذه المدينة وقلعتها ويفتك بمن فيها. ومنذ ذلك التاريخ وبعد أن سقطت عكا سقطت فلسطين كلها بيد الغزاة والبرابرة».

من هو محمد علي؟ هذا الجاهل الذي لا يعرف القراءة والكتابة والذي لا يعرف العربية ويحتقر العرب والمسلمين والذي لم يسمح لعربي واحد أن يرتقع إلى منصب يوزباشي في الجيش، إنه ليس أكثر من مواطن ألباني كان يعيش في قونية ملك اليونان التي كانت تتبع الدولة العثمانية (مع العلم أن الألبان وقسم من يهود الدولما قد أسلموا بالقوة تهرباً من بطش العثمانيين وللتخلص من الضرائب الباهضة المفروضة عليهم مما يعني أن كثيراً من الألبان المسيحيين واليهود الذين أسلموا ظاهراً ظلوا في السر يهوداً أو مسيحيين يحملون قدرا كبيرا من الحقد والكراهية والاحتقار للعرب والمسلمين).

ما الذي جعل شخصاً مثل محمد علي كان معروفاً بصفته تاجراً ناجحاً للدخان (حيث كان اليهود يسيطرون على هذه التجارة) أن يترك التجارة وأن يتطوع في حملة تركية ضد فرنسا في مصر؟.

ما الذي جعله يغادر مصر بعد هزيمة نابليون عام 1799 ثم يعود إليها ثانية في عام 1801 بصفته معاوناً لقائد الكتيبة الألبانية طاهر باشا، تلك الكتيبة التي أبلت بلاء حسناً في قتال الفرنسيين والانكليز والتي لقيت الاستحسان والترحيب من مشايخ مصر والأزهر ودعتهم إلى الطلب من السلطان أن يخلع «الألفي» المملوكي الذي هرب أمام الفرنسيين وأن يعين طاهر باشا والياً على مصر بدلاً منه، ولم يمض على تسلم طاهر باشا الألباني ولاية مصر أقل من سنة حتى تم اغتياله في ظروف غامضة. عندها لم يجد مشايخ الأزهر بزعامة مكرم عبيد سوى تسليم ولاية مصر لنائبه محمد علي في عام (*)1805 وهنا لابد لنا من التساؤل من الذي جعل هذا الرجل العامي والأمي والذي لا يعرف اللغة العربية والذي كان يحتقرها كما يحتقر العرب والمسلمين حاكماً مطلقاً لمصر؟

كيف استطاع خلال ثلاث سنوات أن يجعل مصر كلها ملكاً شخصياً له ولعائلته وللمنتفعين معه من الألبان والشركس والشيشان والأرناؤوط؟.

يذكر عبد الوهاب المصري أن محمد علي لم يتم سماع قراءة كتاب الأمير لميكافيللي، حيث كان يقرأ له المترجم يومياً عشر صفحات حتى قال له **«لدي من الأساليب ما لا يعرفها هذا الإيطالي»** من علمه هذه الأساليب التي تفوق أساليب ميكافيللي في المكر والدهاء؟(**)

يؤكد جميع المؤرخين أن النشاط التبشيري في بلاد الشام وفلسطين، على الخصوص، كان محدوداً جداً بسبب غياب الأمن من ناحية، وبسبب معارضة الحكومة العثمانية لهذا

(*) (سليمان الغنام ص130)

(**) هل بهذه الأساليب الفوق ميكافيللية يمكن لكثير من القادة الذين حكموا العرب ومازالوا بالأساليب الميكافيللية أن يحققوا أي تقدم لشعوبهم.

النشاط ولقرب سوريا من تركيا. أما بعد حملة محمد علي وابنه إبراهيم على سوريا وفلسطين فلقد توفر المناخ المناسب ليس لنمو الإرساليات التبشيرية المسيحية خاصة البروتستانتية بل إلى تزايدها وكما يقول عبد الرؤوف سنو ص19 «من الواضح جيداً أن فرنسا كانت تدعم سياسة محمد علي التوسعية على سوريا وأن أحد أهم النتائج التي تمخضت عن سيطرة محمد علي على سوريا، هو فرض المساواة بين طوائف المجتمع السوري كافة» خاصة اليهود ويؤكد العماد مصطفى طلاس في كتابه (فطير صهيون) أن محمد علي ألغى حكم الإعدام باليهود الذين قاموا بذبح الأب توما وجاء في تقرير مجلس العموم البريطاني عن سياسة محمد علي في سوريا وفلسطين «أن الضرائب وهي كبيرة في حجمها تجبى الآن بالتساوي». مما يعني أن ما كان يفرض سابقاً على اليهود والمسيحيين كجزية لم يعد لها وجود مما يعني أن مبادئ الثورة الفرنسية القاضية بمساواة اليهود - وهو المبدأ الوحيد الذي تمسك به نابليون ونشره أينما حل وذهب). قد تحققت في سوريا وفلسطين على يد محمد علي وابنه قبل أن تتحقق في أية دولة أوروبية باستثناء فرنسا.

يقول عبد الوهاب المصري (**)

«منذ بداية الحملة المصرية إلى بلاد الشام وجه قائدها العام إبراهيم باشا بياناً إلى السلطات الدينية والمدنية فيها يطلب فيه رفع القيود عن اليهود والمسيحيين المقيمين وكذلك على الزوار الأجانب مما يعني فتح المجال لليهود المهاجرين للإقامة في فلسطين، وقد سمح للإنكليز بفتح أول قنصلية بريطانية في القدس وأرسى أسس قيام الدولة اليهودية حيث بادرت هذه القنصلية فوراً بوضع اليهود تحت حمايتها مع العلم أن اليهود في بريطانيا لم يتمتعوا بالحقوق السياسية والمدنية إلا في عام 1838 أي بعد أكثر من عشرين عاماً من تمتعهم بها في فلسطين إبان فترة حكم محمد علي».

ويذكر سنو أن ابراهيم باشا أثناء احتلاله لفلسطين وسوريا قدم مشروعاً يهودياً (تقدم به يهود القدس) لمجلس القدس - المكون من المسلمين والمسيحيين - يسمح لليهود بشراء الأراضي، والاستيطان في فلسطين، لكن هذا الطلب رفض من مجلس القدس كما رفض من قبل الباب العالي أيضاً.

وكما نعلم فإن الخطوة الأولى في أي مشروع هي أصعب ما يكون و نعلم أن التغلغل الصهيوني بدأ بدعوة اللورد موسى مونتفيوري اليهودي الثري من اللورد شافتسبري بأن تعمل الحكومة البريطانية على نشر حمايتها على اليهود المقيمين في الدولة العثمانية كما عملت فرنسا على نشر حمايتها على الكاثوليك.

هذه الدعوة اليهودية شكلت الخطوة الأولى التي أرسى أسسها محمد علي وابنه إبراهيم باشا حيث غرس أول مسمار للصهيونية في المنطقة وأصبح بعدها وضع اليهود في الدولة العثمانية تحت الحماية البريطانية قانونياً، ثم أصبح الأساس الذي استند عليه

(**) المصري، عبد الوهاب ص71. مجلة الفكر السياسي العدد (13)

الصهاينة لاحقاً من أجل الحصول على حقوق المواطنة ثم الحق في الهجرة والإقامة ثم تم بالاستناد إلى حق المواطنة، للمهاجرين المطالبة لاحقاً بأن يكون لهم حكم ذاتي، توسع فيما بعد للمطالبة بدولة يهودية توسعت بعد خمسين سنة بحجة الحفاظ على الأمن لتكون وطنا قوميا من الفرات إلى النيل وأبعد.

وهكذا يتأكد لنا أن محمد علي لم يحطم ويدمر مصر وسوريا وبلاد الشام سياسياً وثقافياً واقتصادياً ولم يحطم الحركة الوهابية ويدمر السعودية ويهبها للإنكليز ويحول دون نشوء حركات تحررية عربية فحسب بل وأرسى بهذه الطريقة قواعد قيام الدولة اليهودية في فلسطين.

المسألة إذن ليست مسألة غربنة أو إنكلزة أو أمركة بل مسألة تهويد وصهينة قام بها محمد علي منذ البداية.

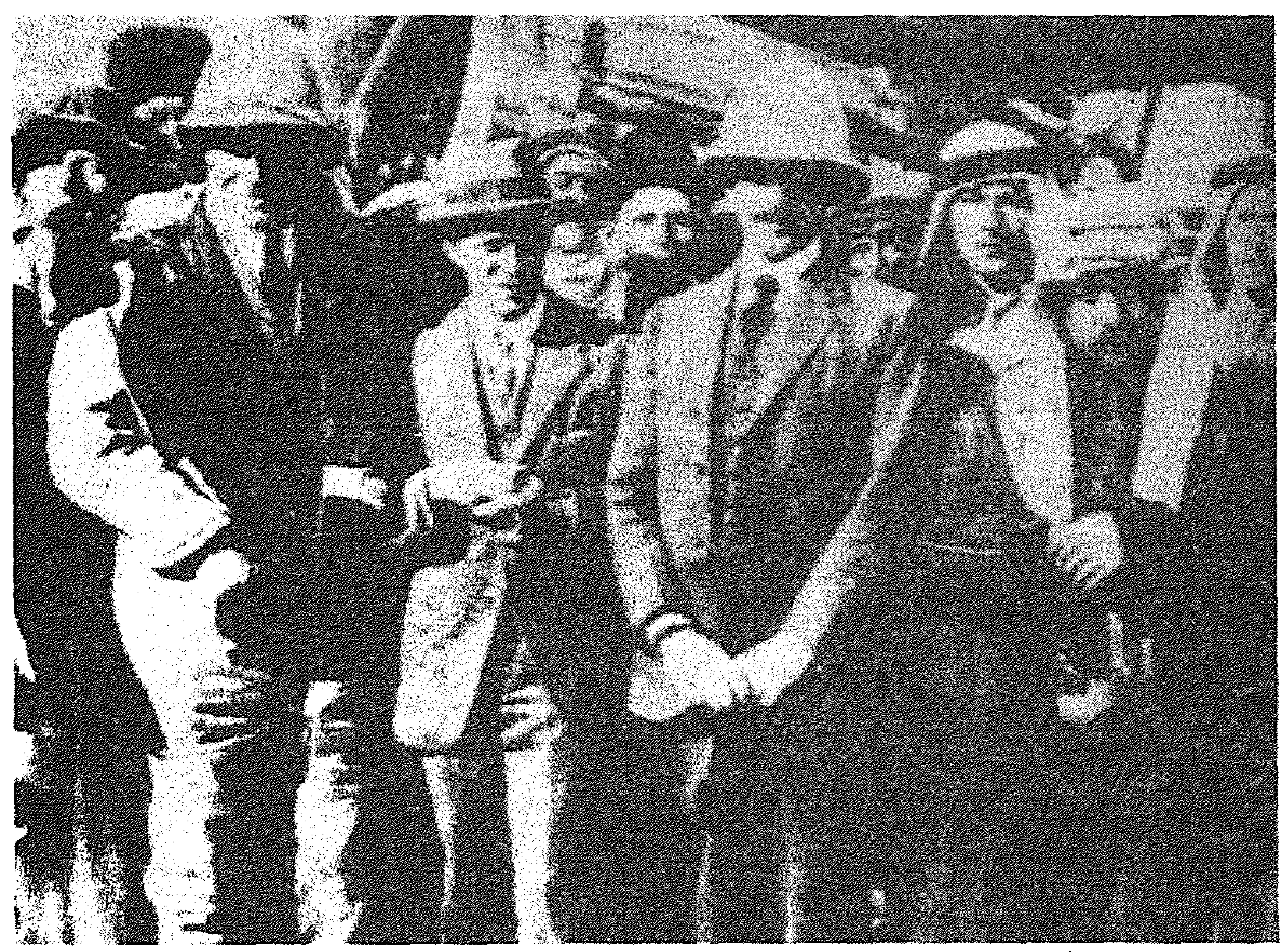
يضاف إلى ذلك أيضاً إبراز حقيقة أن محمد علي باحتلاله لفلسطين وسوريا إنما قدم الطريقة المثلى لاحتلالهما لاحقاً من قبل الإنكليز.(*)

«وهنا تصح الموازنة بين تقدم إبراهيم باشا في سوريا سنة 1832 وبين النصر الذي أحرزه اللنبي عام 1918. فقد بدأت الحملتان من مصر وكانت كلتاهما ترمي إلى طرد الأتراك من بلاد الشام. وقطع الجيشان في كلتا الحملتين سيناء إلى القسم الجنوبي من بلاد الشام حيث أنزلوا بالجيش المعادي هناك ضربة قاصمة جعلته يتقهقر. ثم زحفا شمالاً دون أن يلقيا مقاومة تذكر إلى دمشق فحمص فحماة فحلب. وكان يؤازرهما في ذلك السكان العرب مؤازرة فعالة. وفي الحالتين كان يسبق الزحف العسكري بشائر ووعود بالتحرر السياسي. وكانت جمهرة الناس قد ملأت نفوسهم آمال الحرية المرتقبة فأصبحوا حلفاء متحمسين للفاتحين يلقونهم أثناء زحفهم بالترحيب. وفي كلتا الحالتين خابت آمال الناس».

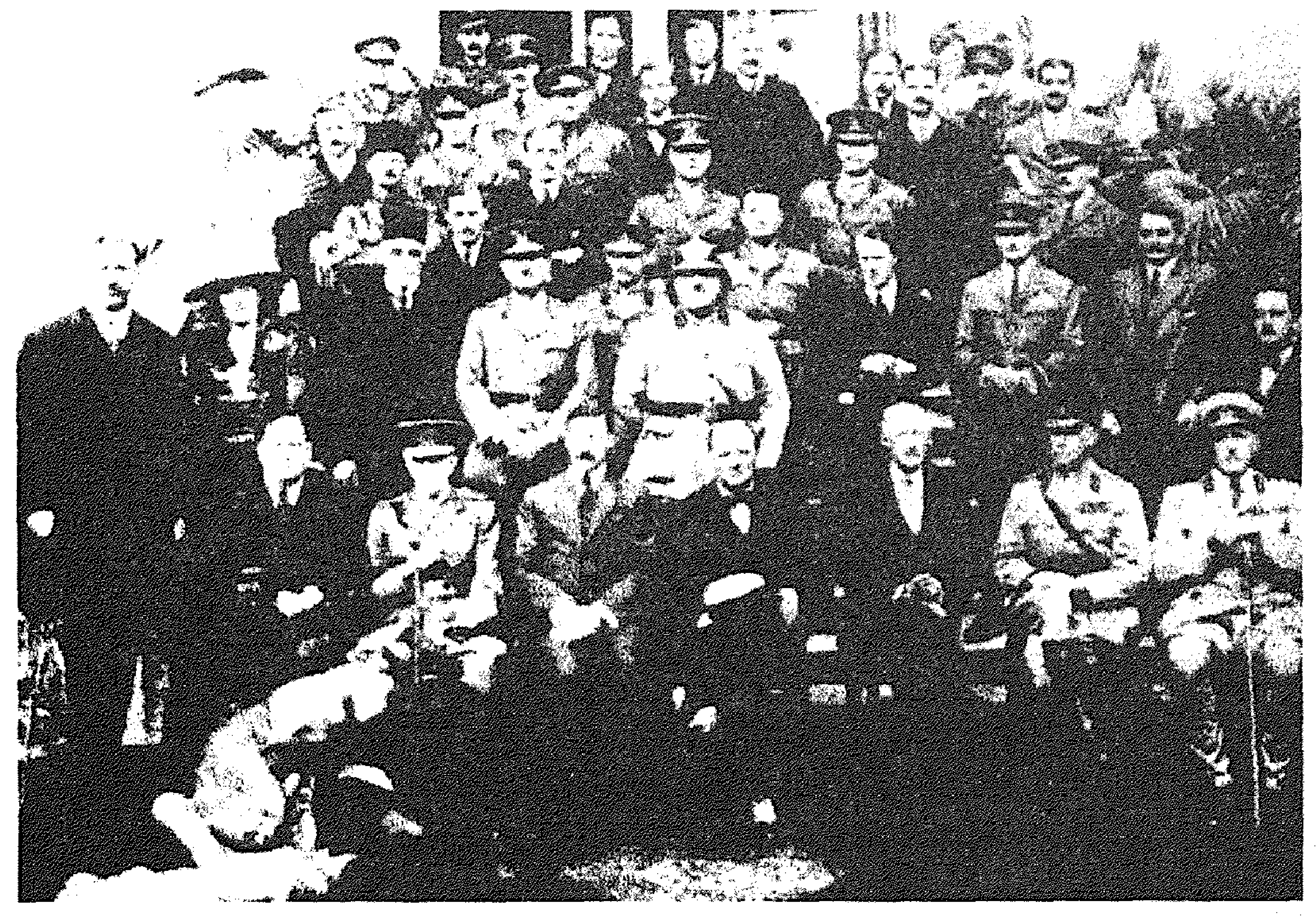
كما كتب أنطونيوس: «وأثار احتلال بيروت ودمشق وحلب وكل مدينة أخرى مشاهد متماثلة من البهجة والفرح كالتي استقبل بها المحررون في دمشق والقدس وارتفعت العواطف المستثارة بآمال الحرية السياسية إلى نوبة محمومة من السرور بالخلاص من الآلام التي ذهبت بحياة أكثر من 300 ألف شخص نتيجة سوء التغذية و100 ألف ذهبوا في الحرب».

وطالما أن الشيء بالشيء يذكر فإننا لابد أن نشير إلى نقاط التشابه بين الحملة الإسرائيلية على سيناء عام 1956 وبين الحملة الإسرائيلية الثانية عام 1967. فالحملة الأولى لم تكن إلا لاستكشاف الطريق الذي يمكن الجيش الإسرائيلي من احتلال جزيرة سيناء والوصول إلى قناة السويس بأسرع وقت ممكن برعاية ومساندة بريطانيا، حيث أصبح من الممكن لها في حرب حزيران أن تحتلها وحدها بكل سهولة ويسر.

(*) وهذا ما أوضحه جورج أنطونيوس في كتابه يقظة العرب ص88.

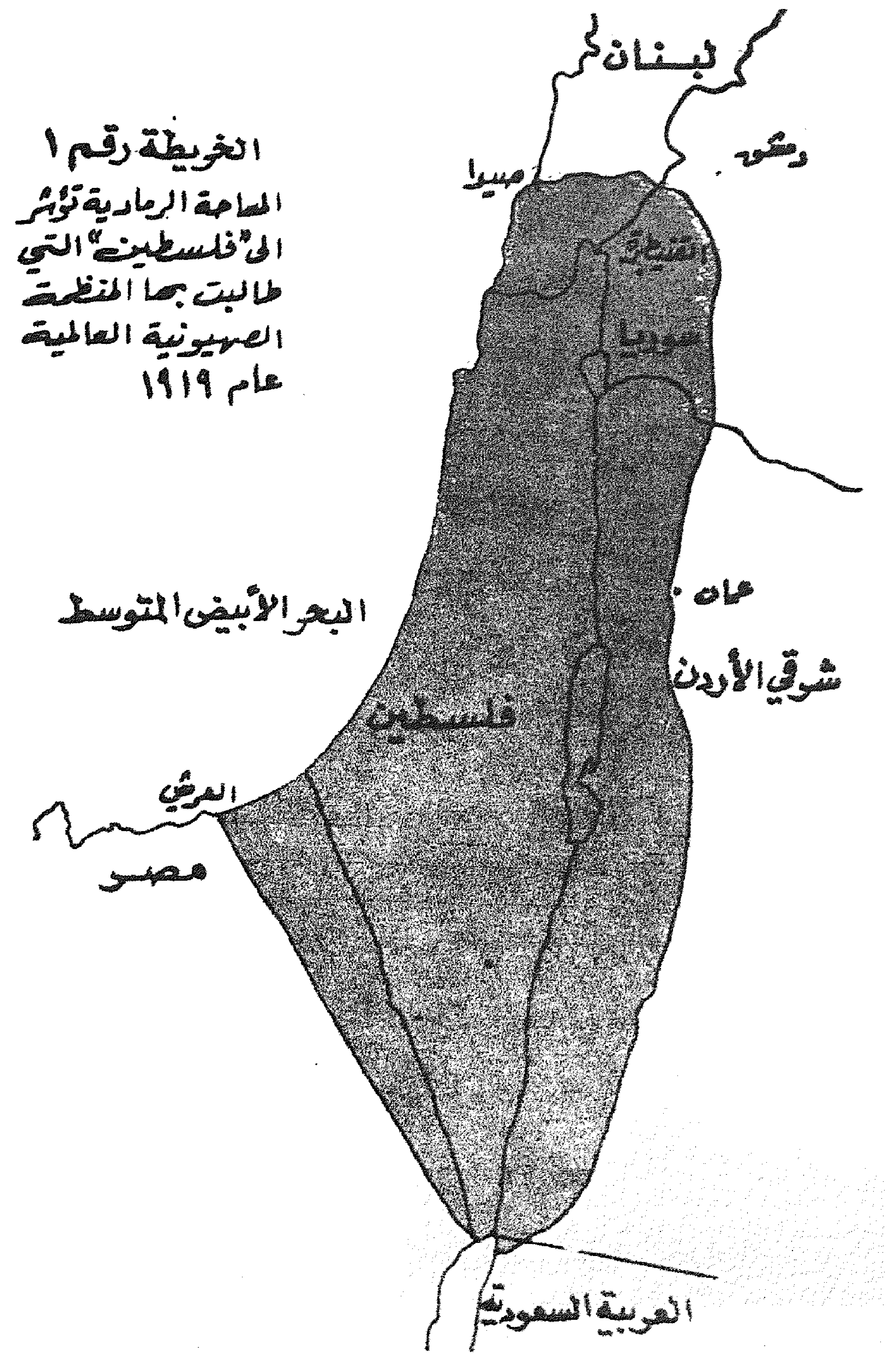


الأمير عبد الله مع هربرت صموئيل ولورنس العرب/ التقطت عام ١٩٢١



زعماء مؤامرة سايكس بيكو عام ١٩١٦

الباب الرابع
إشكالات الثورة العربية


الخريطة رقم ١
المساحة الرمادية تؤشر
الى "فلسطين" التي
طالبت بها المنظمة
الصهيونية العالمية
عام ١٩١٩
لبنان
دمشق
صيدا
القنيطرة
طبريا
عمان
شرقي الأردن
البحر الأبيض المتوسط
فلسطين
العريش
مصر
العربية السعودية

الفصل الأول

الثورة العربية الكبرى

أ ـ الجمعيات والنوادي والتجمعات والزعامات

بعد أن قضى محمد علي على أبرز القيادات والحركات التحررية في مصر والسعودية وفلسطين وسوريا وأعاد مصر إلى أقل من حجمها ووزنها بدأت تبرز هنا وهناك تجمعات ونواد أدبية وعلمية إضافة للزعامات المحلية باعتبار أنه لم يكن مسموحاً ظهور أحزاب ذات صبغة قومية أو وطنية، من أبرز تلك النوادي والجمعيات(*):

- ❖ حزب اللامركزية العثمانية الذي أعدم جمال باشا السفاح أغلب قادته عامي 1915 و1916
- ❖ جمعية العهد التي كان عزيز علي المصري من أبرز قياداتها.
- ❖ حزب الاتحاد السوري الذي تزعمه الشيخ كامل القصاب.
- ❖ اللجنة الوطنية للدفاع عن سوريا.
- ❖ جامعة الوطن العربي التي أسسها عبد الرحمن الكواكبي.
- ❖ الجمعية الوطنية العربية التي أسستها الجالية السورية في فرنسا عام 1895.
- ❖ المنتدى الأدبي
- ❖ الجمعية القحطانية.
- ❖ جمعية العربية الفتاة.
- ❖ حركة النهضة الإسلامية في النجف... وسواها من التجمعات الصغيرة.

يأبى بعض المؤرخين أمثال جورج أنطونيوس أن يذكروا إلا بعض الجمعيات الماسونية مثل العهد وسوريا الفتاة التي كان أحد مؤسسيها ليعطي لها ولنفسه دوراً في النهضة والثورة العربية لم تمارسه أو مارسته بطريقة خاطئة مما أعطى انطباعاً لدى الباحثين الإسلاميين أن من قاد وحرك الثورة العربية ضد العثمانيين إنما كان الماسونيين وعملاء فرنسا وإنكلترا وان حركة التحرر من الاستبداد العثماني كانت بتوجيه غربي وصهيوني للقضاء على الخلافة الإسلامية. متجاهلين أن من أنهى الخلافة الإسلامية لم يكن العرب

(*) الطورانية التركية. جهاد صالح

عام 1918 بل كمال أتاتورك عام 1926 وأن من أنهى حكم السلطان عبد الحميد الذي يجلونه كثيراً إنما كان الاتحاديون (جمعية الاتحاد والترقي) عام 1908 وذلك قبل أن تباشر هذه الجمعيات العربية أي نشاط معادي للسلطنة فإذا كان رجالات العهد والفتاة هم الذين تسلموا زعامة هذه البلاد بعد عام 1918 فليس ذلك بسبب أنهم هم الذين قادوا حركة التحرر القومي العربية. بل بسبب أن الاستعمار الإنكليزي لم يكن يسمح إلا لرجال الحركات الماسونية باستلام المناصب الحساسة في الدول التي وقعت تحت الاحتلال الإنكليزي بعد ان أقصوا أو نفوا أو حكموا بالإعدام على جميع معارضيهم من رجال الحركات القومية والوطنية الشريفة، أمثال **كامل القصاب وعزيز علي المصري وعبد الرحمن الشهبندر وطه الهاشمي وكامل النقيب** ليتركوا المجال لأمثال نوري السعيد والملك فيصل ورجالاتهم فقط، لأن يتسلموا زمام الأمور في البلاد التي خضعت لحكمهم.

لا أحد ينكر الدور الذي قامت به بعض الجمعيات الماسونية في دفع الأمور نحو الثورة في الوقت غير المناسب لذلك من الخطأ أن نعزو لهم أي دور في حركة اليقظة القومية العربية. ولا يمكن أن نتهم الشخصيات الوطنية التي أعدمت بالعمالة للصهيونية والاستعمار ولا أن نتهم الشخصيات الوطنية التي حكم عليها بالنفي أو الإعدام أمثال كامل القصاب وعزيز المصري وعبد الرحمن الشهبندر والكواكبي ومئات الشهداء والذين أعدمهم جمال باشا بتهمة العمالة للاستعمار والصهيونية.

من الملفت للنظر أن من أعدمهم جمال باشا من رجالات النهضة العربية إنما كانوا من حزب اللامركزية ومن الأحرار والشرفاء المعادين لبريطانيا وفرنسا وأصدقاء السلطنة بمؤامرة اشتركت فيها السفارة الفرنسية في بيروت في حين أنه أبقى على حياة عملاء الماسونية والإنكليز والفرنسيين ولم يقترب من أي واحد منهم بل على العكس ترك لهم المجال ليتسلموا زمام الأمور أثناء الحرب وبعدها.

من الذي يصدق أن الاتحاديين وجمال باشا (الماسونيين والصهاينة) لم يكونوا على إطلاع على تحركات الملك فيصل وأخيه عبد الله المشبوهة مع الإنكليز لماذا إذن تركوهم ينشطون ويتحركون بحرية ولم يقوموا باعتقالهم؟!!

الأمر ذاته مورس فيما بعد على كثير من القيادات الفلسطينية والعراقية التي أعدمت أو اغتيلت في حين بقي القادة المتعاونين مع الصهاينة أحياء ومتنفذون.

ب ـ دور القادة العرب في احتلال الإنكليز لبلادهم

مما لا شك فيه أن سواد الشعب العربي لم يكن متحمساً لفكرة الانفصال عن الدولة العثمانية كما يرى محمد عزة دروزة وهذا «يعود لأسباب عدة أهمها قوة الرابطة الدينية التي تربطهم بالأتراك المسلمين وتآلفهم مع هذه العلاقة طيلة 400 سنة. وتشكل طبقة من الموظفين والمستفيدين من الحكم التركي».

يتجاهل دروزة وغيره وجود فئات واعية وطنية وشريفة معادية للإنكليز واليهود تدرك

الهدف الذي يخططون له من خلف الإنكليز وأخطاره على مستقبلهم، ويعرفون أطماعهم في هذا الوطن وما جره احتلال مصر وحواف الجزيرة العربية عليهم. كما أن قسماً كبيراً من هؤلاء كانوا يدركون الخطر الصهيوني الخفي والقابع خلف الإنكليز بصورة جيدة ومتابعين للتحركات التي كان يقوم بها هرتزل ووايزمن من اجل إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وأبرز هؤلاء المفكرين والقادة عزيز المصري ونجيب العازوري الذي كشف في كتابه يقظة الأمة العربية في عام 1905 أن الخطر القادم على المنطقة إنما يأتي من الصهاينة وليس من الإنكليز والفرنسيين الذين سيكون وجودهم عابراً في المنطقة وقال أنه لامكان في هذه المنطقة إلا لإحدى حركتين حركة القومية العربية أو الحركة الصهيونية.

وهنا نسأل، إذا كان كثير من القادة والمفكرين العرب يدركون الخطر الصهيوني على بلادهم منذ بداية القرن الماضي وإذا كان الشريف حسين كما يرى بعض المفكرين رجلاً ذكياً وطموحاً فهل يعقل أنه لم يكن يدرك الأهداف الصهيونية الكامنة وراء التحرك الإنكليزي لطرد العثمانيين من بلاد الشام؟! فإذا كان قد تحالف مع الإنكليز وقدم لهم الضمانات اللازمة لانتصارهم على الأتراك في بلاد الشام ألم يكن يدرك منذ البداية الغاية البعيدة للصهاينة والتي يرمون إليها بعد القضاء على الدولة العثمانية وتفتيتها. وهو الرجل الذكي الذي كان يعيش مع أولاده في الأستانة حيث كان على إطلاع جيد على المؤامرات الصهيونية التي تحاك هناك؟ من قبل هرتزل ووايزمن، وحتى بعد أن علم باتفاق سايكس بيكو ووعد بلفور فقد استمر على التعاون معهم وتقديم التسهيلات لهم.

يقلل الكثير من الكتاب والباحثين من الدور الذي قام به العرب في هزيمة الأتراك فهناك من يرى أن الحلفاء الذين هزموا ألمانيا وحلفاءها كانوا قادرين على هزيمة الأتراك واحتلال سوريا حتى لو لم يساعدهم العرب (مع أن الكثيرين يعرفون أنه لولا دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء بضغط من الصهاينة بزعامة برانديس لما كان للحلفاء أن ينتصروا على الأتراك والألمان).

ولذلك فإن هؤلاء الكتاب والباحثون قللوا كثيراً من الدور الذي لعبه العرب في إسقاط الدولة العثمانية وفي احتلال الإنكليز لبلادهم وإقامة دولة إسرائيل لاحقاً على أرضهم وزعموا أن لورنس كان مدعياً وكاذباً عندما أعطى لنفسه دوراً حاسماً في قيادة حرب العصابات التي شنها البدو والعربان ضد الخطوط الخلفية للاتراك على طريق الحجاز ومعان والعقبة وبادية الشام مع انه كان من اهم عوامل هزيمة الأتراك(*). ومهما كان للثورة العربية من جهد فإنه لا يمكن المكابرة في أنها لم تكن حاسمة التأثير في هزيمة الأتراك.

والحقيقة التي لا مراء فيها أنه لولا مشاركة الشريف حسين وقواته وتقديمهم أكثر من مائة ألف شهيد في هذه الحرب ولولا الدور الخطير الذي قام به لورنس في الهجوم على خطوط الإمداد التركية لما تمكن الإنكليز من تحقيق ذلك النصر الكاسح والسريع على

(*) دروزة، محمد عزة. مذكرات ص272

الأتراك. في الوقت ذاته لا يمكننا أن نبرئ ساحة الاتحاديين الأتراك وتحملهم مسؤولية الهزيمة التي لحقت بهم، بدءاً من هجومهم على القنال ومروراً بالقمع الذي مارسه جمال باشا (حيث تشير كثير من الوثائق إنه كان متعاملاً مع الفرنسيين واليهود) وكان موعوداً بتسلم حكم بلاد الشام، ولا نستطيع تجاهل عمليات الإعدام غير المبررة التي قام بها عام 1915 و1916 بخيرة المناضلين العرب الشرفاء مما ألب الجماهير العربية على الأتراك وكان ذلك سبباً في تعاطفهم مع الشريف حسين وأولاده والإنكليز وسبباً في هزيمة العثمانيين.

لورنس...:

من المفيد أن يتعرف القراء على حقيقة هذه الشخصية الداهية والذي لم يكن إلا عميلاً مأجوراً للمخابرات البريطانية، يقول زهدي الفاتح(*) لم يكن لورنس سوى مجرد أجير لدى هوجارت، جنده ليعمل في الجزيرة العربية بصفته عالم آثار ومنقباً عنها.

(وحين أصيب في أحد الحوادث وأصبح وضعه سيئاً في القاهرة اضطر للعمل مع الصهاينة).

وقد كتب في إحدى رسائله إلى صديقته شارلوت (**لقد شعر بأن خطه العام هو نفسه خط هرتزل ..**) وقال في إحدى رسائله: «**إنه إذا ازداد التأزم في الدولة العثمانية وانتهى إلى حد يقضي بتقسيمها في المؤتمر الأوروبي فقد نتمكن من اخذ قطعة أرض لأنفسنا**».

ومعروف للجميع قوله «الأفضل لنا أن ننتصر وننكث بوعودنا من أن ننكسر في الحرب».

وقوله: «**بدون وقوف العرب إلى جانبنا فإنه ما كان لنا أن نحقق ذلك النصر السريع والسهل وبالثمن البخس لذلك اضطررت إلى الكذب على العرب مع أنني كنت أعرف مسبقاً أنه لن يتم تنفيذ أي وعد لهم**»

وكتب وايزمن عن لورنس: «**لقد وجدت عند لورنس تفهماً عاطفيا لمطالب اليهود في فلسطين أكثر مما هو موجود لدى أي شخص آخر**».

وإلا كيف كان يقبل على نفسه أن ينبطح على بطنه ويتناول الطعام كما يفعل البدو.. ويظل لأسابيع دون استحمام؟!!

رفض الأتراك حتى بعد اكتشاف مؤامرة جمال باشا السفاح وإزاحته عن الحكم واستبداله بقائد آخر اسمه جمال أن يقدموا للعرب ضمانات حقيقية في الاستقلال ضمن مشروع اللامركزية.

أدرك كثير من الكتاب والقادة «أن الحرب كانت قد أنهكت قوى الحلفاء وأنهم

(*) الفاتح، زهدي (لورنس على خطى هرتزل) ص35

(الإنكليز) لم يكونوا ليقدموا على عمليات حربية ضد قوى عربية»[**]. فلو قرروا القتال لحققوا غاياتهم بأقل كلفة ممكنة، لكن للأسف الشديد فإن هؤلاء القادة العرب وافقوا بكل سهولة على حل القوات والميلشيات المسلحة بعد الاحتلال الإنكليزي لبلادهم ووثقوا بالوعود التي قدمها الإنكليز لهم، مما جعلهم فريسة سهلة للإنكليز والصهاينة.

«إن فصائل الثورة التي دخلت الشام تحت لواء فيصل لم تلبث أن انحلت ولم يبق منها إلا بضع عشرات من الحجازيين والفصائل المتطوعة الجديدة التي لم تتجاوز الآلاف القليلة ولم يكن لديها من السلاح والعتاد ما يساعدها على أي عمل حربي أو ثوري ضد الإنكليز والفرنسيين التي كانت تحتل بلاد الشام»[*] وهكذا يكون القادة العرب قد قدموا بأيديهم للإنكليز ما يلزمهم لإحكام قبضتهم على الوطن العربي من اجل تنفيذ ما اتفقوا عليه في اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور.

ج ـ حقيقة الشريف حسين وأولاده

ثمة مؤشرات ودلائل تشير إلى أن الشريف حسين وأولاده كانوا ضليعين في المؤامرة الصهيونية الرامية إلى احتلال الوطن العربي وتقسيمه وخلق وطن قومي لليهود فيه.

بينما يذهب البعض أمثال أنطونيوس ودروزة إلى الزعم بأن الحسين وأبناؤه قد تم الغدر بهم والضحك عليهم. مع أن كثيراً من الحقائق والوثائق تثبت ان الشريف وأبناؤه كانوا عارفين ببواطن الأمور.

يزعم بعض المؤرخين أن من أجبر الاتحاديين على تعيين الحسين والياً على مكة هو كونه من الأشراف الذين كانت هذه الولاية مقتصرة عليهم طوال الوقت باعتبارهم من سلالة النبي محمد، والحقيقة كما يذكر أنيس صايغ في كتابه (الهاشميون والثورة العربية) «إلى ان آل الحسين ينتمون إلى آل عون الذين كانوا يتنافسون بين بعضهم بعضا مع آل سعود ومع الوهابيين على هذه الولاية وان الوهابيين هم الذين كانوا أقدر على حكم مكة». فلماذا عين الاتحاديون (الماسونيون) الشريف حسين؟!! الجواب نجده عند أنيس صايغ: لقد استطاع محمد علي باشا أن يعزل عبد المطلب أمير بني زيد الذين كانوا يحكمون مكة وأن يعين بدلاً منه رجلاً مغموراً كان يعمل خادماً عند أخت عبد المطلب «حزيمة» اسمه محمد بن عون مما ألب جميع القبائل عليه وجعل الجميع يطمعون في إزاحته للوصول إليها وكان الحسين هذا مجرد رجل مغمور تلقفه الاتحاديون ونقلوه إلى الأستانة وعينوا أولاده فيصل وعبد الله ممثلين عن الحجاز في مجلس المبعوثان ويذكر دروزة [*] أن الشيخ كامل القصاب وهو رجل دين تقي وورع كان يحفظ القرآن، ومن ذوي الروح العربية القومية، على الرغم من انتسابه لجمعية الفتاة كان قد اختلف مع الحسين بعد أن ذهب مع

(**) ص275 مذكرات محمد عز دروزة.

(*) ص275 مذكرات محمد عزة دروزة.

(*) محمد عزة دروزة المذكرات ص235. ص236

وفد سوري إلى مكة لمقابلته.

يقول دروزة «لأن ذهنية الحسين وذهنيتهم لم تنسجم» لذلك فإنهم بعد عودتهم أسسوا حزباً لأجل استقلال سوريا خارج نطاق سلطان حسين (وكان في هذا الحزب مسلمون ومسيحيون) وكما يقول دروزة «**لما دخل فيصل دمشق مع رجاله مع الكتائب الإنكليزية اختلفوا معه .. ولقد جرت محاولات توفيق بينهم وبين فيصل كانت تنجح مرة وتتعثر مرة ولما التقى مع عبد الله اختلف معه أيضاً ومع أبيه حسين ولذلك فلقد وثق صلاته بالملك عبد العزيز آل سعود وأصبح بمثابة وكيل له في فلسطين وواسطة بينه وبين رجال الحركة العربية والفلسطينية**».

ويعرف الجميع أن الأستانة كانت في ذلك الوقت مسرحاً للمؤامرات الدولية التي كان الإنكليز والصهاينة يحيكونها هناك وعندما قام الماسونيون الأتراك (الاتحاد والترقي) عام 1908 بإزاحة السلطان عبد الحميد كان أول إجراء قاموا به هو عزل محمد بن عون وتعيين الحسين والياً على مكة بدلاً منه.

كان الجميع يعرفون أن هذا الحسين كان يحقد على جميع الامراء الآخرين المالكين فعلاً للجزيرة العربية والذين كانوا أقوى منه جاهاً وحسباً وديناً مثل ابن سعود في نجد. ويحيى في اليمن وابن رشيد في حائل والإدريسي في عسير واليزيديين في الحجاز ولذلك استغلوا طمعه في الولاية من أجل أن ينفذ لهم أغراضهم في الحجاز وسوريا».

ويذكر أنيس صايغ(*) «أن الاتحاديين قرروا تعيين علي حيدر شريفاً، على مكة غير أن السفير البريطاني اليهودي في الأستانة كان له دور كبير في تغيير القرار وتعيين حسين بدلاً عنه».

ويتساءل أنيس صايغ عن الأسباب التي جعلت هذا الحسين موضع ثقة من قبل رجال الثورة العربية؟؟ مع انه لم يعرف لا عنه ولا عن أي من أبنائه أو أجداده أي اهتمام بالقضية العربية والإسلامية أو أي اشتراك في الجهاد.

كما يقول صايغ «لم يتوفر لدينا حتى الآن أي دليل على ان العائلة قاومت أي إجراء أو مشروع تقدم به الصهاينة سواء عندما كانوا في الأستانة أو في مكة أو سوريا أو العراق... وسواء في التفاوض مع الإنكليز أو مع الفرنسيين أو في مؤتمر باريس أو سان ريمو، بل أنهم على العكس تماماً قدموا كل التسهيلات والتغطية اللازمة. يذكر ج. هـ جانسن(**) - أنه في المؤتمر الأنكلوفرنسي الذي عقد في لندن 23 ك1 1919 لبحث الحدود بين الطرفين فإن المندوب الفرنسي برتيلو اقترح أن يخصص للصهيونيين ثلث الطاقة المائية من نهر الأردن (مما يشير إلى أن المحادثات هنا كانت تتم وجهاً لوجه بين الصهيونيين والفرنسيين)، لكن ليرزون الذي كان يفاوض عن الجانب البريطاني قال محذراً

(*) د. أنيس صايغ ص32 كتاب (الهاشميون والثورة العربي).

(**) ج.هـ جانسن الصهيونية وآسيا ص114

فرنسا بأن الصهيونيين الذين يصرون على حدود شمالية جيدة يصعب التعامل معهم. ومن المحتمل أن يثيروا المتاعب للفرنسيين بتدبير ما مع الأمير فيصل.. ثم استرسل ليرزون: «من الضروري سد حاجات الاستعمار اليهودي في المستقبل وليس فقط سد متطلبات المستوطنات اليهودية الحالية». مما يؤكد أن فيصل كان متعاوناً مع الصهاينة، كانوا يحركونه وقتما يشاءون ضد الفرنسيين والعرب.

وكان فيصل مقتنعاً بالمشروع الصهيوني كما قال في إحدى رسائله: «**أن اليهود سوف يحولون فلسطين إلى دولة منظمة كأنها أوروبية باستخدام مهاراتهم لرفع مستوى السكان العرب**».

ومما قاله فيصل لمطران القدس الذي رفض استقبال وايزمن «إن هذا الرجل عظيم لا تستحق أنت، ولا أستحق أنا أن نمسح حذاءه»(*).

ومما تذكره غيرترود بيل في مذكراتها عن فيصل أنه كتب رسالة إلى فليكس فرانكفورتر رئيس الوفد الصهيوني الأمريكي في مؤتمر الصلح قال فيها ما يلي:

«نشعر أن العرب واليهود هم أبناء عمومة. وقد عانينا الظلم نفسه والاضطهاد على أيدي قوى أكبر منا. فنحن العرب خصوصاً المتعلمين منا ننظر بأشد التعاطف إلى الحركة الصهيونية ولسوف نتمنى لليهود أن يتلقوا ترحيبا قلبيا حارا هنا... إن الناس الأقل معرفة ودراية وأقل مسؤولية مقارنة بزعمائنا وزعمائكم أوالذين يتجاهلون الحاجة لتعاون العرب والصهاينة حاولوا استغلال المصاعب المحلية التي لابد أن تظهر في فلسطين في المراحل المبكرة من تحركاتنا»(**).

كما أن ما هو معروف للجميع، بإن فيصل عندما عقد مؤتمر الصلح في باريس قاده لورنس إلى لندن حيث رتب لقاءاً خاصاً بينه وبين وايزمن ووقع الاتفاق المعروف باتفاق فيصل - وايزمن بتاريخ 3 كانون الثاني 1919 والذي ينص على العمل بأقصى سرعة ممكنة من أجل تسريع وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين من أجل تنفيذ الوعد الذي قطعته الحكومة البريطانية على نفسها أي وعد بلفور القاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

ولورنس هذا، بعد أن جعل فيصل يوقع على الاتفاق مع وايزمن قاده إلى مؤتمر الصلح ليقف مع الإنكليز واليهود في مواجهة الفرنسيين الذين كانوا يتشددون في مسألة حدود الانتداب مما أعطى انطباعاً بأن العرب وقادتهم يوافقون على المشروع الصهيوني وعلى مطالب اليهود وهو ما أدهش الفرنسيين وجعلهم يرضخون للمطالب الإنكليزية والصهيونية.

(*) ص190 أنيس صايغ.

(**) ص92 مجلة الجيل العدد2 فبراير 2003.

وقد كتب الكابتن بل (عضو المؤتمر الصهيوني الأمريكي للسلام) أنه عندما عرض على الأمير فيصل مشروع إقامة الدولة اليهودية تحت الانتداب البريطاني وافق من كل قلبه على المشروع، وقال «أن المشروع يعطي للعرب أكثر مما كان يتمناه، أو مما يمكن أن يحصل هو عليه لهم».

يذكر خيري حماد(*) «أن الملك فيصل بعد أن عين ملكاً على العراق وافق على اقتراح صهيوني يقضي بقبول مائة ألف يهودي في دجلة الأسفل».

و يذكر سوسة في الصفحة ذاتها أن الملك فيصل عين في عام 1921 ساسون حزقييل اليهودي الصهيوني وزيراً للمالية. وان حزقييل هذا ظل وزيرا للمالية في جميع الوزارات العراقية المتعاقبة وكان لليهود مقاعد دائمة في مجلس الأعيان والنواب.

أما الأمير عبد الله ذاك الرجل الأرعن الذي نفاه والده أو طرده إلى الطائف (ص214 صايغ) لسوء سلوكه وتدبيره ولخضوعه لرجال السوء الذين كانوا حوله «فقد بدأ يتودد إلى الإنكليز ويبدي لهم الاستعداد لفعل أي شيء مقابل أن يعطوه ملكاً، ولذلك فلقد وافق أن يكون فيصل ملكاً على العراق وعلى انتداب فرنسا على سورية ولبنان، وعلى وعد بلفور، وعلى تعيين هربرت صموئيل اليهودي مندوباً سامياً على فلسطين، بدون أي قيد أو شرط خلال لقاء أجراه معه لورنس، لم تتجاوز مدته ربع ساعة. مقابل أن ينال عرش الأردن مع مساعدة مالية سنوية تقارب 180 ألف جنيه».

في هذا المجال من المفيد أن نذكر القراء بأن المؤتمر السوري الأول الذي عقد في دمشق بدعوة وبتنظيم جمعية الفتاة بدمشق، اتخذ مجموعة من القرارات استخدمها اليهود والإنكليز كوثائق ضد فرنسا لإجبارها على تغيير خارطة اتفاقية سايكس - بيكو لمصلحة توسيع حدود الدولة اليهودية المرتقبة.

فقد ذكر أنطونيوس(**). أن من ضمن قرارات هذا المؤتمر بند أساسي ينص على إلغاء اتفاقية سايكس بيكو، وقرار آخر يرفض المعونة الفرنسية بأي شكل جاءت.

«إننا لا نعترف بأي حق تدعيه فرنسا في أي بقعة كانت، ونرفض أن يكون لها مساعدة أو يد في بلادنا بأي حال من الأحوال»

وقد رأى المؤتمرون (أن المبادئ الشريفة التي صرح بها الرئيس ولسون تجعلنا واثقين كل الثقة في ان رغباتنا ستكون هي الحكم القطعي في تقرير مصيرنا، وبأن الرئيس ولسون والشعب الأمريكي سيكونون لنا عوناً، فيثبتون للعالم صدق مبادئهم السامية وغاياتهم الشريفة نحو البشرية بشكل عام ونحو شعبنا العربي بنوع خاص).

لو كان لدى المؤتمرين ذرة من الإدراك السياسي، لعرفوا أولاً أن مؤتمرهم هذا

(*) خيري حماد (عن الثورة العربية) ص682 نقلاً عن احمد سوسة

(**) أنطونيوس ص406 (يقظة العرب)

وقراراتهم تلك كانت مطلباً يهودياً صهيونياً للضغط على فرنسا للتنازل عن الحدود المتفق عليها في سايكس بيكو ولعرفوا أيضا أن ويلسون الذي وثقوا به وبشعبه لم يكن سوى ألعوبة بيد اليهودي الصهيوني البارز «لويس برانديس» و «هنري مورجنتاو». وأن مبادئ ويلسون التي أطلقها لم تكن إلا وسيلة لمجابهة مبادئ الثورة الروسية والشعارات التي أطلقها لينين لشعوب العالم الإسلامي للثورة على الاستعمار بكل أشكاله!!؟.

هل كان ومازال بوسع العرب أن يحققوا الاستقلال والحرية؟؟!

أعود هنا لأكرر ما سبق أن ذكرناه، أن المسألة التي نعالجها ليست مسألة نظرية يمكن تأجيلها بل مسألة عملية وراهنة وملحة وتتطلب اتخاذ رؤى ومواقف وقرارات سريعة وحاسمة بأسرع ما يمكن وبدون أي تأجيل.

القصة نفسها تتكرر. وبعد هزيمة الظاهر عمر في عكا على يد الجيش العثماني، مارس ولاة الأمر من الأتراك وعملائهم أشد أنواع الظلم والاستعباد ضد بلاد الشام والسعودية.. وما ان جاء عام 1800 حتى كان الوضع قد وصل إلى درجة الانفجار، فكان لابد من حل فبدلاً من أن يثور الفلسطينيون والسوريون والسعوديون والوهابيون جاء محمد علي باشا ليحررهم من الأتراك حيث استقبله السوريون (الفلسطينيون طبعاً جزء منهم) بالترحاب والتهليل ولهذا فإن جيوش إبراهيم باشا لم تلق أية مقاومة تذكر في احتلال بلاد الشام حتى أنه وجد أبواب أسطنبول مفتوحة أمامه. لكنه بعد أن احتل بلاد الشام من العثمانيين عاد لينكل بالسكان بطريقة أسوأ مما مارسه العثمانيون مما جعلهم يثورون ضده ويهزمونه ثانية ويخرجونه بالتعاون مع العثمانيين من بلادهم.

والقصة نفسها تكررت عام 1916 حيث وصل ظلم جمال باشا للسوريين حداً لم يعد من الممكن احتماله.

فكان لابد من الانفجار، عندها أسرع الشريف حسين وابنه فيصل بإعلان الثورة لتحرير السوريين والفلسطينيين من ظلم الأتراك وبطشهم، ولقد استقبل هؤلاء قوات الجنرال اللنبي والأمير فيصل بالترحاب ذاته الذي استقبلوا به قوات إبراهيم باشا قبل مائة سنة.

والقصة ذاتها تتكرر بعد حوالي مائة سنة في العراق مما يشير إلى أن عمليات البطش والظلم والاستبداد والاستعباد التي قام بها صدام هي أمور كان لابد منها لتقبل الغازي الأجنبي حتى ولو كان صهيونياً للإطاحة بالظالم المستبد. ولابد لهذه الإجراءات الوحشية أن تتزايد خاصة في الفترة التي تسبق الغزو الأجنبي.

هنا تبرز مشروعية البحث عن السبل الكفيلة بتحرير العرب من ظلم الحكام الطغاة، ومن الحكم الأجنبي المباشر أو غير المباشر في ذات الوقت دون أن يعطى المجال للقوى الخارجية لأن تتحكم بهم.

يستطيع المراقب أو الباحث أن يلاحظ في مثل هذه الأوضاع الجديدة القديمة، ثلاثة تيارات رئيسية: تيار أول مؤيد للقوى الحاكمة القديمة، وتيار ثان مؤيد للقوى الخارجية التي تريد أن تحكم، وتيار ثالث يقف ضد القوتين يريد أن يستقل بحكم البلاد بعيداً عن الطرفين.

من الملاحظ أن (الكتلة الكبيرة والواسعة من الجماهير في الوطن العربي، كما هو الحال في جميع أنحاء العالم لا تتخذ من هذه التيارات موقفاً نهائياً أو حاسماً وأن الذي يحسم الأمور هي القوى الفاعلة المؤلفة من النخب السياسية و المثقفة والنشيطة التي تتلقى دعماً مالياً أوسياسياً أو عسكريا من القوى الأجنبية أو من التنظيم المحلي الذي أنشأته. وأن من كان يحسم الأمور ومازال، لم يكن دائماً هو من يمتلك جماهيرية واسعة ولم يكن دائماً من كان على حق، بل على العكس تماماً، كان غالباً الطرف الأضعف سياسياً وجماهيرياً، لكنه كان يمتلك القوة والقدرة على المناورة والكذب والخداع واستعمال البطش العسكري والبوليسي والمالي مستعيناً بالدعم الخارجي).

من المؤسف أن كثيراً من المنظرين يطرحون الأمور كما لو انه لم يكن وليس أمام الشعوب إلا اتباع أحد خيارين إما الخضوع للقوى الحاكمة القديمة المستبدة وإما الخضوع للقوى الجديدة المحتلة. مع أن تاريخ بلدان كثيرة في العالم، تقدم لنا تجربة ثالثة تمثلت في بروز تيار وطني محلي استطاع أن يحكم البلد بنفسه واقرب مثال على ذلك هو تركيا ذاتها على الرغم من أنها كانت المقهورة في الحرب إلا أنها لم تسمح للقوات الأجنبية أن تحتل بلادها مثلما فعل العرب.

لعل ما يميز الوطن العربي عن سائر أقطار الدنيا وشعبه عن سائر شعوب الأرض هو أن الاستعمار قد انتهى وزال أو في طريقه إلى الزوال إلا في الوطن العربي، حيث لم يخرج من بلادنا إلا بعد أن غرس استعماراً أشد وأنكى.

فالاحتلال الطوراني التركي الاتحادي الماسوني أبى أن يترك بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية إلا بعد أن سلمها للاستعمار الغربي، الذي أبى أن يترك بلادنا إلا بعد أن أرسى دعائم الاستعمار الصهيوني المتمثل بإسرائيل، التي ستعيدنا إلى عبودية أشد وأدهى من عبودية الأتراك.

إن تركيا بلد صغير جداً بعدد سكانه ومساحته بالقياس إلى الوطن العربي، إلا أنه استطاع باسم الإسلام أن يحكم هذا الوطن الكبير أربعمائة سنة وبأقذر الوسائل وأقساها لذلك، فإن إمكانية أن يتحقق حكم هذا الوطن من قبل إسرائيل بوسائل أرق وألطف وذات بريق أخاذ تحت شعار السلام والتنمية والرفاه وبناء شرق أوسط جديد تعيش شعوبه دون حروب. بإخاء وتعاون هو احتمال قائم يؤيده كثير من القادة والمنظرين، بل ويلقى القبول والتأييد العلني والرسمي كما يلقى اللامبالاة من غالبية الجماهير الغائبة والمغيبة مثلما حصل عندما احتلت بلادنا من قبل الإنكليز ونصبت عملاءها علناً. وهنا

تكمن أعظم المصائب.. أن نكون ونصبح عبيداً على أرضنا دون أن ندرك أننا عبيد ودون ان نقدر على القيام بفعل أي شيء. في الوقت الذي نمتلك فيه جميع الإمكانيات لتغيير الواقع واستغلال مواردنا الاقتصادية والبشرية والروحية والفكرية التي تجعل منا ومن بلادنا أغنى وأرقى من جميع بلدان العالم.

عطالة جماهيرية أم عمالة!!؟

يزعم دروزة في مذكراته ص277 **«أن الوحدة الدينية الإسلامية جعلت العرب خلال قرون طويلة مندمجين في جو الدولة العثمانية المسلمة ومطمئنين إليها. مما جعلها ترى في الدعوة القومية العربية بدعة مؤدية إلى إضعاف الوحدة الدينية وهدمها».**

ثم يقول في مكان آخر ص232 في معرض رده على أنيس صايغ **«كيف يمكن الاتصال بالشعب وإثارته على الدولة العثمانية. لاسيما أن الشعب كان ضعيف الوعي وكان الإسلام قد جعله يستنيم لحكم الأتراك وخلافتهم».**

ثم يقول في مكان آخر «لو كانت الأمة العربية أكثر حيوية وأصلب عوداً وأكثر نضوجاً وأقوى بنية. لكانت تلك الوعود والعهود التي قطعت لهم كفيلة بأن تحقق لهم ما كانوا يأملون. فلقد كان وعد بلفور أضعف بما لا يقاس من وعود الإنكليز للعرب. وكان مجرد قصاصة ورق هزيلة لا تساوي شيء».

الكثير من المفكرين والسياسيين والمؤرخين يقفون الموقف ذاته من الجماهير العربية، فغالبيتهم تحمل ضعف الوعي السياسي للجماهير وركونها إلى الشعارات التي يرفعها الحكام باسم العروبة أو الإسلام أو الوحدة الإسلامية مسؤولية ما أصاب هذه الأمة وهذه البلاد ومايزال يصيبها من خراب ودمار. مع العلم أن من يتحمل مسؤولية هذا الخراب والدمار وضعف الوعي السياسي والبنية الداخلية هي النخب السياسية والمثقفة والقيادات الحزبية والجماهيرية، فإذا كانت الجماهير العربية ترى في الدعوة القومية بدعة تضعف الوحدة الدينية فكيف تم القضاء إذن على تلك الوحدة الدينية والقضاء على الدولة العثمانية والانتقال إلى الدولة القومية بتلك البساطة إذا كانت الجماهير تعارض آنذاك الحركة القومية؟؟ كيف استطاعت هذه الحركة السيطرة على البلاد؟

من المؤكد أن من جعل الحركة القومية تنتصر ليست الجماهير المعارضة للفكرة القومية بل القادة والزعماء والنخب السياسية الذين قادوا عملية التغيير وكان اغلبهم مدعومين بقوى خارجية.

دروزة نفسه يقدم الجواب: **«إن ما جعل قصاصة ورق لا يعضدها شيء تصبح حقيقة وقوة في وقت كانت فيه غالبية اليهود تعارض هذه الدعوة الصهيونية في ذلك الوقت ليس الجماهير اليهودية الغائبة والمعارضة للدعوة الصهيونية بل قوة وحيوية وعزيمة قادة الصهيونية ورجالها».**

إن من جعل الدعوة الصهيونية تصبح حقيقة قائمة، ليس اليهود الموزعين والمشتتين والمعارضين لها، بل الرجال الذين قادوا هذه الحركة وأجبروا اليهود حتى المعارضين لهم على السير وراءهم، كذلك نقول أن من يتحمل مسؤولية الاحتلال وإقامة إسرائيل هم الرجال الذين قادوا الثورة العربية وتلقوا الدعم من القوى الخارجية.

إن جميع الشعوب ـ بما فيها الشعب الأمريكي ـ بغالبيتها غائبة أو مغيبة لا تمارس أي دور في رسم السياسة الدفاعية أو الخارجية لبلادها، وان من يقودهم ويوجههم هم القادة والمؤسسات والنخب التي يتم فرضها بطرق مختلفة غالباً باسم الديمقراطية والانتخابات المزيفة.

لماذا نريد من جماهيرنا ان تقوم بما لم تقم به الجماهير الأوروبية والأمريكية؟؟

لماذا نحملها مسؤولية عجز وتفريط وقصر نظر وارتباط وتآمر القادة والسياسيين الذين أوصلونا إلى الوضع الذي نحن فيه اليوم.

لقد كتب حقي العظم (سكرتير حزب اللامركزية) المقيم في مصر عام 1916 إلى رجالات سورية كتابين أحدهما موجه لكامل هاشم والآخر إلى السيد شكري ينبه فيهما رجال العرب إلى «أن يفكروا بالوسائط التي تحقق استقلالهم إذا ما دخلت الدولة العثمانية الحرب بحيث تكون فيها نهايتها. حيث يمكن ان تتعرض البلاد لخطر الاحتلال ولخطر الوقوع في بلاء أشد، إذا لم ينتبهوا لما يجب عليهم فعله لدرء الخطر».

ويذكر عديد من المؤرخين أن عزيز علي المصري ـ القائد الفذ والملهم ـ كان قد نبه رجال العهد والفتاة واللامركزية في سوريا والعراق من خطورة التسرع في إعلان الثورة كما حذرهم من التحالف مع الشريف حسين وأولاده أو السير وراءهم والذين كانوا كما أكد المصري يقيمون علاقات مشبوهة مع الإنكليز والاتحاديين.

وكما يبين طاهر العمري في كتابه (مقدرات العراق السياسية) ان المصري كان يفضل ان يعود الأتراك إلى بغداد ألف مرة من أن يرى الشريف حسين وأولاده ملوكا على العراق(*)

وطالب طه الهاشمي العرب بالوقوف على الحياد في فترة الحرب. كما عارض الشيخ كامل قصاب التحالف مع الشريف حسين وأولاده وحذر من تحالفهما مع الإنكليز. مما يشير إلى أن هناك موقفاً عاماً لدى شرفاء هذه الأمة كانوا يدعون فيه الجميع إلى التمهل أو الوقوف على الحياد وعدم إعلان الثورة إلا بعد أن تتجلي الأمور بحيث يترك القرار النهائي بعد هزيمة الأتراك من دون أن يتدخل العرب في الحرب مع الإنكليز.

وكان هؤلاء يدعون أيضاً إلى الحذر من وعود الإنكليز وتذكر وثائق عديدة أنهم طالبوا الحسين أن يأخذ تعهداً رسمياً واضحاً بالاستقلال. ويقول أنيس صايغ أن الحسين

(*) مذكرات مس بل ص201 .

وفيصل، على الرغم من مطالب الحركة الوطنية في سوريا لم يضغطوا على الإنكليز للحصول على هذه التعهدات الصريحة والواضحة، بحيث أن بريطانيا والحركة الصهيونية من خلفها لم تتنازلا ولم تخفيا أطماعهما في سوريا وفلسطين والعراق في جميع الاتفاقات الموقعة بين الطرفين.

كانت الشكوك تنتاب الجميع من أسلوب عمل البريطانيين فمع انهم كانوا بأمس الحاجة إلى دعم العرب وخاصة البدو في قطع طرق مواصلات وإمداد العثمانيين كما ذكر دروزة وانطونيوس وصايغ إلا أنهم كانوا (يضنون عليهم بالأسلحة والذخائر والمعدات والأموال والغذاء والشراب، مما جعل العرب يقدمون كثيراً من التضحيات البشرية التي لا مبرر لها أو التي كان من الممكن توفيرها) حيث سقط أكثر من مائة ألف شهيد لم يقدم العرب ربعهم من اجل تحرير فلسطين. وكما يقول دروزة فأن الحسين وفيصل قد اشتكيا من قلة السلاح والذخيرة مما يعني أن الإنكليز كانوا يخشون ان تستخدم هذه الأسلحة بعد الانتهاء من العثمانيين ضدهم ولذلك قاموا مباشرة فور دخولهم دمشق بتجريد أغلب العربان من أسلحتهم وحل جميع الميليشيات البدوية المسلحة وشكلوا حاميات جديدة من الموثوقين لديهم الذين لم يعطوا أيضاً من الأسلحة ما يمكنهم من القيام بأية أعمال حربية.

لماذا ألح الإنكليز على الشريف حسين أن يبدأ بإعلان الثورة على الأتراك قبل أن يبدؤا بتحركهم من مصر؟؟

لماذا كان لورنس يسرع بتجميع العرب للهجوم على الأتراك قبل أن يبدأ الجنرال اللنبي بالهجوم عليهم؟؟

لأنه كما يقول دروزة (بدون تحرك العرب وقتالهم ما كان بوسع الإنكليز أن يتقدموا خطوة واحدة، ولأنهم كانوا يعرفون سلفاً أن تحرك العرب هو الذي يبرر لهم التحرك ضد الأتراك) والنصر عليهم ويحقق لهم أيضا إضعاف العرب وإنهاكهم.

من الضروري الإشارة إلى ما كتبه جورج أنطونيوس إلى تحركات وأعمال لورنس: **«كان لورنس يخرج مع الشريف ناصر والشيخ عودة ونوري الشعلان شيخ مشايخ الرولة وشيوخ العقبة والفرات وحوران وجبل الدروز في حملات متعددة للإغارة على السكك الحديدية حيث كانوا يخربون الجسور والقناطر ويوقعون الضربات المريعة في القوات التركية وذلك قبل أن يبدأ اللنبي تحركه».**

يقول أنطونيوس: «إن عبقرية لورنس في حرب العصابات والتجسس والتخريب تظهر جسارة وبراعة ومهارة عالية وقدرة كبيرة في الصبر والأناة والخبث والدهاء، ففي إحدى الغارات نسفت جماعة من العربان التي يقودها لورنس قطاراً محملا بالجند الاتراك والذخائر فدمروه بالكامل ثم استولوا بعد أسبوعين على كمية كبيرة من المؤن والذخائر التي كان يحملها قطار آخر».

فهل كان بوسع الإنكليز والجنرال اللنبي تحقيق ذلك النصر السريع والسهل على الأتراك لولا أعمال العريان البطولية وتقديمهم التضحيات الكبيرة بقيادة الصهيوني الكبير لورنس.

لو كانت القيادة الحسينية والعربية قيادة واعية أو شريفة أو مخلصة أو وطنية وأرجأت إعلان الثورة عام 1916 ولم تقف إلى جانب الإنكليز طيلة العامين التاليين وقفت على الحياد، لوفرت تضحيات المائة ألف شهيد إلى ما بعد الانتهاء من الحرب. فمن المؤكد أن الإنكليز كانوا سيقدمون هذه التضحيات ولسوف ينهكون في نهاية الحرب حيث سيكون العرب بكامل قوتهم جاهزين لإعلان الثورة على الإنكليز (إذ يؤكد جميع المؤرخين أن وضع الإنكليز في نهاية الحرب كان ضعيفاً رغم مشاركة العرب في القتال معهم).

فلو أن العرب لم يقاتلوا معهم، ووجهوا حرابهم ضد الإنكليز بعد الانتهاء من العثمانيين لكانوا حققوا لأنفسهم ولشعوبهم النصر على العثمانيين وعلى الإنكليز في آن واحد معاً.

من المؤسف أن نقول بأن العرب وتضحياتهم في الحرب الإنكليزية الصهيونية ضد العثمانيين لم تكن من اجل تحررهم من العثمانيين، بل من أجل أن يقدموا بلادهم هدية للإنكليز والصهاينة، وليسهلوا على للأجنبي احتلالها وفرض مشيئته عليهم وعليها، وعلى شعوبهم ومستقبلهم.

ومن المؤسف أن العرب في حرب عام 1948 قدموا فلسطين للصهاينة بدون قتال جدي أو حقيقي. والقصة ذاتها تكررت في حرب عام 1967. وعام 1991 حيث انسحب الجيش العراقي من الكويت بدون قتال. و تكررت عام 2003 باحتلال العراق دون قتال.

يتعرض توفيق صايغ[*] لمواقف جبران خليل جبران من مسألة التحرر من الاستبداد العثماني فيقول (أن جبران استبشر خيراً بالحرب البلقانية ضد الأتراك ورأى أنها ستؤدي إلى هزيمة الأتراك ولقد رأى أن هزيمة كهذه لتركيا هناك سوف تضعف تركيا وبالتالي سوف تسهل على العرب عملية التمرد وذلك قبل أن تبدأ الحرب العالمية الأولى).

ويقول صايغ أن جبران كان يؤمن بالاعتماد على النفس. ويذكر عنه أنه عندما عقد مؤتمر باريس لبحث قضية الحكم الذاتي في سوريا حيث كانت الحكومة الفرنسية ترعى هذا المؤتمر وتشجعه. كان من المقرر أن يحضر جبران هذا المؤتمر كمندوب عن سوريي الولايات المتحدة. ويقول صايغ أن جبران (عدل عن الحضور في آخر لحظة) ووجهة نظره كانت رفض الدبلوماسية الغربية لأنها حسب رأيه تؤدي إلى وضع سوريا والبلدان العربية تحت حماية أجنبية جديدة إنكليزية فرنسية وكان يرى أن العرب قادرون بالاعتماد على نفسهم وبإمكاناتهم الذاتية وبما لديهم من طاقات إذا عرفوا كيف يستغلون ظروف الحرب

(*) توفيق صايغ «أضواء جديدة على جبران» منشورات دار الضياء الشرقية للطباعة. بيروت 1966

من أن يحققوا النصر.

وكان جبران يرى، أن على العرب ألا يلجأوا إلى الحكومات الأوروبية لأن هذه الحكومات حسب رأيه لا يمكن أن تقف مع العرب ولا يمكن إلا أن تقف ضد تحررهم.. وكان جبران كثيراً ما يشير في رسائله ومقالاته إلى الدور الاستعماري الذي لعبته إنكلترا لتحل محل الاستعمار التركي.

«إن إنكلترا هي التي أبقتنا عبيداً وأنها هي أساس العلة، وأنها هي التي رعت الحركة الصهيونية لإعادة حركة التاريخ إلى الوراء 19 قرناً.

إن تجربة حزب الله ليست استثناء ورجال حزب الله ليسوا من كوكب آخر، حيث بدأوا بالاعتماد على الإيمان بالنفس وبمجموعة صغيرة أصبحت قوة إقليمية ودولية مؤثرة يحسب لها الأعداء ألف حساب، وكل من يضع نصب عينيه مقاتلة العدو سوف يجد الآلاف والملايين الذين سيدعمونه ويمدونه بالرجال والأرواح.

نعود إلى طرح السؤال القديم الجديد، المتجدد والملح، هل بوسع العرب أن يحققوا اليوم الاستقلال والحرية لبلادهم بالاعتماد على أنفسهم؟

لو كان الحسين بن عون شريفاً كما سماه الاتحاديون الماسونيون الاتراك لتحالف مع ابن سعود في نجد. فقد وافق يومها كل من الإدريسي وابن سعود على التحالف معه على الرغم من تحالفه مع بريطانيا وانشقاقه عن الأتراك (الذين عينوه) وقبل كلاهما أن يكون قائداً للثورة العربية، لكنهما رفضا أن يكونا مجرد تابعين له. فلو أنه تحالف معهما ونفذ نصائح عزيز بتأخير إعلان الثورة أو لو أنه أخر إعلان الثورة إلى ما بعد هزيمة الأتراك ولم يقدم التضحيات التي قدمها خدمة للإنكليز قبل تقدم قوات اللنبي ووفر تلك التضحيات إلى ما بعد هزيمة الأتراك لتوفرت لديه القوة التي تمكنه بعد الحرب من فرض شروطه على الإنكليز. لكنه لم يفعل، لا هذه ولا تلك من الخطوات. وظل حتى مماته مؤمناً بالإنكليز ويصدق وعودهم الكاذبة ومعجباً بهم وبحضارتهم حتى بعد أن نفوه إلى قبرص.

يقول أنطونيوس عن الحسين «لم يكن يرتاب أبداً في طهارة ذمتها (بريطانيا) وكان إيمانه بالمقاييس الإنكليزية يصل لدرجة التقديس ويؤمن بأن الإنكليز حلفاء طبيعيون للعرب بالمعنى النفسي والجغرافي وأن مصالحهم مشتركة حتى بعد أن نكثوا بجميع وعودهم ولم يردوا على رسائله التي تثير الشفقة وظل مؤمناً بالإنكليز وبشرفهم وصدقهم حتى مات كالبعير الأجرب.

هل يتعلم القادة العرب المؤمنون بوعود الأمريكان والأوروبيين الدرس أم سننتظر حتى يبادر المؤمنون بحقوق امتهم والواثقون بأنفسهم وقدرة امتهم بإمكانية تحقيق النصر بالقيام بالخطوة الأولى!!!.



الفصل الثاني

محنة الشعب العراقي

لم يشكل الاحتلال المباشر خطراً على مستقبل أي بلد لأنه عدو واضح ومكشوف، وستولد ضده مقاومة ستزيله مهما طال الزمن. أما الصعوبة فتكمن في التحرر من الاحتلال غير المباشر حيث تقوم الحكومة التابعة أو المعينة أو المفروضة على من الشعب بما يعجز الاستعمار الخارجي عن تحقيقه. وهذه مسألة تعاني منها اغلب شعوب وبلدان العالم الثالث.

الأخطر من هذا وذاك هو أن تكون الأوضاع الداخلية في البلد متفجرة بحيث تقتضي أو تتطلب حماية أو مساعدة خارجية. وهذه أيضاً مسألة خضعت لها أغلب البلدان التي احتلتها القوات الإنكليزية. حيث عمل ثعالبها على حماية زعماء قبائل أو أقليات أو على تقسيم البلدان كما رسمتها بريطانيا. ومن يتابع الخرائط السياسية لجميع البلدان التي احتلتها بدءاً من الهند والباكستان وأفغانستان وإيران والعراق والأردن ومصر ودول الخليج وعمان واليمن يجد في كل بلد خليطاً من القوميات و الطوائف و الأجناس التي يصعب على طرف واحد منها أن يحكم البقية بسهولة ويسر دون أن تحصل توترات وصراعات أثنية أو طائفية أو دينية أو قومية تستدعي تدخل الأصابع الإنكليزية. وما حصل في أغلب بلدان العالم حصل بطريقة مكثفة ومركزة في العراق بالذات.

من المفيد الإشارة إلى دور المخبرين والجواسيس الذين تمكنوا بحجة التنقيب عن الآثار وإعلان إسلامهم والعيش بين القبائل العربية والانتقال من مكان إلى آخر بحرية تامة من التعرف على الأوضاع الاجتماعية والطبقية والفكرية والنفسية لجميع سكان هذه المنطقة خاصة الممتدة من بادية الشام إلى العراق والسعودية.

وكان من أبرز تلك الشخصيات وأخطرها غيرترود بل المعروفة عند العراقيين بالمس بيل. لقد استطاعت تلك الإنكليزية البيضاء ذات الشعر الأشقر والعينين الخضراوين الجذابتين أن تقيم علاقات غرامية مع أغلب زعماء العشائر وشيوخ العرب وملوكهم وقادتهم ولم تترك زعيماً واحداً إلاّ وسعت إلى جذبه بعد أن يقع في غرامها وحبها كما حصل مع الملك الخليع فيصل الذي كان يعشقها لدرجة الوله.

إن علاقة المس بل بالملك الخليع فيصل تلقي كثير من الأضواء على شخصيتها وأهدافها وكذلك على الهدف من جعل فيصل ملكاً على العراق. وعلى ما أصاب ويصيب العراق والعراقيين من مصائب ومحن.

وكما أوضحنا سابقاً فإن فيصل لم يكن إلاّ ألعوبة بيد المدعو لورنس العرب. والواقع أنه بعد أن انكشف الدور الحقير الذي مارسه لورنس مع والده حسين وخداعه له وللعرب الملتفين حوله، جعله غير قادر على توجيه أو احتواء الملك الخليع ومن الاستمرار بدور الناصح، فكانت مس بيل هي الشخصية البديلة الجاهزة لاحتواء الملك فيصل وتوجيهه كما تريد على الخطى التي يريدها لورنس وهرتزل[1]: «كان يدعوها باستمرار إلى القصر ليمتدح جمالها ويفضي إليها بأعمق مشاعره ومخاوفه، فقد استشارها في حل النزاعات القبلية بين قبيلتي عنزة وشمر وطلب نصيحتها في اختيار أعضاء حلقة مجلسه المقربين واعتمد عليها في ترتيب شؤون القصر والسكن فيه، خرجا معاً في النزهات الترويحية ولعبا التنس وحضرا سباقات الخيل وسبحا معاً وشربا الشاي سوية (لوحدهما) ومع أنهما تبادلا المغازلات العابثة إلا أنهما أمضيا معظم الوقت في العمل معاً لبناء الدولة كما تريد المس بيل. لدرجة أن المانشيست الرئيسي لصحيفة نيويورك هيرالد كان في أحد الأيام تحت عنوان رئيسي (مس بل ملكة العراق غير المتوجة) ومن المهم أن نشير هنا إلى أن أصدق أصدقاءها المقربين والذي كانت تلتقي به قبل اتخاذ القرارات الحاسمة كان اليهودي العراقي المدعو ساسون أفندي عسقايل[2] ولقد استطاعت غيرترود بل أن تنفذ أكثر من سواها إلى نقاط الضعف والقوة لدى العرب واستطاعت أن تنفذ إلى أعمق أعماق المجتمع العربي وتتعرف على زعمائه وقبائله وكيفية التأثير فيهم.

وكانت تقيم بالإضافة لذلك علاقات واسعة مع جميع القادة الكبار في مصر والسعودية وبلاد الشام وفي بلدها بريطانيا، وتتنقل بسهولة وحرية بين القاهرة ودمشق وبيروت وبغداد وباريس ولندن والهند وتتمتع بدرجة عالية من الخبث والدهاء الإنكليزي، مما جعل الآخرين يصدقونها ويقبلون بما تقترحه عليهم. فمثلاً يذكر مؤلفو المفصل في تاريخ العراق أن المس بل بعد أن عادت إلى العراق في عام ١٩١٩ توافد على مكان إقامتها في بغداد أمراء بني ربيعة وبني عمران والحاج سعدون وبني حسن وكذلك شيوخ الحلة وعشائر الدليم وفهد الهمذان رئيس عشيرة عنزة وأقسموا أمامها بالولاء لبريطانيا العظمى.

كان جلياً الدور القذر للعاهرة والذي يذكرنا بالدور الذي لعبته استر اليهودية في تاريخ العراق والمنطقة التي ماتزال آثارها المدمرة باقية حتى اليوم.

تؤكد الحقائق التاريخية أن خارطة المنطقة وخارطة العراق قد رسمتها المدعوة مس بل، هذه الخارطة التي نتج عنها إقامة دولة إسرائيل

كتبت مس بل رسالة إلى والدها تقول فيها:

«إنني أشعر أحياناً وكأنني الإله الخالق. الذي لابد له أن يتساءل متعجباً في منتصف

(١) مجلة الجيل العدد ٢٠٠٣/٧ / ص٨٥

(٢) (ص٨٤) الجيل العدد٧

الأسبوع عن شكل خلقه الآتي تماماً مثلما أفعل أنا»[1].

ولقد كانت المس بل المرأة الوحيدة بين ثلاثين خبيراً استراتيجياً بريطانياً وصهيونياً رسموا خارطة المنطقة عام ١٩١٨.

لقد مزجت المس بل بين الحضارة والبداوة وبين الأقوام والطوائف والعشائر المتصارعة بطريقة عجيبة وغريبة وعن سابق قصد وتصميم. فلقد قالت في إحدى رسائلها:

«ليست هناك أمة عربية أو عراقية فالبون شاسع بين التاجر السوري وبين البدوي، صحيح أنهم يتكلمون العربية لكن كلاً منهم يتمنى لو يأخذ بخناق الآخر»[2].

لقد خرج العراق من بين أصابع المس بل وغيرها من الخبراء الاستراتيجيين الإنكليز والصهاينة بطريقة جعلته طيلة الثمانين عاماً الماضية فوق بركان خامد من التوترات والصراعات الطبقية والإثنية والطائفية والإقليمية ماتزال آثارها باقية حتى اليوم وجعلت من الاستقرار الداخلي في العراق والمنطقة أمراً صعب التحقيق.

ففي حين طالبت السعودية بأن ترسم خريطة المنطقة استناداً للأقوام والعشائر المتواجدة فيها لتجنب الصراعات فيما بينها وطالبت بأن تضم المناطق التي يسكنها بني شمر وعنزة إلى أراضي المملكة العربية السعودية، فإن المس بل أصرت على توزيع هذه العشائر (كما يتم توزيع الإبل والأغنام) بين ثلاثة أو أربعة دول حتى يظل الوضع قلقاً وغير مستقراً وليظل قابلاً للانفجار ويظل الجميع في حاجة إليها كما حصل فعلاً. حيث أخرجت الكويت من خارطة العراق التاريخية والجغرافية وأقامت منطقتين محايدتين بين السعودية والكويت والعراق ليظل الصراع بين هذه الدول قائماً، وسبباً في حروب لم تنته منها حتى اليوم.

وأخرجت إقليم عربستان من خارطة العراق التاريخية والقومية وضمتها إلى إيران مما جعل صدام حسين يزعم أنه يشن حرباً على إيران لاستعادة هذا الإقليم إلى وطنه الأم العراق[3]. ثم أخرجت ديار بكر العربية من خارطة العراق وسوريا وألحقتها بتركيا وضمت جزر طنب الكبرى والصغرى وأبو موسى إلى أمراء متصارعين.

أما على المستوى الداخلي في العراق فضمت قبائل بدوية سنية مع قبائل بدوية شيعية. وضمت البدو إلى فلاحي الجنوب وشيعته إلى حضر وسنة بغداد والموصل. إلى أكراد كركوك والسليمانية وأربيل مع تركمان وصابئة وكلدان وآشوريين مما جعل من

(١) مجلة الجيل العدد ٢٠٠٣/٢ ص ٨٥.

(٢) ص ١٨٠ أنيس صايغ.

(٣) من الضروري التأكيد على أن حرب صدام على إيران أدت إلى نتائج معاكسة تماما حيث هرب أغلب أهالي هذا الإقليم العربي إلى داخل إيران وتحولوا إلى مؤيدين لفكرة البقاء ضمن الدولة الإيرانية وكذلك حصل مع الشعب الكويتي.

الصعب إن لم يكن من المستحيل على هذا الخليط أن يتوحد في دولة حديثة بعد أن كان موحداً تحت ظل الدولة العثمانية. مما جعل الوضع قابلاً للتفجر وللتدخلات الخارجية الإقليمية أو الدولية وخلق صراعات داخلية بين هذه الفئات على شكل الحكم والحصص المعطاة لكل منها وجعلها جميعها تحتاج إلى قوة خارجية لتقوم بدور الموفق بين الأطراف يتيح لها الهيمنة والسيطرة على جميع الفئات في آن واحد ويخلق حاجة لدى جميع الأطراف إلى بريطانيا أو إلى أي قوة خارجية أخرى قائمة.

استطاعت بريطانيا بسبب حاجة جميع الأطراف إليها في ظل حكومة الملك فيصل أن تبقي هذه الأقوام ملتصقة ببعضها (وليست موحدة) ومتجاورة بدلاً من أن تكون متداخلة، على أسس وطنية لسنوات طويلة، وما إن سقط الاستعمار البريطاني وزال بعد زوال أدواته في العراق حتى بدأ الشرخ بين جميع الفئات، وبدأ الصراع يأخذ منحىً دموياً بالحرب على الأكراد تلك الحرب التي لم تتوقف طيلة خمسين عاماً وبالنزاع السياسي الذي لا يخلو من طابع إثني وطائفي.

إن ما قيل ويقال عن أن شعب العراق هو شعب النفاق والشقاق انسياقاً مع قول الحجاج ما هو إلا أكذوبة. ومن المؤسف أن ينساق أناسٌ كثيرون يزعمون أنهم منظرون ومثقفون إلى الإيمان بهذه الفكرة المزعومة وإلى تسويقها أو ترديدها لتبرير الاستعمار الخارجي أو لتبرير الاستبداد أو الطغيان.

يورد الكاتب العراقي الكبير علي الوردي[1]

«إن انشقاق العراقيين فئة على أخرى تظهرهم كما لو كانوا غدارين وإذا كان يصح أن نصفهم بأنهم منشقون على أنفسهم أو متفرقون.. لكن لا يصح أن نصفهم بأنهم غدرة على منوال ما يشاع عنهم».

ويورد الوردي للرد على من يرددون قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

«لقد ملأتم قلبي قيحاً» للتأكيد على ان اهل العراق هم اهل شقاق ونفاق.

إن هذا الأمر لم يكن يقصد به الإمام علي كرم الله وجهه أهل العراق إلا بقدر ما كان ينطبق أيضاً على جميع العرب والمسلمين الذين تخلوا عنه وعن أبنائه وخضعوا لمعاوية وينطبق بصورة أوضح على جميع القبائل الرحل، سواء أكانوا عرباً أم بربراً أوأمازيغ أو تتر أو مغول. فالبدو كما يرى الوردي استناداً إلى ابن خلدون:

«أكثر الأمم اندفاعاً في سبيل التنازع على الأراضي والمراعي والتباغض والقتال»[2].

والبدوي بسبب طبيعة حياته وتنقله يرفض الخضوع لدولة مركزية إلاّ إذا أقامت العدل.

---

(١) الوردي، علي (لمحات من تاريخ العراق)، ص ٣٦٧

(٢) نفس المصدر ص٥٣

ويورد الوردي ما عانى منه الملك عبد العزيز آل سعود من بدو الجزيرة العربية في نجد حيث عانى الأمرين من تقلبات جيشه المؤلف من القبائل البدوية حيث كانوا يلتحقون به عندما يرونه منتصراً وقوياً. وينفضون عنه حين تبدو عليه إمارات الضعف والوهن[1].

وهذا يعني أن صفة الشقاق والنفاق والتقلب ليست صفة خاصة بالشعب العراقي كما يزعمون، بل تنطبق على القبائل المتنقلة والبدو أينما كانوا سواء أكانوا عرباً أو بربراً أو أمازيغ أو قرغيز وسواء في الجزائر أوموريتانيا أو التيبت أو منغوليا.

يورد الوردي صفة مغايرة لأهل العراق نقلاً عما قاله الجاحظ عنهم بأنهم:

«أهل نظر وفطنة ثاقبة» ولعل هذا قد يكون عاملاً حاسماً لدحض كل ما يقال عن العراقيين بأنهم أهل شقاق ونفاق.

فكونهم أهل نظر وفطنة وذكاء وكونهم أصحاب عزة وأنفة وكرامة وكرم يجعلهم يرفضون الخضوع والذل والعبودية وهم أكثر الناس تمسكاً بالمثل العليا وأكثر الناس حباً في المجادلة والحوار. وكونهم يتألفون من جماعات متنافرة عشائرياً وقومياً ودينياً وطائفياً وحضارياً في مرحلة الانتقال من دولة أتوقراطية إلى دولة حديثة فإنه بعد انهيار حكم السنة الذي كان قائماً في ظل الدولة العثمانية، وبما أن أسس قيام الدولة العراقية الحديثة لم يكن قائما على توحد أقوامها في ظل الدولة العثمانية، فمن الطبيعي جداً أن يجري البحث عن أسس جديدة لهذا الوفاق والاتحاد مغاير تماماً الأسس التي أوجدتها بريطانيا العظمى والمس بل خاصة، بعد أن زال احتلالها العسكري والسياسي للعراق..

لقد طرح الحزب الشيوعي العراقي الحل الأمثل لمحنة العراق الراهنة، وذلك قبل أن تنفجر بسبعين سنة تحت شعار «وطن حر وشعب سعيد» والديمقراطية للعراق والحكم الذاتي للأخوة الأكراد» ولهذا السبب استطاع الحزب الشيوعي العراقي أن يصبح القوة الجامعة والموحدة لجميع العراقيين على مختلف فئاتهم وأقوامهم مما جعل أحد الكتاب الإنكليز يقول (نقلاً عن طارق الدليمي):

«لقد أصبح الحزب الشيوعي يمتلك كل شيء في العراق باستثناء الحكم في حين امتلك الملك وحاشيته الحكم لكنهم لم يمتلكوا أي شيء في العراق».

لذلك سرعان ما كنس الشعب العراقي الملك وأعوانه في ثورة ١٤ تموز.. بينما ظل الحزب الشيوعي قوة موحدة للعراقيين على مختلف فئاتهم ومشاربهم، ولهذا السبب بالذات عملت القوى الخارجية على تدمير هذا الحزب ليفرطوا عقد المجتمع العراقي ووحدته وتلاحمه، وليبدأ العراق صراعاً دموياً عنيفاً لم تشهده أية منطقة أخرى في العالم.

وعلى العكس ما رُوج واعتقد الكثيرون فإن عبد الكريم قاسم لم يكن شيوعياً حيث

---

(١) نفس المصدر ص٩٥

تظهر الحقائق أنه كان إسلامياً متديناً، (يقيم الصلاة ويصوم رمضان) باعتبار أنه بعد إسقاط حلف بغداد دعا فوراً إلى إقامة حلف إسلامي، تكون بغداد مركزه حيث يذكر راشد البرادعي[1]:

«مشكلة عبد الكريم قاسم أنه دعا إلى التعاون مع الغرب ومع أمريكا ودعا إلى مؤتمر إسلامي يعقد في بغداد وعلى أن يرأسه الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين».

وهذا ما يشير إلى أن عبد الكريم قاسم لم يكن شيوعياً بقدر ما كان إسلامياً وطنياً، لذلك تكالب أعوان الاستعمار والصهيونية عليه. فلو كان شيوعياً لسلم الشيوعيين الحكم عندما سيطر على الجيش والبلاد. ولو كان الشيوعيون يريدون استلام الحكم عام ١٩٦١ بعد أحداث الموصل كما لفقت التهمة إليهم (بانقلاب عسكري) لاستلموا الحكم باعتبار أن عدد الضباط والجنود الشيوعيين في الجيش العراقي كان يعادل مائة مرة عدد القوميين الذين قاموا بانقلاب عام ٦٣ واستلموا الحكم، وهنا قد يطرح البعض السؤال التالي إذا كان الحزب الشيوعي يمتلك هذه القوة داخل الجيش وكان يمتلك الشارع العراقي فلماذا لم يستلم الحكم إذاً؟ قال نيكيتا خروتشوف في اجتماع للجنة المركزية عام ١٩٥٩ (قال لنا أنطوني إيدن عندما كان بولغانين وأنا في لندن عام ١٩٥٧: إننا إذا واجهنا أي تهديد لتجهيزات بريطانيا النفطية في الشرق الأوسط فإننا سنعلن الحرب فوراً. والآن جاءت الثورة العراقية لتشكل تهديداً للنفط).

نحن نذكر أنه بعد أن قام حكم شيوعي في كوبا في الفترة الزمنية نفسها عام ١٩٥٩ قامت أمريكا بشن عدوان على كوبا (إنزال في خليج الخنازير)، مما اضطر الاتحاد السوفيتي للدفاع عن هذا البلد الصغير الفقير الذي يعتمد على قصب السكر وأبداع الرقصات والأغاني، إلى نصب صواريخ سوفيتية للدفاع عنه أمام الغول الأمريكي وكان من الممكن أن يشعل ذلك حرباً نووية فعلاً. ولقد أظهرت الولايات المتحدة أيام كنيدي النية والعزم لشن حرب نووية فعلاً لو لم يسحب خروتشوف تلك الصواريخ من كوبا. ولقد كان هذا الإنذار الأمريكي بإشعال حرب نووية من اجل كوبا إنذاراً للاتحاد السوفيتي بأنه لو أعطى للشيوعيين في العراق أذناً صاغية لكان معنى ذلك أن حرباً نووية كانت ستنشب فوراً بسبب ذلك القرار.

وقد أظهرت الولايات المتحدة الأمريكية هذه النية مجدداً بعد غزو العراق للكويت وحققتها مرة ثالثة في عدوانها على العراق عام ٢٠٠٣ حيث هددت، وكان من الممكن أن تستخدم القنابل الذرية لتدمير العراق، ونذكر من لا يذكر ان الولايات المتحدة وحلفاءها قد شنوا حرباً مدمرة ضد شعب فيتنام، استمرت اثنتي عشرة سنة في نفس الفترة التي حدث فيها انقلاب عام ١٩٦٣ لمنع الشيوعيين من استلام الحكم في فيتنام الجنوبية، وكان

(١) (البرادعي، راشد «حلف بغداد إلى الحلف الإسلامي» ـ مكتبة النهضة العربية عام ١٩٦١) ص١٠٨.

من الممكن أن تشن حرباً مماثلة لمنع استلام الشيوعيين الحكم في العراق هذا البلد الاستراتيجي والغني والأغنى والأهم مائة مرة من فيتنام. ها هي الولايات المتحدة بعد أربعين سنة تشن حرباً ضد العراق.

لقد استخدمت الولايات المتحدة ضد فيتنام الديمقراطية خلال اثنتي عشر سنة أكثر مما استخدم في الحرب العالمية الثانية من قذائف وأسلحة كيميائية ومواد حارقة لمنع جبهة تحرير فيتنام، (التي لم تكن كلها من الشيوعيين) من تحرير بلدهم من العملاء، مع العلم أن فيتنام الجنوبية بلد فقير قياساً إلى العراق وموقعه الاستراتيجي أقل أهمية من موقع العراق الأكثر أهمية من أي بلد آخر في العالم. وحشدت من أجل ذلك أكثر من مليون ونصف جندي من دول أوربا وأمريكا وجنوب آسيا بما فيها جنود أردنيون وعرب ومسلمون. لقد بدأت الحرب ضد فيتنام عام ١٩٦٣ أي في العام نفسه الذي أطيح فيه بنظام عبد الكريم قاسم، ففي حين عمل الفيتناميون في الشمال بعد حصولهم على الاستقلال على مساعدة أشقائهم الجنوبيين وتعبئتهم من أجل معركة الحرية والاستقلال لم تتوفر في العراق لحظة واحدة بعد أن أسقط نظام /فيصل - نوري/ ليعبئ طاقات شعبه في الاتجاه الصحيح لتحرير الكويت واستعادته من الانكليز والامريكان بسبب التناقضات السياسية والاجتماعية التي زرعها الإنكليز وبسبب الأطماع الإقليمية والدولية في العراق والخليج.

إن من تآمر على قلب نظام عبد الكريم قاسم هم الحكام العرب جميعاً وفي مقدمتهم حكام الكويت الذين فتحوا بلادهم للإنكليز قبل أربعين سنة ليحتلوا العراق. واليوم دفعوا الملايين للوصول إلى نفس النتيجة. يومها وقفت أغلب الدول العربية ضد نظام قاسم واتهمته بالنظام الشعوبي وفي مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة والسعودية والكويت وتركيا مما يعني أن الدول العربية كانت جاهزة عام ١٩٦٣ للتدخل مع أمريكا ضد العراق من أجل منع ضم الكويت كما حصل في عام ١٩٩١ فعلاً.

من المؤكد أن الولايات المتحدة قد نجحت في تدمير العراق من الداخل، كوسيلة أنجع من تدميره من الخارج كما فعلت في فيتنام. حيث لم تجد في فيتنام الجنوبية إلاّ عملاء مفضوحين وملفوظين من الشعب الفيتنامي وحيث عملت حمايتها المباشرة لعملائها على توحيد الشعب الفيتنامي وقواه الوطنية والشريفة ضد أمريكا وعملاءها حتى كنوسهم وكنسوها من بلادهم.

هذا الأمر لم تستطع التهرب منه في النهاية حيث أن صمود الشعب العراقي ورفضه التطبيع مع إسرائيل أجبر هذه الإدارة الأمريكية على التدخل المباشر والمفضوح باحتلالها العراق لتنفيذ المهمة التي عجز النظام وجميع أنواع العملاء عن تنفيذها.

لقد وجهت تهمة موالاة عبد الكريم قاسم للشيوعية كذباً ليجعلوا من القضاء عليه حجة للقضاء على كل نفس وطني وثوري في العراق حيث تم البطش بجميع القوى الوطنية سواء أكانت إسلامية (حزب الدعوة آنذاك) أو بالقوى البعثية القومية حقيقة الموالية

لسوريا أو بالقوى الناصرية الشريفة أو بالقوى الشيوعية، فأصبح العراق ممهداً للهيمنة الأنكلوصهيونية وإن الكارثة المرعبة هي أن هذا الأنظمة التي توالت على حكم العراق لم تقم بتدمير القوى الوطنية والإسلامية والشيوعية الشريفة في العراق فحسب، بل دمرت هذه القوى في البلدان المجاورة وحاصرتها وأضعفتها.

لقد اعتقد الأمريكان والصهاينة أن الأرض قد أصبحت ممهدة أمامهم لدخول العراق بحجة تحريره من النظام الفاسد الذي أوجدوه.

وهكذا عاد الزمن في العراق والمنطقة ليدور دورته بعد أربعين سنة (الدورة الأولى من عام ١٩١٨-١٩٥٨ الدورة الثانية في عام ١٩٦٣ إلى عام ٢٠٠٣). أي بعد جيل ونيف معتقدين أن الجيل الجديد الذي تربى في عهد صدام سينسى تاريخ العراق القديم. وأعتقد الأمريكان أن احتلاهم للعراق اليوم قد يصبح مقبولاً لدى الشعب العراقي ولدى الشعوب العربية بحجة تحرير العراق من النظام الذي اضطهد الشعب العراقي وعادى الأنظمة المجاورة.

لقد تأخر الاحتلال الأمريكي الصهيوني للعراق ٤٠ سنة، سمح فيها لصدام حسين بتدمير جيل كامل من العراقيين ليهيئهم لتقبل الأمريكان.

وقد دعا د. علي الوردي العرب وجميع المثقفين العرب ومحبي العراق وأصدقاءه قبل أربعين سنة إلى تقديم العون للشعب العراقي في محنته.

والواقع أن أهم عون يمكن أن نقدمه للعراق والعراقيين وللفلسطينيين وللعرب هو أن يؤمنوا أولاً بأنهم يستطيعون حكم أنفسهم بأنفسهم دون نظام قمعي كنظام صدام. ودون مساعدة الأمريكيين[1].

فهذا الشعب الذي أنجز تلك الحضارة العظيمة قادر على أن يعلم الأمريكان كيف يحكم نفسه. وبأن ما قيل وما يقال عن أن العراق والشعب العراقي لا يمكن أن يحكما إلاّ بالحديد والنار والقمع، ما هو إلا دعاية صهيونية خبيثة. ومن المؤسف أن كثيراً من المثقفين العرب والعراقيين آمنوا بها ومازالوا حتى اليوم.

لقد أثبتت التاريخ السابق للعراق أن حكم عملاء الإنكليز لا يمكن أن يدوم، فبعد أربعين سنة انتهى حكمهم. وبعد أربعين سنة من حكم الطغاة للعراق أثبت العراقيون والعراق أنه لا يمكن أن يحكم أيضاً من قبل الطغاة مهما ارتكبوا من جرائم.

لقد أثبت التاريخ أن العراق لا يمكن أن يحكم، لا من قبل الطغاة الداخليين ولا من قبل الطغاة الخارجيين، وكل من يفكر من الأطراف العراقية الراهنة أن بإمكانه أن يحكم

(١) وإذا كان صحيحا ان أغلب الأنظمة العربية لم تقف إلى جانب الشعب العراقي الموقف الصحيح في محنته فإن القوى الوطنية والعربية والإسلامية والاشتراكية عموما كانت وماتزال أعجز من ان تقدم له المساعدة المطلوبة لأنها هي نفسها بحاجة إلى من يساندها ويدعمها.

العراق بالحديد والنار والإرهاب أو الانفراد وحده بالحكم لن يحصد إلاّ سوى الفشل.

لقد أثبت تاريخ العراق خلال القرن الماضي أنه لا يمكن أن يحكمه، مستعمر أو طاغية أو حزب واحد وأنه لا يمكن أن يحكم إلا من قبل العراقيين أنفسهم من خلال جبهة وطنية موحدة.

هذا هو قدر العراقيين فقد وجدوا أنفسهم يتجمعون قبائل وعشائر سنة وشيعة وأكراد وتركمان ومسيحيين وكلدان وآشوريين وصابئة، وسواء كانوا حضراً أم بدواً أم معدان في إطار اسمه العراق فعليهم أن يدركوا أن هذا البلد الجميل والغني بتراثه وميراثه ورجاله ما هو إلاّ الإناء الذي يسبحون فيه جميعاً وأنه لا مفر أمامهم سوى تجاوز نزعاتهم الضعيفة والتخلي عن المصالح العشائرية والطائفية أو القومية المنغلقة. وأن يؤمنوا بأن العراق هو فوق الجميع وفوق جميع المصالح الضيقة لأي فئة.

ليس أمام العراقيين سوى أن يتخلوا عن جميع الأحقاد القديمة التي غرسها الاستعمار والطغاة. وعلى العراقيين ونخبهم أن يدركوا أن ما أصابهم من عنف وعنف مضاد سواء من قبل حكامهم أو من قبل زعمائهم أو من قبل بعضهم بعضا لا يعود إلى الطبيعة الخاصة والأبدية لهم كما يزعم الصهاينة بل تعود إلى البنية القلقة وغير المستقرة التي تم فيها تجميع العراقيين بطريقة مكنت الإنكليز ومس بل من حكمهم أربعين سنة، ومكنت صدام من حكمهم لاحقاً بتلك الطريقة البشعة.

ثالثاً: العنف والعنف المضاد وروح التدمير الذاتي:

يذكر حسين خليل[1] «وفي بغداد انصعقت الحكومة الجديدة نفسها (حكومة عبد الكريم قاسم بعد الثورة مباشرة) من هول أعمال السلب والنهب التي كانت تقوم بها الغوغاء للقصور الملكية، ولقد أصيبت الحكومة بصدمة قوية واعتراها الخوف من شرور العنف الغوغائي والوحشية التي سادت أعمالهم».

ويقول حسين خليل: «ويبدو أن الأمور ذاتها التي حدثت عام ١٩٤٨ قد تكررت ثانية عام ١٩٥٨ ويبدو أنها ستتكرر ثالثة ورابعة مما يدعو كل فرد للتفكير والبحث عن الطرق الكفيلة بإيقاف أعمال السلب والنهب والتدمير الذاتي قبل أي شيء آخر».

ويذكر باقر ياسين في كتابه تاريخ العنف الدموي في العراق أن الشعب نفسه الذي تبرع بالأموال لإقامة تمثال للجنرال الإنكليزي مود عام ١٩١٨ قام عام ١٩٥٨ بتحطيم هذا التمثال ومن الملفت للنظر الطريقة التي تم بها تحطيم ذلك التمثال عام ١٩٥٨ قد تكررت أثناء تحطيم تمثال صدام حسين ٢٠٠٣ كما ذكر ياسين أنه قد شدت رأس التمثال بالحبال ثم طرح أرضاً وديس عليه بالأقدام ثم ألقوه بدجلة.[2]

---

(١) خليل، حسين في كتابه وثائق العراق ص ٤٠

(٢) يتجاهل باقر ياسين أن شعب عام ١٩١٨ ليس نفسه شعب ١٩٥٨ كما يتجاهل أن ذلك القسم من

وهاهي أعمال السلب والنهب والتدمير الذاتي تتكرر مرة ثالثة عام ٢٠٠٣ لقصور صدام ومراكز ومنشآت الدولة وتراثها ومؤسساتها. وقد تتكرر هذه الأعمال مرة رابعة وخامسة ما لم يؤمن العراقيون أن العنف والعنف المضاد، والتخريب والتدمير يجب أن يوجه إلى المحتل الأجنبي وآلياته وجنوده وأجهزته وليس إلى مؤسساتهم أو ضد بعضهم البعض.

الشعب العراقي الذي تبرع لبناء التمثال ليس الشعب نفسه الذي قام بتحطيم ذلك التمثال وبالتالي فإن الزعم بأن ظاهرة التقلب والعنف والسحل هي صفات أصيلة في مزاج الفرد والشعب العراقي وإن ليس صحيحا وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ان للظلم رجال وللختوع رجال وللحق رجال وأن الظلم والخنوع لا يمكن أن يدوما وأن كل ما بني ويبنى على خطأ لابد ان يهدم ويزول مهما طال الزمن.

الفصل الثالث

العراق وإسرائيل والنفط

بينت الحقائق التاريخية الحديثة كما يرى اينغدال وسواه، أن اكتشاف النفط في نهاية القرن التاسع عشر شكل قفزة هائلة في استخدام الطاقة اللازمة لتحريك السفن[1] ففي حين كان يتطلب وصول سفينة تعمل على الفحم إلى كامل قوتها ما بين أربع إلى تسع ساعات أصبح ذلك يتطلب في المحرك النفطي ثلاثين دقيقة كما أن تزويد سفينة حربية بوقود النفط يتطلب عمل اثني عشر رجلاً مدة اثنتي عشر ساعة. في حين أن تزويد مثيلها بالطاقة نفسها الناجمة عن وقود الفحم يتطلب عمل خمسمائة رجل مدة خمسة أيام.

ومن أجل قوة دفع متساوية تتطلب سفينة وقود النفط ثلث وزن المحرك ونحو ربع وزن الوقود اليومي. وهذا عامل هام جداً بالنسبة لأي أسطول سواء أكان تجارياً أو حربياً. كما أن نصف طاقة عمل أسطول مزود بمحركات نفطية هو أربعة أضعافه لعمل سفينة تعمل بمحركات فحم حجري». ولقد أصبح واضحاً منذ هذا الاكتشاف أن من يسيطر على النفط لا يسيطر على البحار عسكرياً وحسب بل ويسيطر تجارياً وسياسياً عليها.

حدد (ر. ج لفان) وهو مستشار عسكري بريطاني ملحق بالجيش العربي: «إذا أنجز خط حديد برلين بغداد فإن مساحة هائلة من الأرض التي تنتج كل أنواع الثروة سوف تتوحد تحت السلطة الألمانية». ولهذا فقد قال المصري الألماني هليفردتش:

«إن السبب الجوهري لإعلان بريطانيا الحرب على الألمان يكمن أساساً في التقليد القديم للسياسة البريطانية في منع قيام أية دولة أوروبية تكون الأقوى اقتصادياً».

وذلك يعني أن إعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا عام ١٩١٧كان لمنع وصولها إلى حقول النفط الموجودة في العراق والخليج العربي بشكل رئيسي دون أن نتجاهل الدوافع الأخرى خاصة الصهيونية.

وطالما أننا عرفنا كما يقول أنيغدال أن أحد أسرار الحرب العالمية الأولى التي ظلت طي الكتمان يكمن في أن خزينة الحكومة البريطانية وماليتها كانتا مفلستين في آب ١٩١٤. وطالما أننا عرفنا أن الحكومة البريطانية قد خرجت من تلك الحرب مفلسة بأشد مما كانت عليه قبلها. فإن من حقنا أن نسأل لماذا شنت بريطانيا تلك الحرب ولمصلحة من؟

---

(١) اينغدال «ص ٣٨».

لقد قدم لنا انيغدال الجواب: من أجل المصالح المالية للمتنفذين في لندن.

إذا كانت المصالح المالية لليهود هي المتنفذة هناك فهي التي حركت إذن تلك الحرب وهي الوحيدة التي خرجت منها منتصرة ومزدهرة وإذا كانت رؤوس الأموال اليهودية قد تضاعفت بسبب ظروف الحرب والفوائد المرتفعة التي فرضتها على الدائنين فإنه يصبح من السهل علينا قبول أن المستفيد الأساسي من سيطرة بريطانيا على العراق والخليج العربي كانت المصالح المالية لليهود وإنها هي التي ماتزال تحرك اليوم هذه القوى الجديدة وفي أثناء الحرب العالمية الأولى فقد اتضح للجميع أن من أوصل ما يطلق عليهم البعض اسم الحلفاء (بينما هم في الحقيقة الأعداء الألداء) إلى النصر في الحرب إنما كان النفط ذاته.

هذه المادة لم تغذ السفن الحربية والطائرات والدبابات فقط بل وقدمت الوقود اللازم لحركة الملايين من الجنود ولتحريك الآلة التجارية والصناعية أيضاً والحصول على المليارات من الدولارات. لذلك فقد أصبح واضحاً وبصورة خاصة بعد الحرب العالمية الأولى أن من يسيطر على تلك المادة بأرخص الأسعار سوف يسيطر على الاقتصاد العالمي وعلى البحار والعالم كله عسكرياً واقتصادياً وسياسياً.

لم تكن صدفة أن وعد بلفور القاضي بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين قد ترافق مع نهاية الحرب العالمية الأولى لأن إقامة مثل هذا الوطن لليهود بات يقع في صلب الاستراتيجية الصهيونية للسيطرة على هذه المنطقة من العالم الغنية بالنفط للسيطرة على الاقتصاد العالمي.

ما هي حاجة بريطانيا لخلق وطن قومي لليهود في فلسطين مع علمها بأن ذلك سوف يؤلب عليها مليار عربي ومسلم ويحولهم إلى اعداء لها إذا كانت تريد النفط فقط، كما قال أحد النواب الإيرلنديين. طالما أنه كان باستطاعتها الحصول على ذلك النفط بدون شن الحرب على العرب وطالما أن البلدان التي تحتوي أراضيها عليه لا تستطيع اكتشاف أماكن وجوده أساساً ولا طرق استخراجه أو استخدامه أو تسويقه بتلك الكميات الهائلة. وطالما أن حاجة تلك البلدان لبيعه للحصول عن الأموال اللازمة للصرف والبذخ تجعلها مجبرة لبيعه لأي شارٍ مهما كانت جنسيته؟

أن كثيرا من المنظرين المتأمركين يقولون اليوم أن حظر النفط لم يعد سلاحاً بيدنا بل ضدنا، لأننا إذا لم نبعه للآخرين ولم نجد من ينقب عنه ويستخرجه سيظل بدون أية قيمة أو فائدة، مما يؤخر تطورنا الاقتصادي والحقيقة هي أن بريطانيا و أمريكا لو أرادت أن تحصل على النفط العراقي لحصلت عليه بالطرق التي استخدمتها مع الكويت والسعودية دون أن تلجأ إلى الاحتلال العسكري المباشر، حتى قبل الحرب الأخيرة على العراق، فالجميع يعرفون بأن ٧٠٪ من النفط العراقي كان يباع للشركات الأمريكية وبالسعر الذي تريده الاحتكارات دون أن تسقط النظام أو أن تشن الحرب عليه. مما يؤكد أن احتلال العراق عام ١٩١٨ واحتلاله ثانية عام ٢٠٠٣ لم يكن من أجل السيطرة على عملية

استخراجه وتسويقه فقط لأن الشركات النفطية الأمريكية هي التي ستفوز في النهاية بعملية شرائه وتسويقه بالسعر الذي يناسبها بل من أجل غايات أخرى.

الجميع يعرف أنه لا العراق ولا إيران يمكن أن تشكل تهديداً للولايات المتحدة الأمريكية حتى لو امتلكت الأسلحة النووية بعيدة المدى لأن أمريكا متفوقة عليها بشكل يجعل من هذه البلدان تتحول إلى دمار وخراب في لحظات، إذا ما أطلقت قنبلة واحدة باتجاه أمريكا ويعرف الجميع أن الأسلحة النووية لدى كوريا الديمقراطية هي التي يمكن أن تشكل خطراً على الولايات المتحدة باعتبار أنها يمكن أن تصيب المدن الأمريكية بعد أن صرحت حكومة كوريا بأنها تمتلك على الأقل قنبلتين، بينما لا يوجد ما يؤكد امتلاك العراق لهذه الأسلحة التي إن توفرت لديه فهي لن تصل إلا لإسرائيل فقط، ولا يمكن ان تطال الولايات المتحدة بأي شكل من الأشكال.

يفهم من هذا أن المعلومات المغلوطة التي قدمها الموساد إنما كانت تهدف إلى تحريك أمريكا وبريطانيا لتجريد دول المنطقة من كل أنواع أسلحة الدمار الشامل والأسلحة التقليدية المتطورة من أجل حماية إسرائيل بالذات وللحيلولة دون أي تهديد محتمل عليها، وهو يعني أيضاً أن تدمير المنطقة اقتصادياً وعسكرياً وثقافياً. وتدمير القوى الوطنية تحت ذريعة ما يسمى محاربة الشيوعية الكافرة أولا ثم الإرهاب الإسلامي الأصولي، إنما تهدف إلى تدمير هذه المنطقة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً وأخلاقياً لمصلحة إسرائيل لتبقى الدولة الوحيدة المتفوقة عسكرياً وتكنولوجياً وإدارياً بما يتيح لها إخضاع المنطقة، ولا يهم إسرائيل والصهاينة المتنفذين في واشنطن أن يدمر الجيش الأمريكي أو أن يقتل الآلاف من الأمريكيين وسواهم كما حصل في الحربين العالميتين بل يهمهم أن يستخدم هذا الجيش من أجل تدمير العراق وتركيع دول المنطقة حتى يصبح الجو في المنطقة خالياً لإسرائيل وحدها فقط.

من المؤسف أن كثيرا من الأمريكيين قد اكتشفوا هذه الحقيقة مؤخراً ومن المؤسف أكثر أنهم مع اكتشافهم لها لا يقدرون على فعل شيء ضد حكومتهم أو ضد إسرائيل أو ضد الصهيونية بعد أن اكتشفوا أنها قد أحكمت قبضتها عليهم وعلى حكومتهم.

لقد اكتشف الكثير من الأمريكيين أن احتلال جيشهم للعراق لم يكن يهدف إلى أبعاد الخطر الذي يمثله العراق عليهم بما يمتلكه من أسلحة دمار شامل فقد تبين أنه لا وجود لمثل هذا الأسلحة وتبين لهم أن نظام صدام حسين كان يحقق لأمريكا الكثير من الفوائد حين دفع دول المنطقة إلى الترحيب بقواتهم وجعلهم يفرضون هيمنتهم المطلقة على الخليج والسعودية والكويت وإيران ويحاصرونها وجعل هذه الدول تقدم مالها وبترولها لأمريكا دون أي ثمن و بالثمن وبالطريقة التي تريدها حكومتهم واحتكاراتهم. ولم يترك صدام شيئاً خلال السنوات الاثنتي عشر الماضية إلا وقدمه لأمريكا بدءاً من تدمير قواته وأسلحته تحت ذرائع وحجج متباينة لتجنب الضربة التي عندما وقعت لم يجد صدام ما يقاوم به هذه الضربة.

إذا كان النظام العراقي قد قدم لأمريكا كل هذه الخدمات العظيمة فلماذا تسقطه ولمصلحة من؟.

لقد بات واضحاً لكل عاقل في أمريكا وبريطانيا وأوروبا والعالم العربي وفي العراق خصوصاً أن إزاحة نظام صدام حسين إنما جاء تلبية لرغبة صهيونية في القضاء على آخر نفس يتحدث باسم عروبة فلسطين في المنطقة متذرعين ببطشه.

وهم لم يعودوا بحاجة لأي نظام يزاود ويتحدث عن فلسطين من البحر إلى النهر أو عن القرارات الدولية ولا حتى عن قول عاشت فلسطين عربية حرة أو أي نظام يقيم جيشاً للقدس حتى لو لم يقدم شيئاً لفلسطين والقدس.

لقد قدم هذا النظام للولايات المتحدة الخدمات التي لم يستطع أي نظام آخر تقديمها ولم يعد باستطاعته أن يقدم أكثر منها، لذا لم يعد من الضروري أن بقاؤه بل كان لابد من احتلال العراق وإزاحته من السلطة من أجل محاصرة سوريا وإيران والفلسطينيين وإخراس كل من يقول أنه مازال يحلم بفلسطين عربية حرة.

ومن أجل أرغام الجميع على القبول بخارطة للطريق تجعل الطريق ممهداً أمام عبودية العرب لإسرائيل وهيمنتها على الفلسطينيين والعراقيين وجميع بلدان وشعوب المنطقة.

ماذا حدث في العراق:

من المؤكد أن الهيمنة على العراق ودول الخليج والسعودية كانت منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم هدفاً صهيونياً، وأن ما أصاب الفلسطينيين والعراقيين والسوريين واللبنانيين خلال المائة سنة الأخيرة لم يكن إلاّ من أجل القضاء على أي نفس وطني يقف ضد أهدافهم.

وأن ما حل بالفلسطينيين من تدمير وتهجير وإذلال لم يكن إلاّ من أجل إحكام السيطرة الصهيونية على العراق والخليج والسعودية، وإن ضرب الأنظمة الوطنية والتقدمية والأحزاب الثورية هو عمل أساسي لإسكات أي طرف يُطالب بأن يكون (بترول العرب للعرب).

وللتأكيد على هذه الحقيقة من المفيد ذكر ما قاله سفير الولايات المتحدة[1] السابق في الرياض في عهد الرئيس بوش الأب «لنفترض أنني أردت أن أحسن من صورة بلدي (أمريكا) لدى العرب وقررت أن أزيل روح العداوة لها في البلدان العربية والإسلامية، فإنني سأطالب إسرائيل بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة وبضرورة تطبيق القرارات الدولية. لو أنني صرحت بمثل هذا التصريح، فإن الدنيا ستنقلب داخل الولايات المتحدة وسوف يتحرك الصهاينة وأصدقاءهم هناك مما سيجعل الرئيس يقوم باستدعائي إلى

(١) مقال نشر في مجلة الجيل العدد ٢٠٠٣/٧

واشنطن فوراً . وسوف يسألني لماذا فعلت ذلك فإنني كنت سأجيبه من أجل أن أكسب صداقة وود العرب لأمريكا.. عندها فإن الرئيس سوف يجيبني على الفور وأي شيء نريده من العرب ولم نحصل عليه بدون اتباع هذه السياسة. إننا بدون هذه السياسة نحصل منهم على كل ما نريد فلماذا تريدنا أن نغير تلك السياسة التي سوف تجلب علينا الويلات».

ثم يقول السفير «عندها لن أجد ما أرد به على الرئيس الذي سيطلب مني على الفور تقديم استقالتي خلال ربع ساعة». ويقول السفير «وبالفعل هذا ما حصل لي عندما عارضت تصريح هنري كسنجر بأن على الولايات المتحدة أن تحتل دول النفط، حيث طلب مني تقديم استقالتي وفعلت».

لو كنت مكان الرئيس الأمريكي لقلت للسفير: انظر هل كسب السوفييت من خلال وقوفهم ومساندتهم للعرب، غير الكراهية والحقد ونكران الجميل وخسارة كل مواقعهم في المنطقة.

يذكرني حديث هذا السفير الأمريكي بما قاله السفير البريطاني في العراق في عهد نوري السعيد.

قال: «إن العربي هو كالكلب الذي إذا ما أحسنت معاملته فسوف يتطاول عليك وقد يعضك لذلك فمن الأفضل أن لا تحسن معاملته وأن لا تلقي إليه إلاّ بالعظام حتى يظل تابعاً ومخلصاً لك».

إن قول هذا السفير أو ذاك ينطبق على كلابهم من العرب، أولئك الذين أوجدوهم وسلموهم الحكم أوتربوا في جامعاتهم ومحافلهم وأجهزتهم، يتبعونهم كالكلاب ويصفقون لهم سواء أكانوا حكاماً أو تجاراً أو نخبا مثقفة.

وإن هذا الفهم للعربي لا ينطبق على العرب المعروفين بشدة عدائهم للاستعمار، والذين كانت ومازالت غالبيتهم تعارض السياسة الإنكلوصهيونية في المنطقة وتدخل السجون والمعتقلات وتقدم التضحيات وتستشهد في مواجهة هذه السياسة الإمبريالية. وتكن الاحترام لأصدقائها وتعترف بالجميل الذي قدموه لها.

يقترح هذا السفير الأمريكي النزيه على العرب أن يتعاملوا مع البلدان العربية حسب مواقفها من إسرائيل، ومن الحل العادل للقضية الفلسطينية وأن يوقف العرب تعاملهم مع الأمريكان اقتصادياً ونفطياً وأن يسحبوا اعتماداتهم المالية من البنوك الإنكليزية والأمريكية.

لقد نسي السفير أن هؤلاء الحكام والنخب التي خلقها الأمريكان لا يمكن أن تعض اليد التي صنعتها.

إن من يقدر على القيام بهذه الخطوات المضادة للسياسة الغربية والأمريكية المنحازة إلى إسرائيل هم الشعوب العربية وقواها الوطنية فقط عندما تصبح قادرة على رسم

سياسة بلدانها بصورة مباشرة ومقاطعة كل شيء أمريكي وغربي، على خلاف ما يراه الكثيرون وما نظروا إليه من أن رسم خارطة المنطقة حسب اتفاقية سايكس بيكو والتي جرى تعديلها بعد الحرب في مؤتمر الصلح بباريس. وتعيين فيصل ملكاً على العراق لم يكن منذ البداية إلاّ بناء على مطلب الصهاينة أنفسهم وليس بناء على رغبة الإنكليز الذين عارضوا مثل هذا التعيين في البداية (أمثال كوكس وويلسون) ولم يكن يخطر ببال الحسين أو أي من أبناءه أن يكونوا ملوكاً على العراق. كل ما كان يهمهم أن يصبحوا خلفاء على المسلمين، ولم يخطر ببال أي عراقي أو عربي أن يكون هذا الملك الخليع ملكاً عليهم.

والواقع أن الذي جعل من فيصل ملكاً على العراق بدلاً من أن يكون ملكاً على سوريا (بعد أن توج وقوبل بالترحاب والأهازيج والأفراح) لم يكن عائداً إلى تناقض المصالح الفرنسية مع المصالح الإنكليزية فقط ولا بسبب رفض السوريين له ولا بسبب حب العراقيين له أو حبهم لوجود ملك عليهم، إنما كان بسبب أن هذا الملك الخليع الوضيع والمخنث والمتصهين كان الأقدر على صهينة العراق وحكمه كما يريد الصهاينة..

ربما كان لثورة العشرين دور حاسم في جعل الإنكليز يعدلون عن خطتهم الرامية إلى تعيين حاكم عسكري بريطاني للعراق يخضع له وزراء عراقيون تحت إشراف مستشارين بريطانيين لكن من المؤكد أن الإنكليز والصهاينة والفرنسيين وجدوا أن من الأفضل أن يعطى فيصل حكم العراق ليتم تهدئة العراقيين الرافضين للانتداب. ومن جعل الإنكليز ينكثون بوعودهم للفرنسيين والعرب وحسين ورجالات الثورة العربية الذين قدموا لهم بلادهم على طبق من ذهب. وما أجبر فرنسا على قبول ضم منطقة الموصل الغنية بالنفط إلى الانتداب البريطاني وتوسيع حدود فلسطين الشمالية هم الصهاينة وليس الإنكليز الذين حركوا فيصل والمؤتمر السوري ضدهم الفرنسيين.

ثمة أمر آخر أشار إليه الكاتب العراقي محمد طاهر العمري في كتابه «مقدرات العراق السياسية» (يتميز كون العراق عدا عن كميات النفط التي يحتويها موقعه الجيوسياسي والتاريخي والثقافي جعل منه أهم بلد في الشرق الأوسط إن لم نقل في العالم كله فبغداد كانت لأكثر من ألف سنة مركزاً للخلافة العربية الإسلامية ومركزا للإشعاع وكانت تتفوق على باريس ونيويورك حتى في وقتنا الحاضر وكان يخشى أن تعود لتأخذ هذا المركز من جديد لما تتمتع به من قدرات اقتصادية وخبرات علمية وبشرية ومركز استراتيجي) .

لكن ما لم يشر إليه العمري هو أن العراق كانت أيضاً مركزا للثورة الزراعية التي طورت البشرية وجعلتها تنتقل من حياة الكهوف والغابات إلى الحضارة، وكما يذكر المؤرخ وول ديورانت «فلقد قدمت الحضارات الأكادية والآشورية والبابلية أكثر من ٤٠٠ اختراع مازالت مستعملة حتى الآن في جميع بلدان العالم».

و أن اليهود والصهاينة والمسيحيين الغربيين كانوا ومازالوا ممتلئين حقداً أسود على العراق بلد الحضارة العربية والإسلامية و عاصمة الرشيد. وهم يمتلئون رغبة في تدمير

العراق وتدمير ثقافته وتاريخه وحضارته ومركزه، وفي أن يعودوا إليه - ليس كما كان قبل أكثر من ألف عام ليخضع قلة تعمل في الربى والتجارة.

خلافا لما جرى في جميع البلدان العربية فإن العراق لم يلق الجيش الإنكليزي أثناء دخوله وبالترحيب أو القبول. بل قاومهم الشعب المجرد من السلاح، بالمعاول والعصي والفؤوس.(1)

«ذلك أن المتطوعين من عرب بني لام وبني ظريف من العمارة وحقول الأهوار والأرز هاجموا الإنكليز ببسالة ولم تتمكن القوات البريطانية التي أنزلت أول لواء مجحفل في الفاو بعد أن مهدت له بقصف بحري بتاريخ ٦ تشرين الأول من عام ١٩١٤ من الوصول إلى المحمرة حيث كان يقيم عميلهم الشيخ خزعل إلاّ يوم ٢١ تشرين الثاني. أي بعد قتال دام خمسين يوماً».

وهذا أمر لم يحدث في العراق في الهجوم الأمريكي الراهن حيث لم يستمر القتال لأكثر من ١٥ يوما، وكما يرى مؤلفو الكتاب فإن القوات البريطانية لم تتكبد خسائر فادحة في الأرواح والمعدات بمثل ما تكبدته في جنوب العراق حيث قتل /٢٢٦٩/ جندي بريطاني وهو رقم كبير جداً حتى بمقاييسنا الراهنة.

من المفيد أن نذكر جميع المشككين أن الجنوب العراقي قاتل في جميع معارك العراق مثلما قاتل شماله خاصة في المراحل الأولى، وأنه هو الذي كان يتلقى الصدمة أولاً. ونتيجة للخسائر الفادحة التي تكبدها البريطانيون بعد ثورة العشرين لم يجد الإنكليز من مخرج لهم سوى التظاهر بالخضوع للحركة الوطنية وبأنهم سيعطون العراق حكماً مستقلاً ويعينون لهم ملكاً خاصاً بهم وهكذا تمت الصفقة القذرة كما يقول العمري ص ٢١٤: «إن النفعيين وأعداء القومية والعراق والعملاء هم الذين وقعوا صكوك التصويت لمصلحة قبول فيصل ملكاً».

فهل سيعيد التاريخ نفسه اليوم؟؟

يتابع العمري: «بعد أن وقع فيصل الاتفاقية المشينة مع وايزمان أصبح مؤهلاً لحكم العراق واستمر بتسديد ثمن العرش الذي قدم له بأسرع مما توقع الإنكليز استمر يدفع ويدفع حتى بعد أن تم التسديد واستمر يقوم بدور الوكيل لبريطانيا حتى النهاية». فهل سيفعل صدام أو غيره الأمر ذاته!!

يؤكد مؤلفو كتاب (المفصل في تاريخ العراق) القصة نفسها بأن مقاومة الشعب العراقي للانتداب جعلت الإنكليز يبرمون اتفاقاً مع فيصل، يعطي لبريطانيا الحق في إقامة القواعد العسكرية مع إعطاء العراق حكومة مستقلة (صورياً) وبقاء الإنكليز كمستشارين لمساعدة الحكومة العراقية في حكم العراقيين مما يجعلنا نستنتج أن فيصل كان قد قبل

(١) (كما جاء في كتاب «المفصل في تاريخ العراق»)

ببقاء الاحتلال البريطاني للعراق قبل أن يصبح ملكاً. ونحن نرى أن أغلب أعضاء مجلس الحكم المحلي للعراق ووزرائهم إذا كانوا وطنيين ومخلصين في الماضي فإنهم اليوم قبلوا الشروط الأمريكية والصهيونية قبل أن يتم تعيينهم؟ مما يدفع إلى الشك بوطنيتهم ويعطي مبرراً لمؤيدي صدام إلى القول بأنه كان محقاً عندما بطش بهم.

الفصل الرابع

حلف بغداد والشرق الأوسط الجديد

كان واضحاً للملك فيصل ونوري السعيد أن فلسطين ستتحول يوماً ما إلى قاعدة لليهود في المنطقة طالما أن الأول وقع اتفاقية مع وايزمن من أجل إقامة هذا الوطن القومي لليهود في فلسطين. وأقر في ذلك الاتفاق بأن يعمل بأسرع السبل وأن يقدم كل التسهيلات اللازمة ليس في فلسطين وحدها بل في المنطقة ويقدم الضمانات من أجل إقامة هذا الوطن القومي اليهودي فقد كان يعرف أنه مطلوب منه بعد أن يصبح ملكاً على العراق أن يعمل على تأمين هذه الشروط والتسهيلات التي تمثلت بإخراج العراق من ساحة الصراع مع الصهيونية وبتمديد خط أنابيب بترول من العراق إلى حيفا. فالقاصي والداني كان يعرف أن الوطن القومي اليهودي في فلسطين قد بدأت ملامحه تترسخ منذ عام ١٩١٩م مما يعني أن تمديد خط بترول كركوك حيفا إنما كان الهدف منه مد الدولة اليهودية الجنينية التي كانت تتشكل بكل السبل الضرورية وأسرعها لتنمو و وتتسع وتتمدد. أما نوري السعيد فكما ذكر نعيم البيلادي[1] بأن لقاءً تم في فيينا بين بن غوريون ونوري السعيد في عام ١٩٤٧ وأن بن غوريون طلب من نوري السعيد تسهيل إخراج اليهود العراقيين إلى إسرائيل التي ستولد قريباً وأن يستقبل العراق أعداداً مماثلة من الفلسطينيين الذين سيتم تهجيرهم من بلادهم». وما يجب أن نلفت النظر إليه هو أن نوري هذا كان في اجتماعات الجامعة العربية سواء في القاهرة أو بلودان أو عالية وصوفر أكثر الزعماء العرب تشدداً في مواقفه اللفظية إزاء بريطانيا وإسرائيل - مثله مثل صدام في المطالبة اللفظية بحظر النفط عن بريطانيا إذا ما تم الإعلان عن قيام دولة إسرائيل.. لكن عندما جاءت لحظة الحقيقة لم يقطع النفط الذي استمر بالضخ لإسرائيل حتى عام ١٩٤٩ وحيث كان لانسحاب الجيش العراقي المفاجئ والغريب من اللد والرملة دوراً حاسماً في محاصرة وهزيمة الجيش المصري وجيش الإنقاذ.[٢]

ويذكر البيلاوي أن الحكومة الإسرائيلية أرسلت في عام ١٩٤٩ مردخاي بن بورات إلى بغداد حيث التقى بنوري السعيد ووعده بتقديم مساعدات مالية كبيرة له شخصياً إذ أصدر الأخير قراراً يجرد اليهود العراقيين من جنسيتهم ليجبرهم على الهجرة إلى

---

(١) وهو يهودي عراقي مقيم في نيويورك الهلال العدد /٢٠٠٣/٧م

(٢) شاعت يومها عبارة (ماكو أوامر) للتندر على الحكومة العميلة لنوري السعيد وتواطؤها مع الصهاينة، ألم يتكرر هذا الموقف بشكل ما يومي ٧-٨ نيسان من عام ٢٠٠٣ قبل ان تسقط بغداد ويحتلها الأمريكان لأنه لم تكن هناك ثمة أوامر ولم يكن هناك من يصدر الأوامر.

فلسطين بعد أن توقفت الهجرة إليها من أوروبا بعد الحرب وبعد استقرار وضع اليهود فيها.. وبالفعل كما ذكرنا سابقاً لم يخيّب نوري طلب مردخاي حيث أصدر هذا الأمر فعلاً وجرد اليهود العراقيين من جنسيتهم وهجّر عام ١٩٥٠ ما لا يقل عن ١٠٧ آلاف يهودي إلى فلسطين بالقوة.. فقدم لإسرائيل في أحرج اللحظات الرجال اللازمين لها.. ويعرف الجميع أن محاولات الدول الاستعمارية قد تركزت منذ عام ١٩٥٠ على دفع الدول العربية إلى الاعتراف بإسرائيل كعضو طبيعي في المنطقة وهذا أمر ما كان ليحدث في الوقت الذي كان فيه جميع الملوك والرؤساء العرب ينادون بتحرير فلسطين من اليهود ولذلك فلقد وجد الاستعماريون والصهاينة أنهم لا يمكن أن يدخلوا إسرائيل إلى المنطقة بشكل مباشر بل كان لابد لهم من الالتفاف على المعارضة الرسمية والشعبية للعرب بخلق خطر موهوم قادم من الشرق أطلقوا عليه اسم الخطر الشيوعي الروسي البلشفي الأحمر الكافر الذي سيجرد الناس من أموالهم وأملاكهم ونسائهم. ويحولهم إلى مشاع.

وهكذا طرحت في عام ١٩٥١ فكرة إقامة نظام دفاعي عن الشرق الأوسط تكون إسرائيل عضواً رئيسياً فيه[1]. ومع بريطانيا وفرنسا ـ الولايات المتحدة ـ بلجيكا (دول حلف الأطلسي)، قدم الاقتراح أولاً إلى الحكومة المصرية ثم إلى الدول العربية الأخرى وإسرائيل حيث رفضت جميع الدول العربية ذلك الاقتراح باستثناء حكومة نوري السعيد والطفل الرضيع فيصل الثاني.

يلفت السيد البرادعي النظر إلى مسألة هامة وهي لماذا لا يكون نظام الدفاع عن الشرق الأوسط كاملاً إلا إذا انضمت إليه البلاد الإسلامية الواقعة شرق المتوسط مع إسرائيل ومصر فقط. ولماذا يتم تجاهل الدول العربية والإسلامية الواقعة شمال أفريقيا؟ أليست هذه الدول من الشرق الأوسط؟

لقد أوضحنا فيما سبق أن أهم ركيزة اعتمد عليها الإنكليز والصهاينة وعملاءهم هو خلق قناعة لدى العرب بأنهم ليسوا قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم وكذلك الدفاع عن أنفسهم وهذه هي الحجة التي استند عليها نوري السعيد للموافقة على ذلك الحلف بقوله: «إن الدفاع عن بلده والمحافظة عليه لا يمكن أن يتما إلا بالاعتماد على دولة أجنبية كبرى»[٢] يتساءل البرادعي من أين يأتي الخطر على العراق؟ أو على الدول العربية؟ هل من الاتحاد السوفيتي أم من إسرائيل التي يريدون أن تكون جزءاً من هذا الحلف؟ ولماذا لابد للعدوان القادم علينا أن يكون عدواناً روسياً وليس إسرائيلياً أو إنكليزياً أوفرنسياً!! فبعد أن وافق نوري السعيد عام ١٩٥٥ على إقامة حلف بغداد فإن الخطر على العرب جاء من إسرائيل ومن الإنكليز حيث انطلقت الطائرات البريطانية في عام ١٩٥٦ من مطار الحبانية غرب بغداد بالاشتراك مع القوات الإسرائيلية للعدوان على مصر، وهكذا فالعدوان على العرب لم يأت من الروس كما أوهمنا الإنكليز وعملاءهم بل أتى من

---

(١) (كما يذكر راشد البرادعي ـ في كتابه «من الحلف الإسلامي إلى حلف بغداد»)

(٢) ص ٥٧ ـ البرادعي.

إسرائيل وبريطانيا وفرنسا.. مما يعني أن ذاك الحلف لم يكن من أجل الدفاع عن الشرق الأوسط من الخطر الشيوعي بل من أجل الاعتداء عليه ومن أجل الدفاع عن إسرائيل لإدخالها في هذا الحلف الدفاعي ضد أي بلد عربي يريد التحرر من الاستعمار.

وعندما سقط حلف بغداد دعا الإنكليز والأتراك والإيرانيون والسعوديون إلى إقامة حلف مركزي ثم دعوا إلى تشكيل حلف إسلامي حيث قال (أنطوني إيدن) «إن العرب لا يمكن أن يقبلوا وجود إسرائيل بينهم ولكن عندما يدخل العرب في حلف مع المسلمين، الذين يقيمون علاقات مع إسرائيل فإنهم سوف يتقبلون وجودها تدريجياً».

وهكذا لم يجدوا غير العراق من يؤسس لهذا الحلف مما يعني أن هدف الحلف الدفاعي عن الشرق الأوسط، ثم حلف بغداد، ثم الحلف المركزي، ثم الحلف الإسلامي، إنما كانت وماتزال تقوم من أجل عيون إسرائيل، وحمايتها لإدخالها إلى المنطقة والهيمنة عليها.

لقد قال ابن سعود لإيزنهاور عن الحلف الإسلامي: «أنني ممنون لفخامة الرئيس أنه شرح لي هدف مشروعه الجليل لحماية العالم الإسلامي والعربي من خطر الشيوعية». من أين جاء الخطر على العالم العربي والإسلامي؟ من روسيا الشيوعية أم من إسرائيل الصهيونية؟!!. التي شنت عدوانها عام ٥٦ على مصر، ثم على جميع الدول العربية عام ١٩٦٧ ثم قامت بآلاف الاعتداءات على مصر وسوريا والأردن ولبنان والعراق.

«على ما يبدو فإن هذه الاعتداءات الإسرائيلية والاحتلالات أعطت النتيجة المطلوبة حيث أصبح مشروع بناء شرق أوسط جديد تقوم فيه دولة فلسطينية قابلة للحياة إلى جانب دولة إسرائيل حجر الزاوية في هذا الشرق الأوسط القديم الجديد ومطلباً فلسطينياً قبل أن يكون مطلباً عربياً أو مطلباً إسرائيليا أو أمريكياً..

يتساءل البرادعي «إذا كان الخطر الشيوعي قادما من الداخل فلماذا يكون الخطر الشيوعي خطرا علينا نحن، ولا يكون خطراً على الدول الأوروبية التي تشكل فيها الأحزاب الشيوعية أقوى الأحزاب؟ وإذا كانت العلاقات مع السوفيت تشكل خطراً فلماذا لا تشكل خطراً عليهم وتشكل خطراً علينا نحن فقط؟».

يتساءل البرادعي وهو ناصريٌ أصيل وليس شيوعياً قائلاً على فرض أن إقامة علاقات مع السوفييت لشراء الأسلحة منها للدفاع عن البلدان العربية سوف تشكل خطراً على المصالح الغربية في المنطقة فلماذا تقيم هذه الدول الغربية علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية وفنية مع الكتلة الشيوعية؟. هل لأن شراء الأسلحة من الكتلة الشيوعية تشكل خطراً على مصالحهم أم لأن شراء هذه الأسلحة للدفاع عن حدود الدول العربية وشعوبها من الاعتداءات الإسرائيلية ولوضع حد لاعتداءاتها وتوسعها في المنطقة؟ وعلى فرض أن الشيوعيين العرب سوف يشكلون خطراً على أحد البلدان العربية فهل سيتم تلافي هذا الخطر من خلال التحالف مع إسرائيل، بعد إدخالها في حلف دفاعي أو نظام

شرق أوسطي؟

وعلى فرض أن أحد الأحزاب الشيوعية استلم الحكم في أحد البلدان العربية فهل سيتم استدعاء أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإسرائيل للتدخل عسكرياً للحيلولة دون وقوعه؟

بعد أن زالت الغمامة السوداء التي وضعها الأمريكان والإنكليز والصهاينة وعملاءهم عن أعين الغالبية العامة لشعوبنا فإننا نلاحظ بكل بساطة أن أحداً من الأحزاب الشيوعية لم يقم باستلام الحكم في أي بلد عربي. ولم يشكل خطراً على أي حكم عربي باستثناء الأنظمة العميلة للغرب وإسرائيل. وسوف نلاحظ بكل سهولة أن لا روسيا ولا الصين ولا بلغاريا قامت بأي اعتداء على بلد عربي، وأن الذين قاموا بالاعتداءات خلال الخمسين عاماً الماضية إنما كانوا الإسرائيليين وحماتهم الغربيين.

على عكس ذلك تماماً فأن جميع هذه الدول الشيوعية وقفت معنا سياسياً وإعلامياً ودعمتنا عسكرياً واقتصادياً وبشرياً.

وعلى فرض أن الدول الإسلامية التي دخلت في أحلاف مع الغرب من أجل الدفاع عن البلدان العربية فلماذا لم تتحرك أية دولة من هذه الدول للدفاع عن مصر عام ١٩٥٦ أو للدفاع عن الدول العربية عندما شنت إسرائيل عدوانها على أربع دول عربية عام ٦٧. أو عندما شنت عدوانها على لبنان عام ٨٢ أو عندما قامت بمجازرها ضد الفلسطينيين؟.

ذلك يعني أن هذه الأحلاف والمؤتمرات الإسلامية لم يكن الهدف من إقامتها الدفاع عن الدول العربية بل تمكين إسرائيل من شن اعتداءاتها عليها.

بعد أن زالت اليوم تلك العصابة السوداء التي وضعوها على أعيننا بعد أن زال الخطر الشيوعي المزعوم وانتهى الاتحاد السوفيتي. وبعد أن تم القضاء على الأحزاب الشيوعية في أغلب البلدان العربية، خاصة في مصر والعراق فإن الساحة أصبحت مفتوحة للقوة الإسرائيلية الغاشمة وحدها لتفتك باللبنانيين طيلة ربع قرن وبالفلسطينيين طيلة نصف قرن.

وبعد أن انتهت الحركة الشيوعية في العالم كقوة دولية موازية للغرب لم يعد أي شيء يقف أمام الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة. ولم يعد هناك أي رادع يمنعها من القيام بأي شيء تريده. وهذا ما كان يريده أعداء الشيوعية.

ما ينبغي التأكيد عليه، هو أن العراق منذ سلم حكمه للصهيوني فيصل والعميل نوري السعيد في عام ١٩٢١ ومنذ أن فتح خط كركوك - حيفا ومنذ أن نزعت الجنسية العراقية عن اليهود العراقيين. ومنذ أن رفض إيقاف ضخ نفط العراق إبان حرب عام ٤٨ وعندما سحب قواته من اللد والرملة والخليل وعندما خذل الفلسطينيين في معاركهم مع النظام الأردني في أيلول عام ١٩٧٠. وعندما أقام حلف بغداد وعندما شن حروبه الخارجية ضد إيران وضد الكويت وعندما دعم النظام الأردني العميل. وعنده دمرّ حكامه شعبه وأفقروه.

وعندما منعوه من أن يكون ظهيراً وسنداً لسوريا ولبنان وفلسطين. إنما كانوا يخرجون أقوى قوة عربية من ساحة الصراع. وذلك قبل أن يخرجوا مصر منها بعد اتفاقية كامب ديفيد.

لقد أخرج حكام العراق فالقوى الوطنية العراقية والعربية والمسلمة لن تترك العراق لقمة سائغة لهم هذا البلد باعتباره أكبر قوة عربية وكأهم احتياطي عربي من ساحة الصراع مع الصهيونية وإسرائيل منذ عام ١٩١٧ حتى اليوم وهم يعتقدون أنهم بعد أن دمروه وأعادوه للصفر أنهم سوف يقدرون على جعله مهيأ لقبول الهيمنة الإسرائيلية المباشرة عليه..

لكنهم واهمون إذا كانوا يعتقدون أنهم سوف ينجحون في إيصال الشعب العراقي إلى هذه النهاية.

الفصل الخامس

العراق ما بين ثورة ١٤ تموز والاحتلال الأمريكي

أصبح واضحاً للأنكلوصهيونيين أن العراق بعد ثورة ١٤/تموز أصبح على مفترق طرق فإما أن يسكتوا على تحالف عبد الكريم قاسم مع الشيوعيين وإما أن يتم البطش به وبهم، ويعود العراق إلى ما كان عليه قبل الثورة.

يقول ديفيد وايذر:وهو مؤلف أمريكي كتب كثيراً عن التجسس (صحيفة الحياة ١٩ نيسان ٢٠٠٣ ص٦) أنه اطلع على سجلات تبين أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية هي التي خططت لاغتيال عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٩ (تلك المحاولة التي باءت بالفشل) ومن المعروف أن من قام بتنفيذ تلك العملية هو صدام حسين وعبد الوهاب الشيخلي مما يؤكد ارتباط صدام حسين بهذه الوكالة منذ عام ١٩٥٩، ويؤكد روجر موريس الذي كان عضواً في مجلس الأمن القومي الأمريكي حتى عام ١٩٧٠ «أن نظام صدام قد ولد على أيدي الولايات المتحدة بلا شك وأن مشاركة الـCIA في وصوله إلى الحكم كانت رئيسية حقاً».

ويذكر رشيد ملا في كتابه (الحقيقة الخفية لصدام حسين) ص٢٣ أن جورج ريمنكتون نائب السفير البريطاني الأول في بغداد في عام ١٩٥٩ يذكر في مذكراته أنه: قام بتسليم مائتا ألف دينار عراقي للمجموعة التي ستقوم باغتيال عبد الكريم قاسم «تلك المجموعة التي كان يتزعمها صدام حسين» كما كتب رشيد ملا أن خير الله طلفاح خال صدام حسين الذي كان يرعى ويوجه صدام حسين كان احد زعماء المحفل الماسوني الإيطالي في بغداد والبالغ عددهم ١٢ شخصاً.

ويقول موريس «أن لوكالة المخابرات المركزية يداً في انقلابين وقعا في العراق أيام الحرب الباردة أولهما انقلاب عام ١٩٦٣ الذي أدى إلى مقتل عبد الكريم قاسم الذي سمح للشيوعيين بتولي مناصب في حكومته والثاني أدى إلى استلام محمد حسن البكر السلطة في العراق عام ١٩٦٨ حيث وضع الأخير صدام حسين بقوة على طريق استلام السلطة في العراق» بحيث أصبح وبطرق ملتوية (كما أوضح صلاح عمر العلي) نائباً للبكر يتمتع صلاحيات واسعة في المخابرات والحزب والدولة أكثر من البكر.

ويؤكد موريس أن صدام حسين عندما غادر سوريا إلى مصر عام ١٩٥٩ بعد هربه من العراق إثر فشل محاولة اغتيال قاسم تظاهر بدراسة الحقوق في القاهرة كان يتلقى راتباً شهرياً من وكالة المخابرات المركزية بينما كان في الحقيقة يتدرب على أساليب الحكم

والبطش.

هذه المعلومات لم يؤكدها موريس وايذر فقط بل أكدها كثير من الكتاب الفرنسيين والروس وأعضاء في حزب البعث العراقي أمثال صلاح عمر العلي وغيره حيث شن صدام حرباً على إيران فور استلامه للسلطة عام ١٩٧٩ بعد أن أزاح حسن البكر عن القيادة (الذي وافق أن تكون بغداد مقراً لمؤتمر القمة العربية قمة الصمود والتصدي عام ١٩٧٨ والذي اتخذ فيه قرار دعم الجبهة الشرقية على إثر خروج مصر باتفاقية كامب ديفيد) وكان معروفاً للجميع أن الولايات المتحدة ساندت صدام حسين في حربه ضد إيران بدلاً من أن يدعم سوريا والفلسطينيين (الجبهة الشرقية) حسبما قررت القمة العربية يقول جون الترمان مدير برامج الشرق الأوسط في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية أنه قد «عارض تقديم الأسلحة الكيميائية لصدام حسين لاستخدامها ضد الإيرانيين ويؤكد أن الجراثيم التي استخدمها صدام في الحرب ضد إيران وضد الأكراد في حلبجة كانت مأخوذة من مستودعات في ولاية فريجينيا وأن شحنات الجمرة الخبيثة وفيروس غرب النيل قد أرسلت إلى العراق عام ١٩٨٢ بموافقة وزارة التجارة الخارجية الأمريكية لأغراض قيل يومها أنها تتعلق بأبحاث طبية».

ويعرض الكاتب الفرنسي إيريك لوران في كتابه حرب آل بوش «بعد أن تمكن الإيرانيون من إيقاف الهجوم العراقي في أيار ١٩٨٢ وأجبروا الجيش العراقي على الانسحاب ثم بدأوا بالهجوم المضاد داخل الأراضي العراقية فإن حالة من الهلع أصابت ريغن وحلفاءه في المنطقة لا سيما الأنظمة النفطية وكان أول قرار اتخذه ريغن تمثل بسحب اسم العراق من قائمة الدول المساندة للإرهاب ثم قررت الإدارة الأمريكية تقديم مساعدات عسكرية عاجلة إلى صدام حسين عبر الدول الحليفة للولايات المتحدة مثل الأردن والكويت ومصر قبل أن تنقل سراً إلى العراق ويرى لوران أن من بين هذه المساعدات أربعين طوافة من نوع هوجنر وتم إرسال طوافات من نوع بل المستخدمة في الولايات المتحدة لرش المحاصيل الزراعية بالأدوية الكيميائية غير أن تلك الطوافات استخدمت من قبل صدام في عام ١٩٨٨ للهجوم بالأسلحة الكيميائية على مدينة حلبجة الكردية التي قتل فيها أكثر من ٥٠٠٠ شخص كان معظمهم من النساء والأطفال».

ويؤكد الكاتب لوران أن بوش الأب أقنع الرئيس ريغن عام ١٩٨٣ بإرسال موفد خاص من قبله للالتقاء بصدام حسين مباشرة وأن هذا الموفد الخاص كان هو رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي الحالي حيث وصل بغداد في ١٩ كانون الأول ١٩٨٣ وبصورة رسمية حاملاً معه رسالة مخطوطة بيد الرئيس ريغن إلى صدام حسين شخصياً ويقول لوران أن رامسفيلد فور عودته إلى واشنطن قدم صورة إيجابية جداً عن صدام حسين لدرجة أن الإدارة الأمريكية أرسلت عدة رسائل لدول خليجية تقول فيها «أن هزيمة يمنى بها العراق في حربه مع إيران ستكون مناقضة لمصالح الولايات المتحدة لذلك يجب اتخاذ تدابير عديدة وعاجلة لتجنب حدوث هكذا هزيمة».

ومنذ تلك الأيام أصبح التعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية والعراق رسمياً والتعاون بين أجهزة الاستخبارات العراقية ووكالة الاستخبارات الأمريكية الـCIA تعاوناً علنياً ودائماً وقد كشف الصحفي بوب ودرو عام ١٩٨٦ أن الـCIA قدمت إلى المخابرات العسكرية العراقية معلومات سمحت بتحسين استخدام غاز الخردل ضد الإيرانيين وكذلك مدتها بصور من الأقمار الصناعية وطائرات التجسس الأمريكية (الأواكس) لكي تتمكن القوات العراقية من تحسين قصفها للمواقع والقوات الإيرانية.

وخلال الحرب أي في عام ١٩٨٤ وافقت الإدارة الأمريكية على مد أنبوب نفطي يسمح بإيصال النفط العراقي إلى السوق الأوروبية عن طريق العقبة بعد أن أوقفت الحكومة العراقية الأنبوب المار في الأراضي السورية وأن شركة بكتل التي يديرها ديك تشيني وهي أكبر شركة مقاولات عامة وهندسة في العالم (سبق لها أن نفذت مع مجموعة بن لادن عدة مشاريع في الشرق الأوسط) قد اتفقت مع الحكومة العراقية على مد أنبوب النفط هذا من كركوك إلى العقبة، ثم إلى إيلات. غير أن بنك إكسبورت إمبورت الذي يضمن القروض الأمريكية الخارجية (والذي يسيطر عليه اليهود الصهاينة) رفض الموافقة على القرض بالرغم من الضغوطات الكثيرة التي مارستها وزارة الخارجية الأمريكية بحجة أن العراق ليس لديه القدرة على تسديد هذا القرض الذي يبلغ مليار دولار!!.

وهنا نجد من الضروري الإشارة إلى أحد أسرار انقلاب الموقف الأمريكي من العراق وصدام والحرب التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية على العراق في عامي ١٩٩١ وعام ٢٠٠٣:

١. غزو الكويت: يطرح إيريك لوران سؤالين جريئين: ١- هل كان بمقدور بن لادن والمجاهدين الإسلاميين الانتصار على السوفييت وإخراجهم من أفغانستان بإمكانياتهم الذاتية، بدون الدعم المطلق الذي قدمته لهم أمريكياً عسكرياً ومخابراتياً ولوجستياً» أو من دون تقديم أحدث الأسلحة الأمريكية للمجاهدين العرب والمسلمين الذين ذهبوا لمقاتلة السوفييت أو من دون الدعم السياسي لأميركا والدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي أو من دون الدعم المالي للسعودية (قدر محمد حسنين هيكل هذا الدعم بعشرين مليار دولار في حين لم تقدم السعودية ودول الخليج لسوريا ومصر في حربهما مع إسرائيل من أجل استرجاع أراضيهم المحتلة أكثر من ملياري دولار فقط).

٢. هل كان بمقدور صدام حسين أن يغزو الكويت من دون تشجيع خفي من قبل الولايات المتحدة له. الجواب يقدمه لنا أيضاً بالإضافة للوران محمد حسنين هيكل في كتابه عن حرب الخليج الثانية وحمدان حمدان في كتابه المعنون بـ(قطرة دم تساوي قطرة نفط) حيث يتوصل الكاتبان إلى أن الضوء الأخضر لغزو الكويت قدمته لصدام حسين سفيرة الولايات المتحدة في بغداد (غلاسبي) ومع أن الكاتبان يوحيان للقراء بأن هناك فخاً نصب للقوات العراقية لتدخل الكويت إلى أن الحقيقة تظهر أن قصة الفخ ليست صحيحة. لأنه كان بوسع صدام حسين سحب قواته من الكويت إذا كان قد وقع في الفخ بعد أن أوضح له أكثر من مسؤول سوفييتي وعربي وأوروبي النتائج التي يمكن أن تتمخض عن غزوه للكويت. مما يؤكد أن تواطؤاً خفياً كان

قد تم بين صدام حسين وأمريكا يهدف إلى تدمير القوة العسكرية العراقية بعد أن أدت المهمة المنوطة بها في تدمير إيران واحتواء خطرها على دول الخليج. مما ممكن إسرائيل أيضاً من القيام بغزو لبنان عام ٨٢ وطرد المقاومة الفلسطينية منها ومما أدى إلى شق الصف العربي بين مؤيد لصدام ومعارض له حيث تم يومها طي ملف التضامن العربي. وتؤكد مجريات الأحداث التي وقعت بعد غزو الكويت أن صدام حسين لم يستمع لنصائح أي زعيم في العالم بضرورة الانسحاب من الكويت قبل أن توجه الضربة القاتلة له ولجيشه وظل مصراً على عدم الانسحاب مهدداً بالرد العنيف عليها إلا أنه فجأة وبدون أي قتال وعلى عكس ما كان يصر عليه من ضرورة القتال حتى النصر أعطى أوامره لقواته ليس للانسحاب من الكويت فقط بل ومن جنوب العراق مما مكن القوات الأمريكية من تدمير قواته العسكرية المتراجعة ثم تدمير مخزونه من المواد الكيميائية والجرثومية التي حصل عليها أثناء حربه مع إيران ومما أتاح المجال للأمريكان أيضاً لتقسيم العراق إلى ثلاث مناطق حظرت الأمم المتحدة على قواته دخول القسمين الجنوبي والشمالي وهذا أمر لم يحدث في أي بلد في العالم وكان واضحاً أن ذلك كله لم يكن إلا مقدمات لاحتلال العراق.

بعد أن هيأت الولايات المتحدة له جميع الظروف للبطش بانتفاضة الشيعة في الجنوب فرضت عليه حصاراً اقتصادياً من أجل تجويع وتركيع الشعب العراقي حتى يصبح هذا الشعب الأبي مستعداً للقبول بأي قوة تزيح هذا النظام حتى لو كانت إسرائيل وبزعامة شارون. أورد ألان ميشيل في كتابه (العراق ـ الخطأ) مواقف عشرات المفكرين والفلاسفة والزعماء الدينيين والسياسيين الغربيين الذين كانوا جميعهم متفقين على أن الحصار الذي فرض على العراق كان جريمة إنسانية ضد الشعب العراقي لم تكن الغاية منه معاقبة نظام صدام الذي بنى خلال فترة الحصار أكثر من ٤٠٠ قصر من أضخم وأفخم قصور العالم بل كانت الغاية منه تعزيز وضع الديكتاتور وحاشيته ومعاقبة الشعب العراقي لأنه آمن ومازال يؤمن بأن الكويت جزءا لا يتجزأ من العراق يجب أن يعود إليه عاجلاً أم آجلاً ليجعلوا هذ الشعب يقلع نهائياً عن هذه الفكرة أو هذا الطموح وليعرف أن عواقبها ستكون وخيمة جداً عليه.

وخلال السنوات العشرة الماضية لعب صدام حسين والأمريكان لعبة القط والفأر التي أتاحت لهم تجريد العراق من قواته العسكرية عندما فرضت عليه بعد ضربة عام ١٩٩٣ وبعد حرب عام ١٩٨٨ (المراقبين الدوليين) ومنع استيراد أي قطعة سلاح وكشف كل القدرات العسكرية للأميركان، حيث تم بعد الحصار تحويل أغلب أسلحته السوفييتية إلى خردة مما مهد الطريق لاحتلال العراق وتجنب القوات الأمريكية أية خسائر محتملة عند غزوها له.

وهكذا بعد أن تمكنت الولايات المتحدة من تجريد العراق من قوته العسكرية واحتواء معارضته الداخلية والخارجية وتحويل المعارضة العراقية المعتاشة على المساعدات الخارجية في دول أوروبا والولايات المتحدة (مع العلم أن هذه الدول هي التي تعتاش على أموال النفط العراقي والعربي) إلى أدوات بيد الـCIA أصبحت مسألة احتلال العراق مسألة وقت فقط.

الباب الخامس

العراق وفلسطين والمنطقة

الفصل الأول

من وماذا وراء غزو العراق

بعد أن تهاوت أغلب الحجج التي تذرعت بها الإدارة الأمريكية لتبرير غزوها العراق. لم تجد هذه الإدارة من حجة لتبرير غزوها سوى الإعلان أن هدفها هو إسقاط النظام العراقي لإقامة نظام ديمقراطي يعيد للعراق ولشعبه السيطرة على خيراته ذلك الهدف الذي قد يجد استجابة لدى بعض العراقيين المعارضين للنظام وبعض جيرانه من محبي الديمقراطية المزعومة والذين هم في الحقيقة أبعد ما يكونون عن الديمقراطية.

منذ أن اتضح أن هناك نية مبيتة لغزو العراق برزت في الجهة المقابلة عدة رؤى لتفنيد وتعرية ودحض الأهداف الأمريكية الحقيقية. أول وأبرز هذه الرؤى هي تلك التي ترى أن هدف الإدارة الأمريكية الحقيقي هو السيطرة على نفط العراق الذي إذا تمكنت من السيطرة عليه استطاعت أن تفرض هيمنتها على العالم كله. ومع أن هذه الرؤية لا تخلو من حقيقة إلا أنها تحتاج إلى توضيحات ورؤى أخرى مكملة لها. كتلك الرؤية التي طرحها قبل سنوات الخبير الاقتصادي الأمريكي ليندون لاروش والتي تتمثل في الأزمة التي يعاني منها نظام النقد العالمي القائم على «اتفاقية بريتون وودز» والتي بدأت في عام ١٩٧١ بجعل الدولار عملة صعبة بديلة عن الذهب مما مكن الإدارة الأمريكية من السيطرة على النظام الاقتصادي للعالم بأسره بما يجنبها الأزمات.

من الأمور التي لم يعطها المحللون السياسيون والاقتصاديون الأهمية الكافية أن ظهور اليورو كعملة منافسة للدولار على النطاق العالمي. شكل أحد الأمور الهامة التي لم ينتبه إليها الكثيرون وهو أن ارتفاع أسعار النفط عام ١٩٧٤ وقرار الأوبك خاصة السعودية قبول الدولار فقط ثمناً لنفطها قد ساهم مساهمة كبيرة في منع الاقتصاد الأمريكي ونظام النقد الدولي من الانهيار ولذلك فإن الإدارة الأمريكية حريصة جداً من خلال السيطرة على إنتاج النفط زيادة أو نقصانا وخفض سعر الدولار أو رفعه وتخفيض سعر الفائدة من التحكم بالاقتصاد العالمي كذلك فإن محاصرة العراق منذ عام ١٩٩١ قبل ظهور اليورو كانت تهدف إلى التحكم بسعر بيع النفط وسعر صرف الدولار لتدمير اليورو ولو أدى ذلك إلى تدمير الدول المنتجة للنفط وفي مقدمتها السعودية والكويت وفنزويلا وروسيا بما يمكن الدولار الأمريكي من البقاء كعملة وحيدة، كذلك لا يمكن تجاهل أن السيطرة على نفط العراق ستمكن الإدارة الأمريكية من تغطية نفقات الحرب عليه والحروب اللاحقة وتمكنها من الاحتفاظ به كاحتياطي طوال القرن القادم.

أحد الرؤى الأخرى التي لم يجر التركيز عليها كثيراً تلك التي ترى أن الصناعات

الحربية الأمريكية التي تُشغِلُ ما يقرب من سبعين مليون أمريكي (علماء - باحثين - مهندسين - صناعيين - مستوردين ومصدرين - إداريين جنود وعملاء) باتت تشكل الركيزة الأساسية للاقتصاد الأمريكي التي إذا توقفت عن العمل سيعاني هذا الاقتصاد من الركود الواضح والجلي -لكثير من المراقبين- في الانخفاض المستمر لمعدل النمو وسعر الفائدة.

لذلك فإن تحريك هذه الصناعات الحربية تتطلب تصريف الأسلحة المكدسة لتحريك الاقتصاد الأمريكي. وهكذا فإن الحرب سواء على يوغسلافيا أو على أفغانستان أو على كوريا وربما لاحقاً على إيران وسوريا وربما على روسيا ستظل محركاً أساسياً للاقتصاد الأمريكي، وطالما يوجد من هو مستعد لأن يدفع ويغطي نفقات تجديد هذه الآلة الحربية سواء أكان دافع الضرائب الأمريكي (خوفاً على نفسه من الإرهاب المزعوم أو خوفاً من الأخطار التي قد يشكلها الإسلام على الحضارة الأمريكية ونمط الحياة الأمريكي) أو دول الخليج و اليابان والدول الأخرى المستوردة للنفط، طالما أن هناك من يدفع فلماذا لا تشن الحرب؟

الصهيونية تجر الامبريالية من أذنيها:

إذا كان لأمريكا مصلحة في الهيمنة على بترول العراق فإن بمقدورها تحقيق هذه الهيمنة بدون قتال خاصة بعد أن أعلن الرئيس صدام أنه لا يكن أي عداء للولايات المتحدة الأمريكية أو للشعب الأمريكي. وإذا كان لأمريكا مصلحة في مواجهة الأخطار المزعومة التي تهدد اقتصادها على المدى البعيد من قبل الصين أو أوربا الموحدة المتحالفة مع روسيا فيفترض بها أن تحسن علاقاتها مع العراق والعرب وأن تضغط على إسرائيل لترغمها على الانسحاب وتنفيذ القرارات الدولية.

وإذا كان ثمة حاجة لتحريك عجلة الآلة العسكرية الأمريكية الهائلة فإن بلداً مثل الصين أو روسيا هي أصلح لشن حرب طويلة، لماذا إذاً تصر أمريكا على تفريغ هذه الأسلحة على هذه المنطقة بالذات.

هذا معناه أن توجيه هذه الحرب تجاه العراق إنما يهدف إلى تحقيق المصالح الصهيونية التوسعية التي ستلحق أضراراً بالغة بالمصالح الأمريكية الأساسية وبمصالح الشعب الأمريكي.

هذا التفسير يترك الباب مفتوحاً لرؤية أخرى قديمة جرى إغفالها أو التعتيم عليها يجسدها شعار الكنيست القائل دولة إسرائيل من الفرات إلى النيل. رغم أن هذا الشعار يبدو للبعض شعاراً قديماً تجاوزته حقائق التاريخ والجغرافيا باعتبار أن من المستحيل أن تحقق إسرائيل مثل هذه الدولة من الفرات إلى النيل عسكرياً وبشرياً: لكن إذا كان صحيحاً أن إمكانيات إسرائيل العسكرية والبشرية لا تمكنها من تحقيق هذه الدولة بشرياً فإن من الصحيح أيضاً أنها سوف تستعين بالإمبريالية الأمريكية وتركب على ظهرها من

أجل تجريد هذه المنطقة من جميع عوامل قوتها لتحقيق هذه الدولة سياسياً واقتصادياً. وسياسياً وامنيا وهذا يقودنا إلى هدف آخر لهذه الحملة الأنكلوالصهيونية.

تدمير بابل:

تنطلق هذه الرؤية من أن تدمير بغداد والعراق هو انتقام اليهود مما فعله بهم البابليون القدامى أجداد العراقيين الحاليين عندما دمر نبوخذ نصر مملكتهم وهدم هيكل سليمان المزعوم.

تستند هذه الرؤية إلى عدة حقائق أبرزها تحول الإدارة الأمريكية الراهنة نحو اليمين خاصة الصهيوني المتمثل بسيطرة عدد من الأمريكيين المعروفين بولائهم للصهيونية وتأييدهم لإسرائيل خاصة لسياسة الليكود التوسعية أمثال ريتشارد بيرل - بول ولفوويز واليوت براهمز - وجون بولتون ودوغلاس فايت وورمسز الذين هم في قلب السلطة الحالية في أمريكا والمتحالفين مع رامسفيلد وتشيني وارمتياج الذين يضعون بوش في الواجهة.

إن مثل هذه الرؤية لا تخلو من الصحة باعتبار أن الرئيس الأمريكي الديمقراطي السابق جيمي كارتر ذكر في مقال نشرته له صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٩ ((بصفتي مسيحياً متديناً ورئيساً واجهته بشدة أزمات دولية عديدة أصبحت على إطلاع كامل بمبادئ أي حرب عادلة. ومن الواضح تماماً أن الهجوم الأحادي على العراق لا يتفق مع معايير الحرب العادلة. وهذا الرأي يمثل على الغالب إيماناً عاماً لقادة الدين المسيحيين باستثناء عدد قليل من الناطقين باسم «الميثاق العمداني الجنوبي» الذين وقعوا تحت نفوذ قوي من علاقتهم القائمة مع إسرائيل على الفكر اللاهوتي الخاص بعالم الآخرة وآخر الأيام ونهاية العالم)).

من هم المستفيدون من احتلال العراق:

يسعى المجرمون (القتلة واللصوص) دوماً إلى إخفاء الدلائل التي يمكن أن تقود إليهم لذلك فإن من واجب المحققين والقضاة والمحللين السياسيين عندما يعالجون مثل هذه الجريمة السياسية العمل على كشف الخيوط التي تدل على المجرم الحقيقي الذي غالباً ما يستخدم قتله مأجورين آخرين لتنفيذ أغراضه.

فإذا كانت الاحتكارات النفطية الانكلوصهيونية هي أحد المستفيدين فإن توجيه الأنظار نحوها فقط سيكون هدفه توجيه الأنظار بعيداً عن أن هناك مأجورين ومستفيدين آخرين يتمثلون في الاحتكارات العسكرية الضخمة التي ستجنى من وراء هذه الحرب مائتي مليار دولار. وإن توجيه الأنظار إلى هؤلاء فقط سيخفي وجود شركات أمريكية متوقفة ومنهارة تريد أن تجني أرباحاً طائلة من وراء إعادة أعمار العراق بعد الحرب قد تزيد عن الرقم السابق خلال سنوات ما بعد الحرب. من هذه الزاوية فإن من مصلحة هذه الشركات إطالة أمد الحرب أطول فترة ممكنة طالما أن هناك دولاً مثل اليابان وأوروبا ودول الخليج

والكويت والشعب العراقي ودافع الضرائب الأمريكي (الذي توهم أنه سيدافع عن أمن أمريكا وهيبتها). طالما أن هؤلاء جميعاً مستعدون لدفع فاتورة هذه الحرب فلماذا لا يطيلون أمدها حتى لو ذهب ضحيتها مئات آلاف من الجنود الأمريكين والملايين من أبناء الشعب العراقي والشعوب العربية.

وطالما أن شركات الإعمار والبناء سوف تجني أرباحاً أكبر كلما لحق بالعراق تدمير أكبر فإن من مصلحة هذه الاحتكارات أيضاً إطالة أمد الحرب وإلحاق مزيد من الدمار بالعراق والمنطقة.

إذا كان هؤلاء القتلة والمأجورين الكبار (احتكارات النفط - والسلاح وإعادة الأعمار والبناء - وأصحاب رؤوس الأموال) سيحققون فوائد كبيرة من وراء هذه الحرب فإن المستفيد الأكبر عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وأمنياً وثقافياً على المدى القريب والبعيد ستكون إسرائيل والحركة الصهيونية وهذا ما تم الإشارة إليه من خلال أقوال كارتر وباتريك بوكانن.

العلاقة بين الحرب على العراق والحرب على الفلسطينيين:

يعتقد الصهاينة أنه إذا جرى احتلال العراق وتدميره فإن محاصرة سوريا ولبنان ستكون سهلة بحيث لا يبقى أمام الفلسطينيين والعرب إلا الاستسلام لمطالب شارون.

ولكن طالما أن توجيه ضربة للعراق لن تكتسب التأييد العالمي والأمريكي الرسمي والشعبي الذي اكتسبته الضربة التي وجهت لأفغانستان ولأن الغاية السياسية من توجيه هذه الضربة للعراق أصبحت مكشوفة وواضحة (خدمة إسرائيل - الليكود - شارون) لذلك أعلن كل من بوش وبلير وبشكل ملفت للنظر (خطابين بينهما فترة ساعة فقط) ترحيبهما بتعيين أبو مازن كخطوة أولى في تنفيذ خارطة الطريق ليبعدا عن أنظار العالم كله. شعوبهم وشعوب وحكومات العالم والشعوب العربية والإسلامية رؤية أن حربهم ضد العراق هي حرب لخدمة إسرائيل والليكود وشارون لذلك فقد أظهرا موافقتهما المبدئية على خارطة الطريق وتعيين أبو مازن رئيساً لحكومة فلسطينية ليوازنا بين الموقفين المتناقضين.

من مهزلة المهازل أن يقوم بعد ذلك كل من بوش وأزنار الإسباني المجتمعين في جزر الازور يوم ٢٠٠٣/٣/١٧ في ذلك الاجتماع باتخاذ قرار شن الحرب على العراق وبالترحيب بأبو مازن في آن معا ما هو الداعي للترحيب بمثل هذه الشخصية قبل شن حرب مدمرة يعارضها العالم كله؟

لقد فهم الأوربيون والروس أن الغاية من ضرب العراق هي تدعيم سياسة الليكود وشارون في المنطقة أي بمعنى إخراجهم جميعاً منها. لذلك كان لابد من التلويح لهم بالجزرة التي هي الترحيب بأبو مازن الخطوة الأولى في خارطة الطريق التي تتيح لهؤلاء أن يأخذوا قطعاً صغيرة من الكعكة الدسمة (خيرات الشرق الأوسط) فكما جاء في

صحيفة هارتس يوم ٢٠٠٣/٣/١٧ «واقع الأمر أن الدول الأوروبية تحمل إسرائيل مسؤولية عدم حل أزمة الشرق الأوسط وتلقي بمعظم المسؤولية على إسرائيل ومن هنا فإن شارون والليكود لا يجدون فرقاً بين أوروبا القديمة التي تعارض دولها الحرب على العراق وبين أوروبا التي تؤيد دولها هذه الحرب طالما أن الكل يدعمون خارطة الطريق. وطالما أن الدول المعارضة للحرب لا يمكنها الضغط في هذا الاتجاه فإن على الدول الأوروبية الحليفة لبوش أن تزيل الصورة الاستعمارية التي ستلصق بها بسبب مشاركتها في الحرب على العراق. ولذلك فإنها ستحرص على أن تبرهن لمؤسساتها التشريعية وللرأي العام العالمي والعربي أنها ستبذل كل ما بوسعها من أجل إنهاء الاحتلال الإسرائيلي من خلال إقامة دولة فلسطينية سيكون أبو مازن رئيساً لحكومتها».

وبما أن الدول الأوربية المعارضة للحرب وروسيا تعرف أن الموافقة على خارطة الطريق بالكلام لن تعني شيئاً إذا ما تم ضرب العراق وهي لن تكون أكثر من ذر الرماد في العيون لتغير موقفها من الحرب على العراق لذلك تمسكت بموقفها الرافض للحرب وبشكل خاص للنتائج التي يمكن أن تتمخض عنها.

وطالما أن شارون لم يعط حتى موافقته المبدئية على خريطة الطريق (إذ أبدى مئة ملاحظة حولها على الرغم من ترحيبه بتعين أبو مازن وابداء استعداده لمقابلته والتفاهم معه لتنفيذ المخططات الأولى في خارطة الطريق الهادفة إلى القضاء على البنى التحتية للمقاومة وإنهاء الانتفاضة) لذلك فإن بوش وبلير لم يرغبا أن يمسا بمشاعر شارون المرهفة والحساسة وأن يخاطرا بخسارة الدعم الذي يقدمه لهم اليهود والصهاينة في بلادهم لذلك فلقد اكتفيا بالترحيب بأبو مازن ولم يعلنا تمسكهما بخريطة الطريق كاملة ولا ضرورة إلزام شارون بها بعد الحرب.

إن مجرد الترحيب بأبو مازن والترغيب بخريطة الطريق لم تعجب حماة إسرائيل والليكود في الإدارة الأمريكية والذين يطلقون على أنفسهم اسم «الرابطة المضادة لتشويه سمعة اليهود» لقد خشي هؤلاء أن تحدث عملية ربط بين ما يجري في العراق وبين ما يجري في فلسطين تفضح الغاية الأساسية من ضرب العراق وأن يعرف الجميع أن الغاية من وراء هذه الحرب هو تهيئة الأجواء للهيمنة الإسرائيلية على المنطقة مما قد يستفز شعوب الدول المشاركة في هذه الحرب ضد حكوماتهم ويستفز شعوب العالم والعرب والمسلمين ضد أمريكا وإسرائيل. مما قد يهدد بنسف المشروع الصهيوني لاحقاً.

وقد عبر الصهيوني المتشدد ابراهام فوكسمان رئيس «الرابطة المضادة لتشويه اليهود» عن تخوفه من الربط بين الحرب على العراق وبين مشكلة الشرق الأوسط خاصة بعد أن ربط بوش وبلير وازنار بين هذه الحرب وخارطة الطريق. باعتبار أن مثل هذا الربط سوف يسيء إلى سمعة اليهود داخل أمريكا ويؤلب الشارع الأمريكي عليهم وعلى حكومتهم وسوف يفضح دورهم الخفي في توريط الحكومتين الأمريكية والبريطانية والدول المتحالفة معها في هذه الحرب خدمة لأغراض الصهاينة التي يجب أن تظل غير ظاهرة

وغير مرئية.

وعلى الرغم من تطمينات رايس وإعلانها تقديم عشرة مليارات دولار لإسرائيل كهبة من أجل أن تسكت على هذه الفضيحة (عملية الربط والكشف). وقولها أنه يجب أن لا يخشى أحد شيئاً على سمعة إسرائيل طالما أن أمريكا هي التي تقود الحرب إلا أن السيد ابراهام أصدر بياناً هاجم فيه التوقيت السيء الذي اختاره بوش وتطرق فيه لخارطة الطريق وأبو مازن. كما أعلن استنكاره للربط بين الأزمتين العراقية والفلسطينية. إن ابراهام المدافع عن سمعة إسرائيل حريص جداً أن لا يظهر أي تأثير للصهاينة والإسرائيليين على القرار الأمريكي والإنكليزي ليتجنب ما يمكن أن تخلقه معرفة هذه الحقيقة على مواقف الشعبين ضد حكوماتهما وضد سياسة شارون وإسرائيل.

إن إبراهام ولجنته حريصون جداً أن لا يتركوا أي خيط يمكن أن يمسك به المحللون السياسيون والمحققون والباحثون يمكن أن يدلهم أو يقودهم إلى المجرم الحقيقي الذي يوجه هذه الحرب وعن الغاية الأساسية والبعيدة منها.

إذا كان الإعلام الصهيوني والإدارتين الأمريكية والبريطانية والمتحالفين معهم سواء أكانوا عرباً أو مسلمين أو معارضين عراقيين يحرصون على عدم إظهار دور الصهاينة في هذه الحرب وعدم إظهار الغاية الأبعد التي يرمون إليها ولإخفاء المستفيد الأساسي والرئيسي منها فإن من واجب الشرفاء والوطنين والمخلصين أن يعملوا على فضح هذه العلاقة وكشف المحرك الرئيسي والمستفيد الرئيسي من هذه الحرب العدوانية والوقوف ضده بجميع الوسائل الممكنة.

الفصل الثاني

العدوان على العراق وفلسطين
عـودة إلى شريعة الغاب

«كل من يهاجم طريقة الحياة الأمريكية هم إرهابيون يجب سحقهم»
دونالد رامسفيلد

بعد ان تهاوت جميع الحجج التي تذرعت بها الإدارة الأنكلوصهيونية لتبرير غزو العراق لم تجد من حجة سوى التذرع بأنها جاءت لتحرره من نظام صدام القمعي ولتنشر الديمقراطية في أرجاء المنطقة.

يحق لنا ان نسأل:

❖ هل الذين غزو العراق أقل قمعية وفاشية وهمجية من نظام صدام؟

❖ هل هم ديمقراطيون حقاً كما يزعمون؟ وهل يتم نشر الديمقراطية بالصوارخ والقنابل وقتل النساء والأطفال؟

❖ من أعطى للولايات المتحدة الحق في التدخل في شؤون العراق الداخلية أو في إزاحة هذا النظام أو ذاك في العالم مع العلم أن القانون الدولي يحظر هذا التدخل كما ان المنظمة الدولية لم تعط لأحد هذا الحق؟

❖ إذا كانت الولايات المتحدة قد اتخذت من إزاحة النظام العراقي حجة للعدوان عليه واحتلاله فمن سيقدر اليوم أو غداً على منعها من اتخاذ هذه الحجة أو سواها للعدوان على أي بلد آخر في العالم حتى لو كانت فرنسا أو ألمانيا؟

أليست هذه عودة إلى البربرية والهمجية وشريعة الغاب؟ إننا إزاء هذا الواقع الدولي الجديد لابد من أن نعيد النظر في مجمل النظام الدولي السابق والراهن وفي القانون الدولي والمنظمة الدولية. ومواقفنا إزاءها.

سياسة الفتح الإستعماري:

نستطيع ان نجمل تاريخ العالم حتى الربع الأول من القرن العشرين بانه تاريخ الصراع بين الضواري الاستعمارية أوبين القوى الإمبراطورية القديمة للسيطرة على الموارد الطبيعية والاستراتيجية للعالم. ولقد أدى هذا الصراع الدموي إلى نشوب الحرب العالمية الأولى التي كان من أبرز نتائجها ظهور الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية

كقوتين جديديتين وعصبة الأمم المتحدة.

من يدقق في العهد الذي وقعته الدول المشاركة في عصبة الامم المتحدة يكتشف بكل بساطة.

أولا: أنه قد صيغ لمصلحة الدول الاستعمارية المنتصرة في الحرب ولتكريس نتائجها غير العادلة.

ثانياً: رغم ان الولايات المتحدة كانت المنتصر الرئيسي في تلك الحرب والداعية إلى تشكيل العصبة والتي ساهمت في صياغة موادها إلا إنها ظلت خارجها وكذلك فعل الاتحاد السوفييتي ومن يومها بدأ يتضح أن الصراع الدولي قد أصبح أكثر تعقيداً من قبل فلم يعد صراعاً بين الضواري الاستعمارية بعضها ضد بعض للسيطرة على العالم، والذي أصبح صراعاً ثانوياً بينما أصبح الصراع بين الاتحاد السوفييتي ومعه الدول والشعوب المناهضة للاستعمار وبين الدول الاستعمارية بقيادة الولايات المتحدة هو الصراع الرئيسي في العالم.

وكان ذلك هو السبب الرئيسي لنشوب الحرب العالمية الثانية وبما أنه الاتحاد السوفييتي قد خرج منتصراً في تلك الحرب ولتلافي حصول حرب عالمية جديدة جرى تشكيل منظمة الأمم المتحدة للحفاظ على توازن القوى بين المعسكرين، لكن أسباب الصراع ظلت كامنة تعمل في الخفاء تحت غطاء ما يسمى بالحرب الباردة (الحرب العالمية الثالثة التي انتهت بانهيار المعسكر الاشتراكي).

إن ما يغيب عن أنظار الكثير من الباحثين هو أن السبب الرئيسي لتشكيل عصبة الامم لم يكن تشريع استعمار الدول التي كانت تخضع للإمبراطورية العثمانية بشكل خاص فقط تحت اسم الانتداب بل تشريع أن يكون لليهود وطن قومي في فلسطين. فقد جاء في ميثاق العصبة (المستعمرات والبلاد التي زالت عنها صفة التبعية للدول التي كانت تحكمها سابقاً «الدول العثمانية» والتي تقطنها أقوام لا تستطيع النهوض وحدها بأعباء المدنية والتقدم لذا فلقد عهد للدول المتقدمة أن تقوم بالوصاية على هذه الشعوب والأمم حتى ...)(*) وقد جاء في مشروع صك الانتداب على فلسطين ما يلي:

(لما كانت دول الحلفاء قد وافقت على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي أصدرته في الأصل حكومة صاحبة الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني عام 1917 وأقرته الدول المذكورة لصالح إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ولما كان قد اعترف بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين وبالأسباب التي تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد فقد عهد إلى حكومة الانتداب السلطة القطعية في التشريع والإدارة لصالح تنفيذ ذلك الوعد).(**)

(*) المادة (22) من عهد عصبة الأمم ص103 وثائق فلسطين.

(**) مشروع صك الانتداب على فلسطين المعلن عنه بتاريخ 6 يوليو 1921 ص105 وثائق فلسطين.

وكان هذا يعني أن الهدف الرئيسي لعصبة الأمم المتحدة كان يتمثل في تشريع الانتداب البريطاني والفرنسي على المنطقة من أجل زرع هذا الكيان الغريب لليهود في المنطقة.

وقد عملت حكومة الانتداب البريطاني خلال ربع القرن التالي كل ما من شأنه أن يهيئ الأجواء القانونية والسياسية والاقتصادية لقيام هذه الدولة على ارض فلسطين، لكن خروج الاتحاد السوفييتي منتصراً في الحرب العالمية الثانية وتشكيل الأمم المتحدة التي أصبح للاتحاد السوفييتي فيها حق النقض (الفيتو) في مجلس الامن (وإن كان مقابل ٤ أصوات للدول الاستعمارية) عقد الوضع على بريطانيا والدول الاستعمارية مما جعلها تمرر مشروع تقسيم فلسطين لإقامة الدولة اليهودية فيها من خلال الجمعية العمومية حيث تمكنت من خلال الرشوة والضغوط كسب أغلبية لصالح القرار وبما أن قيام الكيان العنصري الصهيوني على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ قد تم خلافاً للقرار ١٨١ الذي أقرته الجمعية العمومية فإن غالبية الدول الاشتراكية ودول العالم المتحررة حديثاً استطاعت أن تفرض مجموعة من القرارات الدولية لصالح الشعب العربي الفلسطيني وقضيته العادلة وفي مقدمتها القرار ١٩٤ ثم ربطت ربطاً محكماً موضوع الاعتراف بإسرائيل بالتزامها تنفيذ القرارين ١٨١ القاضي بإنشاء دولة عربية على ٤٥٪ من أرض فلسطين والقرار ١٩٤ القاضي بعودة جميع اللاجئين الفلسطينيين المطرودين من أراضيهم ووطنهم.

استطاعت المنظومة الاشتراكية مع منظومة عدم الانحياز والدول العربية والإسلامية تمرير عدد من القرارات الدولية الهامة والتي يزيد عددها عن مائتي قرار تصب جميعها في خدمة النضال التحرري للشعب الفلسطيني وأبرز هذه القرارات القرار الذي يعتبر النضال الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني بكافة الوسائل المتاحة نضالاً مشروعاً لتقرير المصير والقرار الذي يطالب جميع شعوب ودول العالم بمد يد العون والمساعدة للشعب العربي الفلسطيني في نضاله التحرري واستعادة حقوقه المشروعة والقرار الذي اعتبر حق عودة اللاجئين إلى أراضيهم وممتلكاتهم حقا ثابتا غير قابل للتصرف والقرار الذي لا يجيز احتلال أراضي الغير بالقوة والقرارات التي تدين بناء المستوطنات وضم الإراضي وتغيير البنية التاريخية والثقافية للقدس واعتبارها باطلة وغير مشروعة ولعل من اهم القرارات ذلك القرار الذي يدين الصهيونية ويعتبرها شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري.

يعرف الجميع أن الذي استخدم حق النقض لتعطيل هذه الفقرارات وسواها ومازال يعطلها ويعمل على تعطيلها ليس إسرائيل بل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومع ان أغلب تلك القرارات لا تمتلك قوة تنفيذية لكن التمسك بها كان يعطي للدول العربية والفلسطينيين قوة أخلاقية وقانونية تشكل قوة ضاغطة على إسرائيل وحماتها، الذين سعوا من خلال الحرب الباردة إلى تقويض الدعامة الأساسية للدول المتحررة في الأمم المتحدة وأعني الدول الاشتراكية، كمقدمة لتقويض قرارات الامم المتحدة وقد ظهر أن السبب الرئيسي للحرب العالمية الأولى كان الصراع على نفط العراق والخليج بين ألمانيا وبريطانيا ومن اجل خلق وطن قومي لليهود. لذلك فإن إحدى نتائج الحرب العالمية الثالثة

كانت إخراج الاتحاد السوفييتي من المنطقة كما أخرجت ألمانيا منها قبل ٨٠ عاماً كمقدمة لتثبيت الهيمنة الإسرائيلية للعراق والمنطقة. مما سهل على الولايات المتحدة شطب وإلغاء جميع القرارات الدولية وفي مقدمتها القرار الذي يدين الصهيونية واعتبار المرجعية التفاوضية القائمة على منطق القوة مرجعية بديلة ومن المؤسف ان الدول العربية وافقت على هذه المرجعية وذهبت إليها بقدميها إلى مدريد مع علمها المسبق أنها لن تحقق لها ولشعوبها أي حق من حقوقهم المشروعة.

سعت الولايات المتحدة الأمريكية خلال السنوات العشر الماضية إلى شطب الأمم المتحدة وقراراتها وإلى تثبيت مرجعية جديدة تقوم لا على منطق التفاوض بل على منطق الهيمنة والعربدة والاحتلال بعد ان فشلت في استخدام هذه المنظمة والمفاوضات لتمرير ما يريده التحالف الأنكلوصهيوني في المنطقة.

بينا سابقاً أن ما أطلق عليه اسم الحرب الوقائية والتي تبنتها الإدارة الأمريكية منذ عام ١٩٩٨ قد تم إقرارها قبل أحداث ١١ أيلول والحرب على الأرهاب مما يشير أن هذه الحرب المزعومة ليست إلا بداية لتبرير سياسة العربدة والقوة.

إن الخلاف بين التحالف الأنكلوصهيوني وبين دول الاتحاد الأوروبي وروسيا حول نزع أسلحة الدمار الشامل للعراق وإيران وسوريا وكوريا ليس خلافاً حول أن تكون إسرائيل الدولة الوحيدة في المنطقة التي تمتلك هذه الأسلحة ولا على رسم خارطة جديدة للمنطقة وفقاً لما يريد شمعون بيريز لكنه يتحدد بالضبط بنية قوى التحالف الأنكلوصهيوني الانفراد بهذه المنطقة وإخراج تلك الدول منها من اجل فرض مزيد من التراجعات عليها.

إن دول الاتحاد الأوروبي وروسيا لم تقف ضد احتلال العراق ولا ضد إجراءات إسرائيل القمعية إلا لأن قوى التحالف الأنكلوصهيوني لن تترك لها حتى الفتات في هذه المنطقة، فإذا كانت الحرب العالمية الاولى قد بدأت من العراق عام ١٩١٤ لإخراج ألمانيا من المنطقة والحرب العالمية الثالثة قد أخرجت الاتحاد السوفييتي منها فإن الحرب العالمي الرابعة تحت اسم الحرب على الأرهاب قد بدأت أيضاً علم ٢٠٠٣ على العراق من أجل إخراج روسيا وأوروبا لمصلحة إسرائيل والقوى المؤيدة لها.

وقول بوش امام الأمم المتحدة أن دولها إذا لم تؤيد الإدارة الأمريكية في الحرب على العراق تكون قد وضعت نفسها خارج أحداث التاريخ يشير إلى عدة أمور أهمها مدى صلف وغرور واستهتار هذه الادارة بدول وشعوب العالم قاطبة ويشير إلى ان أمريكا والمتحالفين معها هم الذين وضعوا أنفسهم خارج التاريخ والعالم وأنهم يريدون للعالم أن يعود إلى شريعة الغاب ومنطق القوة والهمجية الذي كان سائداً قبل آلاف القرون.

إن هذه القراءة السريعة تدعو جميع القوى والمحبة للسلام في العالم إلى أن تتخلى عن جميع أوهامها حول الولايات المتحدة ودورها كقوة عظمى وان تتخذ إزاء هذه الدولة والمتحالفين معها المواقف التي يتطلبها الرد على مثل هذه السياسة البربرية ولجمها.

الفصل الثالث

الأسباب غير المباشرة لاحتلال العراق

١- إشكالية الشعوب على دين حكامها: من الذي يجاري الآخر؟ الحكام أم الشعوب؟ هل الشعوب هي على دين حكامها أم أن الحكام تسير على دين شعوبها؟ هل تكونوا كما يولى عليكم أو يكون حكامكم مثلما تكونون؟

صحيح ان القضية جدلية وان الشعوب تؤثر بمواقف حكامها وأن الحكام تؤثر على شعوبها لكن من المؤكد ان الحكام لا يمكنهم مهما فعلوا أن يقنعوا شعوبهم بأن يتحولوا إلى عبيد على أرضهم لغيرهم. ولا يمكن أن يجبروهم أن يفتحوا قلوبهم للصهاينة أو ان يقبلوا الخضوع لهم مهما أذلوهم واستعبدوهم.

إن إحدى أبرز شعارات حزب البعث والقوميين العرب والناصريين والتي استطاعوا بسببها الوصول إلى الحكم (الأخوين عارف ـ حسن البكر ـ صدام حسين)، هي رفعهم لشعارات ـ تحرير فلسطين من البحر إلى النهر ـ إقامة الوحدة العربية الشاملة ـ تحرير الأمة العربية من الاستعمار والتخلف وبناء الاشتراكية والسيطرة على مقدرات العراق من خلال تأميم النفط.

من المؤكد أن تمسك صدام بهذه الشعارات هي التي أكسبته تلك الشعبية الواسعة التي كانت تبرر له البطش بجميع معارضيه، سواء داخل حزب البعث أو الأحزاب والفئات الأخرى واتهامها بالخيانة والجاسوسية والعمالة مروراً بتكريس كل إمكانيات العراق نحو التسلح والأمن الخارجي والداخلي، وبشن الحرب على إيران والبطش بالأكراد والشيعة والشيوعيين وانتهاء برفضه إقامة علاقات مع إسرائيل أو الاعتراف بها ودعمه لأسر الاستشهاديين الفلسطينيين وبدون ذلك ما كان من الممكن لصدام حسين ان يستمر في الحكم هذه الفترة الطويلة لو لم يتمسك بهذه الشعارات.

هناك من يرى ان السادات ومبارك وحسين تخلوا عن هذه الشعارات واستمروا مع ذلك في الحكم وان باستطاعة صدام أن يستمر في حكم العراق بالقوة. وهذا صحيح تماماً، لكن إلى متى؟ سيجيب البعض أن مبارك وعبد الله يحكمون مصر بعد تطبيع كامل مع إسرائيل منذ ١٠ سنوات ولا يزالون في الحكم وهذا صحيح أيضا، إن من يرى هذا الرأي يتجاهل أولاً أن هناك معارضة شعبية وحزبية شاملة في كلا البلدين ما تزال قائمة وقوية ضد النظامين والنهجين وان هذه المعارضة تتوسع وتتعمق وأنها لابد أن تعطي ثمارها في المستقبل القريب. ويتجاهل ثانياً أن القضية الفلسطينية لدى الشعبين العراقي

والسوري بصورة خاصة مقدسة لدى جميع الطوائف والأحزاب، وان مصر والأردن إذا كانتا قد تأنكلزتا ثم تأمركتا وتصهينتا وتادلجتا باتجاه التطبيع مع إسرائيل منذ عقود فإن هذا الأمر لم يحدث لا في سوريا ولا في العراق. ولا على المستوى الحزبي او الرسمي أو الشعبي، ومن المؤكد بأن ذلك لن يحدث لا الآن ولا في المستقبل. ويتجاهل ثالثاً أن مصر لم تستطع القيام بالتطبيع مع إسرائيل إلا لقاء صفقة تمت بين السادات وبيغن (انسحاب إسرائيل من سيناء بدون قتال مقابل فتح قناة السويس ومصر للملاحة والسياحة والاقتصاد والجاسوسية الإسرائيلية).

لقد حصلت مصر على سيناء، مقابل التطبيع (وإن كانت الصفقة غير منصفة وغير عادلة لأنها تصب في مصلحة إسرائيل) لكن ماذا سيحصل العراق مقابل التطبيع، الأمر نفسه ينطبق على السعودية واليمن والسودان، إذ ليس هناك ما يمكن لإسرائيل أن تقدمه لهم مقابل التطبيع.

وأن أي تطبيع مع إسرائيل أو اعتراف بها سيكون أمام الجماهير تقديماً لتنازلات مجانية مقابل لا شيء بل لقاء مزيد من العبودية والخضوع إن لم يكن خيانة، لذلك فإن أي تطبيع بين العراق الذي يرفع الشعارات القومية المتشددة سيكون بمثابة انتحار إن لم يصبح من وجهة نظر الشعب العراقي خيانة قومية إذا لم تسقط هذا النظام فوراً فإنها ستسقطه سياسياً على المدى القريب أو البعيد، مما يعني أن هذا النظام ليس بقادر على التخلي عن شعاراته القومية التي بسببها حكم العراق إلا إذا تمت الإطاحة به ومجيء قيادة أخرى تتخذ من الأخطاء التي ارتكبها النظام حجة للولوج في مسيرة التطبيع والخيانة.

٢- من يتتبع السياسة الداخلية لصدام حسين والتي استطاع بواسطتها حكم العراق يجد انه اعتمد بشكل رئيسي على المقربين منه (لكن ليس الموثوقين) وبشكل خاص على الولاءات العائلية والشخصية ومن خلال إعطائهم منافع ومكاسب مادية ومعنوية كبيرة من خلال المراكز الحساسة التي كان يضعهم فيها والتي يعرف الجميع أن أي واحد منهم لا يستحق أن يكون بواباً فيها.

ويلاحظ المتتبع لما جرى في السنوات الأخيرة حول الذين استند عليهم صدام في حكمه ان الأطماع بدأت تنهش قلوبهم والمنافسات تثير النزعات بينهم بدءاً من اخيه برزان الذي خطط لاغتياله والقيام بانقلاب عليه حيث أبعده إلى سويسرا وإزاحة ابن عمه الكيميائي علي حسن المجيد عن مواقعه الحساسة مروراً بزوجي ابنتيه اللذين هربا إلى الأردن ثم استدرجهما ليقوم بإعدامهما وبالصراعات التي دبت بين ولديه ومؤيديهم وبينهما وبين أبناء عمومته والمقربين منهم مما نتج عنه القيام بعمليات إبعاد وتصفية وإعدام، وهذا يعني ان الصراعات الداخلية بين أركان النظام أوشكت أن تسقطه. وأن النظام فقد أهم الرموز التي مكنته من الاستمرار، لذلك رأت الولايات المتحدة أنه بدلاً من أن يترك هذا النظام يسقط تلقائياً فإن من الأنسب لها إزاحته مع عشيرته وأركان نظامه

المتبقين واستبدالهم بفئات جديدة أكثر تنوراً تمت تربيتهم في الخارج على أيديها وهم على اتم استعداد لتلبية كل ما يطلبه منهم حلفاؤهم اليهود والأمريكان.

٣- لعل أحد الأسباب الرئيسية للحرب على العراق هو القضاء على الخبرة العلمية والتكنولوجية المتقدمة التي توفرت للعراق والمتجسدة في آلاف العلماء والفنيين العراقيين الوطنيين والمبدعين، وهذا ما أشارت إليه كثير من وسائل الاعلام إلا انها لم تعطه الأهمية التي يستحقها.

صحيح أن الأنكلوصهيونيين دمروا القدرة العسكرية ومراكز الصناعات المتقدمة للعراق لكنهم لم يدمروا العلماء والفنيين الذين امتلكوا الخبرة والمعرفة العلمية التي تمكنهم لاحقاً فيما إذا قام نظام وطني وديمقراطي في العراق من إعادة بناء العراق بشكل أقوى مما كان عليه إبان حربه مع إيران مما يجعل منه دولة من العالم الأول أو في مصاف الدول الصناعية المتقدمة. وربما شعر الأنكلوصهيونيين بالخطأ الفادح عندما قدموا للعراق وصدام أثناء حربه مع إيران الخبرة التكنولوجية المتقدمة، لذلك كان لابد من استعادتها بعد ان تم القضاء على الأسلحة المتقدمة عام ١٩٩١ وقد أثيرت قضية التحقيق مع العلماء العراقيين من اجل استيعابهم أو قتلهم أو إبعادهم عن العراق وباعتبار أنه لم يكن من الممكن لصدام الذي قام برعايتهم ان يسلمهم للأمريكان فكان لابد لأمريكا من ان تحتل العراق لتقوم بهذه المهمة بشكل مباشر.

٤- قدم صدام حسين للولايات المتحدة خدمات كثيرة لم يكن بوسع احد غيره ان يقدمها، ولذلك كان لابد من الاستعانة به من أجل احتلال العراق وإحكام قبضتها عليه لإبعاد القوى الداخلية والخارجية الطامعة في العراق وخيراته مثل روسيا وأوروبا وإيران لذلك يجب إبعاده عن الساحة والاستعانة بخبرته وخبرة رجال أمنه في كيفية إحكام قبضتهم على العراق.

٥- نقلت صحيفة المحرر في عددها رقم ٣٩٤ تاريخ ٢ أيار ٢٠٠٣ خبراً أوردته صحيفة ماكور ريشون اليوغسلافية أن صحيفة إسرائيلية اسمها «بازيت رادينا» ذكرت أن اتصالات سرية بدأت منذ ثلاث سنوات أي في أوائل عام ٢٠٠٠ في بلغراد عندما كان ميلوسوفيتش صديق صدام حسين في الحكم بين مسؤولين عراقيين ومسؤولين إسرائيليين من أجل فتح قناة للحوار بين الطرفين تهدف إلى إعادة فتح خط بترول كركوك حيفا مما قد يبعد خطر الحرب التي كانت تلوح بها الإدارة الأمريكية ضد العراق مع مكافأة صدام بإعطائه دوراً أكبر في حل القضية الفلسطينية. وقالت الصحيفة الإسرائيلية أن هذه الفكرة قد وصلت إلى مكتب طارق عزيز وزير خارجية العراق في بغداد الذي أعطى رده التالي على الدعوة: «سنختار الوقت والمكان الملائمين لبحث هذه الفكرة (الصفقة)».

كما كشفت صحيفة الغارديان البريطانية في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ نيسان ٢٠٠١ أن هنري كسينجر توصل عام ١٩٧٥ إلى صياغة مذكرة تفاهم بين الإدارة الأمريكية وتل

أبيب تنص «على ضرورة إبقاء خط مشروع بترول كركوك حيفا حياً وقائماً لضمان مصالح إسرائيل الاستراتيجية والنفطية في المنطقة».

وذكرت الصحيفة أن مسؤولاً سابقاً في الـCIA قد صرح أن شركة بيكتل الأمريكية التي يلعب فيها ديك تشيني (نائب الرئيس الحالي) دور رئيس مجلس الإدارة كانت هي صاحبة المشروع السابق من كركوك إلى العقبة ثم إلى إيلات وقد طرح في نهاية الثمانينات برعاية بوش الأب عندما كان رئيساً للولايات المتحدة وأن هذه الشركة قد طرحت هذا المشروع كبديل عن خط كركوك حيفا باعتبار أنه كان يصعب على الحكومة العراقية - في تلك الظروف التي كان يطرح فيها صدام حسين نفسه على أنه صلاح الدين العرب الذي سيحرر القدس وفلسطين من البحر إلى النهر والوحيد الذي جرؤ على قصف إسرائيل بالصواريخ) الموافقة على المشروع. بينما أصرت إسرائيل على إبطال هذا المشروع وأصرت على إعادة تشغيل خط كركوك حيفا مباشرة ومن المؤكد أن الصقور الصهاينة المتنفذين داخل الإدارة الأمريكية أمثال ريتشارد بيرل وولفويتز هم الذين عرقلوا تمديد خط شركة بيكتل وأن هؤلاء اعتقدوا أن الظروف الدولية والإقليمية لفتح خط كركوك حيفا باتت جاهزة وهذا ما أكدته صحيفة الغارديان من أن معارضة إسرائيل لخط كركوك العقبة هي التي أسقطت ذلك المشروع ولهذا لم تجد الإدارة الأمريكية من أجل خط كركوك حيفا سوى أن تقوم باحتلال العراق بالقوة وفرض خارطة جديدة للمنطقة مما يؤكد أن كل ما قيل على لسان بوش أو رامسفيلد أو بلير من أن احتلال العراق كان ضروريا للتخلص من أسلحة الدمار الشامل التي لم يعثر على أثر لها أو لتحرير الشعب العراقي من النظام الفاشي لم تكن إلا أكاذيب لتغطية الهدف الحقيقي والمتمثل بإعادة فتح خط كركوك حيفا بين إسرائيل والحكومة العراقية الجديدة بعد خلق قوة احتلال للعراق تفرض التطبيع الرسمي بين العراق وإسرائيل تسكت كل من يعارض خارطة الطريق إلى إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل.

٦- والواقع أن النظام العراقي وصدام قد استهلكا بطريقة سريعة وأسرع بكثير من الأنظمة والزعامات الأخرى التي ماتزال سائدة في المنطقة والعالم(*) وسواء ادركت أمريكا ذلك أو لم تدركه ولم تحسبه جيداً لا هي ولا عقولها ولا كمبيوتراتها فإنها عندما أقدمت عام ١٩٩١ على تجريد العراق من قوته العسكرية التي يمكن ان يهدد بها إسرائيل فإنها في الوقت ذاته جردت نظام صدام من القوة العسكرية التي مكنته من أن يلعب دوراً مدمراً لشعبه وللبلدان المجاورة لها أيضا. وطالما ان هذا النظام لم يعد قادراً أن يستخدم لتقويض الأنظمة الوطنية والمعارضة في سوريا وإيران وطالما أن سياسة البلدين قد استطاعت أن تستوعب صدام ونظامه وتقيم علاقات تجارية واخوية معه وطالما ان الحظر الذي فرض عليه قد تم كسره عام ١٩٩٨ من قبل شافيز

(*) وإذا كان الصهاينة قد نجحوا في زيادة شعبية عرفات لتمرير مخططاتهم التدميرية للشعب الفلسطيني والتهديد بطرده أو قتله فإن هذا لن يكون إلا مؤقتاً

(رئيس فنزويلا) أولا ثم من قبل روسيا وفرنسا وألمانيا وغيرها من الدول وأصبح من الممكن للعراق أن يتجاوز روح العداء المستحكمة ضده في السعودية والكويت بعد المصالحة التاريخية التي تمت في قمة بيروت (بين الأمير عبد الله وطه ياسين رمضان) فقد أصبح العراق مهيأ لأن يعود إلى الساحة العربية والدولية كعضو طبيعي وفاعل خارج الإرادة والهيمنة الأنكلوصهيونية عليه.

لقد تولد لدى الشعب العراقي حقد دفين على الولايات المتحدة وحلفائها لا يمكن له أن يزول بسبب الآلام التي ولدها الحصار والقصف والدمار الذي ألحقته به أمريكا، أصبح مستحكماً في اعماق العراقيين أكثر مما هو مستحكم لدى شعب آخر في العالم مما يبعد الشعب العراقي عن الثقة بأمريكا أو عن التحالف معها.(*)

لهذه الأسباب مجتمعة وجد الأنكلوصهيونيون أنفسهم في مأزق استراتيجي كبير: ألا وهو خروج العراق وشعبه من قبضتهم وإمكانية تحوله إلى عضو فاعل في المجموعة العربية والإسلامية والدولية خارج إطار الهيمنة الأنكلوصهيونية لذلك وجدوا أن صدام ونظامه وعرفات يجب أن تتم إزاحتهما واستبدالهما بقوى من الممكن عن طريقها أن يعود البلدين مجددا إلى هذه الهيمنة وأن تتمكن من خلق عداوات جديدة بينهم وبين إخوانهم العرب. والأهم من ذلك أن الولايات المتحدة أرادت أن تقوم هي نفسها بهذه المهمة وحدها وخارج الامم المتحدة وبدون دعم أصدقائها وحلفائها من اجل أن تظهر للشعبين بمظهر الصديق المخلص والمحب والذي يريد لها الخير، لكنها نسيت أن هذه الغمامة السوداء التي لفت بها أمريكا النظام والعراق وفلسطين وشعبيهما والمنطقة لابد أن تنقشع و تنكشف وأن يدرك الشعبان العراقي بسرعة أن اعداءنا الحقيقيون هم الأمريكان والصهاينة والثعالب الإنكليزية الذين جاؤوا بفيصل ونوري السعيد ومجلس الحكم وأبو مازن وقريع والدحلان وأن من سينصبونهم لن يكونوا أرحم من صدام وعرفات.

(*) الأمر ذاته حصل ويحصل مع الشعب الفلسطيني وأن كان التلويح بالجزرة بالدولة الفلسطينية الموعودة قد استخدم من قبل الولايات المتحدة للتخفيف من حدة العداء لها. فإن ذلك أيضاً لن يكون إلا مؤقتاً إذ سرعان ما تنكشف إدعاءاتها الكاذبة للشعبين.

الفصل الرابع

كيف اختفى صدام ونظامه ولماذا

هل يعيد التاريخ نفسه؟ نعم! ولكن إما بشكل أكثر هزلية أو أكثر مأساوية:

صحيح أن حالة من العماء الفكري والسياسي تسود الوطن العربي والإسلامي بصورة خاصة لكن لا يمكن أن تصل إلى الدرجة التي تجعل الناس غير قادرين على رؤية أن النظام لم يهزم ولم ينتهِ بل اختفى فعندما نقول عن نظام ما أنه قد سقط فهذا يعني أنه خاض معركة وهزم فيها أو تم القبض على رأسه ورموزه الفعالة أو تم استسلامهم أو قتلهم أو زجهم في السجون لكن طالما أن النظام لم يخض المعركة الحاسمة ولم يهزم ولم يتم استسلام صدام ولا أي من رموز نظامه ولم يتم القبض على أيٍ منهم فإننا لا يمكن أن نقول أن النظام قد سقط والأصح أن نقول أنه قد اختفى أو أخلى الساحة للأميركان والمعارضة وترك العراق ساحة لمعارك مجهولة المصير.

إن اختفاء صدام ورموز نظامه يعقدان المسألة ويجعلان من الصعب الجزم بما جرى حيث أن اختفاء صدام تجعل من المتعذر إقامة الدليل على أنه قد ارتكب جرماً أو خيانة إلا إذا تم القبض عليه حياً واعترف بمسؤوليته عما جرى للعراق بدون إكراه. وطالما أنه لم يتم القبض على صدام أو على أي من رموز نظامه الأساسيين (قادة الحرس الجمهوري والحرس الخاص وفدائيي صدام وقادة أجهزة المخابرات الخمسة خاصة العسكرية والسياسية) وطالما أنهم لم ولن يعترفوا بالجريمة أو الجرائم التي ارتكبوها فإننا لا يمكن أن نوجه إليهم تهمة جريمة تسليم العراق بدون قتال وهذا ما يعقد المسألة أكثر ويجعل من الصعب الجزم. لكننا نستطيع أن نقول أن مجرد اختفاء صدام ورموز نظامه الفعالين (وعدم القبض على أي منهم لتقديمهم لمحاكمة علنية يدفعنا للشك والاعتقاد بأن هناك مؤامرة ما تستهدف عقولنا قبل أن تستهدف العراق والمنطقة.

اختفاء نظام صدام حسين التكريتي:

أولاً لابد من التأكيد على أن ما جرى في العراق لم يكن سقوطاً للعراق ولا لحزب البعث ولا للفكر القومي العربي التحرري كما زعم ويزعم أعداء هذا الفكر بعد اختفاء صدام للزعم بسقوط فكر البعث لتشويه هذا الفكر والانقضاض عليه. لم يسقط نظام صدام بل أخلى الساحة لغيره وربما مؤقتا فقط. وإذا كان هذا النظام قد سقط فإنه لم يسقط يوم ٩ نيسان بل سقط يوم ٢٧ شباط عام ١٩٩١ وأنه نظام ساقط منذ أن استلم صدام حسين السلطة في العراق عام ١٩٧٩. وأن جميع الأنظمة التي قامت وما تزال قائمة

على أسس غير سليمة سواء كانت هذه الأسس سياسية أو فكرية أو أمنية أو عسكرية أو اقتصادية هي ساقطة حكماً وستسقط حتماً ومهما طال الزمن.

لا أريد أن أنتزع من الأمريكان والصهاينة نصراً لا يستحقونه أو ليسوا مؤهلين أو مهيئين له وعليه. ليس لأنهم لم يقاتلوا فعلاً بل لأن هذا النظام هو من الأساس نظام ساقط من حيث البنية والنشأة والتركيبة منذ عام ١٩٦٣ وحتى اليوم وان مثل هذه النتيجة التي انتهى إليها كانت متوقعة.

يرى البعض أن ما تعرض له العراق من تدمير (منذ عام ١٩٩١) لأغلب أسلحته ومن حصار اقتصادي وحظر جوي ومنع إدخال أية مادة يمكن أن تستخدم في التسليح أو الدفاع بعد ان فرض على العراق مبدأ النفط مقابل الغذاء وبعد أن سمح للمفتشين كشف كل كبيرة وصغيرة موجودة على أرض العراق حتى داخل القصور الرئاسية وسواء أكان ذلك نتيجة لمؤامرة أو نتيجة طبيعية للأمور. أقول أن نظاماً كهذا دمرت أغلب أسلحته وحوصر شعبه وجوع ودمر نسيجه الاجتماعي والسياسي لا يمكن أن يصمد في مواجهة هذه الهجمة الانكلوصهيونية العاتية. وأن نظاماً كهذا لا بد أن يسقط عند أية ضربة.

لو افترضنا أن هذا النظام كان بإمكانه أن يصمد أو أن يلحق خسائر فادحة بالأمريكان (إن لم يلحق بهم هزيمة ساحقة أشد من هزيمتهم في فيتنام عام ١٩٧٥) فإن الأمريكان ما كانوا ليتورعوا عن استخدام القنابل الذرية لتجنب مثل هذه الهزيمة ويرى البعض أن هزيمة هذا النظام واحتلال العراق قد أصبحت بالنسبة للانكلوصهيونيين مسألة حياة أو موت.

لا تخلو وجهة النظر هذه من صحة وهي تستند إلى حقائق ووقائع كثيرة لكنها تتجاهل أن الأمريكان في ظل الظروف الدولية الراهنة وخاصة في ظل ثورة الاتصالات والإعلام السريع لا يمكن أن يتحملوا مقتل مئة ألف جندي أمريكي كان من الممكن جداً قتلهم فيما لو قرر النظام مواجهة الغزو الانكلوصهيوني فقد ذكرت إحدى استطلاعات الرأي العام داخل أمريكا أنه لو قتل ١٠٠٠ جندي أمريكي فإن ٢٥٪ من الأمريكيين سيقفون ضد الحرب أما لو قتل ٢٠٠٠ جندي فإن ٤٠٪ منهم سيقفون ضدها أما لو قتل عشرة آلاف فإن ٩٩٪ من الأمريكيين سيقفون ضد الحرب وسوف يسقطون بوش وبلير وحزبيهما إلى الأبد. فإذا علمنا أن تعداد أفراد جيش القدس العراقي المسلحين بالبنادق قد وصل إلى ستة ملايين شخص زعموا أن أحدهم أسقط طائرة ببندقية قديمة فإن كل مليون منهم كان قادراً على الأقل على قتل عشرة آلاف من الجنود الأمريكيين) وإذا علمنا أن تعداد أفراد القوات المسلحة العراقية يزيد عن ٤٥٠ ألف (٦٥ لواء) وتعداد أفراد الحرس الجمهوري يزيد عن مئة ألف كذلك فإن عدد الحزبيين في بغداد وحدها وفدائيي صدام يصل إلى خمسين ألف. وهكذا فإن هؤلاء كانوا قادرين إذا ما قرروا القتال والدفاع عن أنفسهم وأسرهم ومستقبلهم على قتل (٥٠) ألف جندي أمريكي على الأقل بالطرق العسكرية التقليدية. وأنا شخصياً كعسكري سابق أعرف الجيش العراقي جيداً في حرب

تشرين وأثق ثقة مطلقة بأن عسكرييه وجنوده الشجعان لو أرادوا مقاتلة الأمريكان بالطرق التقليدية وبالأسلحة المتاحة لديهم فسيكونون قادرين على سحق وإبادة كل من وطئ أرض العراق وقادرون على أن يمنعوا خروج أي جندي انكلوصهيوني حياً من أرض العراق. والأميركان يعرفون جيداً أن النظام والعراقيين جيشاً وشعباً لو أرادوا مقاتلتهم فعلاً فإن تلك الحرب ستكون بداية نهاية أمريكا كقوة عسكرية «مزيفة» وربما لم يكونوا أقدموا على تلك الحرب منذ البداية.

أما الزعم بأن الأميركيين كي يتجنبوا مثل هذه الهزيمة ما كانوا ليتورعوا عن استخدام القنابل الذريّة فذلك زعم باطل ومضلل ليس بسبب أن هذا الاستخدام سوف يسقط النظام الانكلوصهيوني سياسياً وأخلاقياً وإلى الأبد وحسب بل بسبب أن هذا الاستخدام سوف ينسف أهم غاية جاؤوا من أجلها. فإلقاء القنابل الذرية سيجعل من المستحيل عليهم التواجد على أرض العراق لألف سنة قادمة بسبب ما يمكن أن تخلفه الأسلحة النووية من إشعاعات وفضلات تجعل من المستحيل عليهم استغلال آبار النفط ليس في العراق فحسب بل في الكويت أيضاً مما يهدد بانهيار اقتصادي ومالي شامل للنظام الأمريكي، فطالما أن النظام العراقي خاض حرباً مع جارته إيران لمدة ثمان سنوات قدم خلالها مليون إنسان فهو قادر بالتأكيد على خوض حرب مع الأمريكان لمدة عشر سنوات حتى لو ذهب ضحيتها مليونا إنسان وسيخرج من هذه الحرب منتصراً.

إن الذي جعل الجيش العراقي يخوض تلك الحرب الطويلة مع الجار المسلم إيران يجعله قادراً على خوضها بشراسة أكثر مع العدو الكافر الأمريكي الصهيوني المجرم كما زعم صدام والصحاف. نتوصل من التحليل السابق إلى أن الأمريكان ما كانوا ليفكروا بخوض تلك الحرب لأنهم على ثقة تامة بأن النظام الذي سيأتون لاسقاطه لن يحاربهم وأنه سيقدم لهم العراق على طبق من ذهب.

إن هؤلاء الجبناء والطراطير والعلوج فعلاً هم أجبن من أن يخوضوا حرباً ضد بلد مثل العراق وهو في أضعف حالاته فإذا كانوا قد ولوا الأدبار من لبنان ومن الصومال لأن إرادة القتال كانت متوفرة هناك فإنهم ما كانوا ليجرؤوا على مجرد التفكير بالحرب ضد بلد مثل العراق وشعبه لو كانوا يعرفون أن هناك قراراً بالقتال سيتخذ لدى القيادة أو أن هناك إصراراً من الشعب العراقي على مقاومتهم.

إن هذا الحلف الانكلوصهيوني الجبان ما كان ليفكر بغزو العراق وما كان ليحلم بتحقيق أي نصر على العراق وشعبه لولا ثقته المطلقة بأن النظام الذي سيهاجموه لن يقاتل وبأن الشعب العراقي لن يقاتلهم أيضاً. وهذا ما أكده مسار الحرب فعلاً والوقائع اليومية لها. فالجميع يعرفون أن الجيش العراقي لم يقاتل كما قاتل وكما يمكن له أن يقاتل وأن الحرس الجمهوري لم يقاتل وأن فدائيي صدام لم يقاتلوا وأن الستة ملايين من جيش القدس لم يقاتلوا لأن صدام أضعف روح المقاومة بيديه قبل أن تبدأ الحرب وأن الذين قاتلوا هم فقط قلة قليلة من جنود أم قصر وقلة من فلاحي وعشائر العراق ببنادق

قديمة والمتطوعون العرب والذين استطاعوا إعاقة تقدم هؤلاء الجبناء مدة أسبوعين متتالين.

لقد روج الاستراتيجيون العسكريون الأمريكان وأدواتهم الرخيصة في جميع وسائل الإعلام الغربية والعربية وحتى العراقية قبل أن تبدأ الحرب أن معركة بغداد هي التي ستحسم الحرب وأن صدام سوف يستدرج الأمريكان ويتركهم يتمددون وينتشرون ليسهل القضاء عليهم حول بغداد التي آكد جميع المحللين العسكريين أنه يستحيل على القوات الأمريكية احتلالها لو قرر جزء من قوات النظام القتال فعلاً.

والجميع يعرفون أن أربعة فيالق (٣٦ لواء) نظامية عدا عن قوات الحرس الجمهوري وفدائيي صدام بالإضافة إلى ثلاثة ملايين من الجيش الشعبي كانت تتجمع داخل بغداد أو قريباً منها للدفاع عنها ولو أن عشرهم فقط قرروا القتال لفتكوا بالأمريكان ولما خرج أميركيٌ واحد حياً من أرض العراق.

لماذا وكيف اختفى النظام؟

ما الذي جعل النظام في آخر لحظة أو في اللحظة الحاسمة وعندما حانت ساعة الحقيقة والحسم حول بغداد أن ينسحب من الساحة ويحسم المعركة بلمح البصر لمصلحة الأمريكان دون أن تطلق رصاصة واحدة؟.

١. هل هُدِّد النظام باستخدام القنابل الذرية ضده؟ لو كان الأمر كذلك لكان يفترض بصدام أن يعلن هذه الحقيقة لشعبه وللعالم أجمع ليعرف العالم والشعب الأمريكي أمريكا على حقيقتها كدولة ضد البشرية ولتأليب الرأي العام الدولي والأمريكي ضد هذه الحكومة وكان بذلك قد سحب من يدهم سلفاً النصر الذي حققوه بدون قتال.

وكان يفترض بالقيادة العراقية أن تعرف أن ذلك التهديد إن تم فعلاً فإنه لن يكون إلا جزءاً من الحرب النفسية كما أوضحنا. إذاً ما الذي جعل النظام يحسم المعركة بدون قتال.

٢. يزعم البعض أن صدام (هتلر العرب) قد قتل هو وولداه قبل سقوط بغداد بأيام ولذلك فقد انهار النظام. والواقع أن ذاك الزعم وإن كان القصد منه الإبقاء على صورة صدام البطل والشهيد والضحية فإنه يشكل أكبر إدانة لهذا النظام الذي جعل مصيره ومصير البلد ومقاتليه وخيراته كلها والعراقيين جميعهم تتوقف على موت أو حياة شخص واحد (إنها مأساة فعلاً).

لقد أجمع أهم المحللين العراقيين (سعد الزبيدي وصلاح العلي - وابراهيم العبيدي) وهم من أعضاء حزب البعث القدامى كما أجمع كل من يعرف هذا النظام المرتبط بشخص صدام أن هذا الجيش والحزب وموظفيه وشرطته ورجال أمنه وميلشياته يستحيل على أي فرد منهم أن ينسحب من المعركة أو أن يعطي قراراً بالانسحاب وتسليم بغداد دون

أوامر من صدام شخصياً وممن هم حوله وأن عملية التسليم هذه لا يجرؤ أي شخص سوى صدام شخصياً ومن حوله فقط أن يعطوا الأمر بها. مما يشير أن عملية التسليم التي تمت ليلة التاسع من نيسان قد تمت بينما كان صدام حسين والمقربين منه أحياء يرزقون. وليس نتيجة لغيابهم أو موتهم وهذا ما تأكد لاحقاً حيث لم يقتل أي واحد منهم.

وعلى فرض أنه قد قتل فالجميع يعرفون أنه قبل يومين كان قد وجه خطاباً (لجميع المقاتلين ولجميع فئات الشعب) يدعوهم فيه للقتال وعدم الاستسلام دفاعاً عن عاصمتهم فلو كان قد قتل فإن دعوته للقتال لن يستطيع أحدٌ مخالفتها وكانت ستظل سارية على الجميع الذين لم تكن غالبيتهم قد عرفت نبأ مقتله المزعوم وكان الجميع سيقاتلون حتى لو قتل صدام بل ربما سيقاتلون بشراسة أكثر لأن زعيمهم قد قتله الأعداء وطالما أن صدام لم يقتل ولم يحصل قتال حقيقي منذ البداية وتم تسليم بغداد بدون قتال فإن هذا يعني أن صدام الحي هو الذي اتخذ ذلك القرار بعدم القتال وتسليم بغداد دون قتال.

مثل هذا السقوط السريع والمريع والمفاجئ للنظام العراقي لا يمكن أن يحدث أو يفسر إلا بناء على قرار اتخذه صدام أما زعم الأمريكيين بأنهم قصفوا موقع صدام وقتلوه فليس إلا للتغطية على هذه الحقيقة ليظهروا للعالم أنهم حققوا نصراً أرادوه منذ البداية بقصف مكان وجوده وعلى كلٍ فإن بقاء صدام حياً يقيم الدليل على أن سقوط النظام وبغداد لم يكن بسبب مقتله. وقد أجمع أغلب المحللين أن هذا السقوط السريع والشامل لا يمكن أن يتم إلا في حالة استسلام القيادة الرسمي أو إعطائها الأوامر لقواتها بالانسحاب والتوقف عن القتال. إن فكرة الخيانة غير كافية لأن بعض الأفراد سيتمردون ويستمرون في القتال دفاعاً عن بلدهم وكرامتهم. وبما أن مثل هذا الأمر لم يحصل فإن الاستنتاج الوحيد الذي نتوصل إليه هو أن صدام والمقربين جداً منه، أعطوا هذا القرار الذي لا يستطيع أحد مخالفته.

٣. ثمة زعم آخر يرى أن صدام قد اتخذ هذا القرار يوم ٧ نيسان ليجنب بغداد والعراق تدميراً واسعاً كان سيحصل (وهو طبعاً أمر مستحيل لأن نية القتال كانت متوفرة حسب (الخطة المزعومة) والقائمة على استدراج القوات الأمريكية إلى بغداد منذ بداية الحرب) ولو كان صدام حريصاً على بغداد من الدمار لكان يفترض به أن يترك العراق قبل الحرب ليجنب بلده هذا التدمير قبل أن يحصل خراب أم قصر وخراب البصرة والعراق والمنطقة.

٤. ثمة زعم رابع يرى أن صدام اختفى مع جيشه وجنده ليرتب وينظم مقاومة جديدة من تحت الأرض، ولو كان هذا الزعم صحيحا لكان من المفترض أن يبدأ جيش النظام فوراً حرباً شاملة ضد الاحتلال ولو كان صدام إنساناً شريفاً لكان يفترض به أن يوضح لشعبه غايته النبيلة، لماذا سقطت بغداد بتلك الطريقة وأن يصارحهم بما جرى وحصل لا أن يرسل الرسائل لمقاتلة الأمريكان بعد أن فقد شعبه ثقته به وفقد السلطة

التي تمكنه من تحريك أي فرد في العراق.

5. هناك زعم خامس يرى أن صفقة ما قد تمت كما زعم مراسل الجزيرة من موسكو نقلاً عن مسؤول أمني رفيع المستوى في موسكو. تقضي بأن يتم اخراج صدام وحاشيته مقابل تسليم العراق. مثل هذا الزعم يفتقد إلى المنطق باعتبار أن صدام يعرف أن رأسه مطلوب كما يزعم الأمريكيون لو كان رأسه مطلوب فعلاً فإنهم لن يحققوا نصراً إلا إذا قتلوه أو اقتادوه إلى غوانتاموا كمجرم حرب أو إذا ساقوه إلى محكمة العدل كما فعلوا مع ميلوسوفيتش. وهم لن يقبلوا ببقائه حياً لا في موسكو ولا في أي منطقة من العالم لو كانوا صادقين في مزاعمهم.

صفقة مثل هذه إن تمت يعرف صدام أنها لن تكون إلا خدعة (إذا كان رأسه مطلوب فعلاً وليس للتمويه وللتغطية على أمور أخرى) وعلى فرض أن صفقة مثل هذه قد تمت فإنها ستشكل إدانة لهذا البطل الذي يقبل تسليم بلد بأكمله للأمريكان على طبق من ذهب دون قتال مقابل الحفاظ على حياته وحياة حاشيته ويفقد كذلك الأمريكان النصر الذي يزعمون أنه حققوه وهذا يثبت كذب تلك الصفقة وكذب أن رأسه مطلوب.

6. هناك زعم سادس أشار إليه محمد الدوري سفير العراق لدى الأمم المتحدة بعد تلك النهاية المحزنة للبلد الذي يمثله عندما قال:(لقد انتهت اللعبة).

أكثر ما يخشاه الانكلوصهيونيين وعبيدهم أن يعرف العالم أن ما حدث في العراق لم يكن حرباً بل لعبة كما قال الدوري منذ أول يوم دخلت فيه القوات الغازية أرض العراق والقضية لم تكن أكثر من تمثيلية لإخراج عملية تسليم للعراق من صدام بعد أن جرى تسليمه له في عام ١٩٧٩.

لا يفهم من ذلك أن ما جرى كان مؤامرة بوليسية بل كان نتيجة طبيعية لأمور كثيرة جرت في العراق والمنطقة منذ عام ١٩٦٣ وحتى اليوم ومنذ أن بدأ صدام حربه على إيران وحربه ضد الأكراد وجنوب العراق وأن صدام حسين بموافقته على وجود مناطق حظر جوي جنوب خط ٥٣ وشمال عرض خط ٥٨ منذ عام ١٩٩١ وتفتيش كل شبر في العراق إنما كان يهيئ الأجواء لتسليم العراق في الحرب القادمة دون قتال سواء درى ذلك أو لم يدرِ.

لقد كنت أعتقد كالكثيرين قبل أن تبدأ الحرب بأنها ستصل إلى مثل هذه النتيجة المفجعة على الأقل بعد شهرين من الصمود على أسوار بغداد وبعد أن يلحق الطرفان ببعضهما أفدح الخسائر. وطالما كنا نتوقع هذه النتيجة فمن المنطقي أيضاً أن يتوصل الطرفان النظام العراقي والأمريكي إليها أيضاً وكان لا عليهما أن يوفرا على بعضهما إلحاق الأذى بجنودهما وأن يتجنبا خسائر كثيرة محتملة في الجانبين وأن يحرمونا من متعة التلذذ برؤية الخسائر وهي تقع في الجانب الأمريكي المعتدي وأن يوفروا علينا إرهاق الأعصاب مدة. لا تقل عن شهر كامل من مشاهد القتال والقصف والتدمير والموت وبالتالي لا بد من التوصل إلى نتيجة مفادها أن الطرفين كانا أكثر رأفة وعقلانية وانسانية

منا وأكثر حرصاً على أعصابنا ومشاعرنا فقررا اختصار الوقت وتقليل الخسائر وتمزيق الأعصاب وأعداد القتلى في الجانبين بتلك الطريقة التي تم بها انهاء الحرب بسرعة خاطفة قبل موعدها بشهر أو أكثر بعمل بسيط: أن يختفي صدام والنظام من الساحة وينتهي كل شيء في لحظة.

٨ - انطلق كبار المحللين العسكريين المصريين واللبنانيين (الشاذلي - وقاطيشا) من أن كل ما جرى لوجستياً في أرض العراق منذ أن قصفت بغداد وبعد أن دخلت القوات الانكلوصهيونية أرض العراق من أن المعركة الحاسمة التي ستكون في بغداد وحولها وبالتالي فإن كل ما جرى من انتشار وقصف من الناحية الاستراتيجية والتكتيكية واللوجستية كان خطئاً بخطأ ويتناقص مع جميع المبادئ العسكرية المعروفة والتي خاضتها جميع الجيوش في جميع الحروب وأجمع هؤلاء أن خطة الدفاع العراقية كانت سليمة مئة بالمئة (ترك الانكلصهيونيين يتمددون في العراق بعد انسحابات متتالية من الشمال والجنوب بحيث يتم استدراجهم إلى أسوار بغداد حيث ستجري المعركة الحاسمة التي سيتم بعدها الهجوم المعاكس الذي يستطيع به الجيش العراقي بعد التلاحم والالتفاف تدمير القوات الأمريكية أو أسرها) فكيف انجر الأميركيون أو هل كان من الممكن أن ينجروا إلى مثل هذا الفخ المكشوف بإرادتهم لو لم يكونوا يعرفون مسبقاً أنه لا وجود هناك لأي فخ لهم في العراق أو في بغداد أو حولها وظل الجميع ينتظرون هذه المعركة وتلك اللحظة التي ما أن جاءت حتى تبخر كل شيء في لحظة.

من المؤكد أن ذلك التمدد والانتشار للقوات الغازية سيكون كارثة عسكرية لو لم تكن القيادة العسكرية في السيلية والبنتاغون واثقة من أن معركة بغداد لن تحصل وما كانت لتتمدد وتنتشر وتصل إلى بغداد بعيداً عن خطوط الامداد والتموين مسافة ٦٠٠ كم. لو لم تكن واثقة أن معركة حول اسوار بغداد أو في داخلها لن تحدث وأن ذلك التافه الغر فرانكس الذي لا يرتفع إلى مستوى قدم أي قائد عسكري عراقي ما كان له ليتبجح بالانتصارات وبسلامة الخطة الأمريكية لو لم يكن واثقاً من أن معركة في بغداد لن تحصل منذ البداية.

من يصدق أن مطار صدام قد جرى احتلاله من قبل كتيبة معزولة ومن يصدق أن تسيطر دبابتان على جسر المنصور لمدة يومين دون أن تطلق عليها قذيفة واحدة أين اختفت إذن قوات المقاومة وجند النظام ومخابراته التي كانت تهاجم أي فرد عراقي يقترب من أرض المطار أو الطريق المؤدي إليه كالدبابير. إن هذا يؤكد أن التنزه على جسر العامرية ودخول وسط بغداد لم يكن من الممكن أن يحصل لولا ثقة الأمريكيين بأن أحداً لن يهاجمهم. هل كان على صدام حسين أن يخوض معركة المطار بنفسه ليثبت أنه لم يسلم العراق؟ وهل أن مشاركته الشخصية في القتال دفاعاً عن المطار ستقدم أو تأخر كثيراً في معركة الدفاع عن المطار؟ أو عن بغداد أو العراق؟

في المقابلة التي أجرتها معه محطة «إن. بي. سي» في برنامج لقاء مع الصحافة قبل يومين من شن الحرب على العراق لم يستطع ديك تشيني إلا أن يقول الحقيقة حيث قال: «لقد أصبحت الأمور الآن في العراق سيئة جداً وأعتقد أن العراقيين سوف يستقبلوننا كمحررين» ما سر تلك الثقة بتحقيق نصر سريع وسهل؟ هل كان بوسع الإدارة الأمريكية أن تصر على تلك الحرب رغم معارضة حلفائها والأمم المتحدة وأغلب شعوب العالم لها لو لم تكن واثقة وبصورة مطلقة وأكيدة من أن النظام الذي جاءت لإسقاطه لن يقاتلها وأن الشعب التي جاءت لاحتلال بلاده قد جعلت النظام منظراً في نظره إلى درجة لم يعد لديه أي استعداد للقتال دفاعاً عنه.

إن الحكم الذي صدر على صدام حسين بعد فشل محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٩ كان الإعدام شنقاً حتى الموت(*) وظل يتسكع في القامشلي ودمشق ولم يجد غير السفارة الأمريكية والـ CIA من يقدم له العون والحماية فنقل مباشرة إلى القاهرة وتظاهر بدراسة الحقوق هناك(**) يومها أنقذته الإدارة الأمريكية من هذا الحكم وجعلت منه بدلاً من ذلك رئيساً للعراق وكان يفترض بصدام أن يرد الجميل الذي قدمته له. وبالفعل قدم لها ولمصر ما لم يقدمه أي حاكم في العالم، وما زال مستمراً حتى بعد غيابه عن سدة الحكم في تقديم كل ما يلزم من أجل تركيع الشعب العراقي والانتقام منه وهو لا شك مقتنع بذلك بل لأن الولايات المتحدة أنقذته من حكم الإعدام وجعلت منه رئيساً لأعظم وأغنى دولة في العالم في وقت تخلى عنه العالم اجمع (أصدق اصدقائه ورفاقه البعثيين) فحقد على الجميع وأراد أن ينتقم منهم، وفعل، لكن من مفارقات التاريخ أنه عاد اليوم كما كان قبل اكثر من ٤٠ عاماً مطارداً ومنفياً ومطلوباً من شعبه ومن الأمريكان الذين حموه ليس من جريمة محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم بل من جريمة اغتيال شعب ومنطقة بأسرها لا يستطيعون حمايته منها.

اللغـز

حدثني أحد قادة الوحدات المدافعة عن جسر (العامرية) أنه فقد الاتصال مع القيادة قبل يومين من دخول الدبابات الأمريكية ولم يكن أمامه إلا أن يعطي أوامره لمرؤسيه بتدمير تلك الدبابات. وباستثناء قلة من الجنود الذين دمروا ثلاث دبابات قبل عبورها إلى الجسر إلا أن بقية مرؤوسيه لم يطيعوا الأوامر لأنهم أيقنوا أن هناك مؤامرة خيانية قد حدثت في أعلى هيئة من القيادة وحدثني أحد المجاهدين العرب أنه حتى يوم ٨ نيسان كان يتواجد مع كثير من المقاتلين العراقيين المؤيدين لصدام عندما علموا بدخول

(*) هذا الحكم الذي نفذ بزميله الشيخري الذي تم القبض عليه وأقام له صدام حسين بعد استلامه الحكم تمثالاً وساحة باسمه.

(**) هذه المعلومات اكدها أكثر من ٢٠ باحث وكاتب وشخصيات معروفة التقت بصدام في القامشلي ودمشق والقاهرة.

الأمريكان ساحة النسور،(*) أدركوا أو اعتقدوا أن خيانة قد تمت وبالتالي لم يعد لديهم الاستعداد للقتال فانسحبوا من المعركة وذهبوا إلى بيوتهمز

يفهم من ذلك أنه إذا كانت غالبية الشعب العراقي قد فقدت الاستعداد للقتال دفاعاً عن النظام فإن غالبية الجيش العراقي وكذلك الحزبيين ورجال الأمن كانوا كذلك أيضاً ولهذا فلقد انسحبوا من المعركة وذهبوا إلى بيوتهم مما يعني أن عدم قتال العراقيين لم يكن بسبب أنهم لا يريدون مقاتلة الأمريكان بل نتيجة إدراكهم أن هناك مؤامرة أو خيانة أو صفقة حصلت في القمة كانت أيضاً نتيجة طبيعية للأوضاع التي وصل إليها النظام العراقي خاصة في المرحلة الأخيرة حيث فقد هيبته وصدقيته وبدأ يقدم التنازلات تلو التنازلات للأمريكان وبدأت قوات التفتيش تدخل كل مكان في العراق حتى القصور الرئاسية واستفحلت الأزمة عندما بدأ النظام يدمر صواريخه المسموح بها وبعد أن أصبح كل شيء في العراق مكشوف تماماً للأمريكان مما أفقد الجيش والشعب العراقي ثقته بالنظام وصدام ولم يعد لدى أي عراقي ما يقاتل من أجله وعلى فرض أن أحداً كان سيقاتل فإنه يدرك أن قتاله لن يجدي نفعاً ولن يحول دون النتيجة المأساوية بعد أن ظهرت الخيانة لذلك فضل الانسحاب انتظاراً ليوم آخر قادم قد يكون أفضل من ان كثيرا من المقاتلين العرب الذين كان لديهم الاستعداد للشهادة دفاعاً عن العراق عندما أدركوا أن خيانة قد حصلت على أعلى مستوى في القيادة العراقية تركوا أسلحتهم وعادوا.

أسطورة هتلر العرب:

أين ذهب هتلر؟ كثير من الناس ولسنوات مضت ظلوا يؤمنون بأن هتلر مازال حياً وأنه سيعود لينتقم من اليهود والانكليز مع العلم أن هتلر قد انتحر بينما لم يجرؤ هتلر العرب على الانتحار.

أين ذهب هتلر العرب؟ لم يستطع الدوري إلا أن (يبق) الحقيقة (اسألوا الأمريكان إنهم الوحيدون الذي يعرفون جيداً مكانه؟). لأن أحداً في العالم أو في العراق لن يستطيع أو يمكن له أن يأوي صدام أو يخفيه فهو إن لم يكن موجوداً في أمريكا أو البرازيل أو لندن فمن المرجح أنه موجود في العراق في مكان أمين يتابع مهمة تدمير العراق حتى النهاية. ومن الضروري إبقاءه مختفياً يرسل الرسائل حتى تجد الولايات المتحدة مبرراً للبقاء في العراق طالما أنه لم يتم القبض على صدام (من يدري فربما لن تتمكن القوات الامريكية من القبض عليه حتى ولو بعد ٢٠ سنة)

الجواب بسيط. إن جرائم صدام ضد العراقيين وكثير من العرب ومحاصرته لشعبه وعزله وإفقاره وتحطيم حريته لم تكن إلا وسيلة لجعل الشعب العراقي يرحب بالغازي الأمريكي وبأي غاز آخر حتى لو كان هولاكو أو شارون أو غارنر لأنهم يعرفون أن أي غاز لبلدهم سيكون أرحم من صدام وممن هم حوله بعد ان حول الجيش والشعب العراقي إلى

(*) القريبة من المطار والقصور الرئاسية.

العيش في حالة من الرعب والفراغ فكرياً وروحياً وأخلاقياً ويكرس كل شيء فيه لحماية صدام وحاشيته وحوّل الجيش العراقي ورجال آمنه وشرطته وموظفيه إلى كتلة لا تسمع إلا كلمة واحدة تصدر عن هذا الطاغية الذي جمع بيده جميع السلطات الأرضية والسماوية التشريعية والقضائية والتنفيذية والإعلامية والصحية والمعيشية وأمسك بيده قرار الحياة والموت لمن شاء وأراد دون أن يقدر أحد على مناقشته. كان لابد أن تصبح الأمور هكذا لينسحب الجميع من ساحة المعركة عندما يقرر صدام ذلك في لحظة واحدة وحتى لا يجرؤ أحد حينها على مجرد التفكير بالمقاومة لتستلم أمريكا العراق بالنيابة عن شارون دون قتال.

إذا كان صدام قد سحب شرطته ورجال أمنه وموظفيه من بغداد لتعم الفوضى وعمليات الانتقام والسلب والنهب والحرق وليعيد العراق ممهدا للأنكلوصهيونيين كما يريدون، فإن الأمريكان أفسحوا لهم المجال و كملوا المهمة بإدخال الغوغاء والمأجورين كي يعيثوا الخراب والفوضى والدمار(*) وليبعدوا الأنظار عن قوات الاحتلال لتحكم سيطرتها على بغداد من الداخل بعد تسليمها لهم وليصبح وجودها مطلوباً لحفظ النظام والأمن للمواطنين العزل وليصبح التعاون معها حتى من قبل بعض الأطراف الداخلية والخارجية حتى من قبل رجال النظام البائد سواء أكانوا شرطة أو جيشا أو رجال أمن أمراً مطلوباً للحفاظ على حياتهم وأملاكهم ولهذا فلقد أبقوا على صدام حياً يرسل الرسائل الداعية للمقاومة ليتحول الجميع إلى معارضين لكل من يفكر بمعاداة الأمريكان أو محاربتهم خوفاً من عودة العراق إلى الوضع الذي كان عليه سابقاً أو خوفاً من عودة صدام ثانية إلى الحكم.

أين اختفى صدام؟

يبدو السؤال لغزاً محيراً وهو بالفعل كذلك يحير وسيظل يحير عقول كثير من الباحثين والاستراتيجيين.

١. هل جرح أم قتل؟ لو افترضنا أن ذلك قد حدث فإن الجيش العراقي كان سيستمر بالقتال بناء على أوامر سابقة منه وعلى فرض أن بعض الوحدات كانت ستصاب بالشلل فإن وحدات كثيرة كانت ستلتزم بأمر القتال الصادر عن صدام قبل يومين ولما انسحبت كلها دفعة واحدة إلا بأمر من صدام الذي لم يقتل وطالما أنه يستحيل أن يتم ذلك الانسحاب الشامل دون أمر منه شخصياً فإن هذا يؤكد أن صدام الحي ومن هم حوله والمقربين منه هم الذين أصدروا ذلك القرار. (إن سماع صوت ورسائله

(*) إن إطلاق صدام حسين سراح آلاف المجرمين من سجن أبو غريب قبل وقوع الحرب وقبل انهيار النظام يشير إلى ان هذا العمل قد تم من اجل هذه الغاية القذرة، حيث أظهرت التحقيقات مع بعض هؤلاء المجرمين أنهم قد تلقوا تعليمات من المخابرات العراقية وبالتعاون معها من اجل حرق ملفات الطابو والنفوس بعد أن يتم احتلال بغداد مما يهدد بخطر دخول آلاف اليهود وعملاء الموساد.

يسقطان فرضية أنه قتل).

٢. هل اختفى داخل بغداد! إن هذا الاختفاء إن تم لن يكون إلا مؤقتاً لأنه لابد أن يكشف مكان وجوده مهما طال الزمن ولأن كثيراً من العراقيين راغبون في القبض عليه، ربما اكثر من الأمريكيين أنفسهم حتى لو اختفى للحفاظ على حياته فهذه مأساة.

٣. هل اختفى ليعيد المقاومة من تحت الأرض مع مؤيديه؟ إذا كان لم يقاوم وهو في ذروة مجده وتلاحم شعبه والعالم كله معه ضد الأمريكان فهل سيقدر على المقاومة بعد أن تخلى عنه شعبه وأزلامه بعد أن استطاع الأمريكان احتلال العراق كله وأعادوا ترتيبه وهيمنوا عليه بشكل سيدفع لاحقاً أي عراقي إلى ان يرفض الانصياع لأي أمر يصدره بعد أن سقطت هيبته بسقوط تماثيله والدوس عليها بالأقدام.

٤. هل هرب إلى سوريا؟ أم إلى إيران؟ لكن من يدخل الدب إلى كرمه؟ من يدخل الثعبان إلى عبه؟ من يجرؤ على إعطاء الأمريكان حجة للبطش به؟ هل يعقل أن يلجأ هذا النمرود إلى البلدين الذي حاربه وعاداهما أكثر من أي بلد آخر في العالم؟

٥. هل هرب إلى روسيا؟ عن طريق كردستان العراق مروراً بتركيا أو عبر سوريا مع السفير الروسي؟ احتمالان واردان لكنهما ضعيفان باعتبار أن الروس سوف يحرجون عندما يطلب الأمريكان منهم تسليمه لهم. وهم ليسوا من الغباء لدرجة يحرجون فيها أنفسهم مع الأمريكان أو مع العراقيين أو مع بعض العرب أو مع جزء كبير من شعبهم.

٦. ثمة تفسيرٌ آخر (وإن كان بوليسياً إلا أنه أقرب إلى الحقيقة المرعبة) جسّده قول محمد الدوري الذي لم يستطع إلا أن يبق الحقيقة: اسألوا الأمريكان عن مكانه فهم الأعرف أنه موجود عندهم بالحفظ والصون.

يوم الاثنين حطت طائرة شحن كبيرة في مطار صدام الدولي وبدءاً من يوم الأحد بدأت الكهرباء تطفئ في كل نواحي بغداد من قبل النظام باعتبار أن الإنارة تجددت في كثير من المناطق ولأن التعتيم يتيح المجال للتحركات السرية في الليل لأن تحدث دون أن يراها أحد.

بدءاً من يوم الأحد ٦ نيسان بدأ نظام حظر التجول ليلاً يسري من السادسة مساءً حتى السادسة صباحا لإخفاء تحركات قيادة النظام دون أن يكتشف ذلك أي من الصحفيين أو السكان.

يوم الثلاثاء جرى قصف مقر محطة الجزيرة وأبو ظبي وقتل الصحفي الفلسطيني طارق أيوب لأنه كان يراقب الأمور من سطح البناء ثم قصف فندق فلسطين وشغل العالم كله بقصف القوات الأمريكية لوسائل الإعلام وبجرائم الجيش الأمريكي ضد الصحافة وتحت هذا الغطاء من الدخان والظلام وحظر التجول واختفاء وسائل الإعلام والتهويش جرى تهريب صدام والمقربين منه وولديه وقادة الفيالق وكل من أساء للعراق ولشعبه مع

رجال الأمن الكبار إلى مطار صدام الذي جرى احتلاله بسرعة من أجل هذه الغاية حيث صعدوا إلى الطائرة التي قيل أنها طائرة شحن والتي جاءت خصيصاً لهذه الغاية.

أين ذهبت الطائرة؟

من المعروف أن كثيراً من قادة وزعماء ورؤساء أو رؤساء أركان ووزارات دول العالم الثالث والعالم العربي بشكل خاص يمتلكون فنادق ومنتجعات في أميركا وأوروبا يزورونها علناً و سراً وهي مهيأة لإيوائهم وحمايتهم عند الضرورة إذا ما انكشفت أمورهم أو انتهت أدوارهم في بلادهم. وتقدر قيمة الشركات والاستثمارات للزعماء العرب خارج بلدانهم في أمريكا بشكل خاص أو في سويسرا أو مدينة كان أو لبنشجتاين ثلاثة آلاف مليار دولار وربما لا يعرف الكثيرون أن صدام حسين الصديق الشخصي ورامسفيلد يمتلك شركات للبن والخشب والماس في البرازيل وإنه مثل الآخرين من زعماء العالم الثالث يمتلك منتجعاً ضخماً قرب فينكس في ولاية اريزونا حيث الجو والمناخ شبيه بجو تكريت يديره عراقيون آشوريين يعتبر من أفخم المنتجعات في العالم لا يؤمه إلا كبار المليارديرية العرب والفنانين وكبار رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال(*). ومن يدري ماذا يمتلك في البرازيل أو في الارجنتين من فلل أو أراض يضيع فيها نصف مليار إنسان ومن المؤكد أنه يوجد في حسابه الخاص ما يزيد عن ملياري دولار وبعملية تجميل بسيطة سيبدوا من أثرياء الهند أو المكسيك بحيث لا يمكن لأحد أن يتعرف عليه.

إن إخفاء الإدارة الأمريكية لصدام وأركان نظامه لا تعني أنها حريصة على حياتهم بل إنها تريد أن تستخدمهم لغايات أخرى مثل الاستفادة من خبرتهم في كيفية أحكام السيطرة على العراق بدونهم ولإبقاء إمكانية عودتهم سيفاً مسلطاً على رؤوس العراقيين، وهي مستعدة عند اللزوم لقتلهم بدون أي أسف.

٧. رواية أخرى نشرتها صحيفة القدس العربي لصاحبها ومديرها عبد الباري عطوان يوم الثلاثاء ٢٩ نيسان ٢٠٠٣ تحت عنوان (اكتشاف الأنفاق أحبط خطة الصحاف لاستعادة المطار).

الهزلي في العنوان أن يضع الصحاف كوزير للإعلام خطة عسكرية يقود اكتشافها إلى انهيار تام للجيش والدولة والنظام.

أما الجدي في الموضوع فهو ذكره أن صفقة أبرمها الفريق ماهر سفيان قائد قوات الحرس الجمهوري مع القوات الأميركية تقضي مقابل عدم تعرض قوات الحرس الجمهوري للجيش الأميركي أن تمنح الولايات المتحدة

(*) لقد زرت شخصياً هذا المنتجع قبل ثلاث سنوات للتأكد وعلمت من عراقيين يعملون فيه أن هذا المنتجع يديره أمريكان وأشوريون لمصلحة صدام حسين منذ عام ١٩٨٤ عندما كان على علاقة جيدة برامسفيلد.

أولاً: قيادات الصف الأول مبالغ مالية ضخمة أما قيادات الصف الثاني فمبالغ أقل «وكأن صدام كان يبخل على هذه القيادات بالأموال»

ثانياً: إعطاء بعض القيادات وضعاً مسؤولاً بعد انتهاء الحرب «هل سيكون هذا الوضع أفضل من وضعهم السابق في ظل نظام صدام».

ثالثاً: منح الجنسية الأميركية لمن يرغب منهم.

وتقول هذه الرواية أن الطائرة التي حطت في مطار صدام قد أقلعت يوم ٨ـ نيسان ـ بعد احتلال المطار إلى أميركا وتزعم هذه الرواية أن هؤلاء القادة بعد إبرام تلك الصفقة أعطوا أوامرهم للجنود والضباط لخلع ألبستهم العسكرية والانتظار في بيوتهم بانتظار الأوامر التي ستصدر إليهم لاحقاً (تجنباً لعملية تدمير محتملة لبغداد).

هذه الرواية هي رواية بوليسية وإن كانت تتفق مع الرواية السابقة في التأكيد على أن طائرة الهيركوليس الضخمة قد أقلت حوالي ٢٠٠ شخصية قيادية بينهم أكبر قائد لقوات فدائيي صدام وهي تستبعد أن يكون صدام وحاشيته من بين الذين تم نقلهم على متن هذه الطائرة لكنها تختلف عنها في الزعم أن خيانة قد حصلت في قيادة قوات الحرس الجمهوري وفدائيي صدام وأن هؤلاء الخونة قد غدروا برئيسهم ولهذا فلقد انهار الجيش.

قد تفسر هذه الرواية عملية انهيار قوات الحرس الجمهوري وفدائيي صدام وعدم قتالها لكنها لا يمكن أن تفسر عدم قتال الجيش العراقي المؤلف من ٦٠ لواء ولا عملية الانهيار التي أصابته وأصابت جيش القدس المؤلف من ٦ ملايين مسلح ولا يمكن أن تفسر عملية الانهيار السريع والمريع الذي أصاب جميع مؤسسات النظام وبشكل خاص أجهزة الأمن والمخابرات والأجهزة الحزبية والشرطة والقضاء والموظفين. فعلى فرض أن خيانة مثل هذه قد حصلت فإن من المستحيل أن ينهار كل شيء في العراق في لحظة واحدة بسبب خيانة أو انهيار أو اختفاء عدة وحدات من الجيش إذ أنَّه لا بد أن تبقى أعداد كبيرة من الأفراد والقيادات الوسطى والدنيا في الجيش النظامي وجيش القدس والحزب خارج هذه المؤامرة ولا بد أن تظل تقاتل دفاعاً عن وجودها. ولقد أكد كل من سعد العبيدي (قائد الاستخبارات العسكرية العراقية سابقاً) وابراهيم الزبيدي مدير إذاعة بغداد سابقاً وصلاح عمر العلي «عضو قيادي في حزب البعث» سابقاً؛ أن من المستحيل أن تتم أية عملية اختراق في قوات الامن والجيش والحزب والميليشيات العراقية المختلفة باعتبار أن مئات من المؤامرات قد كشفها صدام وأجهزة مخابراته وسحقها. وعلى فرض أن عملية اختراق قد حدثت فعلاً فلا يمكن أن تطال جميع القيادات والقوات خاصة الحرس الخاص لصدام التي لا تتلقى أوامرها إلا من صدام شخصياً.

الحقيقة هي أن قوات الجيش العراقي كلها لم تقاتل لا في البصرة ولا في النجف أو كربلاء أو الكوت أو الناصرية أو الشطرة أو في كركوك والموصل وهذا ما أكدته جميع وكالات الأنباء منذ بداية الحرب وأكده جميع المتطوعين العرب اللذين ذهبوا للدفاع عن

العراق بعد عودتهم. وأن هذه القوات قد بدأت عمليات انسحاب منظمة من مناطق مختلفة في الجنوب والشمال خاصة من كركوك والموصل فمعنى ذلك أن الأمر بعدم القتال كان قد صدر إليها قبل أن تسقط بغداد.

من لديه أدنى معرفة عسكرية وتابع طريقة انتشار القوات الأميركية يعرف أن تلك الخطة كانت غريبة ومدهشة ولم تحصل في أي حرب من الحروف لأنه لو قرر العراقيون القتال لكان معنى ذلك أن جميع القوات الأميركية المنتشرة سوف تباد وكان من المستحيل على القيادة الأميركية أن تجازف تلك المجازفة الخطيرة وتنشر قواتها بتلك الطريقة الانتحارية لو لم تكن لديها ضمانات مسبقة قبل الحرب بأن الجيش العراقي لن يقاتلهم.

نقطة الضعف في هذه الرواية أنها بدلاً من أن تجعل الخيانة مقتصرة على شخص صدام حسين وولديه وقادة النظام الأساسيين فإنها توسعها لتجعلها تطال قادة الحرس الجمهوري وفدائيي صدام وتوسعها أيضاً لتطال الجيش والشعب العراقي بأسره وتتهمه بالتخاذل والتفريط لكنها في جميع الاحوال لا تعفي صدام من المسؤولية.

من المستحيل أن نتهم جيشاً وشعباً وحزباً بأسره بالخيانة والتفريط من أجل أن نبرئ ساحة رجل واحد اسمه صدام ضم حوله عدد من القتلة والمجرمين والجهلة وعلى فرض أن الخيانة قد حصلت على مستوى القيادة فإن من يتحمل مسؤوليتها هو القائد المسؤول عن تعيين هذه القيادة وعن كل شيء في العراق والذي أمسك بيده جميع السلطات.

الانزلاق نحو فخ استراتيجي

هناك روايتان شبه خياليتان لم يتحدث أحد عنهما أبيح لنفسي ذكرهما التي تبقيان احتمالين قائمين لا يجوز استبعادهما.

٨ - الرواية الأولى تنطلق من الزعم من أن الحرب بين روسيا وأمريكا لم تنته بعد وأنها إذا كانت مستمرة في الصراع حول الأسلحة النووية والدرع الصاروخي فإنها تتخذ أشكالاً أخرى على أرض العراق والشيشان وأفغانستان وإيران وكوريا وفي أعماق البحار في الحرب على الغواصات وتدميرها. أستطيع أن أزعم أن هناك حرباً خفية بين الروس والأمريكان إذا أنه كلما اشتدت الحملات على القوات الأمريكية في العراق كلمااشتدت في الوقت والمقدار ذاته هجمات الشيشان على القوات الروسية.

انطلاقاً من هذه الرؤية لا يستبعد أن يكون الروس (بالتنسيق مع الألمان والفرنسيين) قد دفعوا الأمريكان دفعاً للوقوع في فخ شبيه بالفخ الذي وقعوا به في فيتنام قبل أربعين سنة انتقاماً منهم من الفخ الذي أوقعوا فيه الروس في أفغانستان.

قد يتساءل البعض وهل يمكن بهذه البساطة أن تقع أمريكا في هذا الفخ؟ الأمر طبعاً ليس بهذه البساطة ولا يتوقف على معلومات خاطئة جرى تقديمها من قبل الموساد والمعارضة العراقية ولا على أوهام يحملها رامسفيلد وديك تشيني، فقط وإن كانت هذه

جزءا من الفخ بل على مجمل الظروف العالمية والإقليمية بحيث لا يصبح بمقدور الخصم إلا أن يقع في الفخ أو أن يسلم بالهزيمة إذا أراد تجنب الوقوع فيه.

لم يكن بوسع الأمريكان عام ١٩٦٣ والروس عام ١٩٧٩ إلا أن يدخلا فيتنام وأفغانستان وإن لم يفعلا ذلك فإن الخصم كان سيحقق نصراً عليهم.

الأمر ذاته حصل في العراق حيث بدأ العراق يفك الحصار المفروض عليه وبدأ الروس والصينيون والألمان والفرنسيون يبرمون عقوداً بمليارات الدولارات (عقود روسيا قدرت بـ ٤٠ مليار دولار) مما جعل الأمريكيين مجبرين على خوض تلك الحرب لإلغاء تلك العقود ولإبقاء العراق حكراً خاصاً بهم وهذا ما يفسر السياسة المزدوجة لروسيا وفرنسا وألمانيا والتي كانت تقوم على دفع الأمريكيين دفعاً لشن الحرب وتقديم مسوغات كثيرة لهم وكانوا في الوقت ذاته يعارضونها بما يتيح لمصالحهم الاستمرار فلم يبق أمام أمريكا إلا الحرب خاصة بعد أن كشفت حشودها العسكرية الهائلة واستخدمت الأمم المتحدة وأمينها العام لاستصدار قرارات تبيح لها شن الحرب فإذا ما تراجعت فستمنى بهزيمة سياسية واقتصادية، فكان لابد من الحرب وهكذا انزلقت إلى الفخ الاستراتيجي الذي قد تكون نهايتها فيه أو بداية للعد التنازلي لها.

إذا كان الصراع على نفط العراق سبباً في نشوب الحرب العالمية الأولى ولإبعاد ألمانيا عن النفط العراقي فإن إبعاد أوروبا الموحدة وروسيا عنه كانت سبباً في نشوب الحرب العالمية الرابعة لتدمير أوروبا وروسيا وإضعافهما أمام الهيمنة الأنكلوصهيونية.

٩- الرواية الأخرى تنطلق من أن صدام، على الرغم من جميع الحروب الفاشلة التي خاضها والأخطاء الكثيرة التي ارتكبها إلا أنه خلق حزباً وجيشاً رافضاً للصهيونية والإمبريالية وليس من المستبعد أن تكون بعض القيادات الحزبية والعسكرية قد وجدت أن من الأفضل لها الانسحاب من بغداد لتدخل القوات الأنكلوصهيونية حيث سيكون من الصعب عليها خوض حرب أنصار أو حرب شعبية تفوقها وحيث سيكون من الصعب عليها استخدام أسلحة دمار شامل عندها سيقاتل هؤلاء الأمريكان بدون صدام رجلاً لرجل.

إن هذا الفخ إن صح سيجعل من القوة الأمريكية لغوا وهباء وقد يفتح الباب لجميع البلدان والشعوب والقوى الوطنية لأن تقول لأمريكا لا ولأن تفرض عليها شروطها. إذا كان تدمير جزء من البلد باستشهاد جزء من أبنائه في القتال المباشر مع الأمريكان أو الصهاينة أفضل ألف مرة من أن يقع البلد وشعبه ومقدراته تحت ربقة العبودية الأبدية والذل والهوان والاحتقار فإن النضال ضدهم سيكون وحده الخيار الصحيح.

هذا الفخ إذا نجح وخرجت أمريكا مهزومة فقد يجعل من الحرب ضد العراق آخر الحروب الأمريكية والعالمية مما قد يفتح الباب واسعاً لتحول جذري في السياسة الأمريكية ويحد من هيمنة الصهاينة على مقدراتها مما قد يفتح الباب أمام نظام سياسي واقتصادي

جديد أكثر عدالة وإنسانية.

وإذا كان يتوقف على نضال وتضحيات العراقيين والفلسطينيين مصير ومستقبل المنطقة فإنه يتوقف على دعم إخوانهم العرب والمسلمين مصير ومستقبل البشرية.

الحلقة المفقودة

من خلال متابعة التقارير العسكرية اليومية التي كانت تبثها وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية ومن خلال الاستماع إلى شهادات عدد من المقاتلين العرب الذين هبوا للدفاع عن العراق وإلى أقوال كبار ضباط الجيش العراقي والمحللين العسكريين والاستراتيجيين فأن هناك حلقة مفقودة أو لغزاً لن يستطيع أحدٌ أن يفك طلاسمه أو أن يجزم بصورة قاطعة بكيفية احتلال بغداد بتلك البساطة، إلا إذا كان أحد أفراد القيادة العليا في الجيش العراقي أو المخابرات العسكرية العراقية أو الأمريكية أو الـ CIA قرر أن يقول الحقيقة التي من المستحيل على أي منهم أن يقولها أو أن يتحدث بما حصل فعلاً لا اليوم ولا غداً، لذلك فإن المرء لا يسعه إلا أن يستخدم العقل والمنطق والخبرة استناداً إلى المعلومات والمعطيات المتوفرة للاقتراب من الحقيقة.

إن الحديث عن أن خيانة قد حصلت في القيادة العراقية سواء داخل الحلقة الضيقة المحيطة بصدام (عدي، قصي، إياد الراوي، عبد الحمود) أم داخل الحلقة الثانية التي قدرت كثير من الروايات عددها بمئتي شخص أغلبهم من آل عبد المجيد وتكريت والذين كان بيدهم مصير كل شيء في العراق وكذلك الحديث عن أن صفقة قد تمت بين هؤلاء الأخيرين وبين الـ CIA يومي ٥ أو ٧ نيسان لا يمكن أن تفسر ذلك الانهيار التام والشامل لجميع وحدات الجيش العراقي يوم ٩ نيسان أو تفسير ما جرى في العراق منذ بدء الحرب إلا إذا كانت مكملة لها.

إن من يتوفر لديه الاستعداد لخيانة بلده وشعبه وبيعهما مقابل صفقة ما سيكون جاهزاً ومستعداً لها قبل ذلك الوقت بزمن طويل وإذا كان أحداً ما قد ساهم في إيقاع أمريكا في الفخ، ولابد أنه سيقاتلهم بشراسة وهناك ادلة كثيرة على صحة الفرضية:

١. طالما أن الجيش العراقي انسحب من البصرة عندما دخلت طلائع قوات البريطانية فهذا معناه أن الأمر بعدم القتال قد صدر للجيش منذ البداية أو عندما انسحبت القوات المتمركزة في الشمال دون قتال في ١ و٥ نيسان.

٢. أن قيادة الجيش العراقي قد اختفت من مواقعها في بغداد مع اختفاء صدام قبل خمسة أيام من سقوطها.

٣. أن قوات الحرس الخاص التي كانت تدافع عن المطار والتي أوقعت بالقوات الغازية دماراً شاملاً أعطيت إليها الأوامر بالانسحاب من مواقعها بعد ذلك لتحل محلها قوات اللواء ٣٢ إلا أنها بعد أن انسحبت من هناك وأخلت مواقعها تم تدميرها بقنابل

حارقة ومواد كيميائية.

٤. أن صدور أوامر لجميع الوحدات العراقية بالانسحاب من مواقعها التي كان تتمركز وتتخندق فيها أيام ٤/٥ نيسان بحجة انكشافها للعدو بعد إصابتها إصابات مباشرة وكثيفة كانت سبباً في عدم قدرتها القيام بأي مواجهة مع العدو.

٥. أن صدور الأوامر بالتنقلات المفاجئة والسريعة، التي كانت تصدر إليهم كل يوم (بعد ٥ بيسان) كانت سبباً في شل قدرتهم على القتال وبسبب تغيير كثير من القيادات أثناء هذه التنقلات وعدم وجود أوامر (ماكو أوامر) أصابت الجميع بالبلبلة والضياع والتشتت.

٦. عدم وجود أوامر نسف الجسور الذي كان ضرورياً لتوقف وإعاقة انتشار القوات الأميركيةالقوات الأميركية الأولى أو بسبب أن الصواعق اللازمة لعملية التفجير لم تكن تعمل قد أوقع بيد الجيش العراقي وبلبلة وشل قدرته على العمل.

٧. أن كثيراً من قذائف الآر بي جيه لم تنطلق لتلف في صواعقها التي كانت مخزنة لسنوات في المستودعات الرطبة.

٨. خوف النظام من انقلاب في الجيش منعه من تسليم الجنود والمقاتلين الذخائر الحية الكافية للقتال مدة طويلة.

٩. أكد الجميع أن تعليمات صدرت لكثير من المقاتلين بعد سقوط بغداد من قياداتهم بترك أسلحتهم وخلع زيهم العسكري والذهاب إلى بيوتهم بانتظار أوامر جديدة ستصدر إليهم لاحقاً.

هذه الأمور مجتمعة تقدم لنا التفسير الأقرب للصحة لما جرى في العراق. يوم ٩ نيسان وتزيح اللثام عن اللغز أو الحلقة المفقودة.

رؤية مهدئة

قد يحزن الكثيرون لهذه النهاية المؤلمة التي ألمت بالعرب والعراق وقد يصاب الكثيرون باليأس والإحباط وقد يميل البعض للدعوة إلى الاستسلام لاسرائيل وأمريكا ورفع الراية البيضاء وكي لا يقع أحد في مثل هذه الآفات المُبَيَّتة من وراء هذا العدوان لابد أن نسجل الملاحظات التالية:

١. إذا كان صدام منذ أن سيطر على العراق لم يخدم القضية العربية ولا قضية العراق وشعب العراق ولم يخدم إلا أمريكا وإسرائيل وإذا كان العراق بمقدراته الهائلة لم يخرج عن السيطرة الأمريكية منذ أن استلم صدام الحكم فإن الذي جرى اليوم ليس أكثر من أن الواقع المخفي والحقيقي قد ظهر وإن الازدواجية والتناقض بين القول والفعل لم يعد لها مكان لا في العراق أو في المنطقة المطلوب إخضاعها لإسرائيل علناً.

2. إن إعلان بوش أنه ما يزال يلاحق بقايا النظام السابق يشير إلى أن النصر الذي أوهم شعبه وشعوب العالم بأنه حققه يوم 9 نيسان لم يكن إلا أكذوبة طالما أن بقايا هذا النظام حسبما يقولون لا تزال تلحق بهم خسائر فادحة. وهذا معناه أن الحرب لم تنته كما زعم بوش ورامسفيلده يوم 9 نيسان. بل بدأت فعلاً بطريقة مغايرة بعد يوم 9 نيسان.

3. إذا كان نظام صدام بحروبه المجنونة قد أعاق النضال المباشر ضد الولايات المتحدة وإسرائيل فإن غيابه سيجعل من هذا النضال ضد الاحتلال المباشر للعراق وفلسطين أمراً مطلوباً أكثر مما كان من قبل ومفروضاً على جميع القوى الوطنية والديمقراطية والإسلامية العراقية والعربية. وسواء أكان ذلك بتخطيط مسبق من صدام لتسليم العراق أو لإغراق أميركا في فخ لن تخرج منه إلا مندحرة. فإن النتيجة الأهم هي أن الاحتلال الأميركي للعراق ولدول الخليج بعد اليوم لن يكون مقبولاً طالما أنه لم يعد هناك نظام لصدام يهددهم أو يخيفهم بعد ان زال الخطر الشيوعي المزعوم إلا إذا أرادوا أن يقولوا أنهم عملاء على المكشوف مما يجعل شعوبهم تقف ضدهم.

4. إن النصر الكاسح والسريع الذي يريد الأمريكان ايهام شعبهم وشعوب العالم به ليس إلا اكذوبة يقصد بها تخويف الآخرين إذا ما عارضوا سياستهم الداعمة لإسرائيل أو إذا وقفوا ضد احتلال العراق وإخضاع المنطقة للصهاينة.

5. إن هذا النصر الزائف لن يخيف إلا الجبناء والعملاء، فالانكلوصهيونين لم ينتصروا لا على العراق ولا على البعث ولا على القومية العربية أو الاسلام والمسلمين والاشتراكيين ولا على أي شيء سوى على أسطورة صنعوها هم لصدام وضخموا قوته وقوة جيشه، وأنهوا أسطورة هتلر العرب لأنهم لم يعودوا بحاجة لها وأن الذين هزموا فكرياً وسياسياً هم الذين آمنوا ووثقوا بالأسطورة وبهذا الشخص أمثاله الذين زعموا انه صلاح الدين.

6. إن الانكلوصهيونيين لم يحققوا نصراً بل حفروا قبراً لهم ولإسرائيل بأيديهم. لقد رحل صدام ولم يعد في العراق نظام يخيف الكويت ودول الخليج والسعودية وإيران ولم يعد في العراق ما يبلبل المفكرين والسياسيين على مختلف انتماءاتهم الفكرية أو يشتت نضالهم. بل أصبح في العراق احتلال عسكري انكلوصهيوني مباشر أعاد العراق إلى الوضع الذي كان عليه عام 1920 سيجعل الجميع يناضلون ضده بجميع الوسائل الممكنة قد يكون الأنكلوصهيونييون قد كسبوا هذه المعركة لكنهم على المدى الاستراتيجي سوف يخسرون الكثير وربما كل شيء في المنطقة.

7. لم يبق أمام أي عربي أو مسلم أو وطني أو قومي أو شيوعي أو بعثي أية ذريعة لأن يسكت على الاحتلال أو لأن يتهادن معه أو لأن يتعاون معه أو يساومه وخائن وعميل ومأجور كل من يتعاون معه ولا يقول له لا وسواء أكان وجوده مؤقتاً أو دائماً وسواءً في العراق أو السعودية أو في أي مكان في العالم..

الفصل الخامس

فذلكات نظرية للثبات ولاستعادة الثقة بالذات (*)

قد يضطر المرء لتقبل الواقع الجديد المؤلم الذي تبدّى للجميع بعد احتلال العراق أو للتكيف معه أو للتخفيف من وقع الصدمة على عقله ومن تأثير الحدث على نفسه من أجل أن يبحث في الواقع الجديد عن رؤى وأفكار يستند عليها لتجعله ربما قادراً على البقاء متوازناً وقادراً على الثبات على المبادئ والمثل العليا أو لاستعادة الثقة بالذات وللهجوم أيضاً.

1- ربما يكون الاحتلال المباشر للعراق أو لأي بلد من البلدان أفضل من الاحتلال غير المباشر الذي كان يخضع له فعلاً والذي يعمي الأبصار عن رؤية الواقع والحقيقة المرة. فعندما يلجأ الاستعمار إلى الاحتلال المباشر فإن هذا دليل على أن الاستعمار بالطرق غير المباشرة لم يعد ممكناً أو قادراً أن يحقق الغايات المطلوبة منه بالطرق السابقة. وهذا دليل على أن الاستعمار يعيش أزمة اضطر ليهرب منها إلى الركض نحو الأمام فعمل على تعقيد مشاكله وأزماته أكثر من السابق فالاحتلال المباشر الذي يفقأ العيون ويدمي القلوب الحرة والأبية قد يكون دافعاً لها لتشحذ هممها لمقاومته وللعمل على طرده من بلادها بصورة أكثر جديه وأكثر جذرية مما كان يفرضه عليها الاحتلال غير المباشر الذي تخضع له أغلب البلدان العربية والإسلامية ودول العالم الثالث والرابع إذ لا يخفى على أحد أن نظام صدام حسين كان يعمي أبصار الكثيرين عن رؤية حقائق مرة وأليمة أو على الأقل كان يقسم الساحة العربية والعراقية والإسلامية والدولية إلى قسمين رئيسين قسم مؤيد لصدام ونظامه وقسم معارض بشدة وقسم ثالث يضم أطيافاً واسعة من القوى الضائعة التي لم تكن تقدر على حسم موقفها إن الاحتلال المباشر لن يترك مجالاً لهذه القوى إلا أن تناضل ضده وتحاربه بشتى الوسائل.

لم يعد من الممكن بعد اليوم لأي قوة في العراق أو المنطقة أو العالم أن تقف موقف المتعاون أو المتحالف أو الساكت على هذا الاحتلال البغيض. إذ أنها ستتهم بالعمالة أو التخاذل وتصبح مرفوضة وملفوظة فكرياً وسياسياً واجتماعياً مثلها مثل الاحتلال.

(*) مقال نشر في صحيفة صوت الشعب بتاريخ 2003/4/14

من المؤكد أن الاحتلال المباشر للعراق قد حسم وسوف يحسم كثيراً من النقاشات النظرية حول الموقف من أن أي نظام يتحالف مع أمريكا أو الغرب أو اسرائيل وسيسهل بالتالي على القوى الوطنية والجدية والشريفة والمعادية للاستعمار - بأشكاله المختلفة والمعادية للصهيونية والاستعباد عملية حشد القوى وتعبئتها ضد الاحتلال والمتحالفين معه.

أزال الاستعمار باحتلاله المباشر لأرض العراق جميع الحجج والمبررات الفكرية والنظرية التي كان من الممكن استخدامها للقبول بالتحالف أو التعاون معه وأسقطها بضربة واحدة. بحيث لم يعد من الممكن لأحد أن يقبل للعراق أو لأي بلد آخر إلا أن يكون نظيفاً ومحرراً وحراً ووطنياً وديمقراطياً وسيداً لنفسه دون أية إملاءات.

لقد سقطت جميع الأقنعة والمبررات ولن يكون هناك مجال لأي انسان الحق لأن يزعم بأنه وطني أو ديمقراطي أو حر أو سيد لنفسه سواء في العراق أو في الوطن العربي كله أو في المنطقة أو في العالم إلا إذا وقف ضد الاحتلال.

2- إن ما تم في العراق ليس انتصاراً للقوة العسكرية الأمريكية الصهيونية الانكليزية (الانكلوصهيونية) ولا يقيم الدليل على أن هذه القوة قد انتصرت أو أن بإمكانها أن تحقق أي نصر على أحد في العالم إلا إذا كانت واثقة من ان القوة التي ستهاجمها لن تقدر على مقاومتها طويلاً. فقد أظهرت أحداث الغزو أن ما جرى في العراق لم يكن حرباً بل لعبة كما قال محمد الدوري حيث لم يجر احتلال العراق نتيجة لمعارك طاحنة مع الجيش أو الشعب أو النظام بل إن ما جرى لم يكن أكثر من عملية تسليم واستلام وبطريقة لا تخلو من الخسة والنذالة ولو أنها جرت دون قتال أو تدمير أو قتل لأي نفس بريئة لكان ذلك أفضل لجميع الأطراف.

إننا بغض النظر عن التفسير الذي يمكن أن نستند إليه لتفسير كيف حدثت عملية الاحتلال سواء أكانت تلك العملية تسليماً من قبل صدام أو خيانة من قبل قيادة الجيش أو نتيجة لتحييد الشعب وإخراج قواه الحرة والمناضلة واستبعادها من عملية المقاومة فالنتيجة في جميع الأحوال هي واحدة وإن ما جرى لم يكن حرباً ولا انتصاراً عسكرياً للقوة الباغية المجوقلة بل عملية تسليم دون قتال وأن من يتابع جميع الحروب التي خاضها الأنكلوصهيونيين خاصة الولايات المتحدة يكتشف أنها جميعاً كانت حروباً ضد إمبراطوريات قديمة ومهترئة آيلة للسقوط وإما بعد دفع خصومها إلى الامتثال وإنهاك قواها وإما ضد دول صغيرة. أو من خلال إنقلابات عسكرية أو مؤامرات حاكتها المخابرات الأمريكية في حين ان الحقيقة تؤكد أن أصغر الشعوب قادرة إذا صممت على القتال هزيمة هذا الغول الفارغ.

إن الانكلوصهيونيين وعملائهم وعبيدهم يسعون بكل جهدهم إلى إخفاء هذه الحقيقة وإلى إثبات أن نصراً عسكرياً باهراً سريعاً 'مزعوماً' قد تحقق.

إن تسليط الضوء على هذه الحقيقة يفقد أمريكا وسياستها وقادتها وعسكرييها

وقوتها العسكرية المدمرة ليس هيبتها فحسب بل صفتها المزعومة كقوة قادرة على تحقيق أي نصر على أي بلد تقرر قيادته أو شعبه القتال والمقاومة كما جرى ويجري اليوم في الأراضي الفلسطينية المحتلة أو كما جرى على أرض لبنان والصومال قبل سنوات.

كما أن كشف هذه الحقيقة لا تفقد الانكلوصهيونيون نصراً زائفاً زعموا أنهم حققوه فحسب بل تدفع القوى الوطنية والحرة والشريفة إلى الاقتناع بأن القوة العسكرية لأمريكا لا تخيف إلا الجبناء والمتخاذلين وستكون دافعاً للقوى الوطنية إلى مزيد من الثبات والتمسك بالمبادئ والأهداف والحقوق وإلى مزيد من الثقة بالنفس وبالقدرة على هزيمة المعتدي مهما كانت قوته أو جبروته ويدفعها بالتالي إلى الهزء بكل التهديدات والاستفزازات القذرة وعدم الخضوع للإملاءات والاشتراطات الارهابية لهم ولعبيدهم.

3- يفهم مما جرى في العراق مؤخراً أنه لم يكن وليد لحظة أو نتيجة لعمليات قصف بربري وتوغل كان محكوماً بالفشل ولا نتيجة لقرار اتخذه فرد أو مجموعة أفراد أو نتيجة لخطأ أو لخيانة أو صفقة أو مؤامرة أملتها الظروف الأخيرة بل إن ما جرى للعراق لا يمكن أن يكون إلا نتيجة لعمل دؤوب مارسته قوى شريرة خلال سنوات طويلة وعلى المستويات كافة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والروحية وإن جميع هذه الأفعال لم تكن إلا مقدمة أو تهيئة للأجواء لتسهيل عملية الاحتلال التي حدثت أو لجعل عملية الاحتلال قابلة لأن تحدث بتلك البساطة ولأن تستمر بدون مقاومة فعالة إن هذه الفكرة تدفع القوى الحرة والأبية والشريفة في البلدان التي تهددها امريكا أن تتجنب الانزلاق إلى أي سياسة مماثلة للسياسة التي اتبعها ذلك النظام أو التي اتبعتها المعارضة أو المؤيدة له خلال السنوات الماضية. وتدفعها بالتالي إلى تبني سياسة تجنبها الانغلاق على ذاتها أو على رؤيتها ومصالحها الضيقة وتدفعها بالتالي إلى خلق مزيد من الانفتاح على جميع القوى الأخرى الحرة والشريفة والشريكة معها في الوطن وقضاياه وتدفعها لأن تولي أهمية أكبر للقوى الشعبية المحلية مهما كانت صغيرة ولقضايا الجماهير المعيشية وتدفعها لأن تقف بصلابة وحزم ضد قوى الفساد والإفساد والتخريب الفكري والإعلامي والاجتماعي والاقتصادي. ولإعطاء أهمية أكبر للقوى الإقليمية والدولية الحرة التي يمكن تحشيدها للوقوف ضد الظلم والعدوان، إذا أرادت فعلاً أن تحافظ على بقائها ووجودها وأن تحقق لنفسها ولشعبها ولوطنها المنعة والحرية والاستقلال والتقدم. ولأن تحبط سلفاً أي محاولة يمكن للأعداء أن يقدموا عليها أو ينفذوا منها وذلك قبل أن يفكروا بها.

الفصل السادس

ماذا يجري في العراق

إذا كان قد تبين خطأ كل من اعتقد أن أميركا جاءت لتخلص العراق والشعب العراقي وشعوب المنطقة من نظام صدام حسين القمعي والعدواني فإنه لا شك سيكون مخطئاً إذا اعتقد أن أميركا جاءت لإقامة نظام أو أنظمة أفضل.

من المؤكد أن الولايات المتحدة ساهمت في تدمير العراق في حربين مع إيران والكويت بوجود صدام حسين ثم قامت باحتلال العراق عام 1991 على مراحل وبالتوافق معه ومع المعارضة العراقية التي جاءت بها من الخارج من أجل أن تفرض على العراق حكومة متصهينة للإجهاز على أية مقاومة وطنية عراقية أو عربية للمشروع الصهيوني.

يخطئ كل من يعتقد أن النظام العراقي قد سقط أو انتهى فطالما أنه لم يتم القبض على صدام حسين ولا على أي من رموز ذلك النظام والذين يقدر عددهم بالآلاف وخاصة الشخصيات التي كانت تهيمن على أجهزة الأمن والمخابرات العسكرية والأمن وأجهزة القمع والقتل والتعذيب وطالما أنه لم يقدم أي منهم للمحاكمة (ليعرف الجميع أنهم قد انتهوا وأن عاقبة المسيء والعميل والمجرم هي القتل أو السجن) فإن إمكانية عودتهم للحكم ستظل قائمة وسيظل الباب مفتوحاً لعودة أمثالهم لحكم العراق سواء أكان ذلك تحت حكم صدام أو غيره.

قال الصهيوني البارز والمتشدد بول وولفوتيز بعد زيارته للعراق على أثر تصاعد أعمال المقاومة العراقية تعليقاً على مقتل ولدي صدام حسين المزعوم (أن مقتلهما يثبت بما لا يترك مجالاً للشك في أن نظام صدام حسين قد انتهى إلى غير رجعة. وفي أن نظرية المؤامرة التي يؤمن بها غالبية الشرقيين الذين يصدقون كل ما يقال لهم من أكاذيب لم يعد لها مكان في هذا العالم).

لا أحد يستطيع أن يحزم فيما إذا كانا قد قتلا أم لا وليس مهماً أن يكون هذان الشخصان قد قتلا أم لا لإثبات أن نظام صدام حسين لن يعود حتى ولو قتل صدام حسين شخصياً ومن يشبهونه(*) ومع ذلك فأنا أعتقد أن عملية قتلهما المزعومة غير صحيحة لأسباب عديدة أهمها:

(*) شخصيا لا أستبعد أن تقرر الإدارة الأمريكية في آخر لحظة قتل صدام فعلاً لتكسب ولاء الشعب العراقي لها أو لمرر نصراً يمكن الحزب الجمهوري من الفوز في الانتخابات.

1. أنه كان يجب أن يتم اعتقالهما وتقديمهما للمحاكمة لا أن يتم قتلهما لإخفاء كل ما يعرفونه من أسرار. فلا أحد يصدق أن القوة الهائلة للولايات المتحدة كانت عاجزة عن القبض على أربعة رجال أحياء فإذا كان الروس بقنابل غازية استطاعوا تنويم أكثر من ألف شخص فإن الولايات المتحدة قادرة على استخدام قنابل غاز الأعصاب الذي تمتلك منه آلاف الأطنان ما يكفي لتخدير وتنويم الشعب العراقي والعربي كله وليس لتنويم أربعة أشخاص فقط.
2. إن توقيت العملية بعد تزايد أعمال المقاومة وفرار الجنود الأمريكيين من العراق يلقي ظلالاً من الشك عليها حيث أن الهدف من العملية كان المقصود به رفع الروح المعنوية للجنود الأمريكيين والشعب الأمريكي وطمأنة العراقيين من أن نظام صدام لن يعود وبأن أمريكا جادة فعلاً في القضاء عليه وعلى ولديه.
3. إن حدوث العملية بعد مقتل خبير الجراثيم الإنكليزي ديفيد كيلي يشير إلى أنها جاءت لنشر الضباب التعتيمي على هذه الفضيحة الكبيرة التي يفترض بها أن تسقط حكومة توني بلير.
4. من غير المعقول أن يقاتل أربعة رجال مدة 4 ساعات مئات الجنود وطائرات الأباتشي والدبابات والفرقة المحمولة 101 بأسلحة خفيفة مما يشير إلى أن استخدام هذه القوة المكثفة والمركزة قد جاء من أجل ترويع وتخويف السكان المحليين ورسالة للمقاومة العراقية أن أمريكا لن تتورع عن استخدام القوة المكثفة ضد أي قوة مهما كانت صغيرة.
5. من غير المعقول كما أشارت الروايات أن يقيم ولدا صدام في منزل أحد أقربائهم حصلت بينهم وبينه خصومات على أمور مالية ويقيم هذا القريب في منزل مجاور لمسكن يقيم فيه أكراد معروفون بعدائهم لنظام صدام.
6. من غير المعقول كما قالت الروايات أن يخرج صاحب المنزل مع عائلته دون أن يجعل هذا ولدي صدام يحذران ودون أن يفكرا بالهرب من المنزل .
7. من غير المعقول أن تستمر مراقبة المنزل مدة أسبوع قبل العملية كما أشارت معلومات القيادة العسكرية الأمريكية دون أن يكتشف ولدا صدام المعروفان بحسهما الأمني المفرط بما يجرى حولها وبأنهما مراقبان .
8. من غير المعقول أن يقاتل ولدا صدام حتى الموت مع أن الجميع يعرف أنهما من أكثر الناس حباً للحياة وولعاً بالبذخ واللذة واللهو.
9. من غير المعقول أن يقبل ولدا صدام القتال حتى الموت مع أنهما يعرفان أن إمكانية المحافظة على حياتهما إذا سلما نفسيهما كانت قائمة مع العلم أن جاك سترو وزير الخارجية البريطانية قد قال في معرض تعليقه على مقتل عدي وقصي (إنني لست

فرحاً وإنني لحزين على موتهما) ثم عقب قائلاً لقد وفرت لهما فرص البقاء أحياء وهى فرص لم تقدم للكثيرين، وقال لقد عرض عليهم رامسفيلد من قبل في كانون الثاني من هذا العام ثم في آذار أن يخرجا مع والدهم وعائلاتهم إلى المنفي خارج العراق (صحيفة الاتجاه الآخر تاريخ 2001/7/21) مما يعني أنه لا يمكن لصدام وولديه أن يقدموا على الموت وأن يرفضوا هذا العرض المقدم لهم والذي حثهم عليه الكثير من الزعماء العرب مما يعني أن هنا كذبة أمريكية لإظهار صدام حسين وولديه على أنهم شخصيات وطنية وشريفة ومجاهدة لإعطاء مؤيدي صدام وولديه المتبقين في أجهزة الأمن والمخابرات والحزب بزعامتهم حجة ليبقوا على صلة بهم.

10. لماذا لم تعرض جثتي عدي وقصي بعد العملية مباشرة.

11. لماذا قيل في اليوم الأول أن الجثتين متفحمتين ثم بعد أن عرضت صورتهما ظهر أن لا شيء فيهما متفحم.

12. لماذا تمت عملية تجميل واضحة للوجهين؟ هل ليظهر فعلاً كما لو أنهما عدي وقصي فعلاً لخداع الجميع أم لإخفاء عملية التشويه المخالفة لحقوق الإنسان التي قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية.

13. لماذا ر فضت الإدارة الأمريكية تسليم الجثتين لزعيم عشيرتهم مع أن العرف العام يتيح لهم دفنهما وإقامة العزاء لهما.

14. لماذا لم تطالب ساجدة والدة الشقيقين (أو شقيقتيه) بجثتيهما وهي الأولى بدفنهما ولا تستطيع قوة في الوجود مخالفة طلب أم من مشاهدة ولديها قبل الدفن.

15. لماذا لم تظهر وسائل الإعلام ردة فعل الأم التي يفترض بها أن تحزن على مقتل ولديها وأن تقيم لهما مراسم دفن ومجالس العزاء التي لن يستطيع أحد منعها من القيام بها.

16. إن زعم صدام أن ولديه قد قتلا شهيدين لا يقل كذباً عن زعمه أنه هو الذي يحرك ويدير المقاومة العراقية ضد الأمريكيين ليحبط المقاومة العراقية.

لا أعلق أهمية كبيرة على مقتل عدي وقصي أو صدام لأن المسألة في العراق قد تجاوزتهما منذ أن داس الناس بأقدامهم على تماثيلهم وصورهم.

إن المسألة اليوم أكبر من مسألة صدام وولديه فالمسألة الملحة والمطلوبة هي منع قيام أي نظام قمعي أو فاشي وذلك من خلال إجراء محاكم علنية ومحاسبة مكشوفة ومعاقبة واضحة لكل من أساء للعراق ولشعبه وبدد خيراته ولكل من ساهم في عمليات القتل أو السرقة أو الاعتداء والتي لن يكون مقتل صدام وولديه إذا حصلت فعلاً إلا تغطية للإبقاء على أسلوب القتل والاستبداد والتعسف قائماً.

من يصدق أن الأمريكيون لا يعرفون أسماء الشخصيات التي أساءت للشعب العراقي؟

إنني أعتقد جازماً أن الولايات المتحدة لن تجرؤ على أن تقدم أي رجل فاسد من رجال النظام السابق لمحاكمة علنية وحرة لأنهم يخشون أن تقوم هذه الشخصيات بفضح الولايات المتحدة وتعاونها معهم ولأنهم قد يتهمونها بأنها كانت وراء جميع الجرائم التي ارتكبها النظام قبل أن يسقط ومسؤولية جميع الجرائم التي ارتكبها بحق العراق والعراقيين بعد أن سقط النظام وأنها هي المسؤولة الوحيدة عما أصاب العراق في الماضي وما يصيبه اليوم.

أما السيد وولفوتيز الذي يؤكد على مقتل عدي وقصي لينفي نظرية المؤامرة التي يؤمن بها كثير من الشرقيين الذين يؤمنون بالكثير من الأكاذيب والذين يخيل لهم بأن صدام حسين موجود في الولايات المتحدة الأمريكية فإنني أرد عليه بالقول إن التركيز على صدام وولديه هو مؤامرة يراد منها إبعاد الأنظار عن الاحتلال. فهل أن قتلهم يدفع العراقيين أن يفتحوا لكم صدورهم وقلوبهم ويقدمون لكم عراقهم مشاعاً.

إن مقتلهم لا ينفي أنكم تتآمرون على العراق وعلى العرب ولا ينفي كل ما يقال عن وجود صدام حسين في الولايات المتحدة الأمريكية بل إن ما ينفي هذه النظرية فعلاً هو أن يزاح وولفوتيز وأمثاله من الصهاينة عن التحكم في السياسة الأمريكية. فوجوده بالذات أكبر مؤامرة على الشعب الأمريكي والعراق والعالم. وأن تقوم الولايات المتحدة بعد أن أسقطت النظام كما تزعم بالانسحاب من العراق والمحافظة على ثرواته وخيراته. وتترك الشعب العراقي يحكم نفسه بنفسه. إن ولفوتيز يريد منا أن نصبح مثل الأمريكيين الذين يصدقون كل ما يقوله لهم وكل ما تقوله وسائل الإعلام الصهيونية. ويريد منا أن نفقد قدرتنا على التمييز وأن نصدق كل ما يقولونه رغم أنهم لم يصدقوا معنا على الإطلاق منذ أن وجدوا وحتى واليوم.

إن الذين كذبوا على شعبهم وزعموا بأن صدام يشكل خطراً عليهم وعلى العراقيين والعالم قدموا الدليل بأنهم هم الذين يشكلون الخطر على العراقيين والعرب والخطر على شعبهم وجنودهم عندما أرسلوهم للموت لاحتلال بلد آخر وأن الذين قالوا بأنهم سوف يخلصون دول الجوار من نظام صدام الذي يشكل خطراً عليهم قد أثبتوا أنهم هم الذين يشكلون الخطر على جميع الأنظمة المجاورة للعراق. وأن الذين كذبوا عندما زعموا أن صدام حسين قادر على استخدام أسلحة الدمار الشامل خلال ساعات وبأنهم جاؤوا ليحرروا العراق من نظام صدام أو بأنهم يريدون بالتأكيد نشر الديمقراطية في العراق والعالم العربي. وإيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية. مازالوا يكذبون علناً على شعبهم وعلى العالم وأنهم تآمروا ولا زالوا يتآمرون وأننا لا يمكن أن نثق بكل ما يقولونه ليس لأننا مؤمنين بنظرية المؤامرة بل لأننا لا يمكن أن نلغي عقولنا وذاكرتنا.

استمرار التآمر على العراق

كتب مراسل صحيفة الحياة في الكويت محمد الجابر في تاريخ 22 نيسان 2003 أن

رئيس تجمع علماء الشيعة في الكويت السيد محمد الباقر المهري حذر من وقوع عمليات إرهابية وصدامات في كربلاء وقال «أن بقايا النظام السابق ممن تخفوا ولبسوا العمامة لهذا الغرض قد اندسوا بين الجموع المتجهة إلى هناك من أجل زرع الفتنة وزعزعة الوضع الأمني وتابع محذراً إننا نحذر العشائر العراقية ومنظمي مسيرة الأربعين من تغلغل مخابرات وفدائيي صدام الذين يقدرون بعشرات الآلاف وأيتام النظام البائد من المشاركة في المواكب الحسينية».

ثم حمل السيد المهري قوات الاحتلال مسؤولية هذه الأعمال التخريبية لأنها «هي التي فسحت المجال أمام نشاطات صدام ومرتزقته وسواهم بالقيام بعمليات النهب والسرقة بعد سقوط بغداد وهي لم تحاسبهم ولم تعتقلهم» إن كلام السيد المهري يتفق مع رؤية الكثير من العراقيين مثل الداعية أحمد القبيسي والسيد مرتضى الصدر والشيخ كاظم الناصري الذين قالوا أنه لا ينبغي للمقاومة أن تبدأ إلا بعد تشكيل حكومة جديدة لأنه بعد أن تتشكل مثل هذه الحكومة القادرة على حكم العراق ومحاسبة ومعاقبة القتلة والمجرمين والمسيئين وبعد أن يتشكل جيش عراقي وقوات أمن وشرطة ومحاكم قادرة على حكم العراق وتسيير أموره وإعادة النظام إليه بعد هذا فقط نستطيع أن نطمئن العراقيين من أن صدام ونظامه أو أي نظام مماثل لن يعود لحكم العراق وبعده فقط يمكن أن نطالب بإخراج الأمريكيين (وإن لم يخرجوا فإننا سوف نقاتلهم).

إني أعتقد أن هناك استخفافاً كثيراً بعقول العراقيين والعرب والمسلمين عندما يكرر الأمريكيون وأدواتهم لعبة إسماع صوت بن لادن وصدام حسين ورسائلهما عبر الفضائيات. وأقول إننا لسنا على هذه الدرجة من الغفلة والسذاجة فإذا كان إبقاء بن لادن مختفياً ضرورياً من أجل إبقاء جذوة الحرب المضادة للإرهاب مشتعلة وللقيام بما يريدون القيام به أينما كان وفي أي وقت يشاؤون فإن بقاء صدام حسين مختفياً سيجعل من مطلب بقائهم ضرورياً حتى يتم القبض عليه، هذا القبض الذي لن يتحقق إلا إذا أيقنوا أنهم قد أحكموا قبضتهم على العراق وهذا لن يتحقق.



الفصل السابع

(حكومات)
«عصابات القتلة، النصابين، الكذابين المحترفين الدوليين»

لا يمكن النظر لما يجري الآن في العراق ولما سيجري فيه بصورة مختلفة عما جرى فيه منذ عشر سنوات أو قبل ثلاثين سنة أو قبل ألف عام، وإذا كان من المؤكد ان الإدارة الأمريكية تكذب اليوم على شعبها بالنسبة لأعداد القتلى والجرحى والخسائر في صفوف قواتها فمن المؤكد ان هذه الإدارة كانت وما تزال تكذب علينا وعلى العالم في كل شيء ولا يمكن لإنسان عاقل أو نزيه أينما كان أن يصدق بعد الآن أي شيء قالته أو تقوله هذه الإدارة حول أية مسألة من المسائل. كما لا يمكن النظر إلى الاتهامات الكاذبة والملفقة التي وجهت للعراق لتبرير احتلاله على نحو مختلف عن الاتهامات الكاذبة التي وجهت إليه بعد احتلاله كذلك فإن الأعمال الإجرامية التي قامت بها قوات الاحتلال بعد احتلالها للعراق عن الأعمال الإجرامية التي قامت بها ضده قبل أكثر من عشر سنوات حيث قصفت مدنه وقراه وملاجئه بشكل عشوائي وقتلت أطفاله ونسائه وشيوخه وحاصرته وجوعته، لا يمكن ان تكون قنابلهم ذكية وان تخطئ أهدافها في ملجأ العامرية أو في الكرخ إلا إذا كانت بالأساس قنابل غير ذكية وإلا إذا كانوا هم أساساً غير أذكياء لأن أكاذيبهم قد تم كشفها بسرعة وسهولة. بعد ان تبين كذب وجود أسلحة دمار شامل في العراق وبعد ان عارضت أغلب دول العالم شن الحرب عليه قبل ان ينهي مفتشو الأمم المتحدة مهمتهم وبعد ان تبين أن المعلومات التي استندت إليها الحكومتان الأمريكية والبريطانية لتضليل شعبهما ونوابهما وشيوخهما ما هي إلا معلومات كاذبة جرى تضخيمها والمبالغة فيها او جرى تلفيقها وتسريبها من أجهزة الموساد إلى عملائهم في الـ CIA و BBC.

لقد قتل خبير الأسلحة ديفيد كيلي لدى وزارة الدفاع البريطانية لقتل الحقائق معه ومع أنهم بعد العثور على جثته مقتولاً لم يتعرفوا عليه لسبب التشويهات التي أصابت جثته ووجهه روجوا أنه قد انتحر. هل يعقل أن يشوه أي رجل يريد ان ينتحر وجهه وجثته؟ لقد كذبوا على شعبهم وعلى العالم وجعلوا حتى زوجته ترغم على القول أنه قد انتحر بسبب ضغوط نفسية تعرض لها.

إن من يقتل الخبير الرئيسي لدى وزارة الدفاع لن يتورع عن قتل أي إنسان آخر في العالم، ولا يتورع عن الكذب بشأن مقتله وأن يظل يكذب ويكذب حتى يجعل الناس عن طريق وسائل الإعلام التي يدفعون لها يصدقون ما يقولونه.

ورغم التأكد من كذب تلك المعلومات التي اتخذت منها الحكومتان الأمريكية والإنكليزية فقد واصلتا الكذب فزعمتا أنهما تريدان إزاحة نظام صدام حسين القمعي لإقامة نظام ديمقراطي. أو أن هذا النظام يشكل خطراً على الشعب الأمريكي ودول المنطقة والجوار والعالم، ولم تمض أيام قليلة حتى اكتشف الجميع أنهم لم يأتوا للقضاء على صدام الذي مازال حياً ولم ينشروا الديمقراطية بل فرضوا بالقوة حكومة عميلة على العراقيين بكل وقاحة وصلافة ولم يأتوا لإبعاد الخطر عن شعبهم وشعوب المنطقة بل شكلوا خطراً جدياً وحقيقياً عليها وكانوا سبباً في مقتل جنودهم عندما جاءوا بهم لاحتلال العراق.

بعد أن تبين للعالم وللأمريكيين والعراقيين والعرب كذب تلك الادعاءات لجأت الإدارة الأمريكية إلى مزيد من الكذب فزعمت بأنها ستبقى في العراق لمكافحة الإرهاب المزعوم، وبقايا فلول النظام القديم وتنظيم القاعدة الذي استعاد نشاطه فجأة وبقدرة قادر ونقلها إلى العراق وأصبح أكبر قوة تخريبية فيه.

بعد أن تبين حمق هاتين الحكومتين وإصرارهما على البقاء لأطول فترة ممكنة على الرغم من الخسائر الفادحة التي تمنى بهما قواتهما وبعد تبين المصير الأسود الذي ينتظرهما صرح وزير الدفاع الأمريكي أنه باق للقضاء على جميع الحكومات التي أوجدها النظام الدولي السابق، مما يشير إلى أنهم يريدون تحويل العراق إلى قاعدة دائمة لتدمير المنطقة ولسحق أية مقاومة وطنية مهما كان اسمها أو منشأها تحت ذريعة مكافحة الإرهاب.

المقاومة التي لن تتوقف إلا بهزيمتهم

أولا: إن تفجير أنابيب المياه وتعطيل وتدمير محطات توليد الطاقة الكهربائية والمؤسسات العاملة في الإنتاج والبناء لا يمكن أن تقوم بها المقاومة العراقية (وإذا كان هناك بعض الأفراد العراقيين ينفذون هذه الأعمال نيابة عن الأمريكان فليس ذلك لأنهم عراقيون بل لأنهم عملاء).

إن تدمير البنى التحتية والثقافية والأمنية والقضائية العراقية وسرقة وتدمير التراث الحضاري التاريخي للعراق لا يمكن أن تكونتتم إلا على يد قوى ظلامية معادية للعراق وتاريخه وتراثه بهدف إلى إلحاق المزيد من الأذى بالشعب العراقي لإذلاله وتجويعه وتفريغه ليقبل الخضوع للشراكة الأنكلوصهيونية على أرض العراق. مما يشير إلى ان هناك هدفاً بعيداً من وراء هذه الأعمال وأن هناك نية مبيتة للبقاء في العراق أطول فترة ممكنة لممارسة المزيد من التدمير والقتل والحرق.

ثانيا: إذا كانت الإدارة الأمريكية قد كذبت في كل شيء فلا شك أنها كذبت وتكذب وستكذب بالنسبة لكل ما تزعمه عن المقاومة العراقية خاصة عندما تلقي بالمسؤولية على بقايا وفلول النظام البائد أو على الدول المجاورة أو على تنظيم

القاعدة ومن المؤلم أن أغلب وسائل الإعلام العربية قد تحولت إلى أبواق لكل ما تبثه هذه الإدارة عن كل شيء، دون أن تترك أي مجال للنقد او التمحيص أو التدقيق.

إن الإدارة الأمريكية عندما تلقي بمسؤولية أعمال المقاومة على قوى خارجية أو إرهابية أو على بقايا النظام البائد فلكي تقنع شعبها أولا وشعوب العالم بأن الشعب العراقي يرحب بها ولا يقاومها، بينما أثبتت التصريحات المتناقضة للمسؤولين الأمريكيين وخاصة برايمر نفسه أن هناك أطرافاً عراقية عديدة تقوم بأعمال المقاومة، ومن المعروف أنه لا يمكن لأي بلد مجاور أن يجرؤ على إرسال المقاتلين أو الأسلحة إلى العراق لأنه يعرف سلفاً النتائج التي سوف تترتب على مثل هذه الأعمال بعد ان تم الكشف عنها فور حدوثها إن لم يكن قبل ذلك. وإذا كانت الدول المجاورة التي لا يمكن أن تسمح بتمرير الأسلحة والعبوات والسيارات المفخخة والناسفة وأجهزة التفجير عن بعد وأطنان المتفجرات فمن المؤكد أن مصدر هذه العبوات الناسفة هو مخازن الأسلحة والذخيرة الأمريكية التي لا تخضع لأي رقابة دولية أو أخلاقية.

من ناحية أخرى فإن مصادر الأسلحة التي تستخدمها المقاومة العراقية أيضاً لا يمكن أن تأتي من القاعدة أو دول الجوار بل من الأسلحة التي يمتلكها المقاومون العراقيون.

ثالثا: بعد أن فشلت الإدارة الأمريكية في جر الحكومة التركية لفتح أراضيها لقوات الغزو الانكلوصهيوني أو في المشاركة في العدوان على العراق أبت هذه الإدارة إلا أن تفتعل الصراعات بين التركمان والأكراد، هذا الصراع الذي لم يبرز في أي يوم من الأيام في تاريخ العراق القديم أو الحديث من اجل أن توجد المبررات للحكومة التركية بعد ان مارست عليها ضغوطاً كبيرة لإرسال قواتها للحفاظ على أمن قوات الاحتلال في مناطق الشمال، تحت إدارة القوات الأمريكية وخارج إطار الأمم المتحدة.

رابعاً: بما أن الأمم المتحدة قد عارضت منذ البداية شن الحرب على العراق فإن هذه الأمم المتحدة ممثلة بمندوبها سرجيو ديميللو رفضت أن تكون مجرد أداة للتغطية على الأعمال الإجرامية وغير القانونية التي تقوم بها القوات الانكلوصهيونية لذلك كان لابد من قتله للمجيء بشخص طيع بدلاً عنه وكمحاولة منها لاستبعاد الأمم المتحدة كلياً من العراق او لتعطيل أي دور لها فيه مستقبلاً مما يشير إلى انها تبيت وترسي أسس سياسة شريعة الغاب والعودة إلى البربرية والهمجية.

لقد أكد شهود عيان ومراسل الجزيرة في بغداد بعد حادث تدمير مبنى الأمم المتحدة بأربعين دقيقة أن صاروخاً بلون أبيض قد سقط على المبنى ودمره، لكن للأسف فإن جميع وكالات الأنباء وخاصة العربية بعد ذلك تجاهلت الجزء الأول والصحيح ونقلت الأنباء التي

سريتها الإدارة الانكلوصهيونية فزعمت اول الأمر أنها عملية انتحارية ثم زعمت بعد يومين بعد ان زالت كل آثار الجريمة أنها ناجمة عن تفجير سيارة مفخخة عن بعد، ثم منعت وصول أية أطراف دولية للتحقيق ولمعرفة ما حدث هناك.

خامسا: بما ان أغلب الدول العربية والإسلامية رفضت إرسال قوات تساعد الإدارة الانكلوصهيونية على إخضاع العراقيين للاحتلال فإن هذه الإدارة سعت من خلال تدمير السفارة الأردنية وإلى تحميل مسؤولية ذلك إلى تنظيمات إسلامية متطرفة لكي توجد المبررات للنظام الأردني الأكثر معرفة بالعراقيين لأن يرسل قوات أمن أردنية للتحقيق فيما جرى أو لحماية السفارة ومحيطها تكون مقدمة لإرسال قوات أمن أردنية كبيرة لحماية أمن القوات الأمريكية قد تصبح مبرراً لعمليات مماثلة ضد سفارات ومراكز حيوية لدول أخرى تدفع لإرسال قوات أمن لحماية القوات الأمريكية.

سادسا: إن جريمة اغتيال آية الله محمد باقر الحكيم مع اكثر من مائة من العراقيين هي جريمة بشعة وخبيثة تحمل عدة إشارات خطيرة وشائنة ومرعبة.

1- من المحتمل أن السيد الحكيم ومؤيديه قد خدعوا حين صدقوا إن الإدارة الأمريكية قد جاءت لتخلصهم من حكم الطاغية صدام. ولعلهم فقدوا القدرة على الرؤية واستشراف المستقبل حين اعتقدوا ان الولايات المتحدة يمكن أن تقبل به أو بهم في العراق حتى لو هادنوها أو تحالفوا معها ولعلهم نسوا أن أمريكا هي التي دفعت صدام حسين للبطش بهم وقتل كبار زعمائهم وانها هي التي دعمت هذا النظام في حربه ضد إيران وسمحت له لأن يبطش بها عام 1991 وأنها بالتالي لن تتورع عن البطش بها بشكل مباشر وصريح، ولعلهم نسوا انها إذا كانت قد سمحت لهم بالتواجد في العراق فإن ذلك لن يكون إلا لإثارة الصراع مع الأطراف الشيعية الأخرى، أومن أجل أن تستخدمهم للوقوف في وجه القوى الشيعية الأخرى المقاومة للاحتلال. ومن المحتمل أن يكون السيد الحكيم مدركا لما تبيته الإدارة الأمريكية له ولمجلسه ومؤيديه وقبل أن يكون كالحسين شهيداً لمقاومة الاحتلال كما قال السيد حسن نصر الله.

وإذا كان هذا الأمر صحيحاً فينبغي ان يكون دافعاً لأنصار الحكيم ومؤيديه أن ينتقموا من قتلة الحسين والحكيم المتجسدين اليوم في القوات الانكلوصهيونية.

2- عندما أعلنت الإدارة الانكلوصهيونية أنه تم القبض على شخصين سعوديين من تنظيم القاعدة أو من الوهابيين فإنها كانت تسعى فوراً والدماء فائرة والعقول مغيبة إلى خلق فتنة طائفية بين الشيعة والسنة سواء داخل العراق أو خارجه أو بين الشيعة أنفسهم خاصة بين اتجاه الحكيم واتجاه مقتدى الصدر الذي يرفض أن ينافسه أحد في النجف الأشرف.

3- لقد سعت إلى أن تلقي بالمسؤولية على الحكومة السعودية التي تعارض الوجود

الأمريكي في العراق لدفع العراقيين إلى تحويل أحقادهم من القتلة الحقيقيين إلى حقد على السعودية والحركة الوهابية ومن أجل أن تجعل السعودية دائماً في قفص الاتهام بمساعدة الإرهاب ومساعدة بن لادن والوهابيين.

4- تسعى الإدارة الأنكلوصهيونية إلى دفع إيران ومؤيديها من الشيعة في العراق وإيران والمنطقة إلى اتخاذ مواقف معارضة للمواقف التي اتخذتها القوى الشيعية والسنية الأخرى التي ترفض التعاون مع الاحتلال باعتبار ان شقيق الحكيم قد شارك في مجلس الحكم المحلي للعراق.

يتضح لنا مما سبق أن هذه القوات الغازية رغم الهزائم التي منيت بها وعلى الرغم من معرفتها المصير الأسود الذي ينتظرها لن تتورع في المستقبل عن القيام بأبشع الجرائم من اجل ان توجد كل المبررات الضرورية للبقاء أطول فترة ممكنة والعمل على تمزيق وحدة الشعب العراقي وتدمير بناه وإعادته إلى ما قبل التاريخ إذا لم يرضخ للهيمنة الصهيونية على مقدراته، مما يستدعي من جميع القوى الوطنية والشريفة إلى التنبه والحذر والحيطة للاستعداد للمواجهة سلفاً وتقديم التضحيات قبل أن يقدموها بالمجان نتيجة لأعمال إجرامية لاحقة ستقوم بها هذه القوات لاحقاً.

الفصل الثامن

الـمعارضة والنظام وجهان لعملة واحدة

يستعرض الكاتبان العراقيان طارق الدليمي وعبد الأمير الركابي وهما من القيادات المنشقة عن الحزب الشيوعي تحت اسم القيادة المركزية التي بدأت حرب الأنصار في أهوار العراق عام 1967 وأعلنت الكفاح المسلح "في مقالات عديدة كتبت في صحف النهار والحياة والسفير بدءاً من 12 حزيران 2002 حتى شباط 2003" الخارطة السياسية والفكرية للقوى السياسية العراقية ويعتقد الكاتبان من خلال مقالاتهما العديدة. أن المشكلة العراقية تتمثل في نقطتين. الأولى رفض النظام أي حوار ديمقراطي أو مصالحة وطنية (تلك الدعوة التي وجهها السيد حسن نصر الله للطرفين مؤخراً) حيث كان رفض أية عودة للمهجرين العراقيين إلا على أساس بقائه في الحكم متنفذاً وحيداً ومطلقاً مما دفع المعارضة العراقية إلى التمسك بموقفها القديم الجديد المستند إلى ضرورة إسقاط النظام وبالتالي أوقع الطرفان النظام والمعارضة نفسيهما في فخ الإدارة الأمريكية والارتهان إلى القوى الخارجية. حيث أظهرت الإدارة الأمريكية أنها لا يمكن أن تسمح بإسقاط النظام ذاتياً عن طريق القوى الوطنية أو الديمقراطية الليبرالية أو الشيوعية أو الإسلامية الداخلية. كما أنها أيضاً لا يمكن أن تسمح للدول العربية مثل سوريا أو السعودية أو مصر أو لإيران أن يسفط أي منها النظام وأنها لن تسمح لأحد غيرها أن يسقطه وعن طريق القوة العسكرية تحديداً وليس عن طريق الانقلابات السرية كما كان يحصل سابقاً حتى يصبح الاحتلال العسكري الأمريكي للعراق والجيش الأمريكي بمثابة المنقذ والمخلص للشعب العراقي وللمعارضة العراقية ولدول المنطقة من شرور هذا النظام القمعي. ويؤكد الدليمي أن تغيير النظام عن طريق القوة العسكرية الأمريكية أصبح العامل الوحيد الذي يجعل منها سيدة الموقف بلا منازع سواء في العراق أو في المنطقة».

يرى الدليمي في مقال له في السفير 21 كانون ثاني 2003.

«بعد قيام الانتفاضة في الجنوب العراقي سارعت الولايات المتحدة إلى غلق كل الأبواب أمام نجاحها وساعدت النظام على إخماد أنفاسها وانتظرت بعد ذلك بصبر سادي (بفضل أطروحة الاحتواء المزدوج) مدة عشر سنوات من أجل تفكيك النظام والمعارضة واحتوائهما ودفعهما سوياً إلى التشبث بأي شيء من أجل البقاء فقط وتحويل هذه النزعة إلى منظومة فكرية وسياسية معتمدة... وهكذا تطورت الحالة الفكرية والسياسية لأطراف المعادلة جميعاً (النظام والمعارضة) - إلى نزعة البقاء لدى النظام باتجاه قومي مهيض الجناح مرتبط بتنازلات مستمرة. بينما تورمت نزعة البقاء لدى المعارضة باتجاه عراقوي

أكثر وإلى الخروج من السقف الإقليمي القومي أو الديني تحت شعار الاستقلالية الكاذب والقرار المستقل المنافق والمزور وإلى الالتصاق أكثر مع العامل الخارجي والأمريكي تحديداً» ويرى الدليمي أن الانحطاط الفكري والعجز السياسي للمعارضة المخصيّة أدخلها طوعاً إلى طور جديد في مرحلة جديدة حيث التقت مع المصالح الاستراتيجية للأمريكيين من أجل تحقيق الهدف التاريخي المطلوب من نظام العولمة والشرق أوسطية أو بمعنى آخر كما يرى الدليمي أن الخلاص من السقف الإقليمي هو الذي مكن الأمريكيين من دفع المعارضة إلى حالة عراقوية مفيدة لاستراتيجيتهم القادمة وتنسجم مع تطلعات المعارضة العراقية المهزومة (سواء أكانت قومية أو إسلامية أو ماركسية) خلال صراعها غير المتكافئ. ويرى أن الفشل السياسي للمشروع الوطني كانت نهايته الطبيعية هي التحرر من الانتماء للمصالح الإقليمية والعراقية والارتكان والارتهان إلى العامل الأجنبي وبالتحديد العامل الأمريكي».

يشير الدليمي إلى أن الخطر الثاني الذي أصاب ويصيب العراقيين اليوم يتمثل في أن الحالة الفكرية المتدنية أصبحت مرتبطة بوشائج غير عادية مع مصالح مادية ضيقة وانتهازية وشخصية رخيصة وهكذا فإن تغليب هذه المصالح على مصالح الوطن والشعب يعتبر من أخطر المزالق التي تجعل من العراقيين مشتتين وضائعين ومغتربين وغير موحدين في مواجهة الاحتلال وبعيدين عن العمل على بناء عراق وطني قوي وديمقراطي وحر وسعيد.

يؤكد صلاح عمر العلي وسعد العبيدي أن الحس الأمني لدى صدام حسين كان عالياً جداً وأن هذا ما مكنه من القضاء على جميع محاولات اغتياله أو الانقلاب عليه والحقيقة هي أن صدام حسين ونظامه ومخابراته لم يكونا على تلك الدرجة من البراعة والدقة التي مكنتهما من اكتشاف والقضاء على أكثر من مئة محاولة انقلابية ومحاولة اغتيال قام بها معارضون لصدام في الداخل أو الخارج. لولا أن المخابرات الأمريكية (التي اخترقت المعارضة العراقية، أينما وجدت) كانت تتعاون مع النظام في اكتشاف وإفشال هذه المحاولات سواء تم الترتيب لها في السعودية أو إيران أو بريطانيا أو فرنسا أو ألمانيا أو في أي مكان آخر. مما مكن صدام من سحق أية معارضة له بحيث لم يبق أمام المعارضة العراقية أي سبيل لإسقاط هذا النظام سوى الارتماء في أحضان الولايات المتحدة بعد أن ثبت للجميع عجزهم وعجز جميع الأنظمة العربية والإسلامية المعارضة على إسقاط هذا النظام وبعد أن أمسكت الولايات المتحدة بجميع الخيوط؛ النظام وصدام وجيشه وأمنه من جهة. والمعارضة المحتواة في الخارج والمعارضة المشلولة في الداخل من الجهة الأخرى فلم يعد أمام الجميع سوى القبول والترويج بأنه لا بد من التحالف مع أميركا من أجل تحرير العراق من صدام حسين ونظامه ليصبح الاحتلال الأمريكي للعراق مقبولاً ومرحباً به باعتباره تحريراً للعراق وشعبه وهذا ما تم ترويجه فعلاً حتى من قبل أنظمة عربية وفئات وأحزاب عربية وإسلامية عديدة وهذه مأساة المآسي التي لم تحصل في أي منطقة أخرى في التاريخ والعالم.

الخروج من المحنة المركبة للشعبين العراقي والفلسطيني

إذا استثنينا أفغانستان وبعض البلدان والجزر الآسيوية والإفريقية المتناثرة هنا وهناك فإن العراق وفلسطين فقط هما البلدان الوحيدان اللذان يخضعان لاستعمار عسكري مباشر أما المحنة الحقيقية لهذين الشعبين والبلدين فإنها تتمثل في أن النظام والمعارضة رغم أنهما متعارضان شكلاً ومضموناً إلا أنهما يشكلان مع بعضهما ومع الاحتلال وحدة متكاملة مع اختلاف الأدوار والمواقع.

ففي حين تتعاون السلطة الفلسطينية وتنسق رسمياً وعلناً مع قوات الاحتلال فإن المعارضة العراقية هي التي تنسق وتتعاون على المكشوف مع الاحتلال وفي حين أن النظام العراقي يتظاهر بالعداء لأميركا وإسرائيل فإن المعارضة الفلسطينية تتظاهر بها.

إن مصطلح السلطة الوطنية الفلسطينية التي عملت وسائل الإعلام العربية وكثير من رجالها منذ عشر سنوات على ترديده كل ساعة ما هو إلا مصطلح كاذب وخادع ومضلل إذ كيف يمكن أن توجد سلطة وطنية في ظل احتلال؟ بالإضافة إلى ذلك فإن هؤلاء الذين يطلقون على انفسهم اسم سلطة فلسطينية لا يملكون من مقومات السلطة أي شيء فهم لا يمتلكون أية سلطة حقيقية على الأرض الفلسطينية التي تسيطر قوات الاحتلال على مداخلها ومخارجها وسمائها ومائها وطرقها وهوائها وعلى كل شيء فيها سيطرة تامة وشاملة باستثناء إدارة شؤون الفلسطينيين المدنية وتأمين إحتياجاتهم المعيشية والصحية والتعليمية والاجتماعية والحفاظ بشكل رئيسي على الامن العام والمستوطنات وأمن قوات الاحتلال مما خفف من هذه الأعباء المكلفة اقتصاديا وأخلاقيا وقانونيا عن قوات الاحتلال وألقى بمسؤوليتها على من صدقوا أنفسهم بأنهم سلطة.

من ناحية أخرى فإننا ندرك اليوم أن هؤلاء النفر من الفلسطينيين الذين يطلقون على انفسهم اسم سلطة لم يعملوا طيلة السنوات العشر الماضية على زحزحة الاحتلال خطوة واحدة عن مواقفه هذا إن لم يعملوا على تكريسه وإطالة أمده أو على تجميله في أعين دول العالم والرأي العام العالمي وفي نظر كثير من العرب والفلسطينيين من خلال إيهامهم بأنهم نواة للدولة الفلسطينية القادمة.

من المؤسف أن حالة العماء السياسي والفكري والخلقي قد جعلت هؤلاء النفر من الفلسطينيين يصدقون ويتبجحون بأنهم سلطة بينما هم لا يمتلكون حق الدخول أو الخروج أو التنقل أو الاجتماع إلا بعد حصولهم على تصريحات من سلطات الاحتلال.

ومن المستغرب أن يصدق بعض الفلسطينيين أن سلطة لشعب ما في العالم يمكن أن توجد في حين يكون ورئيسها محاصر في مقره منذ أكثر من عام ولا يسمح له بالتنقل إلا في حدود مقره ومدخله الخارجي فقط.

إن كثير من المؤشرات والادلة التي نشرتها وسائل الإعلام الفلسطينية تشير إلى أن كثير من هؤلاء الفلسطينيين الذين يسمون أنفسهم سلطة ما هم إلا وكلاء لكثير من

الشركات العالمية والصهيونية في الأراضي المحتلة فإذا كانوا وكلاء للشركات فمن الطبيعي أن يكونوا أقرب إلى وكلاء للاحتلال منهم إلى أي شيء آخر.

إن حرص المعارضة الفلسطينية المزعوم على عدم فتح معركة فكرية وسياسية ضد هؤلاء النفر من الوكلاء بحجة تجنب الاقتتال الداخلي والحفاظ على الوحدة الوطنية الفلسطينية قد أخضعها في المحصلة للنهج السياسي العملي لمن يطلقون على انفسهم اسم سلطة.

من المؤسف أن نقول بأن من يطلقون على انفسهم اسم معارضة لم يعملوا على دفع السلطة ورجالها ومؤيديها على تبني موقف وطني معارض ومقاوم للاحتلال ولم يعملوا حتى على دفعها لبناء وحدة وطنية لإنقاذ الشعب الفلسطيني المقاوم من محنته وتأزماته الاجتماعية والاقتصادية بل إنهم على العكس خضعوا لإملاءاتها وبالتالي فقد ساهموا عن وعي أو دون وعي في إطالة أمد الاحتلال.

الواقع أنهم يختلفون نظرياً وبالكلام فقط مع السلطة لكنهم عملياً وفي النتيجة متفقون ومتوافقون معها فهم عملياً(*) لم يعملوا على زحزحة رجال هذه السلطة خطوة واحدة عن نهجهم الذي ساروا فيه لإنهاء القضية الفلسطينية ولم يعملوا على تغيير مواقفهم المهادنة للاحتلال ولم يعملوا على دفعهم خطوة واحدة في الاتجاه الصحيح الذي ينادون به مما جعل ويجعل من تضحياتهم وتضحيات شعبهم تضيع سدى أو لا تعطي النتائج المرجوة منها في زحزحة الاحتلال ووكلائه عن خطهم ونهجهم.

أما إذا تناولنا الموضوع من الجانب الأساسي المتعلق بجوهر القضية الفلسطينية المتمثل بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني كله وليس للجزء الخاضع للاحتلال حالياً فإن الطرفين المعارضة والسلطة قد تجاهلوا ذلك الجزء الأكبر من الشعب العربي الفلسطيني سواء الموجود في الشتات أو داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام 1948 أو غيبوه. فالقضية الفلسطينية ليست قضية الضفة والقطاع بل قضيتهم وقضية الخمسة ملايين فلسطيني المطرودين من ديارهم والممنوعين من ممارسة حقوقهم الوطنية منذ أكثر من 50 عاماً.

من المؤسف ان نقول أن حالة العماء السياسي وفقدان البصر والبصيرة قد وصلت بهؤلاء النفر من الفلسطينيين إلى درجة جعلتهم وجعلت أقسام واسعة من شعبهم يتوصلون إلى السكوت عن تخلي قيادتهم عن حقوقهم المشروعة في استعادة أملاكهم وعودتهم إليها وعن حقهم في تقرير المصير بعد العودة، ومن المؤلم أكثر ان جزءاً كبيرا من الشعب الفلسطيني يتمسك بهذه القيادة التي أقرت منذ عام 1988 بحق الإسرائيليين في أن تقوم دولتهم على (78 ٪ من أراضي فلسطين) على حساب أراضيهم.

(*) والأدهى أن السلطة ورئيسها ومؤيديهيتهموا بالعمالة المباشرة لإسرائيل.

ليست هذه دعوة للاقتتال بل دعوة لليقظة والعمل بأساليب مختلفة ودعوة لمعارضة حقيقية وطنية وصحيحية لأن دعوة لجعل المعارضة والسلطة يعودان عن انسياقهم وراء تغييب قضية شعبهم الأساسية في العودة وتقرير المصير. دعوة لدفع السلطة والمعارضة وجميع فصائل الشعب العربي الفلسطيني وفئاته المختلفة لأن تتبنى برنامجا وطنيا لا يقتصر على تحرير الضفة والقطاع فقط أو على إقامة دولة فلسطينية كنهاية للنضال الفلسطيني بل لتبني برنامج وطني شامل يعيد الحقوق الكاملة للشعب الذي يتحدثون باسمه.

عندما نتحدث عن المعارضة والسلطة في البلدين فإنما نقصد المعارضة الرسمية والقيادات بشكل عام ولا ينطبق هذا الكلام على كثير من الوطنيين المنضوين تحت لواء السلطة أو المعارضة. وأن ما ينطبق على أطراف صغيره في المعارضة من حيث عداؤهم الحقيقي للسلطة أو للنظام أو لقوات الاحتلال في البلدين إنما يشكل معارضة هامشية و غير فعالة و محاصرة و مهيضة الجناح مع الأخذ بعين الاعتبار أن المعارضة الفلسطينية الجذرية الموضوعية تقع في الخارج (باعتبار أنها تستند على الكتلة الأكبر من الفلسطينيين والمتمثلة باللاجئين في البلدان العربية المجاورة) لكنها مشلولة ولا تمتلك أية إمكانيات خاصة للقيام أو للبدء بمعارضة حقيقية أو فعالة ضد الاحتلال والسلطة معاً أما المعارضة العراقية الجذرية فهي موجودة في الداخل لكنها تمتلك إمكانيات القيام بمعارضة جذرية وفعالة ضد الاحتلال والسلطة معاً.

من أطرف المفارقات السياسية أن توجد في فلسطين حكومة مؤقتة جاهزة تبحث عن دولة مؤقتة لتقيم عليها سلطتها وأن توجد في العراق في الوقت ذاته دولة قائمة تبحث عن حكومة مؤقتة لحكم العراق.

ومن أطرف الحقائق وأشدها إثارة للدهشة أن يكون المطلوب من الحكومة الفلسطينية القائمة ومن الحكومة العراقية المؤقتة غير القائمة أن تكون وظيفتهما حماية قوات الاحتلال في البلدين وتقديم أوهى المبررات لإلحاق بلديهما بامريكا. إن قيام السلطة في البلدين بهذه المهمة سيجعل من الوضع في البلدين مستحيلاً من إمكانية الاستقرار شبه مستحيلة مما يجعل الوضع قابلاً للتفجر لأن من المستحيل أن يقبل أي شعب في العالم أن يظل بلده محتلاً وأن تقوم سلطته بحماية قوات الاحتلال.

إن النقطة الرئيسية التي تربط بين الوضع في البلدين تتمثل في أن أغلب القوى السياسية فيهما ليست على معرفة حقيقية وجادة بالموقع الاستراتيجي والهام للعراق ولفلسطين وإن دل هذا على شيء كما يرى طارق الدليمي فإنما يدل على ضحالة في التحليل وخفة في الاستنتاجات السياسية اللاهثة وراء أي شيء يقدم لها. وأغلب هذه القوى لا تعي بصورة جيدة أن مستقبل المنطقة والعالم إنما يتوقف عليهما وعلى تحرير بلديهما من الاستعمار وحصول شعبيهما على الاستقلال التام والحقيقي وأنه لهذا السبب بالذات تجري أبشع عمليات الاستكلاب والتضليل والخداع وأقذرها ضد البلدين والشعبين

ومعارضتهما الحقيقية وضد كل من يساندهما أو يقف وراءهما.

ينجم عن عدم إدراك القوى السياسية الرئيسية في البلدين لأهمية قضية بلديهما انجرار هذه القوى إلى البحث عن الدعم العربي أو الأجنبي الخارجي وليس إلى البحث عن دعم حقيقي من شعوبهم. مما يؤدي إلى انجرارها إلى صراعات بين بعضها تجعل من الصراع ضد الاحتلال وأدواته في كثير من الأحيان هامشياً.

وأنا إذ أتفق مع رؤية طارق الدليمي في أن أخطر الأمور التي تجري حالياً هو حالة فقدان البصر والبصيرة أختلف معه في أن هذه الحالة ليست شاملة ولا تصيب الجميع بلا استثناء كما كتب الأستاذ طارق في مقاله (صحيفة السفير بتاريخ 13 كانون الأول 2003) لأنه مهما كان هذه الرؤية التي تؤمن بها القلة الشريفة والواعية والمخلصة محدودة إلا أنها منتشرة بكثرة وهي أقوى من جميع الرؤى الأخرى السائدة.

الفصل التاسع

رؤيا مستقبلية

نصحني كثير من الأصدقاء بعدم التسرع في إطلاق الأحكام حول مستقبل بلدينا (العراق وفلسطين) إلا أنني مع ذلك أخالفهم وأجازف باتخاذ موقف مستقبلي أزعم فيه أن الشعبين لابد أن يفرزا معارضة جذرية وحقيقية خلال فترة قصيرة لا تتعدى ثلاث سنوات فقط للأسباب التالية:

يستطيع المراقب والمتتبع للأحداث التاريخية الكبرى خاصة إذا كان يتمتع بدرجة عالية من الجدية العلمية والابتعاد عن التعصب الفكري والتنظيمي وبحد أدنى من المسؤولية الوطنية والأخلاقية والإدراك السياسي أن يرى أن الإمبريالية قد سعت من خلال أدواتها في المنطقة إلى اللعب على التناقضات بين الاتجاهات الرئيسية الأربعة في الوطن العربي (الإسلامي، القومي، الليبرالي، الاشتراكي) وتعميق التناقضات بينها استناداً لمبدأ فرق تسد. حيث كانت تشجع أحد التيارات في أحد البلدان على التيارات الأخرى ففي السعودية والأردن مثلاً شجعت تيار الإخوان المسلمين والتيار الوهابي أما في مصر والعراق فلقد شجعت أحد فئات التيار القومي الذي استلم الحكم ضد القوى الشيوعية والإسلامية والقومية الأخرى.

والآن بعد أن أدت هذه القوى مهامها في إضعاف التيارات الأخرى وخاصة بعد انهيار الشيوعية وتراجع المد الشيوعي كتيار مؤثر في الساحة العربية والدولية فإن المطلوب اليوم استخدام القوى الليبرالية والمتغربنة والمتأمركة والمتصهينة سواء أكانت إسلامية أو شيوعية سابقة والتي تربت في أحضان أمريكا والغرب للانقضاض على القوى الإسلامية التحررية في السعودية وغيرها وعلى القوى القومية الوطنية في كل من مصر وسوريا والعراق واليمن وكذلك على القوى التي ماتزال متمسكة بالاشتراكية.

وإذا كان السادات قد استطاع أن يقضي على التوجه القومي لمصر الذي أرساه عبد الناصر وأعادها إلى الانغلاق على فرعونيتها فإن المطلوب اليوم جعل العراق أيضاً ينعزل عن محيطه العربي والانقضاض على القوى القومية والاشتراكية في كل من سوريا والعراق باستغلال الأخطاء الكثيرة التي مارستها هذه القوى خلال فترة حكمها خاصة بعد الفشل الذي منيت به في مواجهة المشروع الصهيوني وعملية التحديث والدمقرطة والتنمية متخذين من هذه الأخطاء والفشل حجة للانقضاض على الفكر القومي التحرري الذي ساد خلال الفترة الماضية تحت غطاء ما يسمى بالإصلاح والديمقراطية واللحاق بالعولمة والبحث عن السلام.

من يدقق في الأمور جيداً يكتشف أن ما رتب ويرتب للمنطقة هو أكبر وأخطر مما تحمله

كلمة المؤامرة بالمفهوم المخابراتي أو مفهوم العمالة بحيث يبدو لنا فعلاً بأن مفاهيم كثيرة مثل المؤامرة والعمالة والخيانة تضيق عن وصف ما جرى ويجري في المنطقة وأمام ما رتب ويرتب لها على المستويات كافة (الثقافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والإعلامية والأخلاقية).

ما سر هذا الهجوم الساحق والمتعدد الأطراف الذي تقوم به قوى عديدة ضد الاتجاه القومي والاشتراكي؟ من غير المعقول أن تبادر القوى الإسلامية التي تزعم أنها أصبحت العدو الرئيسي للصهيونية والإمبريالية إلى أن تتحالف معهم للإجهاز على بقايا الاتجاهات القومية بعد أن تم القضاء على التيار الاشتراكي لتخلي الطريق فقط للقوى المتأمركة والمتصهينة للسيطرة على المنطقة.

أية ديمقراطية هذه التي يتحدثون عنها والتي لن يكون فيها مكان لحزب البعث في أي حكم قادم للعراق؟ أليست استمراراً للنهج الديكتاتوري لصدام عندما ألغى القوى السياسية الأخرى وربما أسوأ منه.

صحيح أن قيادة البعث في العراق قد ارتكبت أخطاء فادحة لكن هذا لا يعطي المبرر لاستبعاد حزب البعث وجميع الشرفاء الذين لم تتلوث أياديهم ولا يجوز استغلال الأحقاد والنعرات الحزبية القديمة والضيقة للإجهاز على آخر قشة يمكن للغريق أن يتمسك بها.

والواقع أن المعركة التي يريد أن يفتعلها بعض رجال مجلس الحكم في العراق وكثير ممن هم خارجه ضد حزب البعث والبعثيين أو ضد بعض الفئات الأخرى إنما هي معركة مشبوهة لا تقل خطورة عن المعركة التي خاضها البعثيون والقوميون والإسلاميون ضد الشيوعيين ففي الوقت الذي كان فيه الشيوعيون يشكلون في نهاية الخمسينيات أكبر قوة سياسية في العراق كان المطلوب يومها أمريكياً وصهيونياً سحقهم وتفتيتهم وقتل أعضاء الحزب ومؤيديه وتشتيتهم. وها هم الآن وبعد أن أصبح البعثيون أكبر قوة سياسية في العراق يريدون استخدام أحقاد الشيوعيين والإسلاميين القديمة خاصة الشيعة لسحق حزب البعث وجماهيره فكريا وسياسيا.

والواقع أننا يجب أن نضع الصراعات بين الاتجاهات الإسلامية والقومية والشيوعية في العراق وغيره في إطارها التاريخي والحقيقة إن البعثيين والقوميين العرب الذين قاتلوا الشيوعيين وسحلوهم وقتلوهم عام 1963 أو عام 1980 لم يفعلوا ذلك لأنهم كانوا عملاء للصهيونية أو للأمريكان وإن كنا يجب أن لا نستبعد وجود عملاء بينهم كما هي الحال في جميع الأحزاب الأخرى بل لأنهم كانوا مقتنعين بأن الشيوعيين معادين للوحدة العربية وأنهم ضد القومية العربية.

قد يندفع المسلم لقتال الشيوعيين لأنهم في نظره كفرة أو ملحدين أو عملاء للصهيونية لكنه لا يندفع لمقاتلتهم لأنه عميل أو مرتبط بالاستعمار أو بالصهيونية وأنا أعتقد بأن البعثيين الذين قاتلوا الإيرانيين والشيعة سواء أكانوا في الجيش أو في الميليشيات لم يقاتلوهم لأنهم إيرانيون أو شيعة بل لأنهم كانوا يؤمنون بأن الفرس والمرتبطين بهم من الشيعة يشكلون خطراً على العراق وعلى العروبة وأن العراقيين الذين ذهبوا لاحتلال الكويت لم يذهبوا إلى هناك

لينفذوا مخططاً صهيونياً أو أمريكياً بل لأنهم يؤمنون بأن الكويت هي جزء من العراق يجب أن يستعاد وأن البعثيين العراقيين الذين حاربوا سوريا لم يقاتلوها لأنها بعثية مثلهم بل لإيمانهم بأن البعث في سوريا لا يعمل لمصلحة الفكر البعثي والقومي الذي نظّر له كل من عفلق والبيطار أو لأنهم حسب ما أقنعوا واقتنعوا بأن البعث في سوريا قد انحرف عن الخط السياسي الأساسي لحزب البعث الذي يمثله صدام حسين.

من الظلم الفادح أن نطلق صفة العمالة على جميع المقاتلين العراقيين والميليشيات البعثية والحزبين الذين يشكلون ثلث الشعب العراقي وكذلك من الخطأ أن نطلق صفة العمالة على الشيعة الذين لم يقاتلوا القوات الأمريكية كما أن من الخطأ أن نطلق على الأكراد صفة العمالة لأنهم وقفوا ضد النظام وإلا لخرج معنا أن جميع العراقيين هم عملاء والحقيقة أن كل فئة منهم وقفت مواقفها الخاطئة بسبب قناعات معينة اقتنعت بها أو أقنعتها بها قيادتها السياسية ونخبها الفكرية المأجورة والعميلة أو لأنهم كانوا لا يستطيعون مخالفة الأوامر التي تصدر إليهم من قياداتهم أو نتيجة لمصالح ضيقة مثل أي بشر آخرين في العالم. وإذا كان البعثيون والمقاتلون العراقيون لم يقاتلوا الأمريكان فليس ذلك بسبب أنهم يحبون أمريكا أو لأنهم عملاء لها بل لأنهم لا يستطيعون أن يخالفوا الأوامر التي صدرت إليهم من قيادتهم بالانسحاب أو بعدم القتال وأن غالبيتهم بعد الذي جرى لهم ولبلدهم باتوا يؤمنون اليوم أو سوف يتوصلون إلى أن قيادتهم قد خانتهم وخانت العراق وأن غالبيتهم الآن ناقمون على أنفسهم وحاقدون على قيادتهم التي خانتهم وسلمت عراقهم للأمريكان بدون قتال لذلك فإنني أؤمن بأن غالبية البعثيين والمقاتلين وغالبية الشيعة والأكراد يرفضون الاحتلال وأنهم لا بد أن يقاتلوه ولكن ليست تحت قيادة صدام حسين وليس تحت أية قيادة جاء بها الأمريكان وإذا هم لم يقاتلوا الأمريكان اليوم فليس لأنهم يحبونهم بل لأنهم لا يريدون أن يقاتلوا دفاعاً عن النظام الذي آذاهم وأذلهم والذي يخشون عودته إلى الحكم ثانية وأعتقد أن الموقف المهادن لغالبية العراقيين المؤيدين لأحزاب المعارضة العراقية الذين لا يقاتلون أمريكا اليوم لم يكن بسبب أنهم عملاء بل لأنهم يؤمنون بأن أمريكا سوف تخلصهم من حكم صدام الذي آذاهم ودمرهم وشردهم وأن بيدها وحدها إمكانية إبعاده عن حكم العراق ثانية وعندما يصحو العراقيون جميعاً من هول الصدمة والمؤامرة وعمليات التضليل والخداع والكذب فإنهم سوف يتحولون إلى مقاتلين أشداء ضد الأمريكان والإنكليز والصهاينة مثل إخوانهم الفلسطينيين واللبنانيين ولن يوجد عراقي واحد يمكن أن يقبل بالاحتلال الأمريكي والصهيوني لبلده إلا إذا كان يتقاضى راتباً بصفته عميلاً مأجوراً وخائناً وهؤلاء قلة القلة.

إن ما ينطبق على العراقيين ينطبق أيضاً على الفلسطينيين. وعلى جميع الشعوب ـ فمن المؤكد أن غالبية من يؤمنون بالسلطة أو المعارضة هم وطنيون وشرفاء وأن غالبية الفلسطينيين والعراقيين يرفضون الاحتلال والتطبيع مع إسرائيل أو التعايش معها ويرفضون التسليم بضياع حقوقهم وأراضيهم التي سلبت منهم عام 1948 وإذا اكتشف العراقيون مبكراً أن سلطتهم ومعارضتهم قد خانتهم وأن القيادة التي يقيمها الأمريكان اليوم سوف تخونهم وتغدر بهم فإنه لابد للفلسطينيين أن يكتشفوا قريباً هذا الأمر لأنهم لن يحصلوا في مفاوضات الحل النهائي

على شيء من الاحتلال سوى العبودية وضياع حقوق المواطن والإنسان وإنهم لابد أن يصحوا ويرفضوا ويقاتلوا ويقاوموا جميع الحلول المطروحة.

إن نسبة 90٪ من العرب أو المسلمين الذين عادوا الاتحاد السوفييتي وحاربوه في أفغانستان لم يحاربوه لأنهم كانوا عملاء لأمريكا والصهيونية بل لأن هناك من جعلهم يعتقدون ويؤمنون بأن قتال السوفييت الكفرة سوف يعيد لبلادهم وللإسلام مكانته وأن غالبية المسلمين الذين قاتلوا الاتحاد السوفييتي خلال فترة الحرب الباردة قد اكتشفوا أنهم قاتلوا العدو الخطأ وفي المكان والزمان الخطأ وأنهم اكتشفوا متأخرين أو أنهم سوف يكتشفون أن أعداءهم الحقيقيين هم الأمريكيون والصهاينة ولذلك فإن المنظرين الأمريكيين والصهاينة قاموا بحرب استباقية أو وقائية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي فجعلوا من الإسلام عدواً جديداً لهم ليجعلوا من محاربة الإرهاب غطاءً لمحاربة جميع القوى الإسلامية والعربية التي ترفض الخضوع للصهاينة لسياستها مهما عملت قياداتهم على الترويج لذلك ولابد للمشروع الصهيوني من أن يمنى بالفشل. حتى لو أقنعوهم بأن لليهود حق في فلسطين فإنهم لن يتمكنوا من إجبارهم على التعامل مع الصهاينة وعملائهم وأدواتهم القذرة أو أن يفتحوا لهم قلوبهم وعقولهم.

صحيح أن ما يرتب للمنطقة خطير ومريب إلا أن هذا يجب أن لا يمنعنا من رؤية أن كل ما فعله الغرب والصهاينة وأدواتهم في المنطقة ما زال مهددا بالفشل والاندحار لأسباب عديدة أهمها:

أولاً: أن شعوب البلدان التي تأنكلزت ثم تأمركت وتصهينت مثل الأردن وعلى الرغم من أن القوى الإسلامية فيها خاصة الإخوان المسلمون الذين يمتلكون شعبية كبيرة في هذا البلد، هم الذين دعموا هذا النظام منذ أن أنشئ وحتى اليوم إن الشعب الأردني ما زال يرفض صهينة النظام وسيقاومها عندما تتضح وما ينطبق على الأردن ينطبق على مصر مع فارق أن القوى الرافضة لصهينة بلدهم هي أكثر جذرية وفعالية مما هي عليه في الأردن.

ثانياً: إن الدول التي تأنكلزت ثم تأمركت مثل دول الخليج والسعودية والكويت وعمان واليمن لم تتصهين بعد وسوف تقاوم الصهينة وقد تذهب قواها الجذرية الإسلامية إلى ما هو أبعد من ذلك.

ثالثاً: أن الدول التي تفرنست أو تغربنت مثل سوريا ولبنان والجزائر لم تتأمرك بعد ولم تتصهين وهي لا تقاوم الصهينة فحسب بل تقاوم الأمركة أيضاً.

رابعاً: لم يتأنكلز العراق أو يتأمرك ولم يتصهين ولم يتغربن فما زال هو والسودان يحتفظان بهويتهما الحضارية الخاصة على الرغم من خضوعهما للاستعمار الإنكليزي فترة طويلة لذلك فهما سيقاومان الصهينة والأمركة بضراوة.

وعلى الرغم من مظاهر الضعف والخلل التي تهيمن على الواقع العربي إلا أن هذا يجب أن لا يمنعنا من رؤية منابع ومصادر القوة والتي يأتي في مقدمتها:

❖ **التيار القومي العلماني الوطني** في الدول خاصة التي خضعت للاستعمار الفرنسي سابقاً التي ظلت بمنأى عن عمليات الصهينة التي قادها الإنكليز والأمريكان ورافضة لها.

❖ **التيار التوحيدي الوهابي** في السعودية وسواها حيث أن الولايات المتحدة قد أخطأت عندما شجعت هذا التيار لمعارضة التيارات القومية والشيوعية لكنها نسيت أن هذا التيار قد أصبح يشكل الآن مصدر إعاقة رئيسي لمخططاتها في المنطقة.

❖ **التيار الاشتراكي** الذي مازال يحسب له حساب على الرغم مما أصيب به من انتكاسة بعد انهيار المنظومة الاشتراكية وقد يتصاعد أكثر من السابق.

جميع هذه القوى إذا قامت بمراجعة ذاتية لتجربتها السابقة فإنها قادرة على أن توحد جهودها لإسقاط المشروع الأميركي الهادف إلى صهينة العراق والمنطقة بالقوة.

لقد فشل المشروع الأمريكي منذ الأيام الأولى لغزو العراق حيث لم تشارك أية فئة عراقية مع قوات الاحتلال في عملية إسقاط النظام على الرغم من جميع المظالم التي ألحقها بها فهي لم تستقبل القوات الأمريكية بالورود والرياحين لم يعد باستطاعتها التراجع. ولا شك أن الأحداث الحالية تشير إلى أن تقييماتهم وتقديرات عملائهم كانت خاطئة باعتبار أن جميع العراقيين بلا استثناء يعتبرون القوات الأميركية قوات احتلال يجب أن تطرد إن لم يكن اليوم فغداً.

ومن هذه الزاوية فإنني أختلف مع رؤية طارق الدليمي وغيره.. فإذا كانت القوى السياسية العراقية سواء كانوا تابعين للنظام أو لأحزاب المعارضة وبلا استثناء فاقدي البصر والبصيرة أو مرتبطين بمصالح ضيقة أو أنهم لم يقاتلوا الأمريكان فإني أؤمن أن جميع العراقيين وعلى مختلف انتماءاتهم القومية والدينية والطائفية هم أعداء طبيعيون للأمريكان والإنكليز والصهاينة باستثناء قلة قليلة طافية على السطح. وأن فقدان البصر والبصيرة وتغليب المصالح الذاتية المؤقتة ليس إلا أمراً مؤقتاً وعابراً لا بد أن ينتهي قريباً وأنهم سوف يقاتلون الأمريكان والعملاء حتى لو أطلق هؤلاء على أنفسهم مجلس حكم العراق الديمقراطي ومهما رفعوا شعارات إسلامية أو قومية أو ليبرالية ديمقراطية حتى لو بعد أن يخرج الأمريكان.

يرى الأستاذ طارق وهو محق تماماً في ذلك (أن البلد - أي بلد - في حال مروره بمأزق سياسي، أو إذا تعرض إلى صدع اجتماعي وسياسي حاد، أو واجه غزواً وحشياً، أو إذا مرت به كارثة طبيعية غير طبيعية، فإن هذا البلد يستطيع أن يضع علامات الخروج من الأزمة من خلال أقطاب الرحى له المتمثلة في المجتمع/ الدولة، السلطة/ المعارضة).

يطابق الأستاذ طارق بين الدولة والسلطة وبين المجتمع والمعارضة وطالما أن المعارضة برأيه تشكل الوجه الآخر للسلطة التي حكم عليهما بالاحتواء إلا ان الحقيقة هي أن المجتمع أكبر من الدولة والسلطة والمعارضة مجتمعين. وأن المجتمع يستطيع أن يضع علامات الخروج من الأزمة خارج هاتين القوتين بمعنى أن المجتمع والشعب قادر بل لابد أن يفرز قوى جديدة تعيد للبلاد توازنها ووحدتها واستمراريتها، فإذا كان الشعب العراقي لم يفرز حتى الآن هذه القوى القادرة أن تعيد للمجتمع توازنه فهذا لا يعني أن هذه القوى

لا تعتمد في أعماق المجتمع وأنها إذا لم تظهر اليوم إلى السطح فإنها لابد ان تظهر غداً.

إنـي أعتقـد خلافـاً لمـا يـراه الكثـيرون ان ليـس جميـع أطـراف المعارضـة العراقيـة أو الفلسطينية قد تم احتواؤها فالأدلة تشير إلى وجود أطراف من المعارضتين سواء في الداخل أو الخارج لم تصب بعد بالعمى السياسي ومازال متمسكة بالثوابت الوطنية لبلديهما.

إن مؤتمر لندن كما يعرف الجميع لم يضم جميع أطراف المعارضة العراقية الموجودة في الخارج بالإضافة إلى انه لم يضم المعارضة الداخلية وهذا يعني أن هناك فئات عراقية كثيرة لم تصاب بالعمى السياسي ولـم تفقد البصر والبصيرة ومـا تـزال تحتفظ بوطنيتها واستقلاليتها وليس أدل على ذلك من القوى التي مثلها محمد صادق الصدر وغيره من البعثيين والشيوعيين الذين لم يغادروا العراق كما فعل غيرهم من الزعامات السياسية أو الدينية وأن الصدر استطاع منذ عام 1994 أن يخلق تياراً وطنياً (وإن كان بإطار ديني) أكبر من النظام وصدام وأكبر من حزب البعث وجميع الأحزاب الأخرى وأن هذا التيار شكل في عام 1998 قوة مماثلة لقوة الحزب الشيوعي العراقي في الخمسينات وأن الولايات المتحدة وعملائها داخل النظام لهذا السبب بالذات قاموا باغتيال السيد الصدر عام 1998 كما اغتالوا سلام عادل عام 1963. ومن الملفت للنظر أن عملية الاغتيال (دهس بالسيارة) قد تمتا بطريقة واحدة مما يؤكد على ان المجرم في الحالتين واحد.

إن الأمريكان والنظام قدرا أن اتجاه السيد الصدر لو ترك يتطور فإن الوضع في العراق سيخرج عن سيطرتهم، لذلك قاموا باغتياله لكنهم نسوا أنهم لم يتمكنوا من اغتيال اتجاهه السياسي وان جميع عمليات الاغتيال التي تمت للقادة العراقيين على مختلف توجهاتهم سواء السنية أو الشيوعية أو القومية أو الشيعية لن تمكنهم من اغتيال الفكرة التي يحملها هؤلاء وإذا كانت هذه القوى غير موحدة اليوم فإن هذا يجب ألا يمنعنا من رؤية انها موحدة عملياً في موقفها من النظام وأمريكا وعملائها ومما يحدث في العراق والمنطقة، حتى لو لم تقف هذه القوى الراهنة الموقف الصحيح لإخراج العراق من كبوته ومن الكارثة التي حلت به ولا بد لهذا المجتمع أن يفرز قوى جديدة قادرة على اتخاذ الموقف الصحيح. ليست هذه قدرية بل هو منطق التاريخ والأحداث.

لابد من الإشارة إلى أن أخطر لعبة تمارسها قوات الاحتلال ضد المقاومة العراقية تتمثل في الإبقاء على صدام حسين مختفياً عن الأنظار (كما تركت بن لادن مختفياً عن الأنظار لتتخذ من إبقائه متوارياً حجة لمتابعة حربها على الإرهاب المزعوم) لتجعل منه بعبعاً يخيف العراقيين مما قد يدفع أقساماً واسعة منهم إلى تفضيل الخضوع للاحتلال خوفاً من عودته إلى الحكم.

أعتقد أن العراقيين الذين سيكونون قادرين على هزيمة الاحتلال سيكونون قادرين على منع صدام من العودة إلى السلطة ثانية وبالتالي فليس ثمة أي داع يمكن أن يقف حائلاً بينهم وبين مقاومة الاحتلال وكنسه عن أرضهم وتحرير أنفسهم من هذا الوهم

إضافة لذلك أرى وجود عدة عوامل أخرى مساعدة:

1. ارتكب الأمريكان لغبائهم وجبنهم كما أكد على ذلك وولف ووتيز مجموعة من الأخطاء الاستراتيجية والتكتيكية مما سيجعل من العراق مقبرة لهم.

2. لو توقفت أعمال المقاومة العراقية لن تقدر الإدارة الأمريكية على الاستمرار في العراق لسنوات طويلة لأن التكاليف السنوية لبقاء هذه القوات ستفوق أسعار بيع النفط العراقي.

فهذه العملية ستصبح من الناحية الاقتصادية البحتة خاسرة أما إذا أرادوا أن يجنوا أرباحاً مالية وبترولية من وجودهم فإن ذلك سيكون على حساب إعادة اعمار العراق ومعيشة أبنائه مما يخلق معارضة أعنف حتى لو كانت سلمية إلا أنها لا بد في النهاية من أن تكنس الأمريكان.

وفي حال أرادت أمريكا زيادة ضخ البترول العراقي لتزيد من عائداته فإن ذلك سوف يؤدي إلى إغراق الأسواق بالنفط مما سيؤلب حلفائها الخليجيين والسعوديين والكويتيين والروسي ضدها.

3. لن توافق أية طائفة أن يمثلها طرف واحد لذلك يستحيل حكم العراق على أساس التوزيع الطائفي. فلا بد أن تبقى الكثير من الفئات الطائفية أو غير الطائفية وهي الأكثر خارج التمثيل أن تبقى معارضة عراقية جذرية خارج لعبة الطائفية.

4. إن الحكم الذاتي للأكراد لا بد أن يمنى بالفشل وأن الفرح الذي يشعر به الأكراد حالياً سينقلب عليهم موتاً وحزناً وشقاءً وسيندمون ندماً كبيراً.

فتركيا وإيران وسورية والعراق لن يقبلوا أن يحصل الأكراد على حكم ذاتي واسع وسيقاومونه بوسائل عديدة.

كما أن الدول الأربعة وشعوبها ستحاصر الأكراد وتجعلهم يندمون في المستقبل القريب والعاجل على تحالفهم مع الأمريكان أعدائهم وأعداء إخوانهم العرب والعراقيين. وسيعلم الأكراد أن الولايات المتحدة لن تضحي بمصالحها السياسية والعسكرية في تركيا أو إيران والعراق من أجل عيونهم.

كما أنها لم تضح في السابق بنظام صدام من أجل عيونهم حيث قدموا له الأسلحة الكيماوية التي مكنته من البطش بهم أكثر من مرة دون أن تحرك ساكناً. ستفعل الأملار ذاته مرة أخرى.

5. إن الاتحاد الكونفدرالي سيؤدي إلى خلق حكم ذاتي للشيعة على المدى البعيد وسيكون مرفوضاً من قبل تركيا وسوريا والسعودية والكويت ودول الخليج، والأهم أن بروز حكم ذاتي للشيعة في العراق سيؤدي إلى ظهور زعامة شيعية عربية ترفض الخضوع للزعامة الدينية لإيران. لذلك فإن إيران ستعمل ما بوسعها من أجل أن تظل المرجعية الدينية للشيعة في "قم" وليس في "النجف".

6. لا يمكن للاتحاد الأوروبي وروسيا. أن يسكتوا على ضياع مصالحهم في العراق والمنطقة من أجل عيون إسرائيل.

7. سيمر عام 2005 دون أن تحقق أمريكا ما تزعم أنها جاءت من أجله في المنطقة لا في العراق ولا في فلسطين لأن التناقضات المذكورة أكبر من أن يتم حلها خلال ثلاث سنوات وسيأتي عام 2005 دون أن تشكل حكومة عراقية دائمة ولن يحصل الفلسطينيون لا على الدولة ولا على 8٪ من أرض فلسطين ولن يحصلوا على القدس عاصمة لهم ولن يعود لاجئ فلسطيني واحد. وعندها لا بد للأوضاع من أن تتفجر ثانية في العراق وفلسطين.

8. إن مجمل الأوضاع بتحولاتها وبشكل خاص داخل الولايات المتحدة (ولأسباب اقتصادية بحتة) ستجعل من الصعب على الجمهوريين بزعامة الصقور البقاء في الحكم لدورة ثانية وطالما أن الديمقراطيون يضعون في برنامجهم الانتخابي الخروج من مستنقع العراق. حتى لو لم ينفذوا وعدهم هذا ولم يخرجوا، فإن ذلك في الحالتين سوف يلحق بأمريكا وباليمين والأمريكي المتصهين هزيمة سياسية وأخلاقية قد تشكل بداية النهاية للطرفين معاً.

إن تعقيدات الوضع المستقبلية والهزيمة التي ستمنى بها الولايات المتحدة في العراق والمنطقة ستؤدي إلى إحداث تبدل جذري داخل أمريكا وإسرائيل لن تكون في مصلحة الطرفين وحلفائهم وعملائهم في المنطقة في آن واحد معاً تكون بداية النهاية للهيمنة الصهيونية وبداية النهاية للمشروع الصهيوني، إن القول بأن الإمبريالية تحفر قبرها بيدها يستند إلى حقائق وأدلة علمية وموضوعية أكيدة وليس إلى أوهام أو أحلام مهما طال الزمن.

قد يكون هذا مجرد حلم ولكنه حلم يستند إلى حقائق راسخة وقد يكون الحلم بمستقبل أفضل. أفضل من الاستسلام للواقع والتسليم به والتقاعس عن تغييره.

دعوة لإخراج العراق والمنطقة من الهوة التاريخية

لا شك أن جميع القوى السياسية العربية والعراقية وبصورة خاصة البعثيون قد أصبحوا مقتنعين أن الانفراد بالحكم كانت نتائجه وخيمة على الجميع وبأن العراق وغيره ليس حكراً خاصاً لهم ولا لأي من القوى السياسية منفردة وبأن العراق لن يحكم إلا من خلال جبهة وطنية ديمقراطية تضم جميع الأحزاب والفئات الوطنية استناداً إلى برنامج سياسي واضح ومحدد.

لذلك أرى أن نقطة البداية في العراق يجب أن يبدأ بها البعثيون الشرفاء باعتبار أنهم يشكلون أكبر قوة منظمة داخل العراق بإجراء نقد ذاتي لتجربتهم ومن ثم إصدار بيان للشعب يعلنون فيه أنهم قد فصلوا صدام حسين وكل من تلوثت أياديهم بدماء العراقيين وأن يتحركوا بسرعة إلى الاتصال بالفئات الوطنية والإسلامية والقومية والشيوعية الشريفة التي لم ولن تتعامل مع الأمريكان. من أجل بناء جبهة وطنية حقيقية على أسس وطنية وديمقراطية تحكم العراق منذ الآن بدلاً من هؤلاء اللاهثين لاستلام السلطة في مجلس حكم العراق أو ممن سيزعمون أنهم سيخرجون العراق من الهاوية في ظل الحراب الأمريكية.

مراجعة عامة

ليست المسالة مسألة تكهنات بل الانطلاق من معطيات تاريخية ونظرية ووقائع سياسية واقتصادية معينة يمكن بالاستناد إليها اكتشاف ما يمكن ان يحصل في المستقبل. ليس لإثبات التفوق الفكري او النظري بل لاستكشاف ما يجب أن يكون عليه المستقبل.

أعتقد أن حل الخلافات النظرية بين التيارات الفكرية والسياسية الأربع (الإسلامي، القومي، الليبرالي الوطني، الاشتراكي الماركسي) يكتسب الاهمية الأولى على الرغم من أنه يصعب حل الخلافات بسبب أن كل طرف فيها مازال يتعصب لرؤيته، ويغلب الذاتي على الموضوعي ولأن معالجة هذه القضايا تحتاج لمزيد من التمحيص والتدقيق من خلال حوار لم تتوفر له أرضية سياسية أو تاريخية.

لذلك سأعرض في هذا المجال للقواسم المشتركة السياسية الموحدة بعيداً عن المنطلقات النظرية والولاءات الأيديولوجية والسياسية والمصالح الضيقة وبعيدا عن التفسيرات السياسية الإشكالية المتعارضة او المتباينة لما جرى ويجري في العالم والمنطقة.

أولا: الوقوف ضد الاحتلال بكل أشكاله

سواء اكانت المواقف السياسية للإمبريالية الامريكية أو الأوروبية أو الروسية ومواقف القوى الاشتراكية أو الإسلامية أو القومية أو الليبرالية خاضعة او متأثرة بالنفوذ الفكري السياسي أو الإعلامي للحركة الصهيونية أم لا. وسواء أكانت الولايات المتحدة التي تدعم إسرائيل، منطلقة من مصالحها الذاتية أم بسبب تأثير اللوبي الصهيوني فإن الحقيقة التي يلتقي عليها الجميع هي ان السياسة العامة للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا إن لم تكن داعمة ومؤيدة للسياسة الصهيونية العدوانية فإنها عاجزة عن الوقوف في وجهها، وبالتالي فإن الاحتلال الأمريكي للعراق والسكوت عليه وعلى السياسة الإجرامية لليمين الصهيوني إنما يخدم بشكل او بآخر إسرائيل بالدرجة الاولى ويثبت مواقعها.

اعتقد أن جميع القوى الوطنية القومية العربية او الإسلامية أو الاشتراكية باستثناء القوى الليبرالية المتأمركة والمتصهينة باتت تقر بأن التحالف الأنكلوصهيوني وأدواته في المنطقة والعالم لم تأت لنزع أسلحة الدمار الشامل العراقية، غير الموجودة أصلاً ولا لإزاحة نظام صدام حسين القمعي أو الأنظمة الشمولية أو بقايا النظام الدولي السابق ولا لنشر الديمقراطية والسلام ولا لمحاربة الإرهاب المزعوم ، بل جاءت لتزيح الانظمة والقوى والتيارات السياسية جميعاً بغض النظر عن منطلقاتها الفكرية او السياسية او لتقضي عليها أو لتكيفها مع مشروعها الكوني غير المتعارض مع الصهيونية، مما يستدعي من جميع القوى الوطنية المرتبطة بهذه البلاد - بلا استثناء ان تقف علناً وصراحة وبدون أية تأويلات موارية أو مخاتلة ضد الاحتلال الأمريكي للعراق وضد الأعمال الإجرامية للقوات الإسرائيلية والوقوف بوجههما بصلابة ورفض كل ما تريد أمريكا وإسرائيل فرضه من بنى

سياسية او أمنية أو اقتصادية أو حقوقية في العراق وفلسطين والمنطقة(*).

ثانياً: الخيارات الصعبة: مقاومة الصهينة

لو ترك المجال للناس أن تختار بين ان تبقى أسيرة للأنظمة الإقطاعية أو الاستبدادية السابقة للرأسمالية أو أن تتجه نحو الليبرالية الديمقراطية أو الرأسمالية بشكلها الفظ فإنها لاشك سوف تختار التوجه الثاني، لكن المفارقة أن المسألة لم تكن منذ البداية مسألة خيار بين الحداثة والرسملة وبين الظلامية والأنظمة السابقة على الرأسمالية لأن المراكز الإمبريالية الصاعدة لم تترك وستسعى أن لا تترك لها مجالاً لتختار، بل فرضت عليها الإلحاق والتبعية أو كما يرى سمير أمين الرأسمالية المحيطية، لذلك فإن معظم دول العالم الأخرى إما أنها تحولت نحو الإشتراكية مثل الاتحاد السوفييتي والصين وتوابعهما وإما تحولت إلى توابع للإمبريالية وأصبحت أغلب النظم السياسية والاقتصادية في العالم الثالث بوعي او بدون وعي قسراً أو طوعاً ملحقة بالمراكز الإمبريالية الكبرى وتابعة لها. وبما ان أغلب الانظمة السياسية قد أصبحت كذلك فإنها بعد أن ظهرت الإشتراكية كخيار بديل وبسبب خلفيتها الدينية او الإقطاعية أو بسبب غياب الطبقات الثورية فانها قد وقفت ضد الإشتراكية وحاربتها، وبما ان إسرائيل حسب منظومة الأفكار والبنى السياسية السابقة على ظهور الإشتراكية كانت تعتبرها إما قاعدة متقدمة للإمبريالية أو استمراراً لها في المنطقة فانها بدت حينها لكثير من الأنظمة والتيارات والقوى والأحزاب السياسية مقبولة اكثر من الإشتراكية، ولذلك لم تقف في وجه إسرائيل بحزم او كما يجب بل على العكس قبلت التكيف معها أو الخضوع لها او التحالف الضمني معها في مواجهة الإشتراكية والشيوعية والأنظمة التي تريد الخروج من الهيمنة والتبعية، ولذلك فقد هبت غالبية هذه النظم لمواجهة النظم القومية الوطنية الناشئة أولمواجهة النظم والأفكار الإشتراكية والتواجد السوفييتي أينما كان وبأي شكل كان ثقافيا أو سياسيا وسواء على أرض مصر أو أفغانستان ووقفت بوعي أو بدون وعي مع الأمركة والأوربة التي لم تخدم في المحصلة إلا الكيان الصهيوني وتثبيت مواقعه في المنطقة. إلا أنه بعد ان سقطت الإشتراكية كخيار عالمي ثم محلي لم يعد امام الناس واغلب الأنظمة من خيار سوى الخضوع للغربنة أو الأمركة أو اللحاق بقطار العولمة ومن الملفت للنظر في هذا المجال أن بعض هذه القوى باتت تعتبر الديمقراطية أقنوما مقدسا يجيز لهم السكوت والتحالف مع الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية وبما ان الأمركة والغربنة كما تبدت أو انكشفت اخيراً في المنطقة العربية تحديداً بأنها ليست إلا مقدمات لصهينة المنطقة او ادوات لتثبيت الوجود الصهيوني وتوسعه بما يتيح له تحويلها دولا وحكومات وشعوباً إلى عبيد له. فإنه

---

* من الملفت للنظر ان اغلب القوى العربية والاسلامية التي كانت تحرض على قتال السوفييت في أفغانستان باعتباره واجباً شرعياً قد سكتت على الاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق كما سكتت في الماضي وتسكت اليوم على الاحتلال الصهيوني لفلسطين وعلى أعماله الإجرامية وكان الله أوجد الجهاد فقط لمقاتلة السوفييت.

لم يعد امام أنظمتها من خيار سوى:

أولا: أن تقف ضد الغربنة والأمركة وتعيد النظر في جميع خياراتها وبناها السياسية السابقة، مما يستدعي حركة مراجعة ثورية شاملة تتطلب حاملاً اجتماعياً وسياسيا غير موجود أو انه مكبوت ومجهض أو مهيض الجناح.

ثانياً: ان تختار وأن تخضع بالتالي للعبودية لإسرائيل والصهيونية واليهودية العالمية. وهذا احتمال راجح حالياً حيث يتضح للجميع أن خطر الصهينة هو خطر حقيقي وداهم ومباشر.

لو كانت المسألة مسألة خيار بين الرسملة أو الأمركة أو العولمة وبين الصهينة فإن غالبية الأنظمة والقوى سوف تختار الطريق الأول، لكن بما أن ذاك الطريق سيقود بشكل أو بآخر إلى الاعتراف بحق إسرائيل آمنة وقوية بمعنى رضوخ المنطقة وشعوبها لمنطق القوة الصهيونية فإن هنا يحمل إمكانية تحويل شعوبها وحكوماتها إلى عبيد أو وكلاء للصهيونية على أرضهم فإنه لم يعد هناك من خيار أمامها إلا أن تقف ضد الأمركة. وبما أن البنى والنظم السياسية والفكرية السابقة هي بالأساس خاضعة أو عاجزة أو لم تعد قادرة على مواجهة القوى العاتية لأمريكا والصهيونية أو بسبب غياب القوى الرافضة لها او بسبب تغييب وخنق القوى الرافضة او بسبب غياب الحليف الدولي فإن هذه الدول والأنظمة تعيش اليوم أزمة حقيقية.

إن الخلاف بين ما طرح في هذا الكتاب في توصيف ما حدث ويحدث في المنطقة وبين ما طرح سابقاً ليس خلافا على التفسير إلا بما بمقدار ما يصبح هذا الخلاف مكوناً أساسياً لما يجب تبنيه أو اتخاذه من مواقف لمواجهة الغربنة والأمركة والصهينة معاً. ولذلك فإن هذا الطرح سيلقى معارضة شديدة من قبل جميع حاملي الرؤى السابقة، وللخروج من هذا المأزق فإنني أعرض المسألة على الشكل التالي:

إن المسألة الملحة اليوم ليست رفض التحديث أو الغربنة أو الرسملة أو العولمة أو الأمركة المقبولة من الغالبية طوعاً أو قسراً، بل في الوقوف ضد كل ما يمكن أن تقود إليه هذه العمليات من صهينة أوتحويلنا إلى عبيد على أرضنا.

إني أعتقد أن جميع القوى والتيارات والأنظمة عندما تعي أن الأمركة والعولمة ليس باستطاعتها أن تكون إلا مقدمات للصهينة او خادمة لها أو داعمة أو مكملة لها وتعي ان الولايات المتحدة لم تأت للمنطقة من أجل نشر الديمقراطية ومكافحة الفساد والفقر والقمع وأنها لا يمكن إلا أن تنحاز لإسرائيل فقط فإن هذه القوى لابد ان تقف ضدها وتعارضها وقد يصبح الكثيرون حتى في السعودية مستعدين للقتال والاستشهاد حتى لا يتحولوا إلى عبيد لأبناء عمومتهم الإسرائيليين.

ان وعي هذه المسألة يشكل نقطة انطلاق أساسية لبناء موقف سياسي موحد يتيح لغالبية الأنظمة والقوى السياسية وعلى مختلف إنتماءاتها وتوجهاتها ان تقف ضد ما

يجري في العراق وفي فلسطين او في أي من الدول العربية إذا كان ذلك سيخدم مثل هذا التوجه. أما القوى التي لا تعارض الصهينة والعبودية فإنها ستعمل بكل قواها لأن تنفي عن الاحتلال الامريكي للعراق أي صفة تجعل منه مرفوضاً، وستنفي عنه صفته باعتباره عدواناً على العراق وشعبه او مكملاً لصهينة المنطقة وستعمل على تلميعه وتبييضه.

إننا كعرب ومسلمين وعلى مختلف إنتماءاتنا السياسية كلما أسرعنا في إدراك هذه الحقائق كلما أسرعنا في اتخاذ المواقف السياسية اللازمة للحيلولة دون تحويلنا إلى عبيد على أرضنا، كما أنه كلما أسرع الأمريكان والأوروبيون في إدراك أن السياسة التي تتخذها حكوماتهم إزاء ما يجري في العراق وفلسطين إنما تخدم إسرائيل أكثر مما تخدمهم وتلحق أضراراً فادحة بمصالحهم الإقتصادية والسياسية وكلما أسرعت شعوب هذه البلدان في اتخاذ المواقف المعارضة لحكوماتهم وتبني مواقف مؤيدة للحقوق العربية والفلسطينية بشكل خاص.

وكلما ألحق الفلسطينيون والعراقيون خسائر فادحة بالأمريكان والصهاينة وأعوانهم في المنطقة، كلما عملوا على تسريع وقوف شعوبهم وشعوب هذه الدول ضد حكوماتها وكلما أسرعوا في الوقت ذاته في تحرير أنفسهم من العبودية والذل والهوان.

القضية في النهاية قد تقررها مجموعة صغيرة واثقة بنفسها ومؤمنة بحقوق شعبها.

إننا نقف على قمة مرحلة تاريخية ستكون بداية لتحول تاريخي شامل في المنطقة والعالم تقرره الإرادات الواعية.

المراجع والمصادر

- حروب آل بوش السرية، إيريك لوران. دار الخيال. بيروت /2003.
- عالم بوش السري. إيريك لوران. دار الخيال. بيروت /2003.
- العلاقة بين الإمبريالية والصهيونية، د. حسام الخطيب. الإدارة السياسية. دمشق /1984.
- نشوء وسقوط القوى العظمى، بول كينيدي، الأهلية للنشر. عمان /1994.
- الديمقراطية الأوروبية. أرثور روزنبيرغ، وزارة الثقافة. دمشق /1984.
- مائة عام من الحرب. ف. وليام إينغدال. دار طلاس. دمشق /1996.
- وثائق فلسطين. دائرة الثقافة م.ت.ف. بيروت /1987.
- حرب البترول السرية. جان بيرجيه، دار طلاس. دمشق /1984.
- النظام الدولي الجديد. القديم، نعوم تشومسكي، فصلت للدراسات. حلب /2000.
- دور المنظمات الصهيونية في العالم الإسلامي. ر.م. روكتوف. دار دمشق /1986.
- من الغزو الصليبي إلى الغزو الصهيوني، د.شاكر مصطفى. وزارة الثقافة. دمشق /1987.
- فطير آل صهيون العماد مصطفى طلاس. دار طلاس /دمشق. 1986
- الصهيونية في الاتحاد السوفييت ، يفغيني يفسييف. دار الكتاب /بيروت /1991
- صراع الحضارات، صموئيل هنتينغتون. دار الكتب المصرية. القاهرة 1999.
- نهاية التاريخ، فرانسيس فوكوياما، دار العلوم. بيروت /1993.
- الصهيونية جذورها ونشأتها. خيري حماد، دار الكاتب العربي / القاهرة /1960.
- اليهود والسياسة الأمريكية، ستيفن إيزيكس. دار الإتحاد. بيروت /1976.
- حول المسألة اليهودية، باور.ماركس، الياس مرقص. دار الحقيقة. بيروت /1986.
- اليهود والحياة الإقتصادية، ورنر سونبارت. منشورات بايت /1923.
- اليهودية القديمة، ماكس فيبر. منشورات بلون / 1921.
- المسألة اليهودية، إيلان هاليفي. الخدمات الطباعية. دمشق /1983.
- دراسات في المسألة اليهودية، اسحق دويتشر. دار الحقيقة. بيروت / 1971.
- المفهوم المادي للمسألة اليهودية، ابراهام ليون. دار الطليعة. بيروت /1970.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د.عبد الوهاب المسيري.
- الصهيونية وإسرائيل وآسيا، ج.هـ. جانسن. مركز أبحاث م.ت.ف /1972.
- إحذروا الصهيونية، يوري إيفانوف. نيفوستس. موسكو /1969.
- تهويد فلسطين، إعداد إبراهيم أبو لغد. مركز الأبحاث م.ت.ف /1972
- تاريخ القرن العشرين، بيرل رونيفين. دار الفكر. الكويت /1980.
- الماسونية والماسونيين، حسين عمر حمادة. دار قتيبة. دمشق.

- ❖ الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية. لينين. دار التقدم. موسكو /1916.
- ❖ النظام الاقتصادي المعاصر، حازم الببلاوي. عالم المعرفة /2000.
- ❖ ما العولمة، غراهام طومسون. عالم المعرفة. الكويت. 2001.
- ❖ تاريخ الفكر الإقتصادي، جون كينيت جيلبرت. عالم المعرفة. الكويت / 2001
- ❖ الرأسمالية تجدد نفسها، فؤاد مرسي. عالم المعرفة /1990
- ❖ الاقتصاد الرأسمالي العالمي، كريستيان بالوا. دار ابن خلدون. بيروت /1980.
- ❖ الحكومة السرية في بريطانيا، جون كريك سكوت. دار الكتاب. القاهرة /1957.
- ❖ الصهيونية والإمبريالية، فاسلييف. دار التقدم. موسكو.
- ❖ الصهيونية في الاتحاد السوفييتي يفغيني يفسييف – بيروت 1998.
- ❖ من هو اليهودي، اسحق دويتشر. دار العروبة /1980
- ❖ التبادل اللامتكافئ، سمير أمين. دار الحقيقة بيروت /1974.
- ❖ الصحوة، ديفيد ديوك. دار الفكر. بيروت /2002.
- ❖ المصالح الالمانية في سوريا وفلسطين، عبد الرؤوف سنو. دار الإخاء. بيروت /1987.
- ❖ مذكرات الحرب، الجنرال ديغول. دار طلاس /1984.
- ❖ تاريخ الثورة الفرنسية، ألبير سيبول. دار الإخاء. بيروت /1976.
- ❖ نابليون الاول، الياس حويك. مكتبة الهلال. بيروت /1981.
- ❖ من قتل نابليون، بن وايدر. دار العلوم. بيروت /1992.
- ❖ مائة عام فلسطينية، محمد عزة دروزة. الجمعية الفلسطينية للتاريخ. بيروت /1984.
- ❖ الطورانية التركية، جهاد صالح. دار الصداقة. بيروت /1987
- ❖ هتلر و تهمة الهولوكوست، محمد جربوعة. دار النداء. شتورة /2002.
- ❖ الصهيونية سلاح الإمبريالية المسموم، كتاب سوفييت. مكتب الإعداد الحزبي. دمشق.
- ❖ تاريخ العربية السعودية، فاسلييف. دار التقد. موسكو /1986.
- ❖ قراءة جديدة في حركة محمد علي، سليمان غنام. دار تهامة. جدة /1980.
- ❖ الجذور الإسلامية للرأسمالية، بيتر غران، دار الفكر. القاهرة /1992
- ❖ يقظة الأمة العربية، نجيب عازوري، باريس /1905.
- ❖ يقظة العرب، جورج أنطونيوس. دار العلم للملايين. بيروت /1962.
- ❖ ظاهر العمر الزيداني، ميخائل الصباغ. مطبعة القديس بولس بيروت /1940.
- ❖ من حلف بغداد إلى الحلف الإسلامي، راشد البرادعي. مكتبة النهضة. القاهرة /1966.
- ❖ لورنس العرب على خطى هرتزل، زهدي الفاتح. دار النفائس. بيروت.
- ❖ أضواء جديدة على جبران، توفيق صايغ. دار الضياء. بيروت /1966.
- ❖ الهاشميون والثورة العربية، أنيس صايغ. دار الطليعة. بيروت /1966.
- ❖ المفصل في تاريخ العراق، عدد من المؤلفين. بيت الحكمة. بغداد. 2002.

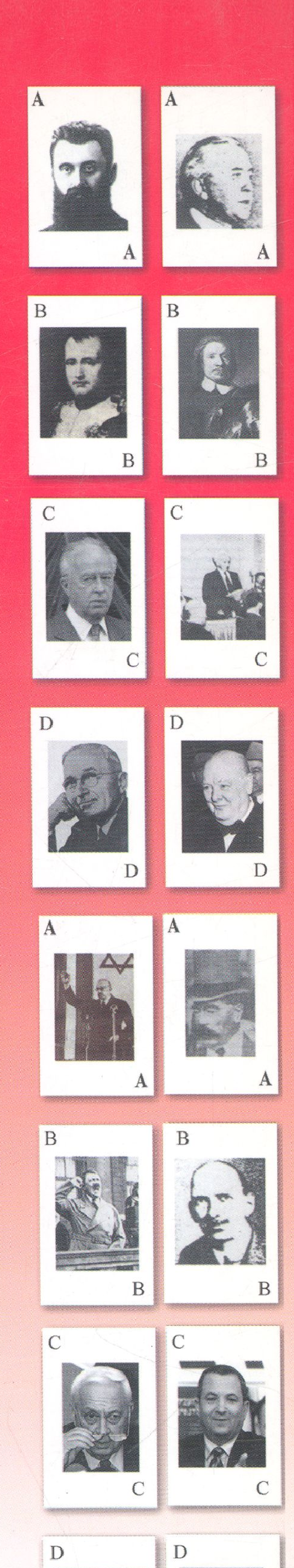
- وثائق العراق، حسين خليل. وزارة الثقافة. بغداد /1980.
- لمحات من تاريخ العراق، على الوردي. المكتبة المحمدية. طهران بغداد /1997
- تاريخ العنف الدموي في العراق، باقر ياسين. دار الكنوز. بيروت /1999.
- العراق وقضايا الشرق القومية، ممدوح الروسان. المؤسسة العربية للدراسات. بيروت /1979.
- الحقيقة الخفية لصدام حسين، رشيد مللا. دمشق
- العراق / الخطأ ، آلان ميشال، دار الألباب. دمشق /1993.
- فيصل ملك العراق، ستورث أرسكين. بيروت /1934.
- عندما يثور العراق، محمد توفيق حسن، دار العلم للملايين. بيروت 1959.
- العراق ومشارع الهيمنة الدولة، فاخر جاسم. دار المنفي. بيروت /1999.

دوريات:

- وجهات نظر/ الاعداد 50-51-/2003.
- الهلال/ الاعداد 8-11/2002.
- الجيل/ الأعداد 2-6/2003.
- دراسات فلسطينية /الاعداد 42-43.
- الفكر السياسي /الاعداد 13-14-15.
- عشتروت /العدد الاول /2003.
- الفكر المقاوم /العدد الثالث /2003.

صحف:

- الحياة، المحرر، السفير، الكفاح العربي، صوت الشعب، الإنترنيت. معاريف.



هذا الكتاب

أسئلة كثيرة تقلق الإنسان العربي اليوم.

كيف سقطت بغداد، وأين اختفى صدام ونظامه؟ هل جاءت أمريكا لنشر الديمقراطية في المنطقة أم لتقضي على آخر نفس لمقاومة المشروع الصهيوني فيها؟ من يحكم أمريكا حقيقة اليوم؟ هل ثمة فرق بين كون ما جرى ويجري في العراق والمنطقة أمركة أم صهينة؟

هذه الأسئلة تستدعي أسئلة أخرى:

ما الذي جرى في المنطقة منذ مائتي عام، حداثة ونهضة! أم غربنة وصهينة؟ من يهيمن على الأمم المتحدة وعلى الأتحاد الأوروبي وعلى روسيا؟ أمريكا أم الصهيونية؟

سلطة من الأقوى، سلطة المال أم السياسة أم الفكر؟ من يشكل مركز الثقل في المنطقة، مصر أم العراق؟ من سينتصر حركة التحرر القومي العربية أم المشروع الصهيوني

أسئلة أخرى إشكالية يسعى الكتاب أن يقدم أجوبة عليها. تست التوقف والمراجعة والحوار.

دار ترقى للطباعة والنشر والتوزيع